سلسلة الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية
(٨)

دراسة إيكولوچية فى

أفريقيا وحوض النيل



تأليف
أستاذ دكتور
فاروق عبد الجواد شويقة
أستاذ الجغرافيا والأنثروبولوجيا
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة
(غير متفرغ)



البيطاش سنتر
للنشر والتوزيع

سلسلة الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية
(٨)

دراسة إيكولوجية فى

أفريقيا وحوض النيل

تأليف
دكتور
فاروق عبد الجواد شويقة
أستاذ الجغرافيا والأنثروبولوجيا
بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة
(غير المتفرغ)

الناشر
البيطاش سنتر للنشر والتوزيع
توزيع الملتقى المصرى للإبداع والتنمية
٢٤ عمارة برج عين شمس- الإسكندرية
ت- ٤٤٤٦١٩٦ موبايل ٠١٢٥٨٠٤٨٣١

٩١٦

ش، ف شويقة، فاروق عبد الجواد.

دراسة إيكولوجية فى أفريقيا وحوض النيل/تأليف فاروق عبد الجواد شويقة.- الإسكندرية: البيطاش سنتر للنشر والتوزيع،٢٠٠٨

٥٠٤ ص، ٢٤ سم.- (سلسلة الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية؛ ٨)

تدمك -٩٧٧-٥٩٢٩-٧٥-

١- إفريقيا - الجغرافيا الطبيعية

٢- الجغرافيا البشرية

أ- العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٨/٢٢٤٤٠

I.S.B.N 977-5929-75-X

الآية الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ
مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ
وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

(سورة الرعد- الآية ٤)

الإهداء

إلى.. أساتذتى... فى مختلف المجالات

وإلى تلاميذى... فى مختلف التخصصات

إلى السابقين السابقين... وإلى اللاحقين اللاحقين

من المخلصين الخلص... العاملين فى صمت، لرفعة الإيكولوجيا الأفريقية.

فى مصر والعالم العربى...

أهدى هذا العمل...

عساه أن يكون، لبنة منتصف طريق.........

العلم.. والعمر.... والحياة

فاروق

قائمة المحتويات

فهرس الجداول

الفصل السادس:.

الفصل السابع:

فهرس الخرائط

فهرس الأشكال

الفصل السادس:

فهرس اللوحات

الفصل التاسع:

المقدمات

مقدمة هذه الطبعة

الطبعة الثالثة

أولا بادىء ذى بدء، أرجو أن نقرأ المقدمات التالية وهى الخاصة بالطبعة الثانية (تعريف) وبالإصدارة الثانية من الطبعة الثانية (تقديم)، الطبعة الأولى (مقدمة وتوطئة) وخاصة الأخيرة منها.

فهى تعد جزء أساسى وموضوعى من هذا الكتاب، لا يكتمل إلا بها، وإلا بالمصادر المشار إليها فيها.

لعل أكثر الشائع عن أصل تسمية أفريقيا أنه جاء مشتقا من لفظين فينيقيين (لبنان القديمة) يعنى أحدهما سنبلة وهى رمز الخصوبة والآخر فاريكيا ويعنى بلاد الفاكهة قاصدين الشعب الذى كان يعيش جنوب قرطاج (تونس الحالية) وهى ما كان يقصده الرومان عن تونس القديمة؛ ومنها توسعت التسمية على كل أراضى القارة.

هذا وقد اختلفت هذه الطبعة عن الطبعة السابقة (الطبعة الثانية) فى عدة أمور خاصة الإضافات العلمية الموضوعية والمنهجية وتمثل ذلك فى السرد اللفظى المكتوب وأيضًا الموضح فى جداول وأشكال ولوحات وخرائط وغير ذلك.

كما تجلى التغيير أيضًا فى زيادة عدد الفصول حيث أصبحت الفصول عشرة فصول فى هذه الطبعة؛ وذلك بعد فصل موضوع التاريخ الحضارى عن موضوع التطور السياسى، وأيضًا نتيجة تقسيم موضوع الاقتصادى على فصلين.

وهنا أشيد بمن شجع وطلب وألح فى إصدار هذا العمل فى طبعة وفى شكل مناسب حتى يستفاد منه أكثر وأكثر، إننى هنا أشكر السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الفتاح القصاص القيمة العلمية والإنسانية(وأقول الإنسانية وأنا الشحيح فى أستعمالها) القيمة، والذى قدر خارج وطنه أكثر من ما لاقاه فى داخله.

هذا... وإذ أذكر ذلك.... أتمنى أن تزدهر قارتنا أفريقيا... فى المستقبل القريب ودائمًا وباستمرار، إذ أنها قارة المستقبل.

وأن تكلل جهود مصر...... وأعمالها فى هذا المجال بالتوفيق؛ وعلى الله قصد السبيل.

فاروق عبد الجواد متولى شويقة

الجيزة- ٢٨ من يونيو ٢٠٠٨

تقديم
للإصدارة الثانية من الطبعة الثانية

بسبب سرعة نفاذ ما طبع من نسخ محدودة من الطبعة الثانية، ولاستمرار الحاجة إلى هذا الكتاب، فقد توكلنا عليه وأصدرنا، هذه الإصدارة الثانية، التى تضمنت بعض الإضافات والتعديلات، على أمل أن نزيد فى الطبعة التالية الثالثة إذا شاء صاحب الأمر، فصولا أخرى بعد الفصل الثامن، كما وعدنا.

والحقيقة أن الغرض من إصدار هذا الكتاب كان يهدف أن يصور "شخصية أفريقية"، فهل تحقق الهدف، آمل أن نكون قد حددنا معالم الطريق، أن لم نكن قد سرنا فيه شوطًا أو أشواط.

على كل فإن الشكر واجب لله، ثم للجميع.

شبرا مصر - يناير ١٩٨٦   أ.د فاروق عبد الجواد شويقة

الطبعة الثانية

تعريف

هذه هى الطبعة الثانية، ظهرت الضرورة لها وإليها، بأسرع مما توقعت، حيث نفذت المجلدات المحدودة مما طبع من الطبعة الأولى، فى زمن محدود، أقل كثيرًا مما كان محددًا ومقدرًا له، فشكرًا لله، على نعمائه المتجددة المتعددة المتغيرة المتطورة المتقدمة.

وشكرًا لهؤلاء النائمين من الأنام، الذين يصدون عن سبيل الله بالجهل والجهالة، هؤلاء الذين لا يفهمون مفهوم التطور، الذى ما هو إلا التغير والتقدم، رغم أنهم يعيشون فيه وينعمون به، ولكنها الغفلة، غفلة الفكر والعقل والوجدان، عن رؤية الحق والحقيقة، عن رؤية الله بالبصيرة، تلك التى تنير علينا طريق الحياة.

وشكرًا لأولئك الذين سمحوا بأن يتقمصهم شيطان المادة، فيقلبوا الحقائق ويحاولوا أن ينحوا فاعلى الخير عن أفعالهم، ولكن هيهات هيهات لما يأملون، فالله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فشكرًا لهم لأنهم زادونا خيرًا وثوابًا، وزادوا أنفسهم رهقا.

أما هذه الطبعة، فقد جاءت فى وقتها، حيث أضيف القسم الثانى، القسم التطبيقى بإرهاصه عن حوض النيل، وبلمحه وضوء سريع خاطف عن مصر، مع الأمل فى أن تتسع أجزاء هذا القسم قريبا وسريعا، بدراسة تفصيلية عن أقاليمه السياسية الأخرى بالتتابع.

وأخيرًا وآخرًا، فإن الشكر كله لله، ولهؤلاء وأولئك الذين قدموا نقدًا برأيهم فيما صدر من مادة فى الطبعة الأولى، وأقول أن ما كان، ما كان له أن يكون إلا متأثرًا بظروف عديدة متعددة متكاملة ومترابطة، بمعنى أن: "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن"، وأن فى هذا منهج هو من السبل الأساسية فى الايكولوجيا العامة... فهل من مدكر.

شبرا مصر - يناير ١٩٨٤   فاروق عبد الجواد شويقة

مقدمة وتوطئة

الطبعة الأولى

أصبحت الدراسات الإيكولوجية من الدراسات التى تعنى بها الدول المتقدمة فى مختلف مراحل التعليم والدراسة، فهى تدرس فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فى المدارس الثانوية وما فى مستواها منذ ستينات هذا القرن، خاصة فى مجالاتها البيولوجية، وأظن أن الاهتمام قد بدأ يظهر بأمورها- أخيرًا- فى شرقنا العربى، لحاجتنا الشديدة والضرورية لها، التى تمتلىء بها الأفواه والأسماع فى كل زمان ومكان.

من هذا، ومن الإحساس بضرورة وضع مؤلف يجمع الدراسات الجغرافية والأنثروبولوجية- أساسًا- وهما مجال تخصص الباحث، وضع هذا الكتاب بين يدى القارىء المهتم بالدراسات الأفريقية، تلك الدراسات التى جاوز عمرها فى مصر ثلث القرن زمانا، كما جاوزت أعمالها قمم كثير من الجبال عمقًا، وهى التى تهتم بأمور قارة، أقل ما يقال فيها أنها قارة العرب والإسلام والمستقبل، بشهادة الجميع.

أما أفريقيا فهى تلك القارة القديمة والجديدة، قارة الماضى وقارة المستقبل، قارة الأمل وقارة الإحباط، فهى والحق أقول تحوى النقيض ونقيض النقيض، كما سنرى، ويمكن أن يرى كل ذى عقل ولب رشيد، ومن هنا كانت قوتها وكان ضعفها أيضًا، قوتها عندما كانت تعى قيمتها، وضعفها عندما يتكالب عليها الأكلة من كل حدب وصوب، من هنا كانت فكرة، أن أفريقيا هى قارة النقائض والأضداد، وتلك هى محور دراسات هذا السفر.

ولكن أفريقيا- أيضًا وفى الحقيقة- قارة التكامل، فالنقيض مع النقيض- بالعقل والفكر والإخلاص والوعى- يخلق التكامل والترابط، ثم القوة والمكانة، فى عالم ليس فيه للأمم الصغيرة والضعيفة مكان ولا مكانة، ولا أمل ولا آمال، بل حرمان وآلام.

لقد ظلت أفريقيا، إلى عهد قريب قارة مجهولة، ليس فقط بماضيها، ولكن أيضًا حاضرها، رغم ما تزخر به من طبيعة غنية وإمكانات كثيرة من بشر وموارد إقتصادية، ذلك جعلها تحتل بدولها مكانة مرموقة فى دنيا سياسة العالم الثالث، بل والغربى والشرقى، كلها على حد سواء.

وأفريقيا إيكولوجيا - كما سنعرفها أكثر من خلال هذا الكتاب، تجتاحها مشكلة والتى أساسها افتقارها إلى عدالة التوزيع، لذا كان البون شاسعا بين دولة وأخرى وناس وناس، وبين اقتصاد وآخر، بل وبين تاريخ وتاريخ.

لقد أطلق على قارة أفريقيا عدة مسميات كان منها القارة: المجهولة، والسوداء والمظلومة، والخضراء، وقارة الممنوعات

(Crone, G.R.1964:17)forbiddens

وبعد أن استقرت تلك المسميات وربما انتفت معظم دلالاتها بمضى الزمان وتغير تلك المسميات وربما انتفت معظم دلالاتها بمضى الزمان وتغير الأحوال، ولما لاحظته من الدراسة، يمكننا أن نطلق عليها قارة المتناقضات Contradictions لما تحمله من تناقض بين فى كافة ظروفها الأيكولوجية الطبيعية والبشرية، ولكن يجب إيضاح هذا التناقض، وأن كان يحمل دلالات التنافر، الا انه يقوم بدور الربط والتكامل بين مناطقها، ومختلف إجزائها وكل وحداتها السياسية، فهو- إذن- تناقض التكامل رابط وليس التنابذ والتنافر.

تلك هى القارة الأفريقية بصفاتها الإيكولوجية والجغرافية والانثروبولوحية التى تتفاعل، فتظهر شخصيتها، ويتحدد دورها، ويتسامى مستقبلها.

ولقد كانت الجغرافيا- ومازالت- من أكثر العلوم حيوية، وربما لا تنازعها فى ذلك إلا الأنثروبولوجيا، لصلتها المباشرة بالإنسان محور وهدف كل مظاهر الحياة على الأرض، ومن حسن الحظ العلمى- الذى كثيرا ما كشفت أعظم الكشوف فى ظله- أن محتوى الدراسات الايكولوجية لا يختلف كثيرا عن نظيره فى الدراسات الجغرافية، فكلاهما يدرس سطح الأرض وعوامل المؤثرة فيه، ونتائج ذلك على مظاهر الحياة، خاصة الإنسان فى النهاية، باعتباره المحصلة والحساب الختامى.

ومن هنا كان الرابط بين الايكولوجيا والجغرافيا، كما أن الترابط واضح بين كل منهما وبين الأ نثروبولوجيا (راجع مقال المؤلف: الايكولوجيا البشرية) تلك الدراسات الواسعة المجال والتى تدرس الإنسان وما يعمله فى كل زمان ومكان.

وتعتبر الدراسات الايكولوجية عند المدرسة الجغرافية البريطانية وخاصة مدرسة كامبردج داخلة ضمن دراسة الانثروبولوجيا الطبيعية، ويوافق هذا

الرأى بعض المدارس الأمريكية[١] والفرنسية[٢]، ولقد أصبحت دراسة الايكولوجية الإقليمية من أهم الدراسات التى تخدم الكثير من المجالات العلمية،فهى تهم الانثروبولوجى كما تهم الجغرافى على قدم المساواة، حيث ألفت الكثير من الدراسات التر تخدم أهدافها المتلاقية كثيرا[٣].

ولعل من أهم المجالات التى تهتم بها الدراسات الإيكولوجية ذلك المجال الذى يدرس التفاعل الكائن بين الكائنات بعضها وبعض، وفى الحقيقة يعمل فى هذا المجال كثير من الجغرافيين والايكولوجيين وكذلك الانثروبولوجيين خاصة من المهتمين بالجوانب البيولوجية التطبيقية على مستوى "الميكرو" ومستوى " الماكرو".

والحقيقة أن الكثيرين منهم يلتقون فى أفريقيا أو على دراسات حولها أذ أنها تتميز بالتمايز الواضح فى كل العناصر الايكولوجية على المستويين (الميكرو، و الماكرو) مما يهيىء أفضل ظروف الدراسة و البحث[٤].

هذا وتتسع الدراسات الإيكولوجية لأكثر من العلاقات و التفاعل المتبادل بين كل مكونات البيئة من طبيعية وبشرية وغيرهما، والدراسات الإيكولوجية، منهجها ونتائجها توضح دائمًا بالأسلوب الرقمى الرياضى الإحصائى[٥] ولكن لظروفنا الخاصة، سوف أعمل جاهدًا على ترجمة دلالات الدراسة إلى الأسلوب الوصفى السردى ربما يساعدنا فى هذا، تكوينى الأول فى مجال الجغرافيا ومحاولتى استقراء ما تحتويه الخرائط فى داخلها- كما قيل Geography is not to look at the map,but to look throuth the map– خاصة إذا أجريت عملية تطابق بين أكثر من توزيع وهو الأسلوب الذى اتبعه مستخدما خرائط معظمها من أطلس jeune afrique وعلى ذلك ستكون الدراسة، محاولة أولية فى هذا المجال وبهذا الأسلوب، فأرجو ألا يحكم عليها بغير هذا المنظار.

وغالبا ما توجد النعمة والنقمة فى ثوب واحد، هو البيئة وهى التى يكاد لا يفصل بينهما إلا شعره دقيقة رقيقة تكاد لا ترى، فى الحقيقة إنها تحس أى ترى بالبصيرة، لذا كان الأولى تميز التأمل، عند دارسى الإيكولوجيا، وكان أوجب الواجب، تحسس الحل فى الاشتراكية الطوباوية الإيمانية، خاصة بالنسبة للمشكلة الاقتصادية كما سنرى.

هكذا أرى الحل لمعظم مشاكل الإيكولوجيا البشرية فى كل مكان وزمان، خاصة فى الأنحاء التى تتعاظم فيها الفروق والتناقضات، كإفريقيا، الأرض والناس، قارتنا وأهلنا، وخاصة أيضًا فى الأزمان التى تتسارع خطاها تطورًا وتغيرًا ولهثًا وراء المجهول، فى الربع الرابع من القرن العشرين وما بعده من أوائل الواحد والعشرين، فإذا ما اجتمع الاثنان، الأنحاء والأزمان، كان فى تلمس هذا الحل المخرج المحتم.

من هنا، كان هدف تلك الدراسات الأساسى- خلاف الهدف الأكاديمى الذى يعرض بعض الأفكار وليس يعارض مسح لها، وان لم يخل من ضرب الأمثال للناس- الذى يتركز حول عرض نماذج من الواقع الطبيعى والبشرى لها، من خلال إطار زمانى يضرب فى الماضى السحيق إلى العصور الجيولوجية ثم يتحرك فى قفزات بعضها سريع وبعضها بطىء حتى العصر الحديث التاريخى، مرورًا بعصور الكشوف والرقيق والاستعمار والاستقلال.

ربما، أو غالبا ما ستكون تلك الأفكار فى ثنايا العرض ظاهرة على السطح حينا، وأحيانًا مدفونة فى باطن الكتابة، لذلك كانت القراءة المتعمقة المتأنية المتأملة المستهدفة المستقرأة المستهلكة، هى المطلوبة والمرغوبة والموجودة عند الإطلاع على هذه الدراسات من وعن هذا أعتذر سلفا، راجيا اعتبار تلك الأسطر نزهة فكرية، لمن أراد الفكر والتعمق من الخاصة، أو من عامة الخاصة، أو حتى من خاصة العامة.

أما أحباءنا من عامة القارئين والدارسين- ومنهم أنا- فباعتبارهم السواد الأعظم حاليا، لأسباب منها علمية أو شخصية أو زمانية سائدة، فسيجدوا لا شك مادة تفيد، وغالبا فكر نافع، وربما علمية أو على الأقل متعة ورحلة ذهنية مريحة بعض الشىء.

هذا وسيجد كل متخصص فى تخصصه، نقطة واحدة على الأقل، تفتح بابا جديدًا للبحث والدراسة والمناقشة، وكان أحد أهداف المؤلف المتعمدة، حتى يتعلم ويغنى نفسه، من غنى الزملاء، بما سينشرونه حلا لهذه القضايا الفكرية، التى يأمل – أيضًا- أن تجد طريقها إلى التنفيذ اللطيف، المخلص والأمين، هنا وهناك فى كل ربوع أفريقيا.

هذا ويحتوى الكتاب على قسمين: خصص الأول للدراسة العامة وقد شمل ست فصول، حيث خصص الأول لدراسة البناء الطبيعى للقارة من خلال

دراسة وصف الأرض، والجيولوجيا والتضاريس، والمناخ وأقاليمه، والتصريف المائى وأحواضه- كما جعل الفصل الثانى لدراسة الإيكولوجيا الحيوية حيث درس التربة، والنبات وأقاليمه، والحيوان وتوزيعاته، والبيئة وتفاعلها. أما الفصل الثالث فقد خصص لدراسة السلالات البشرية من خلال مراحل تطور الإنسان وسلالاته، ودور أفريقيا فى تطور الإنسان، ومفهوم السلالة والعرق، وعراقة سلالات القارة الأفريقية، ثم المجموعات السلالية الكبرى.

كما خصص الفصل الرابع لدراسة المجموعات اللغوية فى أفريقيا، وذلك من خلال المجموعات الكبرى الرئيسية، والتقسيمات الفرعية للغات فى غرب أفريقيا، كم استعرض نموذجًا من اللغات الأفروآسيوية هى لغة الهوسا، ونموذج آخر من اللغات البانتوية هى اللغة السواحلية، كما عرض لدور اللغة فى بناء الوحدة الأفريقية، أما الفصل الخامس فقد كان مجال دراسته التاريخ الحضارى للقارة، حيث استعرضت فى مجاله، أهم أحداث التاريخ القديم، والتاريخ الوسيط، وتاريخ الاستعمار والكشوف الجغرافية، ثم تأريخ التصور السياسى لدول القارة وبعض مشكلاتها الملحة مثل مشكلة الصحراء الغربية ومشكلة الصومال، وأخيرًا كانت هناك اطلالة طائر من على؛ على مستقبل القارة.

أما الفصل السادس فكان أطول فصول القسم الأول، حيث أنه درس النشاط الاقتصادى من خلال سبعة موضوعات هى: السكان وتوزيعهم، والاقتصاد المعيشى، وزراعة الإنتاج الاقتصادى، والمعادن والطاقة والصناعة، وطرق النقل والمواصلات، والمشكلة الاقتصادية، والتنمية الاقتصادية فى أفريقيا.

هذا عن القسم الأول، أما القسم الثانى فقد خصص للدراسة التطبيقية التى بدأت فى الفصل السابع بدراسة عامة عن حوض النيل، ثم جاء الفصل الثامن فى عجالة سريعة ومختصرة ولكن مرشدة وهادفة عن وطننا العزيز... مصر.

والحقيقة أن مجالات دراسة هذا الكتاب، ما هى إلا رؤيا لموضوعات واسعة وكبيرة هى حاليًا فى واقع الأمر محل اهتمام أعمق وأوسع من المتخصصين- أكثر- فيها.

ولما كان كتابنا هذا قد وضع ليفى بعدة أغراض منها أن يكون كتاب دراسى للدراسات الأفريقية، وأيضًا ليكون مفتاحًا لبعض الموضوعات البحثية العلمية التى قد يحتاج إليها الخاصة من الدارسين عندما يهدفون إلى تخير

موضوعات للبحث والدراسة، لذلك ربما قد يستشعر قارئه ودارسه وباحثه، تباين أسلوب كتابة موضوعاته، ولكن هذا لن يضره، ولا غيره، ولكنه سيفيد الجميع... مع الزمن فلا تستعجلون.

هذا وقد اعتبرت الخرائط والأشكال واللوحات جزء من المادة العلمية المعبرة عن الهدف المقصود، لما لها من قدرة على التعبير فائقة، ولما تعطيه من إمكانية وفرصة للقارئ والدارس للاستنتاج وللربط، إذا ما أمعن تأملها، بهدف التوصل إلى جديد وجيد وجاد، من المعلومات والمعارف.

وتجدر الإشارة إلى أنه أضيفت ببلوجرافية للاستزادة وللتعمق فى نهاية كل فصل ليرجع إلى مواردها من يريد، وقد روعى ألا تتكرر مواد هذه الببليوجرافيات حتى ولو كانت موادها تصلح لأكثر من موضوع ولأكثر من فصل فى كتابنا هذا.

والحقيقة أن هذا الكتاب، رغم أنه يغلب عليه المنهج والمحتوى العلمى الإيكولوجى عن إفريقيا وهو عرض جديد للموضوع، إلا أنه- أيضًا- يعتبر الأول بالعربية الذى عرض، لكل تلك الموضوعات التى يحتويها مصطلح الدراسات الأفريقية فى مجلد واحد وفى مؤلف واحد ولمؤلف واحد.

ومع هذا، لا يدعى المؤلف، أن هذا المؤلف، جديدًا ولا وافيًا ولا شاملاً ولكنه يسد حاجة ملحة أمام كل من الإيكولوجيين والأنثروبولوجيين المشتغلين فى المجال الأفريقي، كى يعرف كلا منهما الآخر من خلال بعض الاموضوعات العلمية ونقاط البحث والدراسة.

لهذا وضعت خطته ونفذت فهل حققت هدفها؟ كلى أمل فى ذلك، والآمال الكبرى فى تعاون الزملاء البناء والبنائين، فى محاولة إنبات بذور الموضوعات التى وردت فى هذا الكتاب، وتعهدها، كى تنبت كل منها وتصبح وافرة وارفة الظلال، وتظهر فى كتب مستقلة تمثل حلقات من سلسلة طويلة وقوية يصدرها المعهد.

هذا وقد تضمن الكتاب الكثير من الأشكال والخرائط واللوحات توضيحًا لما ورد فى المتن، ولا شك أنها بصورتها الواردة فى نهاية الفصول تعتبر تكملة للمادة العلمية المدونة فى كلمات فيها، وقد تعمد المؤلف المحافظة على الشروح الإنجليزية لكثير منها خاصة المدونة فى كلمات فيها، لأسباب عدة كان

منها حرصه على أن يهتم القراء خاصة خاصتهم وهم من طلاب العلم والمعرفة؛ بمداومة الإطلاع على أمهات المصادر بلغاتها الأصلية، أو المترجم منها للإنجليزية، وهى كثيرة ودسمة وثمينة وغنية ومغنية.

وفى الحقيقة أن كثير من الأشكال والخرائط واللوحات منقولة عن مصادر علمية أشير إليها، لكن هناك بعض الخرائط والأشكال الجديدة مرسومة بتصميم وجهد المؤلف. أما جداول الإحصاءات، خاصة فى الجزء السكانى والاقتصادى فجلها من جمع وتقديرات المؤلف طبقا للقواعد الإحصائية، وذلك جمعا من مادة علمية منقولة من أمهات المراجع.

والجدير حقا بالذكر أيضًا، أننا قد استعملنا أحدث مسميات الدول، حتى إذا كانت الإشارة إلى موضوع حدث فى فترة كانت تحمل فيه إسما مخالفا مع حرصنا- طبعًا فى هذه الحالة على الإشارة.

ويكرر المؤلف ما ذكره فى كتابيه الأول (الأنثربومتريا، ١٩٨١) والثانى الأنثربولوجيا الطبيعية، ١٩٨٢) من أن الظروف قد فرضت، الحجم المضغوط، وال محدود، والإخراج المركز، والنشر الخاص، ذلك الذى يمكنه وحده- بشرف وبتضحية- مواجهة تحديات التسويق وتقلباته فى مجتمعنا المعاصر.

هذا، ولا يستطيع المؤلف إلا أن يذكر أنه فى قراءة كتابيه السابقين- المشار إليهما- فيه خير وعون لمن أراد عمق فهم موضوعى السلالات البشرية والمجموعات اللغوية المذكوريين فى هذا الكتاب، بل وربما تاريخ التطور الحضارى والنشاط الاقتصادى من موضوعات هذا الكتاب أيضًا.

وبذلك نصل إلى أن الكتاب، ليس شاملاً، ولكنه يشمل ويعرض ويتعرض- فى عجالة غير مخلة- لمعظم الموضوعات الإفريقية، التى تشمل بعامة كل أرقام جداول ميلفيل ديوى؟ تقريبا، فمن هنا جاءت خطورة المحاولة، ولكن أمام ضرورة أداء الواجب، التصدى، الذى اعتبره، بداية متواضعة للغاية، هى رؤوس موضوعات، كل منها فى حاجة إلى دراسة أعمق وأشمل وأدق وأوسع، أتمنى أن يتولاها الزملاء كل فى تخصصه حتى نزداد جميعا تعلما، وعلما وتعليمًا، وبحثًا، ودراسة ومعرفة وحكمة.

وأخيرًا... يسجل المؤلف شكره لله وأسرته- الحاضرة والمسافرة- وللأخ الذى ساعد فى الكتابة النهائية، وممن عملوا فى طبعه وإخراجه فى صورته المشرقة(كان المؤلف بنفسه منهم)- وهى التى أكدت أن ما طبق من منهج علمى، قد لاقى ما يستحقه من فن وتكنولوجيا، هذا ولا يفوت المؤلف أن يسجل شكره للزملاء بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بأقسامه وتخصصاته المختلفة، فلقد كان لكل منهم- بطريقة ما يعرفها- دوره فى فكره وتفكيره عن العلم وعن أفريقيا.

فإليهم وإلى الزملاء بأقسام الجغرافيا بالجامعات المصرية والعربية الأفريقية، رجاء أن اعرف رأيهم فى هذا العمل، إذ ربما يرى النور مرة أخرى، مع عودة روح وحياة، على مستوى أفضل وأرقى وأسمى.

وأخيرًا يأسف المؤلف، لما قد يظهر من قصور هنا أو هناك، فقد كانت هناك عدة متغيرات حكمت وتحكمت فى الأمور، بحيث ظهرت كما ظهرت عليه، وتلك هى حقيقة الحياة، إذ هل لإنسان أن يحقق كل ما يريد وكما يريد؟ إنها إرادة الحق، الغالب على أمره،... ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ثم بعد، فإن المؤلف ليرجو للجميع توفيقًا، من الله وهداية تهدى المهدى إلى الهدى وعلى الله قصد السبيل.

والحمد لله والشكر لله، وصلاة وسلامًا عليك يا رسول الله.

دكتور

فاروق عبد الجواد شويقة

استاذ مساعد الأنثربولوجيا والجغرافيا

ورئيس مجلس قسم الأنثربولوجيا

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

حواشي المقدمة

(1) Sargent, Fredrick(ed): Human Ecology, New york, American Elsevier Publishing Co., 1974,475p

(2)Morel, Pierre:L'Anthropologie Physique, Paris, Presses Universtaires de France, 1962,p.9.

(٣) من هذه المؤلفات:

: Dickinson, Robert E.: Regional Ecology study of Man's environment, New york, John Wiley&son,1970, 199p.

(4) Lewis, T and Taylor, L.R. Introduction to experimental ecology,.London, Academic Press, 1967,pI-2

(٥) من أهم المصادر التى ألفت فى ذلك:

Jeffers, J,N.R(ed): Mathematical Models in Ecology; The grantes-over- seas, Lancashire 23-26 March 1971,Oxfored, Blackwell Scientffic publication, 398p

Patten,Bernared C(ed): Systems analysis and simulation in ecology, London, Academic Press.1971-1976,4 Vols.

القسم الأول

الدراسة العامة

القسم الأول

الدراسة العامة

ترجع تسمية أفريقيا إلى النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد عندما أطلق الكتاب اللاتينيون اسم الأرض الأفريقية Africa Terra على القسم الشمالى من تونس الحالية التى كانت تعرف باسم قرطاجة وذلك بعد أن هزموها ودمروها عام ١٤٦ ق.م. هذا الجزء من الأرض الأفريقية كانت تقطنه من قبل قبائل كانت تعرف باسم أفرى Afri هذا ولم يستدل على أصل هذه التسمية، وقد آخذ هذا الاسم أفريقيا بعد ذلك بحيث أخذ يطلق على كل أرض تكتشف إلى الجنوب بين تلك الولاية الرومانية إلى أن عمت التسمية كل أرجاء القارة.(١)

وغالبا أن هذا هو القريب من الحقيقة أكثر من الرأى القائل(٢) بأن اسم أفريقيا جاء من إسم أفريقوس ملك اليمن القديمة عندما هرب واستقر فى تونس الحالية بعد هزيمته أمام ملك آشور وخونه من العودة إلى بلاده الأصلية، ولكنه استقر فى ضواحى قرطاج، لذا كان يطلق الرومان إسم آخر افرAfer وجمعها أفرى Afri على المواطن البونى(٣) من أهل قرطاج، ولذا فقد انشأوا مقاطعة أفريقياProvincia Africa عندما إجتاحوا قرطاج عام ١٤٦ق.م.وحطموها.

أما العرب فقد تحولت عندهم أفريقيا Africa إلى أفريقية Ifrikiya وكانوا يقصدون بها تونس الحالية، أما المغرب فقد كانوا يقصدون به كل إقليم الصحراء الممتد من غرب نهر النيل حتى المحيط الأطلنطى(٤).

حواشي

القسم الأول – الدراسة العامة

(١) جوليان، شارل أندرية: تاريخ أفريقيا ترجمة طلعت عوض أباظة، القاهرة، نهضة مصر، د.ت، ص٥

(٢) جان ليو الأفريقى: وصف أفريقيا، ص٣٥

(٣) المواطن البونى أى المولد من أصل قرطاجى (فينيقى أفريقى)

(٤) نفس المصدر، حاشية ص٣٥

الفصل الأول

الواقع الطبيعي

الواقع الطبيعي

أفريقيا قارة كبرى، اذ تبلغ مساحتها أكثر من ٣٠مليون كيلوا مترا مربعا (١١,٥مليون ميلا مربعا) بما فيها مدغشقر، فهي بذلك ثاني قارة في العالم بعد آسيا، التي كانتا تكون مع أوربا كتلة العالم القديم، الذي كان معظمه معروفا قبل الكشوف الجغرافية، التي شهدتها عقود القرون ١٦-١١والتي كشف خلالها أراضي العالم الجديد(أمريكا -استراليشيا)، بل وكثيرا من سواحل ومجاهل أفريقيا الداخلية.

وصف الأرض الأفريقية

يبدو للناظر إلى خريطة العالم القديم، أن أفريقيا تكاد تكون جزء من الكتلة القارية الكبرى التي تشملها مع آسيا وأوربا، اذ لا يكاد يفصلها عنهما فاصل كبير، حيث أن البحر المتوسط الذي يحدها شمالا ويفصلها عن أوربا، وكذلك البحر الأحمر الذي يفصلها عن آسيا يعتبران من البحار شبه الداخلية التي لم تكن في أي عصر من العصور فاصلا ولا حائلا دون اتصال الأرض والناس على كل من جانبيها.

وتمتد أرض القارة الأفريقية فوق دوائر عرض وخطوط طول مركزية بؤرية بالنسبة للكرة الأرضية(١)، وعليه فليس غريبا أن يتصور أنها- أو أن فيها على الأقل- مركز العالم والكرة الأرضية، ولم لا؟ خاصة وأنها القارة الوحيدة التي يتعامد في نطاقها خط جرينتش مع الدائرة الإستوائية.

تلك النظرة ليست خالية ولا خيالية، إذ الحق أن أفريقيا هي قارة المستقبل كما أنها قارة الأمل الذي ينشده الإنسان في كل مكان، ويجب أن لا نستكثر عليها ذلك، فكم استغلت ونهبت ثرواتها وخيراتها وكم استعبد أبناؤها وأهلها، فسميت القارة المظلمة تارة والقارة السوداء تارة أخرى، بينما هي في الحقيقة القارة المظلومة كما أنها القارة الخضراء.

ولقد كان لموقع القارة الأفريقية أثره الواضح على كل المظاهر الطبيعية والبشرية السائدة فيها، إذ كان لتنصيف خط الاستواء للأرض الأفريقية أثره في خلق الثنائية الفصلية المناخية السائدة في آن واحد في كل من نصف القارة الشمالي ونصفها الجنوبي، وهي سمة فريدة تكاد لا تتكرر مع أي قارة أخرى.

هذا ويحد القارة من الشمال خط عرض ٢٠ َ ٣٧ ° وذلك عند رأس أنغيلا فى تونس، ومن الجنوب خط عرض ٥٠ َ ٣٤ ° عند رأس أجولهاس فى حنوب أفريقيا، كما يحدها شرقا خط طول ٢٠ َ ٥١ ° شرقا عن رأس حافون ويحدها غربا خط طول ٣٣ َ ١٧ ° غربا عند رأس فرد، أى أنها تمتد لتغطى مساحة تمتد بين ٧٢درجة من درجات العرض و٦٩درجة من درجات الطول، وتبلغ المسافة بين طرفيها الشمالى والجنوبى نحوا من ٨ آلاف كم، وبين طرفيها الشرقى والغربى نحوا من ٧٥٠٠كم.

وتكاد تتصل الأرض الأفريقية بالأراضى الأوربية فى الشمال، من خلال مضيق جبل طارق(١٤كيلو متر) ومن خلال قوس جزر بانتاليريا ومالطا وصقلية، كما أنها تتصل فعلا بالقارة الآسيوية من خلال شبه جزيرة سيناء المصرية التى أعتقد- أنه لا محل أبدا لافتعال قضية حول إنتمائها الأفريقى أو الأسيوى، فهى أساسا مصرية وفى ذلك حسما للموضوع إذ أن مصر ذات انتماءات عدة ما بين أفريقية وآسيوية، قومية وعربية[٢].

أما مضيق باب المندب (٣٨كيلو متر) فهو أضيق مسافة مائية تفصلها عن آسيا حيث تقترب سواحل جيبوتى الأفريقية من سواحل اليمن الآسيوية.

وعلى ذلك فيمكن إعتبار أفريقيا جزيرة ضخمة تكاد تتصل باوراسيا من خلال اكثر من مماس، وقد كان لتلك الحقيقة أثرها على كثير من الظواهر الطبيعية خاصة المناخية والنباتية، وأيضا على بعض العلاقات البشرية والتاريخية، مما أثرعلى كثير من المظاهر الحضارية والاقتصادية والاجتماعية، يتبلور ذلك أساسا فى وحدة الوطن العربى.

ومن الملاحظات الهامة على قارة أفريقيا أنها تمثل كتلة يابسة مغلقة(خريطة١) لا تتوغل فيها كثيرا البحار والمحيطات حيث تبعد أراضى كثيرة منها عن البحر (المسافة تصل ١٥٠٠كم)، بعكس الحال فى كثير من القارات الأخرى كأوربا التى لا تكاد تبعد فيها نقطة عن البحر أكثر من ٥٠٠كم، وقد زاد من اثر قاريتها تلك، قلة بحارها وبحيراتها الداخلية، وهى بذلك تمثل نمطا مميزا لا يتفوق عليها فيه سوى إستراليا التى هى أصغر وأقل منها حجمًا بكثير، وتتفوق أفريقيا، أيضًا فى ذلك على كل من أوربا وأمريكا الجنوبية(جدول ١/١).

جدول ١/١ـ النسبة المئوية الدالة على تباعد أراضى بعض القارات عن البحار المحيطة[٣]

البعد عن البحر؟ كم	ـ٢٥٠	٢٥٠ـ٥٠٠	٥٠٠ـألف	ألفـ١٥٠٠	أكثر من ١٥٠
أفريقيا	٣٣	١٩	٣١	٢٣	٤
أوروبا	٥١	٢٣	١٩	٧	-
أمريكا الجنوبية	٣١	٢٢	٣١	١٦	-

وتتركز قارية أفريقيا فى كبر مساحة دولها القارية بالاضافة الى تعددها الملحوظ، يظهر ذلك بوضوح إذا ما قورنت افريقيا ببعض القارات الأخرى (جدول ١/٢).

جدول ٢/١- مقارنة بين عدد ومساحة الدول الداخلية فى بعض القارات

أفريقيا		أوربا		أمريكا الجنوبية	
الدول	المساحة ألف/كم٢	الدول	المساحة ألف/كم٢	الدول	المساحة ألف/كم٢
أفريقيا الوسطى	٦٢٣	اندورا	٠,٥	براجواى	٤٠٦,٨
أوغندا	٢٤٣	تشيكوسلوفاكيا	١٢٧,٩	بوليفيا	١٠٩٨,٦
بوتسوانا	٦٠٠,٤	سويسرا	٤١,٣	الجملة	١٥٠٥,٤
بوروندى	٢٧,٨	لوكسمبورج	٢,٦	= ٨,٥% من مساحة القارة	
تشاد	١٢٨٤	المجر	٩٣		
سوازى	١٧,٤	النمسا	٨٣,٨		
رواندا	٢٦,٣	الجملة	٣٤٩,١		
زامبيا	٧٥٢,٦	= ٣,٤% من مساحة القارة			
زمبابوى	٣٨٩,٤				
بوركينافاسو	٢٧٤,٢				
لسوتو	٣٠,٤				
مالى	١٢٤٠,٧				
مالاوى	١١٨,٥				
النيجر	١٢٦٧				
الجملة	٦٨٩٤,٧				
= ٢٢,٨% من مساحة القارة					

وبينما تكثر الجزر وتتفاوت مساحاتها حول القارات الأخرى، نجدها تقل نسبيا حول القارة الأفريقية، إذ لا نجد حولها إلا ١٦جزيرة أو مجموعة جزرية لا تتعدى مساحتها ٦٥٣ألف كم٢ فى المحيط الهندى شرقًا، تتفاوت مساحتها بين أكبرها مدغشقر(ملاجاشى)٥٩٠ألف كم٢ وأصغرها أسانسيون ٨٨كم٢،

فى المحيط الأطلنطى الجنوبى غربًا، هذا مع ملاحظة توازن عدد الجزر الواقعة شرق القارة (فى المحيط الهندى) وتلك الواقعة غربها (فى المحيط الاطلنطى الجنوبى)(جدول٣) تقريبًا.

جدول٣/١- مقارنة بين الجزر الآفريقية الواقعة إلى شرقها والواقعة الى غربها[٤]

جزر المحيط الهندى	المساحة كم٢	جزر المحيط الأطلنطى	المساحةكم٢
مدغشقر	٥٩٠ ألف	كناريا	٧٢٧٣
سوقطرة	٣٥٩٧	الرأس الأخضر	٤٠٣٣
ريونيون	٢٥١٠	فرناندوبو	٢٠١٧
القمر	٢١٧١	ساوتومى وبرنسيب	٩٦٤
موريشس	١٨٥٦	ماديرا	٧٤٠
زنجبار	١٦٥٨	سانت هيلانا	١٢٢
بمبا	٩٨٤	ترستان داكونها	٩٨
سيشل وأمبرانت	٤٠٤	أسانشن	٨٨

وقد كان لهذه الجزر، وهى تلك الواقعة شمال القارة، فى البحر المتوسط وهى التى تلحق بقارة أوربا-غالبا- لإرتباطها بها- حضاريا وتاريخيا فى الأغلب، دور ملموس فى الأحداث التى مرت بالقارة الأفريقية وأهلها، يلاحظ ذلك بوضوح إذا ما تتبعنا عصور التاريخ المختلفة، ولعل جزيرتى زنجبار وبمبا، تعدان أهم تلك الجزر- بالقياس إلى المساحة-ومن حيث دورهما فى تاريخ وجغرافية وأنثروبولوجية شرق أفريقيا، ويبدو أن العناصر الجغرافية، كان لها دور ملموس فى ذلك.

ولقد قامت هذه الجزر خلال العصور الوسطى، بل والعصور الحديثة- وما زالت – تقوم بدور ملموس فى تسهيل طرق المواصلات والنقل بين قارة أفريقيا وغيرها من القارات حيث قامت بدور المحطات البحرية والجوية على طريق المواصلات العالمية، فإذا أضفنا إلى ذلك توسط موقع أفريقيا بين قارات الدنيا، لوضح دور أهمية هذه الجزر للتجارة ولحركة المواصلات العالمية.

ويضاف إلى ذلك أيضا، تنوع ثروات هذه الجزر نتيجة تباين ظروفها الجغرافية، مما جعل لبعضها شهرة عالمية مثل بمبا و زنجبار(القرنفل)، ومدغشقر وريونيون(قصب السكر)، وكناريا والقمر(الموز).وغيرها

وقد أخذ الاستعمار فى أفريقيا نمطا خاصًا منذ عرفها، فقد بدأ استعمارا ديموجرافيا يستنزف بشر القارة فكانت تجارة الرقيق، عصر النخاسة الذى لم يعرف العالم له مثيلا من قبل ولا من بعد، فكانت وصمة عار أبد الدهر لمن زاولها، رغم مغريات أرباحها الخيالية حيث كانت سلعتها أغلى سلعة فى التجارة الاستعمارية، وعليها بنت القوى الاستعمارية اقتصادها وزهاءها، فكانت البرتغال وبريطانيا اكبر الأثمين، ثم هولاندا وفرنسا فى درجة تالية أقل.

وفى الحقيقة لم تكن مزارع القطن فى الولايات المتحدة الأمريكية هى التى استفادت من جهود ناس أفريقيا الذين حملوا إليها حملا ونقلوا إليها وحسب، بل لقد بنيت كثير من مدن دول غرب أوربا الاستعمارية بأموال حركة التجارة التى كان أساسها وأرخص عناصرها الإنسان الإفريقى، حيث شهد المحيط الأطلنطى خلال عصور الاستعمار الدموية دورة دائرية- تتفق مع حركة عقارب الساعة- اذ كانت تخرج السفن من بريطانيا- خاصة- إلى غرب أفريقيا حيث تستبدل بها شحنات آدمية من أهالى أفريقيا المسالمين- حتى ولو كانوا من غير المسلمين وأن كانوا منهم أساسا[٥] -لتنطلق بها عبر المحيط إلى أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية ومنها تعود إلى غرب أوروبا محملة بمحاصيل مرغوبة كالقطن والسكر والتبغ، هكذا كانت علاقة أفريقيا بالعالم باستمرار[٦]، عطاء متجدد.

لقد عمل الإنسان الإفريقى دون مقابل- إلا حفظ الحياة الدنيا الدنية الدنيئة- كطاقة محركة فى عجلة الاقتصاد الإستعمارى فى العالم الجديد فى أمريكا حيث كان يعمل فى المزارع والمتاجر والمصانع دون ما رحمة ولا شفقة ولا أدنى حقوق، فكان بذلك الوقود الذى احترق كى ينير دنيا الحضارة الغربية المعاصرة سواء أوربا أو أمريكا.

أما عن فترة الاستعمار المباشر للقارة فحدث عنها ولا حرج، اذ كانت أفريقيا القارة المستعمرة، حيث كانت القصعة التى تداعى على أكلها الأكلون من دول أوربا، فكان أن قسمت أرضها كلها دون استثناء بين الدول الأوربية الكبرى، رغم اختلاف التبعية الظاهرية (الرسمية) السياسية أو التجارية.

هذا ولم تكن أفريقيا-أخيرا- إلا قريبة من مراكز القوى فى العالم المعاصر (الشكل ١/١) ولم تكن إلا ميدانا للصراع العالمى مهما تغيرت الأنماط الجيوبوليتيكية العالمية، ففى عصر الاستعمار الذى كانت تحركه لمصلحتها

دول أوربية محددة ومحدودة كانت أفريقيا هى اللقمة السائغة اللذيذة من بين القارات الجنوبية ومن بين أراضى العالم الجديد التى كانت مجالا يرتع فيه الاستعمار ويمرح. ولم تكن أفريقيا أيضا بعيدة عن ميدان الصراع فى عصر الاستقطاب عصر الكتلتين والحرب الباردة، فكانت المجال الذى تسعى إليه ومن خلاله القوى الكبرى إلى نشر وتدعيم فكرها وأيديولوجيتها، ومع تعدد الاهتمامات وتباينها بالقارة، تعددت الانتماءات والاتجاهات بحيث أصبحت تتألف سياسيا من موزاييك عديد الألوان والإشكال والأنماط، وقد ظهر ذلك وتدعم وتجلى بعد الاستقلال من خلال المخاض الذى صاحب استقلال الدول الأفريقية فى سنوات الحسم والعزم، وما تبعها من سنوات السبعينات وأوائل الثمانينات من القرن العشرين.

وفى الحقيقة تعتبر القارة الأفريقية مركز وعصب العالم، اذ فرض موقعها على العالم ضرورة الاتصال أو المرور بها، ولا يصدق هذا على الصفة السكانية فقط بحكم توسطها فى الموقع الجغرافى بالنسبة للعالم ومواصلاته، بل أنه يصدق أيضا وبنفس القدر والدرجة من الناحية الاقتصادية والسياسية والأنثروبولوجية حيث تكاد تتصل بكل الأركان وحضارات الأرض المعمورة بالإنسان المعاصر الحديث، وكان هذا نتيجة لصلاتها القديمة التى جعلت منها الركن الركين فى الأرض المعمورة منذ أن عمرها الله بالإنسان وحضاراته.

الجيولوجيا والتضاريس

تعتبر أفريقيا القارة الهضبة وقارة الهضاب إذا ما قورنت بغيرها من القارات الأخرى المعمورة (جدول ٤/١)، وهى بحق تعد أقل القارات فى مساحة السهول (الأراضى الأقل من ٣٠٠متر) حيث لا تتعدى مساحتها ١٥%من مساحة القارة، بينما تبلغ هذه النسبة ٤٣ فى أمريكا الجنوبية و٥٧فى أوربا.

جدول ١/٤ـ مقارنة بين متوسط ارتفاع أراضى القارة الأفريقية وأراضى بعض القارات الأخرى

القارة	متوسط الارتفاع بالمتر
القارة الجنوبية	٢٢٠٠
آسيا	٩٦٠
أفريقيا	٦٧٠
أمريكا الجنوبية	٥٨٠
أوروبا	٣٠٠

ويبدو أن ظروف التكوينات الجيولوجية قد لعبت دورا بارزا فى مظاهر تضاريس القارة الأفريقية، من هذا كان الترابط بينهما واضحا ولازما.

التكوين الجيولوجي

تعتبر معظم أراضى أفريقيا من أقدام أجزاء الأرض، فقد كانت جزء من قارة جندوانا القديمة(خريطة١/٢)التى كانت تشمل معظم أراضى القارات الجنوبية القديمة، قبل أن تتكسر، أو تتقسم وتتحرك إلى موقعها الحالى منذ أكثر من ٣٥٠مليون سنه خلال الزمن الجيولوجى الثانى.

ويبدو أن أفريقيا هى القارة الوحيدة التى يغلب على أراضيها وتكويناتها الصفات غير البحرية، حيث لم تتعرض أجزاء كثيرة منها لغمر البحار، لذلك تظهر كثير من الصخور البلورية الأركية القديمة كالشيست والنيس والكوارتز فى كثير من أجزائها على السطح، وقد أثبتت البحوث والدراسات التى إجريت فى جنوب أفريقيا، أن بها تكوينات قديمة جدا ترجع إلى قرابة١٢٠٠مليون سنة، وهناك تكوينات مماثلة فى مرتفعات تقسيم المياه بين النيل والكنغو وفى جبال فوتاجالون وفى جبال تبيستى وهضبة الحجار، وجبال البحر الأحمر.

وهناك تكوينات ما قبل الكامبرى(الف-٧٠٠مليون سنة مضت) منها صخور رسوبية قديمة(مثل تكوينات سوازيلاند وتعرف بتكوينات التين)ولافا قديمة وارسابات نهرية؛ وكمثال لها طبقات ويتوترزراند التى تحتوى على عروق ضخمة من الذهب، وتكوينات كرندولونجو فى كاتنجا، وتكوينات أطلس الخلفية التى تكاد تكون فريدة فى العالم، بما تحوية من معادن إقتصادية (خريطة ١/٣).

وقد دلت الدراسات على أن أفريقيا شهدت أحداثا كثيرة خلال العصور الجيولوجية اللاحقة حيث أعقبت عصور الزمن الأول الذى ظلت أفريقيا فيه فوق سطح البحر إلا من انخفاضات فى وسط وجنوب القارة، ظهور تكوينات كربونية وبرمية خلال الزمن الثانى مثل تلك الموجودة فى هضبة الكارو، وحقول فحم وانكى فى حوض الزمبيزى، والحجر الرملى النوبى فى مصر والسودان الذى إمتد تكوينه حتى العصر الكريتاسى فى معظمه(٧).

ومع بداية العصر الجوراسى تنتهى فترة الارسابات الضخمة وتبدأ فترة الحركات الباطنية التى شكلت القارة(٨)، كما ترجع إليه بعض الارسابات البحرية الساحلية فى شمال افريقيا وشرق القارة ومدغشقر، وبالمثل تغطى تكوينات العصر الكريتاسى مناطق متناثرة من شمال وغرب أفريقيا(٩)، وفى هذا العصر بدأت الحركات التكنونية الضخمة إلى كونت الأخدود الافريقى العظيم The great rift valley الذى أخذ يتكون خلال الزمن الثالث يمتد من مصب نهر الزمبيزى جنوب بحيرة نياسا(ملاوى) نحو الشمال حيث يتفرع شمالها إلى شعبتين غربية تمتد فى قوس حتى جنوب السودان ليشمل عدة بحيرات منها تنجانيقا وكيفو وألبرت، أما الشعبة الشرقية فتمتد فى شرق القارة لتشمل عدة بحيرات منها رودلف والبحر الأحمر وخليج عدن كما تمتد فى الشام حتى جبال طوروس.

ويعتبر الأخدود الافريقى أعظم انكسار فى القشرة الأرضية لما أحدثه من تغييرات فى المظاهر الجيولوجية والتضاريسية حيث أنه هو الذى تسبب فى ظهور المسطحات المائية المشار إليها بالإضافة إلى الجبال البركانية الكثيرة (مثل كينيا وألجون) بل إن الهضبة الاثيوبية البازلتية كانت نتيجة حدوث تشققات فى القشرة الأرضية خرجت من خلالها حمم اللافا البازلتية الحالية ذات السمك الكبير، هذا بالإضافة إلى سلاسل الجبال التى تمثل حافات الاخدود على كلى جانبيه(١٠).

ويعد البحر الأحمر وخليج عدن أهم واكبر أقسام الآخدود الأفريقى العظيم، هذا ويتسع كلا منهما بمعدل ٣-٥سم سنويا نتيجة التوازن الإيزوستاتيكى للأرض.

وهذا الأخدود هو المسئول إلى حد بعيد عن اتخاذ كثير من المجارى المائية فى شرق أفريقيا ووسطها صورتها الحالية، حيث أنه العامل الأرضى

الأساسى المؤثر فى المنابع الاستوائية لنهر النيل، بالإضافة إلى تأثيره على مجرى نهر الزمبيزى من خلال شعبته الجنوبية الأساسية وفرعها فى الجنوب الغربى(فى حوض الزمبيزى الأوسط).

ولعل من أهم تكوينات العصر الكريتاسى عروق البراكين القديمة التى تمثلها عروق كمبرلى فى جنوب افريقيا بما تحويه من ماس ثمين، هذا بالإضافة إلى تكوينات الحجر الرملى النوبى الذى يعتبر أفضل الخزانات الجوفية للمياه وللبترول ومشتقاته.

هذا ومع حلول الزمن الثالث أخذت القارة صورة قريبة للغاية من صورتها الحالية، حيث تكونت كثير من الأحواض الداخلية مثل حوض كلهارى وحوض تشاد، بالإضافة إلى التكوينات الجيرية السميكة التى ظهرت فى سلسلة جبال أطلس فى أفريقيا الصغرى.

وبذلك نصل إلى تلخيص عام هو أن التكوينات القاعدية للقارة التى تكون معظم أراضيها الصلبة القديمة امتد تشكيلها خلال الزمن الأول، كما شهدت بعد ذلك خلال الزمن الثانى بعض الحركات الالتوائية الهرسينية فى أقصى جنوب القارة، أما خلال الزمن الثالث الذى شهد أحداث تكوين الأخدود الأفريقى العظيم فقد حدثت فيه أيضا الحركات الالتوائية الكاليدونية فى شمال غرب القارة، وأخيرا فى عصر البلايستوسين والهولوسين استمر تشكيل القارة خاصة سواحلها وأودية أنهارها الوضع الحالى.

المظاهر التضاريسية

قسم باسارجى القارة الأفريقية إلى قسمين كبيرين[١١]هما:افريقيا الصغرى أو أفريقيا الأطلسية وتشمل منطقة غرب القارة، وهى بحق تعد إقليما جغرافيا متميزا ومتمايزا عن غيره.

أما القسم الكبير الأخر فهو باقى أراضى القارة وتلك يمكن تقسيمها من حيث التضاريس إلى ثلاث أقسام هى(خريطة١/٤)

١- أفريقيا العليا ويشمل هذا القسم من القارة أعلا الهضبات والجبال، ويحده خط يمتد من مصب نهر الكونغو إلى جبال البحر الأحمر فى مصر، مارا بالحافة الجنوبية لحوض الكونغو والحافة الغربية للأخدود الغربى والحافة الشمالية لهضبة البحيرات، ثم الحافة الغربية للهضبة الإثيوبية.

٢- أفريقيا السفلى وتشمل باقى أراضى القارة.

٣- جزيرة مدغشقر

أولا- أفريقيا الأطلسية: تتكون المنطقة من مجموعة مرتفعات منعزلة في شمال غرب القارة، ترجع فى تكوينها إلى العصور والى التكوينات المكونة لجبال الألب فى جنوب أوربا، وهى تتكون من مجموعة من سلاسل الجبال تحصر فيما بينها مجموعة هضاب، وكل هذه المجموعات الجبلية والهضبية ترجع إلى الحركات الالتوائية التى كونت الحوض الغربى للبحر المتوسط والمناطق المحيطة به.

ويطلق على سلاسل الجبال عدة أسماء منها جبال أطلس الريف أو البحرية أو التل وهى تلك الممتدة بحزاء ساحل البحر المتوسط من مضيق جبل طارق إلى شبه جزيرة بون ويبلغ متوسط ارتفاعها ألفين متر، أما سلسلة أطلس الكبرى(لوحه١/١) فهى تلك الممتدة على محور جنوبى غربى- شمالى شرق وهى أعلى تلك السلاسل ارتفاعا حيث تصل بعض قممها إلى أكثر من ٤آلاف متر (قمة جبل توبسكال٤١٦٥متر).

وتعتبر أطلس الكبرى مع سلسلة أطلس الداخلية(الخلفية) التى تقع إلى الجنوب منها ويبلغ متوسط ارتفاعها ما بين ألف- ألف وخمسمائة متر الفاصل الحقيقى بين المغرب فى الشمال والصحراء فى الجنوب، هذا ويتصل الجزء الشمالى من الأطلس الكبرى فى القسم الشرقى منه بسلسلة جبال أطلس الصحراوية وهى التى تعتبر امتداداً لحد ما لأطلس الداخلية، وهى بذلك تحصر فيما بينها وبين أطلس البحرية هضبة تعرف بهضبة الشطوط وذلك لكثرة ما بها من بحيرات "شطوط" ذات تصريف داخلى[١٢] فى كثير من أجزائها فيما عدا المناطق التى نجحت فيها الأنهار المنصرفة للبحر المتوسط فى تصريف مياه بعض سلاسل الجبال وأجزاء من هضبة الشطوط ومن أهمها نهر شيليف الذى يصب بالقرب من وهران(خريطة ١/٥).

ومن أهم تلك الشطوط الشط العربى الغربى والشط الشرقى وشط الهدنة وهى تلك التى تمثل أهم المعالم الفيزيوجرافية الداخلية لإفريقيا الأطلسية ذات التصريف الداخلى.

ثانيا: أما باقى القارة فهى الأراضى الواقعة إلى الجنوب من جبال الأطلسى، وتنقسم إلى:

١- **أفريقيا العليا:** وتشمل معظم القسم الجنوبى من القارة وأجزاء من شرقها يحدها خط يمتد من بلدة لواندا (خط عرض ٨° جنوبا) شرقا إلى أعالى نهر لوالايا ولوابولا بالى غرب بحيرتى بانجويلو وموبرو فبمحاذاة غرب بحيرات تنجانيقا وكيفو وادوارد وألبرت، ويخترق بحر الجبل غندوكرو متجها نحو الشمال الشرقى حتى غرب هضبة الحبشة، وحتى كسلا ثم يتجه إلى الشمال مع جبال البحر الأحمر[١٣].

فكل الأراضى الواقعة جنوب وشرق هذا الخط تدخل فى أفريقيا العليا، وهو ذلك القسم الذى يشمل أعلا هضاب وجبال القارة، والملاحظ أنه يوجد فى هذا القسم معظم المظاهر التضاريسية السائدة فى البيئات الافريقية، حيث نجد الجبال بمختلف أشكالها فمن التوائية مثل سيداربرج، وزفارتبرجن فى مقاطعة الكيب ورونزورى (أعلاها ٥١٢٠م) فى أوغندا إلى بركانية مثل كينيا(أعلاها ٥١٩٩م) وإلجن (أعلاها ٤٣١١م) وكليمنجارو (أعلاها ٥٨٩٥م) والأخير يعتبر أعلى جبال أفريقيا. وهناك أيضًا الجبال الانكسارية مثل جبال البحر الأحمر فى مصر والسودان وجبال حافة الهضبة الأفريقية ولعل أهم ما يمثلها جبال دراكنزبرج فى جنوب أفريقيا.

أما عن الهضاب فيمكن اعتبار كل هذا القسم هضبة مرتفعة قسمتها مجارى الأنهار والمناطق الهابطة فى الأخدود الافريقى إلى هضاب مختلفة، ولعل أهمها هضبة مرتفعة قسمتها مجارى الأنهار والمناطق الهابطة فى الأخدود إلى هضاب مختلفة، ولعل أهمها هضبة أثيوبيا البركانية البازلتية فى الشرق وهضبة البحيرات الالتوائية فى الوسط ثم هضبة شرق أفريقيا القديمة التى قسمها الأخدود العظيم إلى أقسام عديدة، وهناك هضبة أنجولا وهضبة روديسيا وهضبة كارو فى جنوب أفريقيا التى يفصلها بعضها عن بعض مجارى أنهار الزمبيزى وأورانج وحوض كلهارى.

ولا يوجد فى أفريقيا العليا أعلى جبال وهضاب القارة وحسب بل يوجد فيها أيضًا أعمق أجزاء القارة وأقلها انخفاضا عن سطح البحر حيث يوجد فى قاع الأخدود العظيم الأفريقى بحيرات عديدة عميقة منها تنجانيقا (نحو خمسة

آلاف قدم) وهى ثان بحيرة عمقا فى العالم بعد بيكال، ومنها نياسا ورودولف وألبرت وادوارد[١٤].

والملاحظ أن معظم الأنهار الأفريقية توجد فى هذا القسم، بل إن نهر النيل نفسه، توجد منابعه الاستوائية والحبشية فى هذا الجزء من القارة، وبالمثل نهر الكنغو الذى ينبع من الحافات الغربية والشمالية للهضاب الأفريقية الشرقية والجنوبية.

وعلى ذلك فإنه يوجد فى هذا القسم مناطق سهلية كثيرة وواسعة هى أودية الأنهار وأيضًا السهول الساحلية المحصورة بين الهضبة والساحل وهى التى تتسع فى بعض المناطق لتصل إلى أكثر من ٢٠٠ كم كما فى شرق القارة.

وفى الحقيقة تعتبر أفريقيا العليا القسم التضاريسى الرئيسى فى القارة إذ أن به كل مظاهر التضاريس ليس الموجبة (المرتفعات) فقط بل والسالبة (السهول والمنخفضات) أيضًا، وما ذلك إلا بسبب تاريخ أفريقيا الجيولوجى وتنوع أنماط إقاليمها المناخية مما انعكس على مظاهرها البشرية والتاريخية لمعاصرة كما سيأتى بيانه.

٢- **أفريقيا السفلى:** وتشمل الصحراء الكبرى وغرب أفريقيا ومعظم حوض الكنغو وقد سميت سفلى لأنها أقل ارتفاعا من أفريقيا العليا، وفى الحقيقة ليس هذا القسم كله منخفضًا بل أن هناك مناطق مرتفعة كتلك الموجودة فى وسط الصحراء الكبرى مثل جبال تبستى (أعلاها ٣٢٦٥م) فى شمال تشاد وهضبة الحجار (أعلاها ٣٠٠٣م) فى جنوب شرق الجزائر. كما يوجد فى منطقة غرب أفريقيا عدة جبال منها: فوتاجالون (٩١٥م) فى وسط غينيا، وجوس فى شمال نيجيريا والكاميرون فى شمالها.

ويكثر فى هذا القسم الأحواض الداخلية مثل: تشاد والنيجر الأوسط والحوض الليبى وحوض الكنغو، والملاحظ أن غالبية مياه هذه الأحواض لم تصل إلى البحار والمحيطات إلا بعد وصول مياه وافره من أفريقيا العليا(عدا النيجر).

ويغلب على هذا القسم شيوع مظاهر التعرية الهوائية نظرا لقلة بل وأحيانا ندرة التساقط الساقط عليه، مما ميزه بمظاهر جيومورفولوجية خاصة هى

الكثبان الرملية المتحركة والثابتة (مثل بحر الرمال العظيم)، بل والمنخفضات الصحراوية العميقة كالقطارة (-١٣٨م)، وفزان، وتشاد.

٣- جزيرة مدغشقر: أكبر الجزر الأفريقية (٥٩٠ألف كم٢) وتقع فى غرب المحيط الهندى بحيث لا يفصلها عن الساحل الشرقى للقارة سوى مسافة لا تزيد عن ٤٠٠ كم، وتتكون من هضبة من الصخور الأركية القديمة (كانت جزء من جندوانا) تحيط بها من الغرب تكوينات جيرية جوراسية وكريتاسية أما من الشرق فيمتد انكسار تكون غالبا مع الأخدود الافريقى[١٥].

والجزيرة بعامة تتكون من هضبة واسعة تعلوها قمم جبلية عديدة وتحف بها سهول ساحلية تتسع فى الجانب الغربى أكثر من الجانب الشرقى، وهضبتها أكثر ارتفاعا فى الشرق عنها فى الغرب لذا كانت الأنهار الغربية فيها هى الأكثر طولا بينما الأنهار الشرقية كثيرة العوائق والشلالات لشدة انحدارها.

ويعلو الهضبة بعض القمم الجبلية من أهمها جبل تساواتانانا(٢٨٨٠ مترًا) فى الشمال وجبل تسيافا جافونا (٢٦٤٤ مترًا) فى الجنوب، هذا ويربط القسم الشرقى بالقسم الغربى من الجزيرة بعض الأودية والممرات منها منخفض اندرونا فى الشمال وهو الذى يربط خليج انتونجيل فى الشرق بسهل ماجونجا فى الغرب، كما يربط ممرا ايهوزى فى الجنوب السهل الشرقى بمثيله الغربى.

وبعامة نجد أن مدغشقر وان كانت افريقية موقعا وجيولوجية، إلا أنها تمثل نطاق تدرج واختلاط بين الظروف الأسيوية والافريقية من حيث الظروف الأخرى الطبيعية بل والبشرية وتلك الأخيرة أكثر، وهى فى هذا تشبه إلى حد بعيد شبه جزيرة سيناء.

المناخ وأقاليمه

تأثرت عناصر القارة الأفريقية بموقعها إلى حد كبير، خاصة فيما يتعلق بموقع أراضيها فى المنطقة المدارية، وأيضًا بالتحامها شبه التام مع الكتلة الآسيوية بموقع معظم أراضيها فى المنطقة المدارية، وأيضًا بالتحامها شبه التام مع الكتلة الآسيوية الكبرى مما كان له أثر واضح على كتل الضغط الجوى وبالتالى حركة الرياح.

العناصر المناخية[١٦]:

تتكون الظروف المناخية السائدة دائما من عدة عناصر لا تتعدى غالبا: الحرارة والضغط، والرياح، والأمطار. وفى الحقيقة تتفاوت ظروف كل منها من مكان إلى آخر فى القارة كما تتفاوت أيضًا من شهر إلى آخر، خاصة فى درجة الحرارة التى هى أساس كل العناصر المناخية الأخرى.

ففى يناير نجد أن منطقة الضغط المنخفض (-) تتركز على النصف الجنوبى للقارة متطابقة مع حركة تعامد الشمس (خريطة ١/٦)، مما يجذب الرياح للداخل، ولما كانت هذه الرياح محملة بنسبة عالية من بخار الماء وقدومها من فوق المحيطات المحيطة بالقارة كانت نسبة سقوط الأمطار كبيرة (أكثر من ٤٠ سم) فى مناطق كثيرة (خريطة١/٧) وهى بعامة لا تقل عن ١٠ سم إلا فى المناطق الصحراوية (كلهارى) ولأسباب محلية.

والملاحظ أن درجة الحرارة تتناسب طرديا مع كمية الأمطار الساقطة، فالناظر إلى الخريطة السابقة (رقم١/٧) يلاحظ بوضوح، ليس فقط بالنسبة للنصف الجنوبى للقارة بل والنصف الشمالى أيضًا، حيث تنخفض الحرارة (متوسط ١٢° م) مما يخلق مناطق ضغط مرتفع تخرج منها الرياح القارية الجافة إلى مناطق الضغط المنخفض المحيطة بها.

أما فى يوليو حيث تتعامد الشمس فى حركتها الظاهرية إلى الشمال من خط الاستواء فنجد أن الأحوال تنعكس عن الصورة السابقة، حيث تزداد درجة الحرارة على الصحراء الكبرى لتتعدى فى المتوسط 35° م بل فى الحقيقة يمكن القول أن خط الاستواء الحرارى يكون هذا الشهر (يوليو) متمركزا على هذه الصحراء.

لذلك تتكون منطقة ضغط منخفض فوقها، تجذب إليها الرياح الرطبة التى تصبح مصدرًا لكثير من الأمطار الغزيرة (أكثر من ٨٠ بوصة) فوق غرب أفريقيا و أثيوبيا وشمال الكنغو.

والملاحظ أن منطقة غرب أفريقيا تتداخل فيها زوابع الهارماتان مع الرياح الموسمية خلال فصلى الشتاء والصيف (شكل١/٣) مما يسبب سقوط الأمطار، والملاحظ أن هناك من هذا التداخل بين أنواع الرياح المختلفة الكثير فى شرق وجنوب وغرب القارة، وقد جعل هذا أفريقيا ذات معدل عال من الأمطار فى هذه المناطق[١٧].

الأقاليم المناخية:

تتكون الأقاليم المناخية من مناطق تتشابه فيها ظروف المناخ مما يجعل منها وحدات متشابهة داخلية ومتنافرة خارجيا. هذا ودون ما خوض كثيرًا فى الموضوع يمكن عرض تقسيم كپن (جدول١/٥) الذى يعتبر من أفضل التقسيمات المعمول بها، لما ثبت من مناسبته للتطبيق فى دوائر العرض المختلفة (شكل ١/٢).

جدول ١/٥ -أقاليم كين المناخية وعناصرها المختلفة

الحرف الثالث		الحرف الثانى		الحرف الأول	
أدفئ شهر حرارته فوق ٢٢°م (٧١١,٦ ف)	a	مناخ الاستبس	S	<u>المناخات المدارية</u> كل الشهور حارة	A
أدفئ شهر حرارته فوق ٢٢°م (٧١,٦ ف)	b	مناخ الصحراء	W	المتوسط فوق ١٨ °م(٦٤,٤ف)	
مع وجود أربعة شهور على الأقل على من ١٠م (٥٠ف)		تساقط مناسب طول الشهور	f	<u>المناخات الجافة</u> الفواصل تحدد بمتوسط درجة الحرارة ومتوسط كمية التساقط	B
أقل من أربعة شهور ذات متوسط ١٠°م (٥٠ف)	c	غابات مطرية* ذات فصل جاف	m		
أقل من أربعة شهور ذات ١٠°م(٥٠ف) ولكن متوسط أبرد شهر أقل من -٣٨°م(-٣٦,٤ ف)	d	فصل جاف صيفا	s	<u>المناخات الدافئة</u> متوسط حرارة برد شهر ما بين ١٨° الى -٣°م (٦٤,٤-٢٦,٦ ف)	C
جاف وحار المتوسط السنوى للحرارة أعلى من ١٨°(٦٤,٤ف)	h	فصل جاف شتاء	w	<u>المناخات الباردة</u> متوسط حرارة أدفى شهر أكثر من ١٠°م (٥٠ ف)، ومتوسط حرارة أبرد شهر أقل من -٣°م(٢٦,٦ف)	D
جاف وبارد، المتوسط السنوى للحرارة أقل من ١٨°م(٦٤,٤ف)	K				
مناخات المرتفعات	H			<u>مناخات الصقيع</u> متوسط حرارة أبرد شهر أقل من ١٠°م (٥٠ف)	E

وتتوزع الأقاليم المناخية (خريطة١/٨) فى تناظر بين نصفى القارة الأفريقية الشمالى والجنوبى وعلى الشاطئين الشرقى والغربى، ولا يكاد يشذ عن ذلك إلا المناطق الجبلية وساحل البحر الأحمر لعلاقات المكان مما جعل

الصحراء ممتدة عبر البحر الأحمر إلى آسيا. والحقيقة أن أقاليم كين المناخية ذات دلالة نباتية أيضًا إذ أن بنائه الرياضي مبني على هذا الأساس [١٩] .

هذا وكان لنشاط الإنسان المصاحب للتوسع الصناعي أثره الواضح على زيادة درجات الحرارة مما تؤدى على تغير مناخي يؤدى إلى زيادة التصحر وتغير كبير للظروف المناخية.

التصريف المائي وأحواضه

إذا كان الماء مصدر الحياة فإنه في افريقيا - باعتبارها أعظم وأول قارات العالم مدارية (حرارة وبخرا) وصحراء (جفافا وعطشًا)- يمثل سمة فريدة تستحق التمعن بعد الدراسة، لما لتوزيعه من انعكاس على شكل وأنماط الحياة، بل وعلى أنساق اجتماعية إنسانية كثيرة خاصة وان أفريقيا يخصها ٦٠% من المياه العذبة في العالم ومع ذلك تعاني أراضيها من الجفاف ومحاصيلها من العطش وأهلها من الجوع، ومما يزيد من أهمية هذا الموضوع أن هناك احتمالات كبيرة لزيادة العجز في المياه في المستقبل القريب والبعيد؛ حيث أتضح أن ٦٦% من سكان أفريقيا لا يجدون مياه نظيفة[٢٠].

الأنهار والبحيرات[٢١]:

تتركز الأنهار في وسط القارة وغربها وإلى حد ما في الجنوب الشرقي حيث لا يمتد نهر لمسافات طويلة سوى نهر النيل (٤١٦٠ ميل/ ٦٦٩٥ كم) نحو الشمال مخرقا الصحراء الجافة الفاصلة ليصب في البحر المتوسط مكونا حوضا ضخما (١,١ مليون ميل٢ / ٢,٩ مليون كم٢) مقتطعا مساحات شاسعة من عشر دول، ولقد كان لنظام جريانه الدائم مع موسم فيضانه الصيفي أثر كبير في الزراعات التي ظهرت طبيعيا (كالشعير والقمح) وتلك التي زرعت كمحاصيل نقدية (كالقطن وقصب السكر)، وكان لهذا إثره المباشرة على الإنسان ونشاطه.

كما كانت لظروفه ولظروف مصر الأثر البالغ في حتمية فرض إنشاء الري الدائم التي استكملت في النهاية بالسد العالي(١٩٧٠) الذى كانت له آثاره الغامرة على مصر والمصريين في شتى مناحي الحياة[٢٢].

ولا شك أن كمية التساقط والبخر ونظام انحدار الأرض وتكويناتها بل والتاريخ الجيولوجى لمنطقة حوض النيل كان لها كلها آثارها فى تكوين النهر مركبا من عدة نظم وأحواض نهرية قديمة كونت فى النهاية نهر النيل العظيم الحالى[٢٣] (خريطة ١/٩) بنظام مائيته المتميز خاصة فى منابعه الاستوائية مما فرض عدة مشروعات إنسانية كخزان ومحطة كهرباء أوين وقناة جونجلى التى ستغير جذريا ودائما من النظام البيئى وحياة الإنسان بشتى أنساقه فى هذه المنطقة التى ظلت منغلقة ايكولوجيا وانثربولوجيا حتى الآن.

ولا شك أن كل مشروعات التنمية فى مصر والسودان وإلى حد ما فى أوغندا واثيوبيا تعتمد على نهر النيل وما يقام عليه من مشروعات تستهدف الاستفادة الكبرى من موارده المائية [٢٤] والاحيائية.

ويعتبر نهر النيجر ثانى أهم نهر فى أفريقيا شمال خط الاستواء (جدول١/٦) طولا ولما يتميز به من تأثير على حياة الإنسان الذى يقطن حوضه(خريطة١/١٠، شكل١/٣).

جدول ١/٦- أطول خمسة أنهار فى أفريقيا[٢٥]

مسلسل	النهر	الطول		مساحة الحوض	
		كم	ميل	ألف كم٢	ألف ميل٢
١	النيل	٦٦٩٥	٤١٦٠	٢٩٠٠	١١٠٠
٢	الكنغو	٤٣٧٥	٢٧٢٠	٣٦٩١	١٤٢٥
٣	النيجر	٤١٧٠	٢٥٩٠	١٥٠٢,٢	٥٨٠
٤	الزمبيزى	٢٧٤٠	١٧٠٠	١٣٣٠	٥١٣,٥
٥	الأورانج	٢٠٩٠	١٣٠٠	٨٤٩,٥	٣٢٨

ويمثل نهر شارى الذى يعتبر جامعا للتصريف النهرى المنصرف إلى بحيرة تشاد (لوحة ١/٢) أهم المعالم الايكولوجية فى شمال شرق نيجيريا والتى لها تأثيراتها على حياة السكان وتطورها.

ولما كانت أفريقيا الوسطى والشرقية تسقط عليها أمطار كثيرة طوال العام، لذا كانت كثيرة الأنهار ويعتبر نهر الكنغو ونهر الزمبيزى أهم أنهار هذه المنطقة، كما تعتبر بحيرة فيكتوريا من معالم وسط أفريقيا البارزة، ومن

المشروعات الطموحة فكرة شق قناة أو فرع من أعالى نهر الكنغو إلى أعالى بحر العرب إلى مسافة لا تتعدى خمسين كيلو متر، فإذا تم ذلك تتضاعف حصة مصر والسودان من المياه الجارية(٢٦).

هذا وبعامة يحفل التصريف المائى الأفريقى بإمكانات كبيرة لإقامة مشروعات كهربائية مائية، خاصة لما تتميز به معظم أنهار أفريقيا بإمكانات كبيرة لاقامة المشروعات الكبرى المتصلة بالأنهار، فكرة خلق النيل الثانى (خريطة ١/١١)، لتحويل مائية حوض الكنغو نحو تشاد ومنها عبر الصحراء الجزائرية إلى خليج قابس فى تونس(٢٧)، ويبدو أن هذا ليس ببعيد خاصة مع التقدم التكنولوجى الكبير الذى يشهده المجال، خصوصا فى الاتحاد السوفيتى الذى يعمل على تحويل أنهار سيبيريا مثل نهر بيشورا ليتصل بنهر الفولجا، وغيره من مشروعات تحويل الأنهار ستؤثر على الظروف الايكولوجية فى غرب الاتحاد السوفيتى وجنوبه بل وفى شرق ووسط أوروبا.

المياه الباطنية

لما كانت معظم الأراضى الأفريقية شمال خط الأستواء صحراء قاحلة أو شبيهة بها، ولما كان تأثير الأنهار الجارية فيها كالنيل محدودا لا يتعدى ضفتيه، لذا ظهرت أهمية المصادر الأخرى، وهى هنا غالبا (لندرة وعدم انتظام الأمطار والسيول) المياه الباطنية، التى قد تظهر من خلال العيون (التى تطفح المياه طبيعيا خارج الأرض) والآبار (التى تحفر فى باطنها لأبعاد مختلفة).

ومصدر المياه الباطنية فى أفريقيا إما الأمطار الحالية أو التاريخية (خلال العصور المطيرة البلايستوسينية) أو من مياه الأنهار التى تسربت إلى باطن الأرض، تجرى خلال طبقاتها وهى فى الغالب إما الصخر الرملى النوبى أو الحجر الجيرى وكليهما تكوينات مسامية تحمل المياه وتعمل على جريانها مع انحدار وميل طبقات التكوينات الجيولوجية مما يتحدد معه اتجاه مسار المياة الجوفية ابتداء من منابعها (الجبال والمرتفعات) وذلك تبعا للظروف المناخية والجيولوجية السائدة فى المنطقة التى تسقط عليها الأمطار أو تجرى عليها الأنهار (شكل ١/٤) يلاحظ ذلك بوضوح فى حوض النيل فى مصر والسودان.

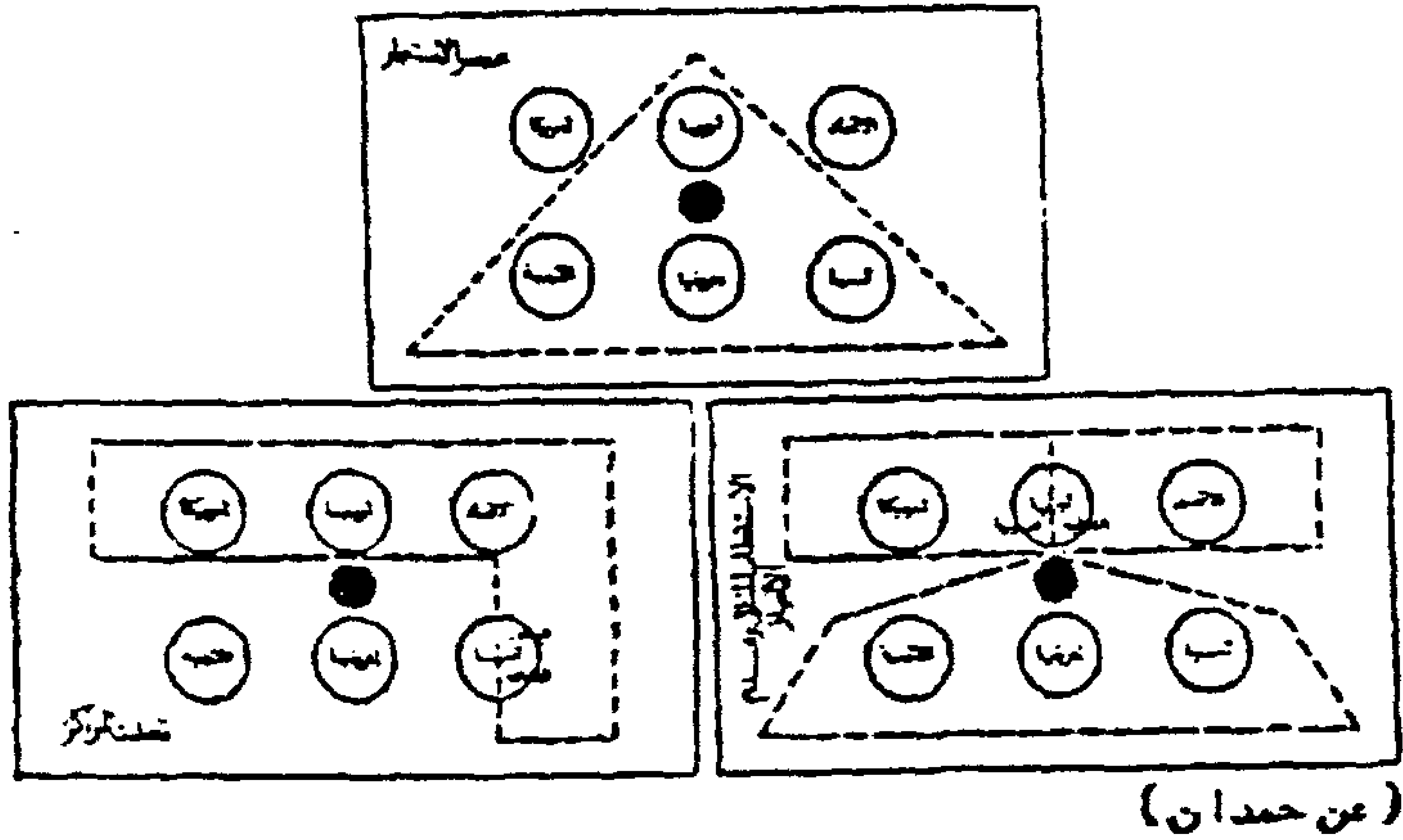
وأحيانا إذا مرت المياه الباطنية بطبقات ملحية أو ذات أملاح قابلة للذوبان بنسبة كبيرة فإن المياه العذبة تتحول إلى مياه ملحية فى بعض المناطق (شكل

١/٥) كما شوهد ذلك فى منخفض القطارة وفى بعض مناطق الساحل الشمالى الغربى فى مصر.

وهناك النهر العظيم فى ليبيا مصدر الخير العميق كما يتغنون به فى ليبيا كان حلم معمر القذافى منذ ما قبل أن يتسلم السلطة، ذلك النهر المكون من مواسير ضخمة مدفونة على عمق كبير كى تربط بين البحيرات المائية الجوفية فى الجنوب الليبى وبين السهول الشمالية الصالحة للزراعة والتى يقطن على مقربة منها كثير من السكان فى القسم الشمالى من الجماهيرية الليبية فى برقة وما حولها.

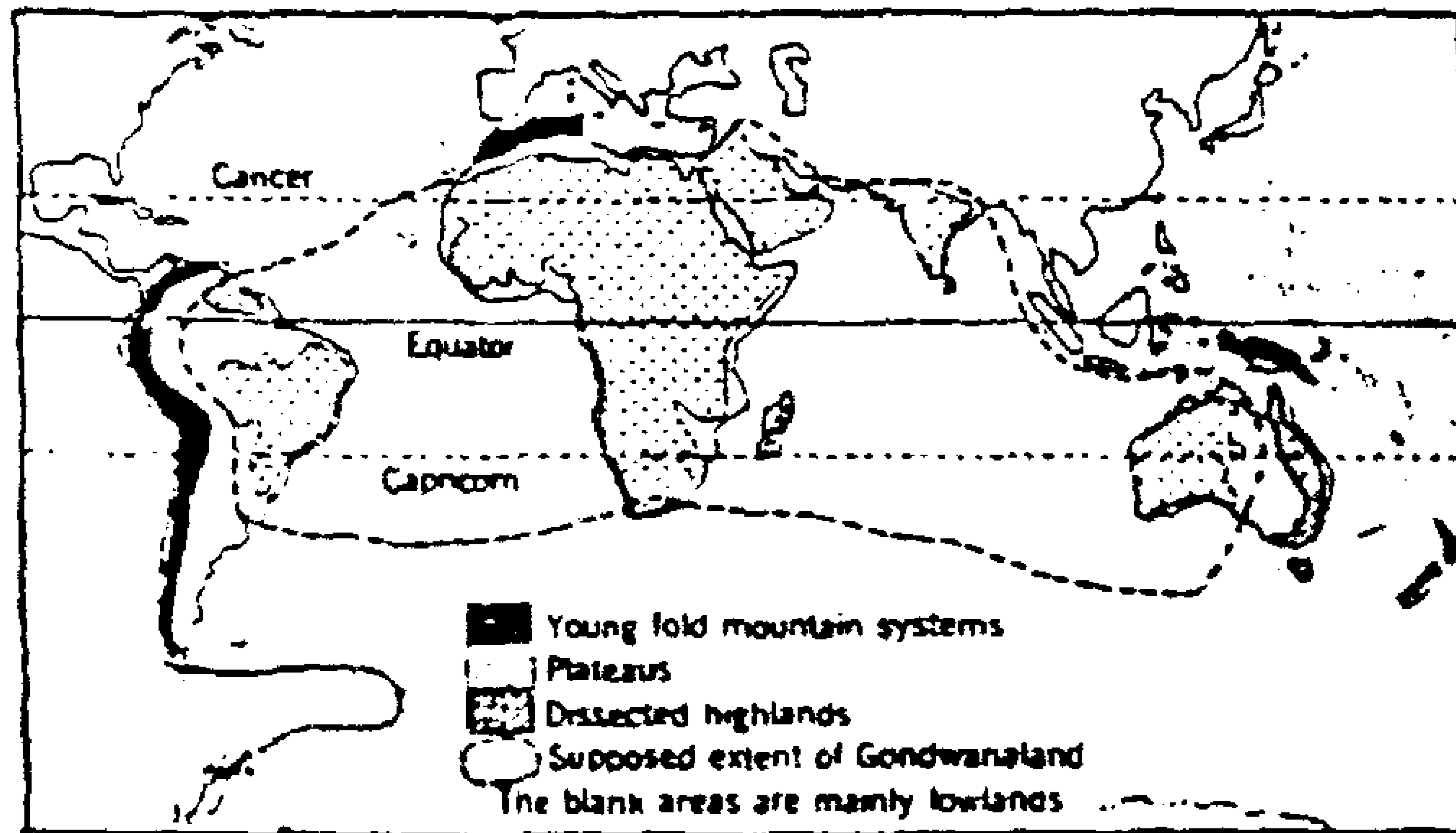
هذا وبعامة يعتمد الإنسان فى إفريقيا الجافة على مصادر المياه الباطنية، فى استقراره فى الواحات، بل وفى مناطقه العمرانية الجديدة التى ظهرت بجوار مناطق آبار البترول، الذى يمثل مصدرا طبيعيا باطنيا مماثلا.

أشكال الفصل الأول



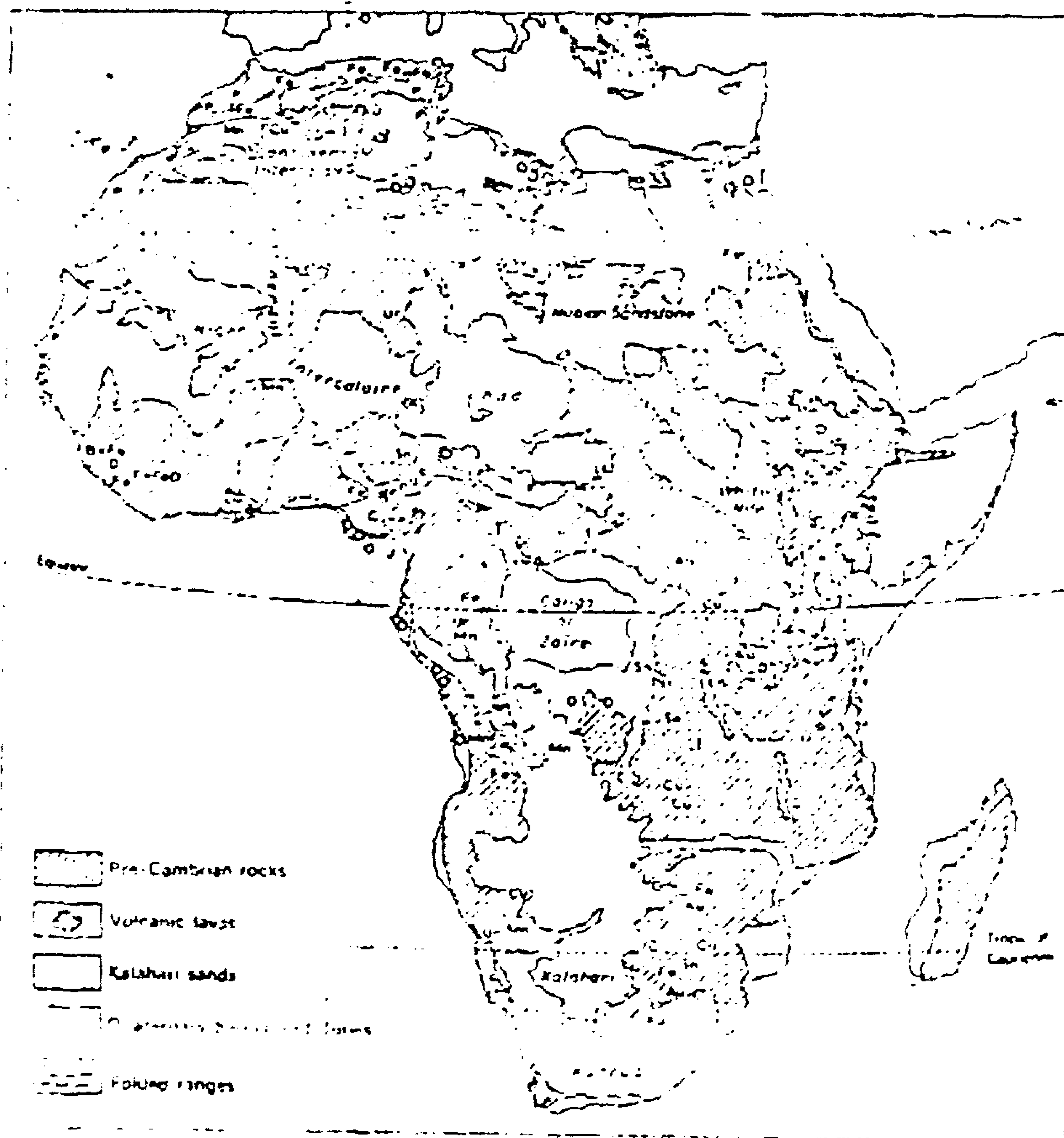
(عن حمدان)

شكل ١/١ - دول إفريقيا النسبى من خلال الثوابت والمتغيرات
فى عالمنا المعاصر

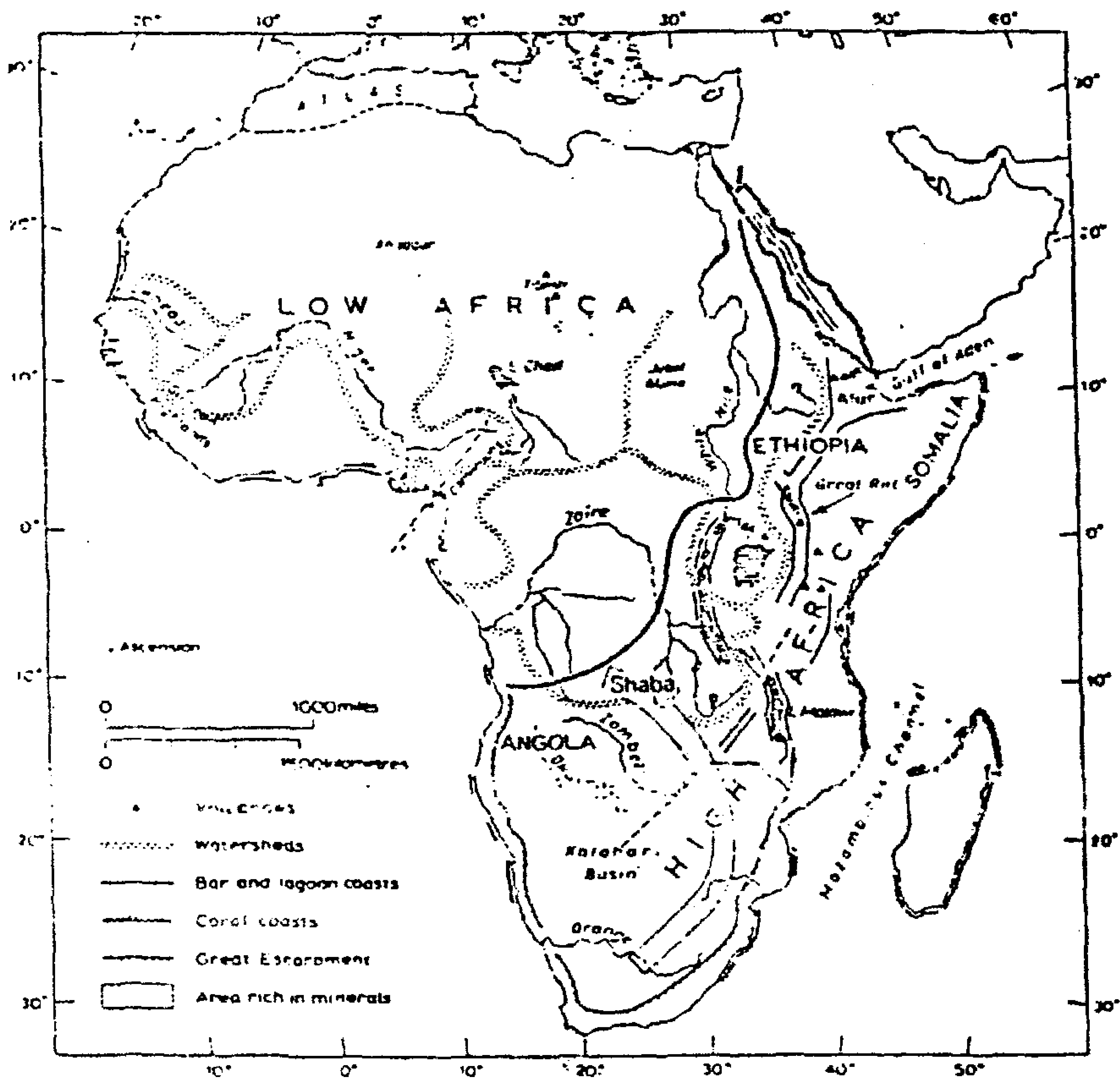


Map. 1/1 The main structural elements in the southern continents. The interrupted line encloses the fragments of former Gondwanaland.

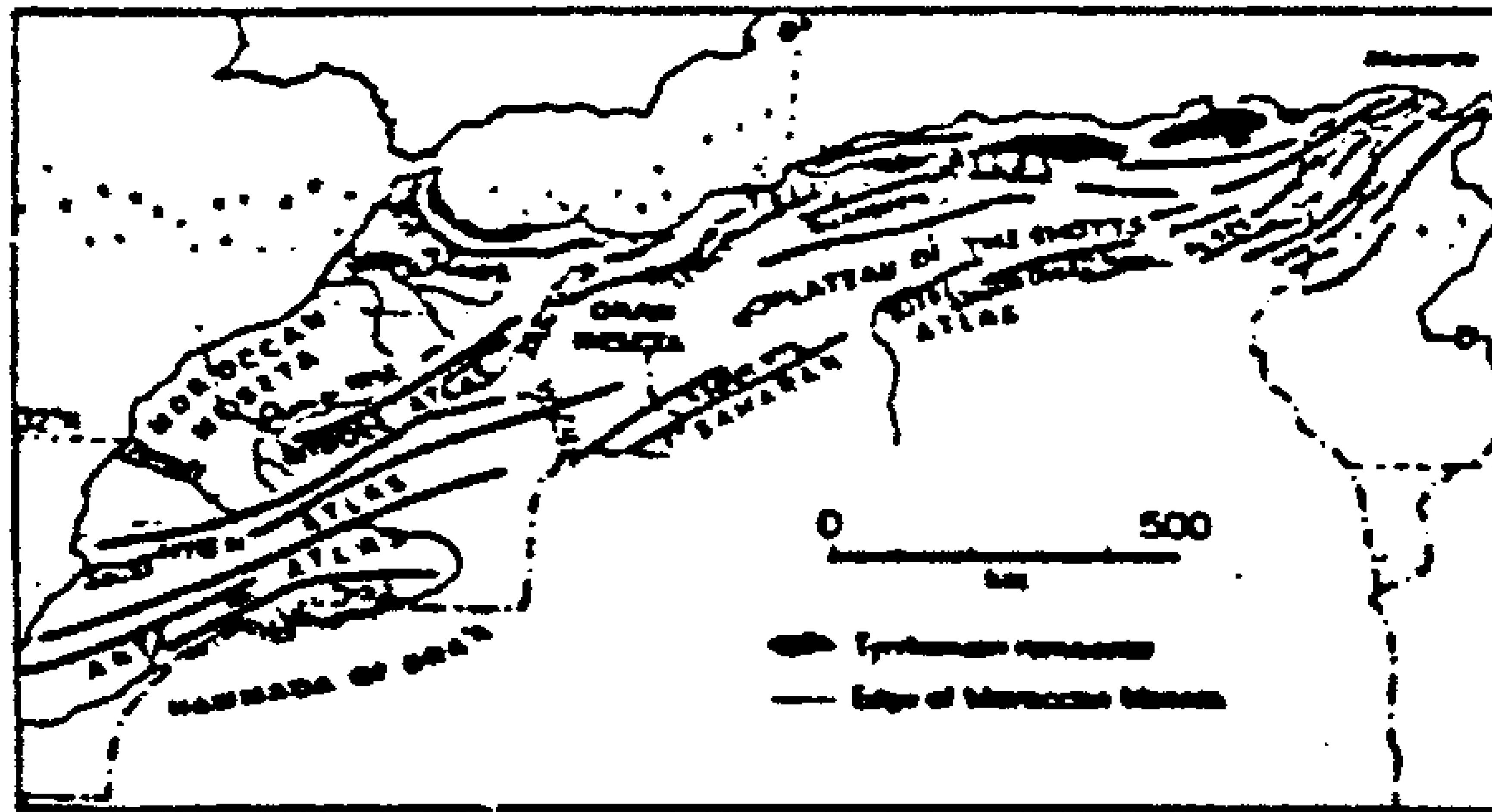
(عن ستامب)



Map 2/1 *Simplified geological map. The unshaded areas are mainly underlain by sandstones, shales, and limestones. ... rocks also occur in the rift valley troughs of eastern Africa. Au—gold, Bx—bauxite, C—coal, Cu—copper, D—diamonds, Fe—iron, Mn—manganese, O—oil, P—phosphates, Sn—tin, U—uranium.*



Map VI *Physical features of the continent. A line from Angola to Ethiopia divides the continent into High Africa, mainly above 1000 m (3300 ft), and Low Africa, mainly below 600 m (2000 ft).* (عن جروف)



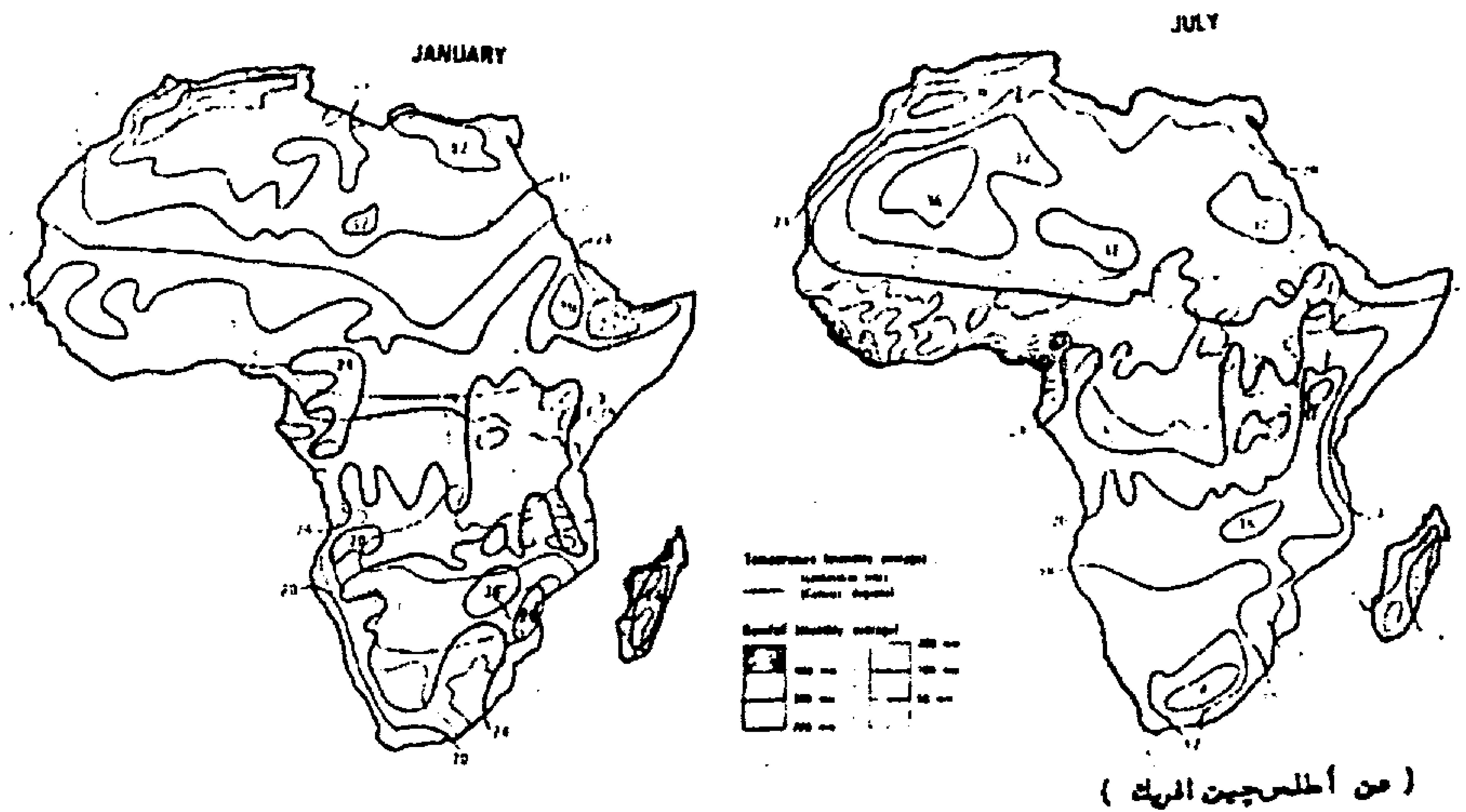
Map.4/1 -The Maghrib Morphology. (عن چاريت)



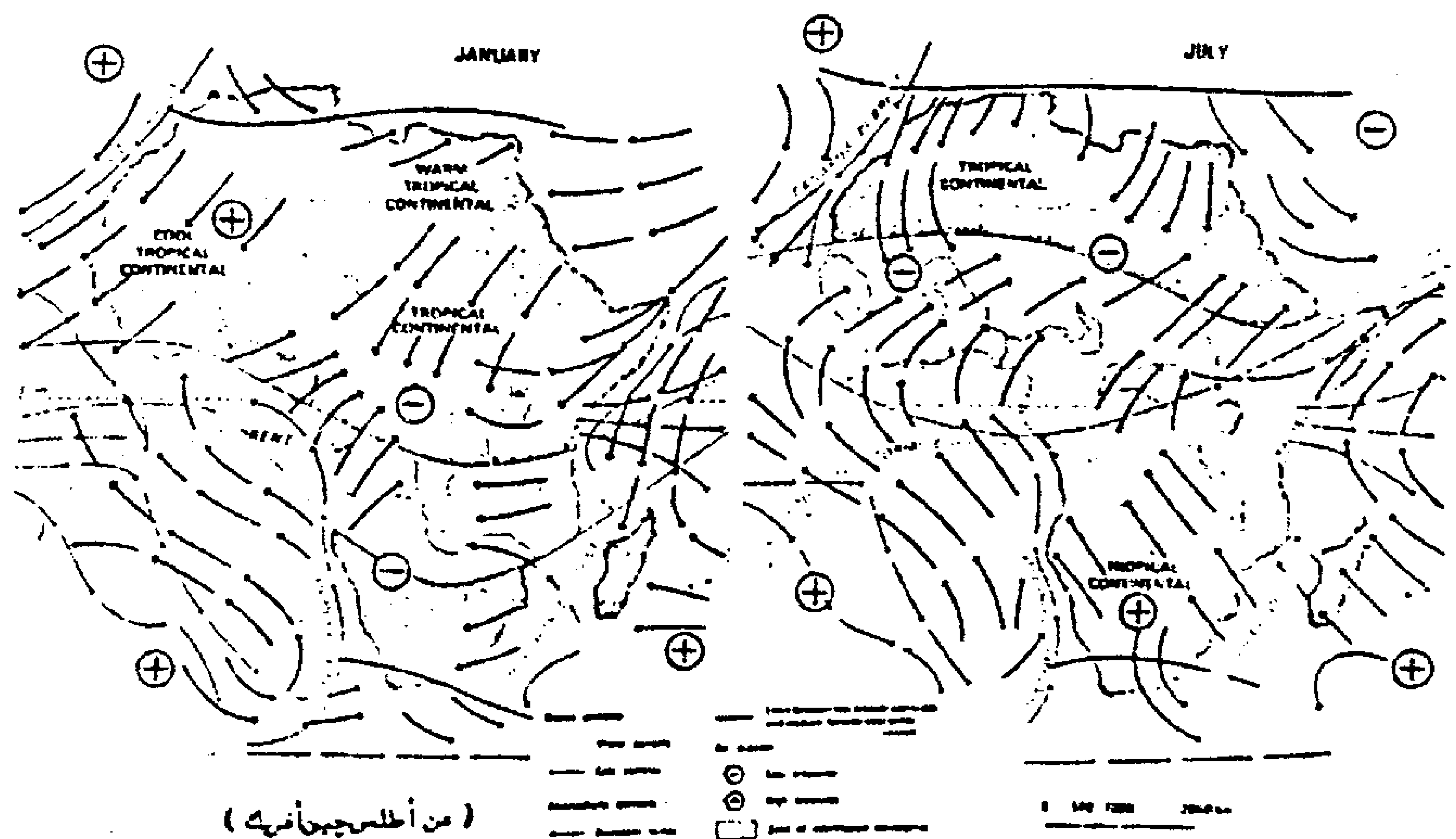
Plat1/1 View in the High Atlas. Note the gorge cut through the sedimentary rocks in the foreground: these rocks remain fairly horizontal. In the background tower up loftier crystalline massifs formed of basement rock, snow covered. Notice how the spurs near the upper right hand side of the picture are truncated: on this scale this suggests faulting.

(عن چاريت)

Map 5/1- Temprerature



Map 6/1- Winds and Currents



شكل ١/٢- توزيع أقاليم كين المناخية على دوائر العرض المختلفة

(من أهلر)

Pole

(Ice climates)
E
Hekistothermal

D
Microthermal
(Snow climates)

C
Mesothermal
(Warm temperate climates)

B
[Xerophytic]

A
Megathermal
(Tropical climates)

Equator

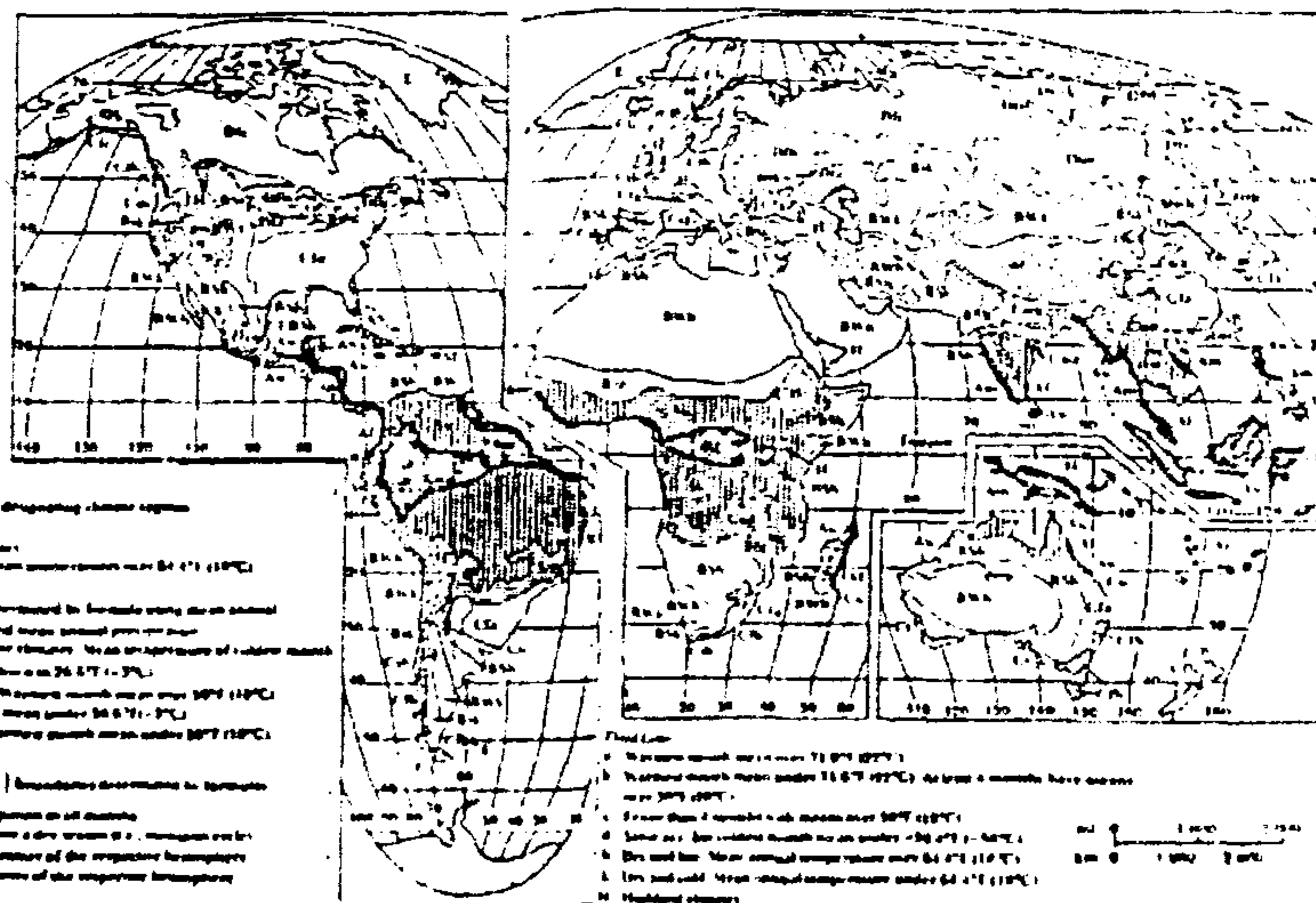
Dry climates determined by analysis of both temperature and precipitation values

Mean temperature of warmest month below 10°C (50°F)

Mean temperature of warmest month over 10°C (50°F), coldest under -3°C (26.6°F)

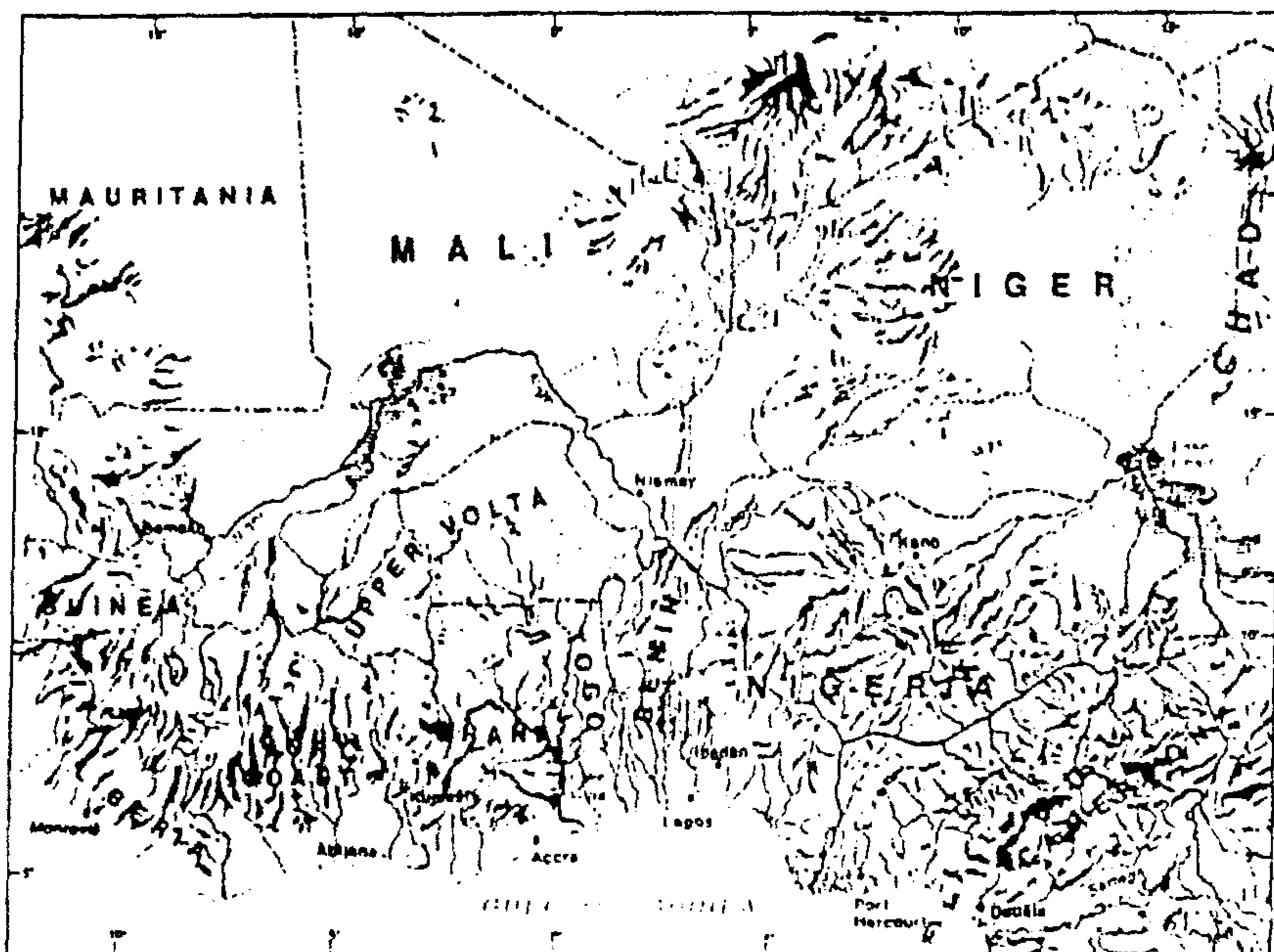
Mean temperature of coldest month is below 18°C (64.4°F) but above -3°C (26.6°F)

Mean temperature of every month is greater than 18°C (64.4°F)



(عن بوترز)

Map 8/1- The Nile Basin today and in mid-Tertiary times



(عن موسوعة الأنهار)

خريطة ١/٩- حوض نهر النيجر وفروعه

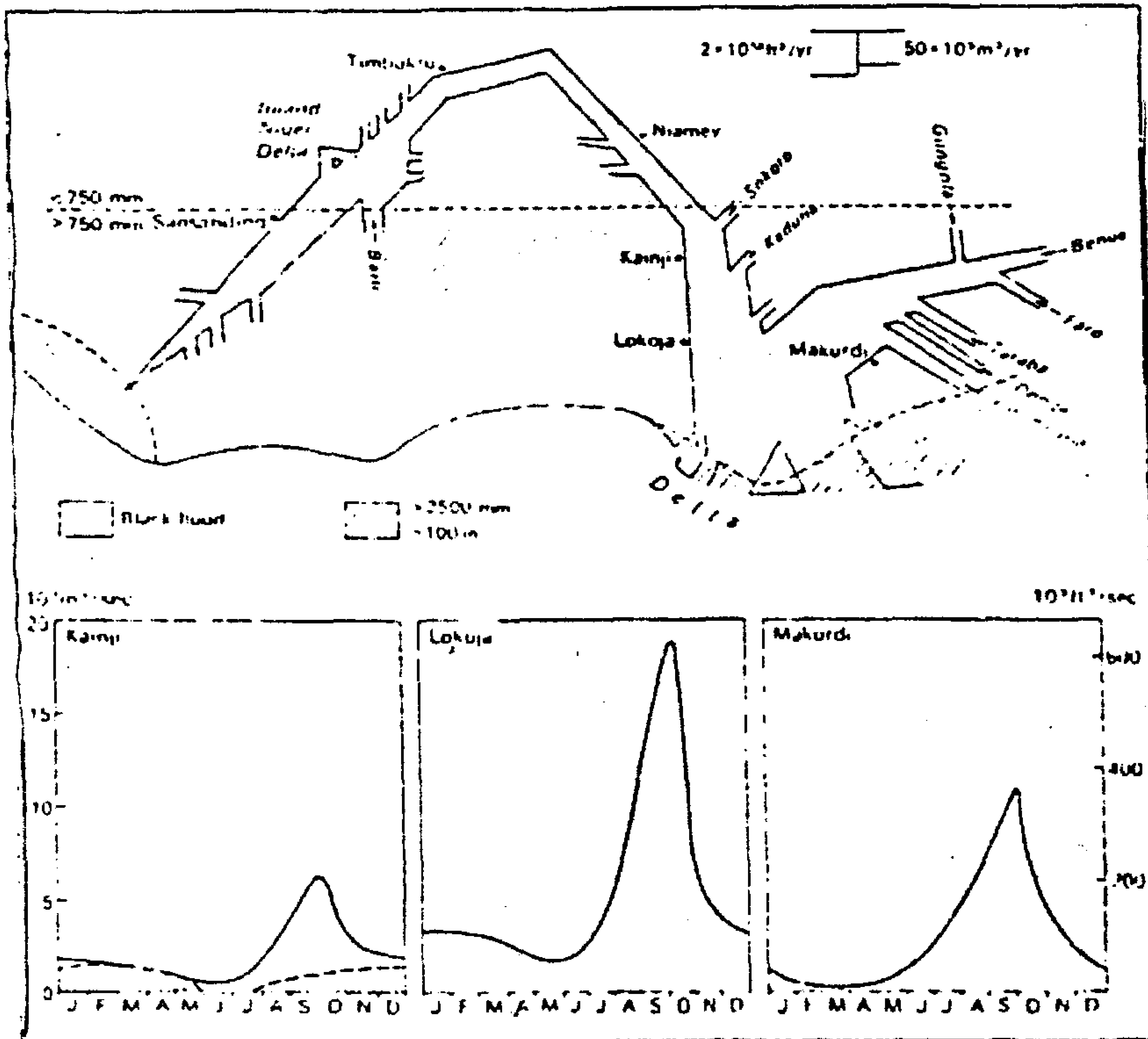
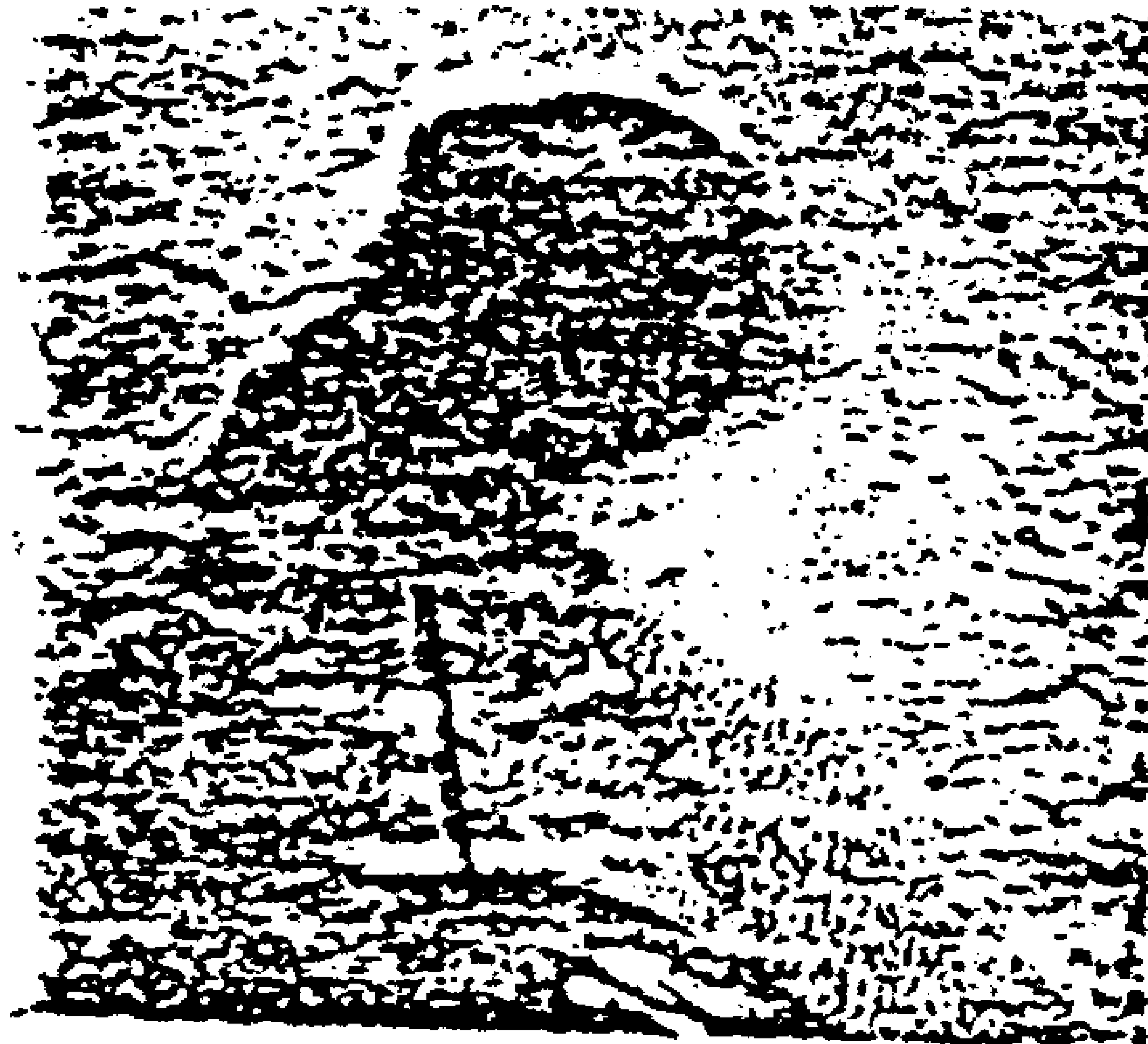


Fig. 3/1 The discharge of the Niger and Benue. The flow of the Niger in Nigeria is maintained in the first quarter of the year by the black flood, water which fell as rain on the highlands of Guinea several months earlier and has made its way slowly through the inland delta. Little water is added to the river where annual rainfall totals are less than 750 mm (30 in). The width of the diagrammatic river is a measure of the discharge according to the scale in the top right-hand corner.

(عن جريف)

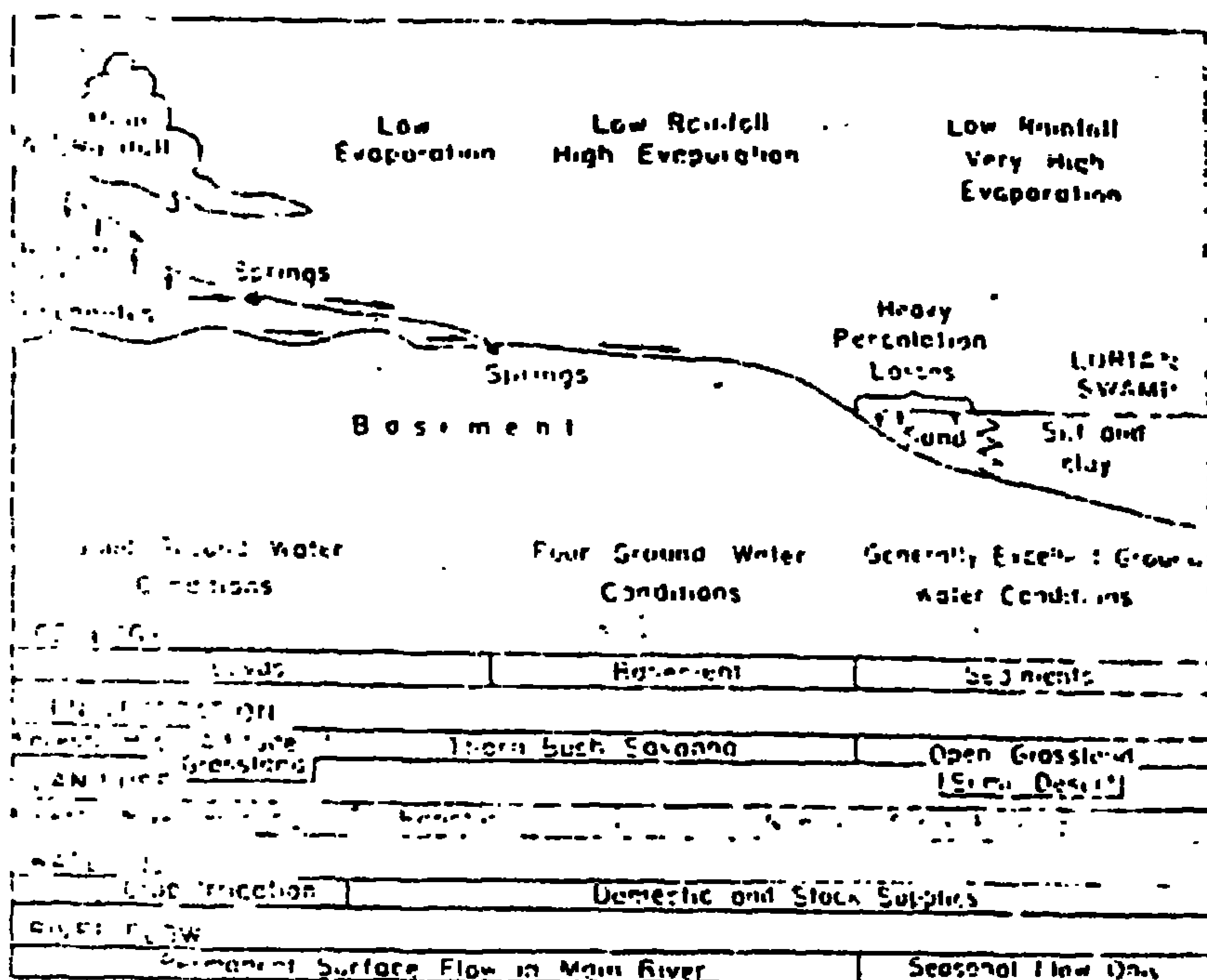

(عن تاسا)

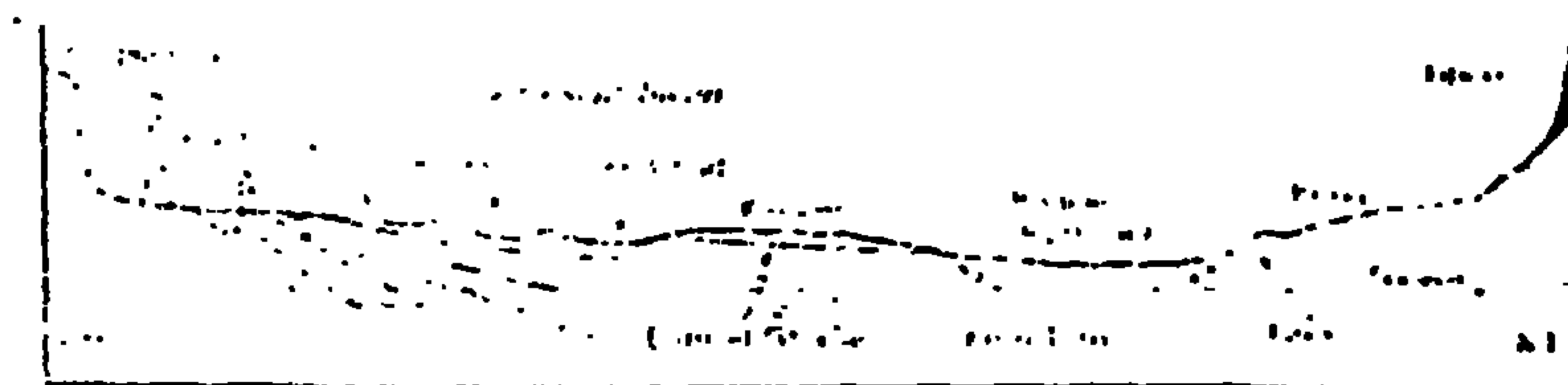
لوحة ١/٢- بحيرة تشاد من الفناء



Map 10/1- sergal s plan for the inguon of the sahara

(عن جلانتر)





(عن جروف)

شكل ١/٥ ــ المياه الجوفية في حوض تشاد

حواشي الفصل الأول

(١) يفضل الاستعانة بأحد الأطالس الجغرافية مثل Bartholomew World Alas,1977. أو غيره عند دراسة الموضوعات الجغرافية، وكذلك بالأطالس والخرائط التاريخية والأنثروبولوجية فى مواضعها المناسبة.

(٢) جمال حمدان: شخصية مصر، دراسة فى عبقرية المكان، جـ١ القاهرة عالم الكتب ١٩٨٠، ص٤٤-٤٦

(٣) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: أفريقيا؛ دراسة لمقومات القارة، بيروت ، دار النهضة العربية، ١٩٦٦، ص٥٥

(٤) نفس المصدر، ص٥٧

(٥) راجع:

Haley, Alex: Roots.London,Reader`s Digest,I974.

(6) Stamp, Dudely L.: Africa; a study in tropical development, 2nd,ed, New York, John Wiley&Son,1964,p192-197.

(7) Said, Rushdi: The geology of Egypt. Amsteraw, Klsevier Pub., 1962,p170.

(٨) آمال اسماعيل شاور: الخريطة التكتونية لأفريقيا، قراءة وتحليل مجلة الدراسات الأفريقية، ع٧، ١٩٧٨، ص١٠٣-١٧٣

(٩) إرجع إلى الخريطة الملونة فى أطلس" جين افريك"، ص٢٩

(10) Ibid,p220.

(١١) محمد عوض محمد: نهر النيل، طـ٣، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٢، ص٢٩

(12) Jarrett, H,R.: Africa, 4th.ed, London, Macdonald,1974,p116.

(١٣) محمد عوض محمد: نهر النيل، ص٢٩

(14)Navarra, J.G.: Contemporary physical geography, Philadelphia, Saunders college pub., 1981,p.128-129.

(١٥) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: مصدر سابق، ص٨٤-٨٥

(١٦) لمعرفة عناصر المناخ وأسس التحولات المناخية يرجى الرجوع إلى المصادر المتخصصة ومنها اليونسكو: تاريخ أفريقيا مج١ ما قبل التاريخ ج١، ص٣٩٢ من النسخة العربية

(17) Grove, A.T.:Africa; south of the sahara, 2nd,ed Oxfored,At the Univ, Press, 1970,p12-13.

(18) Oliver, Johan E.: Physical geography; principales and application, North scituate Mass., Duxbury press,1979,p280-281.

(19) Ibid,p282.

(٢٠) وجدى رياض الأهرام الثلاثاء ٣ من ديسمبر ٢٠٠٢، ص٧.

(21)Mcnally, Rand: Encylopedia of World Rivers, London,.Binson

(٢٢) فاروق عبد الجواد شويقة: مصر والسد العالى (بحث غير منشور) ١٩٥٦.

(23) Butzer, Karl W.; Hansen, Carl L.: Desert and River in Nubia; geomorphology and prehistoric environment at Aswan rservior, Madison, Univ, of Wisconsin press,1968,p22.

(24) Oglesbey, R.T. et.al .(eds.): River Ecology, New York, Academy Press, 1972, p173.

(25) Mcnally, Rand: Encyclopedia of world rivers, And the International Geographic Encyclopedis and Atlas, London, the Lacmillan, Press,1979.

(٢٦) الأهرام السبت ٣١ من أغسطس ١٩٩١، ص٣

(27) Glantz, Mithael H(ed): Desertification; environmental degradation in end Arid Lands,p.320.

ببلوجرافية الفصل الأول

(1) Butzer, Karl W.; Hanser, carl L.: Desert and river in nubia; geomorphology and prehistoric enviroment at Aswan reservoir. Madison, Univ. of Wisconsin Press, 1968.

(2) Fitzgerald, Walter: Africa. 10th.ed.rev. by:Brice, W.C. repr. London, Methuen & Co., 1968.

(3) Gardner, James S.: Physical. New York, Harper's College Press, 1977.

(4) Glantz, Mdohael H.(ed.): Desertification; environmental degradation in and around Arid Lands. Boulder, Colo., West-view Press, 1977.

(5) Grove, A.T.: Africa: South the sahara. 2nd, ed. Oxford, Oxford Univ, Press, 1978.

(6) Jarrett, H.R.: Africa. 4th. ed. London, Macdonald, 1974.

(7) Lounsbury, John F. and Ogden, Lawrence: Earth Science. 3rd. ed. New York, Harper & Row Publishers, 1979.

(٨) محمد السيد غلاب وآخرون: جغرافية العالم، دراسة إقليمية، ج ٢. أفريقيا واستراليا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١.

(٩) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: أفريقيا؛ دراسة لمقومات القارة. ط٢. بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٣.

(١٠) محمد عبد الغني سعودى: أفريقية؛ دراسة شخصية الأقاليم. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦.

(١١) محمد عوض محمد: نهر النيل. ط ٣. القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٢.

(١٢) محمد محمود الصياد: صور أفريقية. القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٧.

(13) Mountjoy, Alan B. and Embleton, Clifford: Africa; a geographical study. 2 nd. ed. London, Hutchinson, 1967.

(14) Oglesbey, R.T. et. al. (eds): River ecology. New york, Academic Press, 1972.

(15) Oliver, John E.: Physical geography; Principles and applications. Belmont California, Duxbury Press, 1978.
(16) Pollock, N.C.: Africa. London, Univ. of London Press, 1968.
(17) Stamp, Dudley L.: Africa; a study in Tropical development. 2nd. ed.New York, John Wiley & Sons, 1964.

الفصل الثانى

الإيكولوجيا الحيوية

الإيكولوجيا الحيوية

يدرس هذا الفصل العناصر الطبيعية المكونة للبيئة هى تلك التى استعرضت لمحات منها فى الفصل الأول وهى المكونة الأساسية للموارد الطبيعية، ثم يدرس التفاعل بينها وبين العناصر الحيوية والتى ستؤدى فى النهاية إلى تهيئة المسرح للإنسان كى يحيا ويعمل وينشط.

ويقصد بالعناصر الحيوية هنا تلك المكونات الطبيعية التى تحمل صفة الحياة سواء كانت نباتا أو حيوانا وسواء كانت كبيرة أو صغيرة، ومن تحصيل الحاصل ذكر أن هذا الفصل ما هو إلا مدخلا لما يليه من فصول خاصة بالإنسان الذى هو هدف الكتاب وغايته(شكل ٢/١)

التربة:-

تعد التربة إحدى منح الطبيعة بل أهمها بعد الموارد المائية، والتربة هى المادة المفككة التى تكون الطبقة العلوية من الغشاء الصخرى[1] وتعتبر التربة وسط حى تتعامل فيه عناصر شتى اشتقت من الأغلفة الثلاثة الطبيعية ومن أهم هذه العناصر الحرارة و الرطوبة التى تؤثر مع الكائنات الحية الدقيقة فى الصخور والمعادن فتكون التربة بأنماطها المختلفة.

هذا وتتفاوت التربات من الناحية الميكانيكية (جدول ٢/١) وغالبًا ما يرجع هذا إلى حجم الجزئيات المعدنية المكونة لها و التى ترجع بالتالى إلى نوع الصخر أو التكوين الجيولوجى الواقع أسفل التربة إذا كانت تربة محلية أو إلى التكوين الأصلى المشتقة منه قبل نقلها وحملها بواسطة التعرية المائية أو الهوائية إذا كانت منقولة.

جدول ٢/١- أنواع التربات من الناحية الميكانيكية

نوع التربة	متوسط حجم حبيبات التربة(مم)
حجرية	٢فأكثر
رملية خشنة	٢ر٠ - ٢
رملية ناعمة	٢٠ر٠ -٢ر٠
طفلية	٢٠٠ر٠ - ٠,٠٢
طينية	أقل من ٢٠٠ر٠

أما التكوين الكيميائى للتربة فيعتمد على الأساس الكيميائى للعناصر المكونة لها، وهى بعامة بين قلوية وحامضية، ويلاحظ أن لون التربات كثيرا ما يدل على هذا التكوين بصفة عامة، لذا كان وصف التربة باللون و النطاق الجغرافى ونمط المناخ السائد هو أفضل أساليب تصنيف التربات.

والجدير بالإشارة أن دراسة التربة من حيث التكوين أو التصنيف أو التوزيع ترتبط برابطة قوية بالنباتات التى تنمو عليها(٢) وبظروف التعرية المختلفة، وفى الحقيقية يبدو أن نطاقات التربة فى أفريقيا (خريطة ٢/١) تتفق إلى حد كبير مع الأقاليم النباتية.

جدول ٢/٢- توزيع أنماط التربة الرئيسية فى أفريقيا (٣)

م	أنماط التربة		%
١	تربات خام معدنية	Raw mineral	٢٨
٢	نوبات ضعيفة التكوين	Weakly developed	١٩
٣	تربات بنية	Brown	٩,٣
٤	التربات المدارية الغنية بالحديد	Iron rich tropical	٣٣
٥	التربة الطينية اللدنة	Vertisols	٣,٣
٦	البودزويل الكاذب	Pseudopodsolic	٠,٤
٧	تربة البحر المتوسط	Mediterranean	١,٠
٨	تربات فيضية	Alluvium	١,٨
٩	تربة ملحية	Halomorphic	١,٣
١٠	تربة مائية التكوين	Hydromorphic	٢,٤

هذا ويمكن تقسيم الأرض الأفريقية بين أنماط الترابات الرئيسية (جدول ٢/٢) إلى الترابات التالية:

١- **التربة الخام (الصحارى):** وتتكون من الترابات التى تغطى جميع أنواع الصحارى فى أفريقيا: العرق (الرملية) والحمادة(الصخرية) والرق (الحجرية)، هى التى قد تكون رملية (مشتقات السيلكا) أو الجيرية (مركبات الكالسيوم)؛ وهى غالبا ما تكون سميكة فى مناطق الارساب الهوائى خاصة فى الغرود.

٢- **التربة الضعيفة:** وهى التى تتكون فى النطاق شبه الصحراوى (٧% من القارة) وهى التى يمكن زراعتها فى بعض المناطق إذا توفرت المياه الكافية لريها.

٣- **الترابات البنية:** وتنتشر فى المناطق الجافة وشبة الجافة فيما بين الصحارى و المناطق المدارية، تحت مناخ حار جاف، وهى الترابات التى تكلفت بإنتاج محاصيل زراعية كثيفة عندما نفذت مشروعات للرى عليها.

٤-**الترابات المدارية الغنية:** وهى أوسع الترابات انتشارا، حيث تغطى النطاق الاستوائى والمدارى ومنها اللاتريت وهى شبه طينية حمراء حديدية، لذا فهى صعبة الحرث، ولكثرة الأمطار فهى قليلة الخصوبة، ومنها الطفل الحديدى المرتفع الملوحة، بالإضافة إلى التربة السوداء الجيرية وغير الجيرية التى تسمى ترابات القطن.

٥- **التربة الطينية اللدنة:** تربة سوداء أو غامقة وتنتشر حيث يوجد فصل جفاف واضح وفصل ممطر اقل من ٤٠ بوصه(ألف مم) وهى خصبة للغاية وان كانت تحتاج إلى مجهود ملموس لحدثها.

٦- **تربة البودزويل:** تربة سوداء أو سوداء وحمراء غنية، خالية من الاملاح، توجد فوق منحدرات هضبة الفلد والترانسفال، وهى خصبة للزراعة[٤].

٧- **تربة البحر المتوسط:** تنتشر فى نطاق مناخ ونبات البحر المتوسط فى افريقيا الصغرى وبرقة وأقليم الكيب وهى تحتوى على نسب منخفضة من الكالسيوم والبوتاسيوم والنتروجين والفوسفوريك، لذلك فهى فى حاجة الى

استعمال المخصبات قبل الزراعة خاصة وان هذا الإقليم يتميز بالزراعة الكثيفة المجهدة للتربة.

٨- التربة الفيضية: وتوجد فى أودية الأنهار خاصة الكبرى منها بما تحمله من صفات تكوينية وزراعية مغروفة، وترتبط هذه، بالتربة المشبعة بالمياة (طبيعيا أو بالرى).

٩- التربة الملحية: وتنتشر حيث يرتفع مستوى الماء الجوفى مع شدة البخر مما يعمل على تكوين تربات قلوية تنتشر فوقها البقع الملحية بكثرة.

١٠- تربات اثيوبيا: لما كانت هضبة اثيوبيا تمثل أقليما كبيرا ذا انحدار متباين لذا كان نمط التربة فيه متميزا بأنه من النوع التركيبى شديد الاختلاط.

هذا وتحوى التربة كثيرا من المشاكل فى أفريقيا وفى ذات الوقت تقدم كثيرا من الحلول لمشكلات الزراعة خاصة فى المناطق الجافة من الصحراء الكبرى (خريطة ٢/٢) التى يجب أن توضع لها سياسات رشيدة لمكافحة التصحر الذى يسبب تقلص الأرض الزراعية (شكل ٢/٢)مما يتسبب فى خلق مشكلات خطيرة للإنسان فى هذه المناطق.

ولا شك أن عدم انتظام سقوط الأمطار وفجائيتها فى كثير من المناطق الجافة الأفريقية هو المسئول عن كثير من انجراف أو تعرية التربة بالتعرية الهوائية فى فترات الجفاف أو التعرية المائية فى فترات السيول الجارفة وهذا يدعو المسئولين فى الدول ذات المناطق الجافة إلى تنفيذ مشروعات المحافظة على التربة بزراعة المصدات المناسبة للرياح(شكل٢/٣) بالإضافة إلى ضرورة وضع سياسات قومية محددة لتنظيم عمليات الرعى التى لها تأثير واضح على تعرية بإمكانياتها التربة من الحشائش التى تعمل على تماسك التربة ومنعها من الانجراف وذلك حتى تساهم التربة بإمكانيتها الطبيعية فى زيادة إنتاج الطعام[٥].

هذا ومن نتائج الاستفادة من الأفكار والتكنولوجيا الغابرة فى هذا المجال العودة إلى زراعة المدرجات فى مناطق المرتفعات حفاظا على التربة ومنعا لها من الانجراف مما يبقى لطبقات التربة سمكًا مناسبًا لنمو النبات، وقد تمت الاستفادة حديثا من ذلك عن طريق مما يعرف بالحرث الكنتورى للتربة أى أن تسير خطوط الحرث مع خطوط الكنتور هذا بالإضافة إلى ضرورة اللجوء إلى

تطبيق بعض النظم الحديثة للرى والاستزراع التى مازالت تحت التطوير والتحسين حتى الان ولكنها – مع ذلك – أتت بثمار جد طيبة[٦].

النبات وأقاليمه

يعتبر النبات المحصل النهائية لتفاعل عدة عناصر طبيعية هى بعامة مكونات الأرض وظروف المناخ السائد والنتيجة تظهر فى أنواع النبات الطبيعى وهى التى لا تخرج عن ثلاث أنواع هى الأشجار والحشائش والصحارى بمستويات كل منها المختلفة.

ويتفاوت توزيع كل من هذه الأنواع الثلاث بمستوياتها المختلفة تبعا لظروف المناخ و التضاريس والموقع من حيث البعد أو القرب من سطح البحر أو خط الاستواء بالإضافة إلى عوامل محلية أخرى.

وترتبط أنواع النباتات فى أفريقيا بكمية الأمطار الساقطة إلى حد كبير (خريطة ٢/٣)هذا وتنتشر الاراضى الجافة الصحراوية فى أفريقيا حيث تصل نسبتها إلى ٣ر ٣٩ % من جملة مساحة القارة وهى نسبة كبيرة لا تكاد تتكرر فى قارة أخرى، فإذا أضفنا إلى هذا معظم المساحات التى تغطيها الحشائش (٣ر٤٢%) يتضح لنا سبب سيادة حرفة الرعى الشائعة فى المجتمعات الأفريقية، أما عن الغابات المدارية فتنتشر فى وسط القارة الخاصة فى مناطقها المنخفضة؛ وفى الحقيقة تتفاوت أنواع الغابات وأنواع الحشائش تفاوتا كبيرا فى أفريقيا (جدول٣/٢) نسبة توزيع الغابات والحشائش فى أفريقيا.

جدول ٣/٢- نسبة توزيع الغابات والحشائش فى أفريقيا

الغابات	% من القارة	الحشائش	% من القارة
الغابات المطيرة	٧,٨	سافانا عالية ذات أشجار سنطية	١٥,٩
الغابات الجافة	٧,٩	سافانا عالية بأشجار قصيرة	١١,٦
غابات الأشجار الشوكية	٠,٧	سافانا قصيرة ذات أشجار سنطية جافة	٩,٦
غابات المطر فى المناطق المعتدلة	٠,٥	سافانا عالية خالية من الأشجار	٠,٩
غابات البوط والأشجار المخروطية	٠,٢	سافانا المستنقعات	٠,٤
غابات المنجروف	٠,١	أعشاب الجبل	٣,٢

وتنتشر فى القارة الأفريقية كل أنماط الحياة النباتية بدرجاتها وكثافتها المتباينة فلا يكاد يوجد نمط نباتى إلا ونجده ممثلا فيها (خريطة ٢/٤) وهذا يعكس الكثير من فرص الحياة وأنماط المعيشة وامكانات التنمية فى الأقاليم والبيئات والمجتمعات الأفريقية فى كل من المزرعة والقرية على حد سواء خاصة فى المناطق المدارية حيث تتوافر الظروف الإيكولوجية الملائمة للإنتاج الزراعة (شكل ٢/٤) .

والحقيقة أن أهمية دراسة النبات تتركز فى الجوانب التى تفيد الإنسان وهى غالبا ما تتبلور فى جوانب الاستفادة المباشرة من النبات الطبيعى أو من النبات المزروع بهدف الاستغلال للاقتصادى[٧]؛ سواء فى ميدان الغذاء أو الصناعة لذا كثرت البحوث والدراسات التى تهتم بدور النبات سواء الطبيعى أو المنزرع فى حياة الإنسان، ولا شك أن هذا يدخل؛ بدرجة الأولى فى مجال اهتمام الجغرافى الأنثروبولوجى الذى يعنى ضمن اهتماماته الكثيرة بدراسة التأثيرات الإيكولوجية على النشاط الانسانى.

والجدير بالذكر أيضا أن توزيعات النبات الطبيعى أو ما يعرف بجغرافية النبات لها صلاتها وعلاقاتها القوية بكل مكونات البيئة الطبيعية[٨]، خاصة بعناصر المناخ المختلفة، وبشكل مباشر بعنصرى الحرارة والمطر، وأيضا بمكونات التربة كما أن لها تأثيرها المباشر على الحياة الحيوانية؛ لذلك كانت صعوبة الفصل فى دراسة كل من هذه العناصر على حدة لذلك كانت النظرة الشمولية واجبة التنفيذ مع ضرورة التركيز على أن الهدف الأول والنهائى هو محصلة استفادة الإنسان.

هذا ويمكن **تقسيم الحياة النباتية فى أفريقيا إلى الأقسام التالية**[٩].

أ- **إقليم البحر المتوسط:** وله أقسام فرعية هى: غابات المرتفعات، وأشجار شبة غابية، واستبس المتوسط.

ب- **الإقليم الصحراوى:** استبس صحراوى والصحراء واحات ونباتات واحية.

ج- **الإقليم المدارى:** استبس شوكى، وسافانا ذات أشجار متناثرة وسافانا شجرية.

د- الاقليم الاستوائي: غابات كثيفة، وغابات متدرجة على المرتفعات مع سافانا كثيفة، وما نجروف.

وإذا أردنا عرض بعض السمات العامة لهذه الأقاليم نجد إن إقليم البحر المتوسط الذى يتمثل وجوده فى إقليمه المناخي فى أفريقيا الصغرى وشريط ساحلي ضيق ممتد شرقا حتى غرب الإسكندرية كما يوجد له تمثيل فى إقليم الكيب فى جنوب القارة. فى هذا الإقليم كانت تنتشر أشجار البلوط والفلين وبعض أنواع من الأشجار المخروطية وذلك فى المناطق المرتفعة حيث فرص الأمطار أكثر وكمية المياه أغرز، أما فى المناطق المنخفضة حيث تقل هذه الفرص فيسود نوع نباتي يطلق عليه " ماكى " وهو عبارة عن شجيرات صغيرة ذات جذور طويلة تعمل على البحث عن مصادر المياه خاصة فى موسم الجفاف و الحرارة.

ويتخلل هذه الغابات نباتات عشبية مثل الآس(Myrtus Communis) يتفاوت طولها تبعا للظروف المناخية والجدير بالذكر أن نباتات البحر المتوسط تتميز بأنها دائم الخضرة لما لها من قدرة على تخزين المياه أو البحث عنه فى أعماق التربة البعيدة بجذورها الطويلة، وتعد صفة دوام الاخضرار صفة مميزة لهذا الإقليم النباتي قلما تتوافر فى إقليم أخر ليس دائم المطر مثله ومن أشهر نباتات هذا الإقليم شجر الزيتون (Olea europea)[١٠] وهى مصدر الزيت (الدهن)المقدس الذى ورد فى الكتب السماوية، كما تعتبر الكروم -Grape vinesمن أهم النباتات أيضًا فى هذا الاقليم وهو الذى أصبح نباتا منزرعا رئيسيا فيه بعد أن كان طبيعيا فقط وذلك لما له من أهمية غذائية وعلاجية هامة بالإضافة إلى كونه فاكهة محببة وهناك أيضًا الموالح بأنواعها المختلفة.

أما الصحراء فنظرا لشدة جفافها فمن الصعب العثور على الحياة النباتية إلا إذا سمحت طبيعة سطح الأرض بظهور المياه الباطنية فى بطون المنخفضات، أو إذا سمحت بتجمع مياه السيول الفجائية مما يسمح بوجود إعشاب شوكية هنا وهناك تبدو أغلبها نصف حية إذا لم تنجدها بعض قطرات المياه فى باطن الأرض أو رطوبة الجو.

وفى الأطراف الشمالية أو الجنوبية من الصحراء الكبرى أو أطراف الصحارى الأخرى كصحراء كلهارى تنمو بعض الشجيرات السنطية الشوكية الصغيرة وهى لا تكاد تنتشر إلا لتتباعد مرة أخرى خاصة فى المناطق الأكثر

جفافا أما داخل الصحراء الكبرى فان النبات ينعدم تماما خاصة فى مناطق بحار الرمال (الارج)والصحراء الصخرية(الرق).

ومن أهم النباتات الصحراوية الزيجوفيليم واليوفوريا واكاسياسنجال (سنط السنغال) وهو عبارة عن شجيرة قصيرة شوكية ذات وريقات ريشية وذات أزهار جميلة بيضاء وهى التى يؤخذ منها الصمغ العربى وهى تنمو كما تزرع فى مناطق الصحراء والسافانا الجافة، وهناك أيضا النبات الفضولى المسمى فليفيتشا ميرابيلس الذى ينمو فى صحراء كلهارى وهو بطىء النمكو جدا ويعيش قرنا من الزمان على الاقلب.

والملاحظ بعامة أن هذه النباتات الصحراوية قد تكيفت على فترات الجفاف الطويلة، فالجذور طويلة تتخلل الأرض لعمق كبير، وعملية النتح بسيطة جدا حيث يحل محل اللأوراقث، بل أن البذور قد تكيفت بحيث تظل فى التربة بضع سنين قبل الإنبات بحيث تستطيع الإنبات بمجرد سقوط الأمطار عليها أو وصول المياه لها.

وقد توجد مساحات شاسعة من الرمال السافية مثل تلك الموجودة فى الصحراء الغربية فى مصر والمعروفة باسم بحر الرمال العظيم حيث لا نبت ولا حياة على الإطلاق، وبالمثل يقال عن مناطق الغرود الرملية المتحركة، وبالمثل يقال أيضًا عن السهول الصخرية القاحلة فى جنوب الجزائر تلك التى تعرف ببلاد الرعب حيث سهل التنزروفت فى المساحات القاحلة المميتة الشاسعة التى لا تكسر حدتها شجيرة شوكية واحدة أو حتى نصل أحدى الحشائش[١٢].

أما الواحات تلك الجزر الخضراء التى توجد فى وسط الصحراء ولكنها ليست منها فهى جنات الصحراء وجنيناتها ذلك أنها مناطق منخفضة تشغل قيعان منخفضات تنتشر هنا وهناك فى الصحراء الكبرى الأفريقية أغلبها فى الشرق فى مصر وليبيا وفى الغرب وفى المغرب والجزائر.

وأهم نبات الواحات بدون شك هو نخيل التمر (فونيكس داكتيايفيرا) الذى يتطلب نموه أن تكون جذوره فى الماء(الباطنى الكثير) ورأسه(سعفه) فى الشمس أى فى الجو شديد الحرارة والجفاف؛ لذلك كانت بيئة الواحات الحارة عموما والأفريقية خصوصا هى انسب البيئات لنمو وإثمار وإنتاج نخيل التمر الذى أصبح ثمره أهم غذاء لأهل الواحات.

هذا وقد أدخلت معظم زراعة نباتات البحر المتوسط خاصة الموالح والمشمش والتين إلى الواحات بحيث أصبحت من مميزاتها النباتية بل أصبحت تمثل -مع التمر- أهم الموارد الطبيعية التى يسمح بتصديرها إلى خارج الصحراء.

أما مناطق السافانا حيث تنتشر بأنماطها المختلفة لتغطى الإقليم المدارى فنجد من بينها الأعشاب الطويلة العالية التى يصل نموها إلى ثلاثة أمتار فى موسم الصيف الرطب مما جعله حقلا مناسبًا كى ترعاه وتحيا فيه الحيوانات العشبية الكبيرة لذا أطلق عليها (عشب الفيل).

وتتخلل هذه الحشائش أحيانًا أشجار مبعثرة مكيفة على الاستفادة من موسم الرطوبة لعل من أهمها شجرة الباوباب (أدانسونيا ديجيتاتا) الضخمة التى تخزن الماء فى جزوع كبيرة السمك وقد تكثر هذه الأشجار ومثيلاتها فى وسط هذه الحشائش حتى أنها لتتحول إلى سافانا بستانية؛ إذا ما توفرت كميات كبيرة من المياه فى مواسم كثيرة متلاحقة وقد يحدث هذا بجوار مجارى الأنهار.

أما فى المناطق التى تقل فيها كمية الأمطار ويطول فصل جفافها فان هذه الحشائش تقصر وتصغر وتتحول إلى استبس [١٣] واستبس شوكى فقير بعد أن كان السافانا[١٤] وسافانا بستانية؛ والجدير بالذكر أن التوزيع الجغرافى لهذه الأنماط والنطاقات يتم بصورة تدريجية كلما بعدنا عن النطاق الصحراوى الجاف القاحل وقربنا من النطاق الاستوائى المطير الغابى.

وأخيرًا نأتى إلى نطاق الغابات الاستوائية المطيرة الخضراء التى تنمو فى المناطق التى لا تقل أمطارها عن ألف وخمسمائة ملليمتر مستمرة طوال العام بحيث تتدرج أحجام الأشجار مع تدرج كمية الأمطار وطول موسم المطر هذا مع ملاحظة أن الغابة الاستوائية تتكون من أشجار ضخمة متشابكة يبلغ طول أكبرها المكون لسقف الغابة الاستوائية ما بين ٦٠-٨٠ مترا تليها أشجار كبيرة تحتها يبلغ متوسط طولها ٥٠ مترا ثم يلى تلك، أشجار اقل ارتفاعا حيث لا يزيد طولها عن ٢٠ مترا(لوحة ٢/١).

وهذا وتكثر أيضا الأشجار المتسلقة التى تسلق غيرها لتصل إلى سقف الغابة طلبا للضوء وهربا من الظلام داخل الغابة، وقد عملت هذه المجموعة المختلفة من الأشجار بالإضافة إلى الحشائش وأوراق الأشجار والفروع المتشابكة على تكوين كتلة نباتية شبة صماء مما يجعل الانتقال داخل الغابة أمرًا

شاقا ويحجب الرؤية إلى مسافات طويلة، تلك الصورة نجدها فى الغابة الاستوائية النموذجية التى كانت تسود فى بعض مناطق حوض الكنغو وساحل غنيا وذلك قبل اختراق الإنسان لها وقطعه لمساحات كبيرة منها استغلالا وتطويرًا لإمكانياتها الطبيعية.

وتنتج الأشجار الطبيعية فى الغابة الاستوائية الكثير من المنتجات مثل المطاط (خاصة من شجرة فونتوميا الاستيكا)[١٥] وبعض المنتجات الاقتصادية الأخرى التى أدخل الإنسان زراعتها كالموز (موزاسابيتم) والأناناس (اناناس ساتيفس) والمانجو(مانجيفيرا أنديكا) وقصب السكر (ساكاريومأوفيسيناريوم) وكلها نباتات تشتهر بإنتاجها كل الدول الاستوائية والمدارية بالقارة.

الحيوان وتوزيعه

يطلق على الأنواع الحيوانية السائدة فى القارة فى معظم الصحراء وجنوبها (خريطة٢/٥)أى جنوب جبال الأطلس، النمط الاثيوبى وهو الذى يمتد ليشمل الجزيرة العربية أيضًا[١٦] ويشتمل هذا النمط على ٣٨ عائلة عدا البرمائيات وهو واحد من ستة أنماط حيوانية ينقسم إليها اليابس المعمور (خريطة ٢/٦).

وإذا أمكن تقسيم الحيوان فى أفريقيا بين ثلاث بيئات رئيسية هى الغابات والحشائش والصحراء، لأمكن القول أن الفيل الإفريقى (Loxodonta africana) هو أكبر حيوانات الغابة، وهو غير الفيل الآسيوى اذ هو انشط منه وأكثر توحشا رغم قابليته للاستئناس[١٧] وهو أيضًا غير الفيل الإفريقى الذى يعيش فى نطاق السافانا الذى هو بطبيعة الحال اكبر حجما، والجدير بالذكر أن الفيل كان واسع الانتشار فى أفريقيا فى العصور الحجرية (خريطة ٢/٧) بدليل المخلفات الفولكولورية التى تركها إنسان ذلك الزمان (لوحة ٢/٢).

ولا شك أن دراسة الحيوان، سواء الحفرى أو الحى فى أفريقيا، هو الذى أعطى مع بعض الأدلة الجيولوجية والأنثروبولوجية - فكرة واضحة عن الظروف التى يظن أن الإنسان مر بها أثناء مراحل تطوره (شكل ٢/٥).

إذا كانت هذه الفكرة صحيحة وحقيقية. يتضح ذلك من دراسة حيوان مثل الشمبانزى .(Pan troglodytes)[١٨] لوحة ٢/٣) من حيث التشريح والسلوك والوظائف ومقارنتها بالإنسان والمثل يمكن قوله عن الغوريلا Gorilla

Gorilla الذى هو أيضا حيوان إفريقى من القردة غير المذنبة. أما القردة المذنبة فمن أهمها الليمور الذى يحيا فى مدغشقر بأنواعه المختلفة ثم البابون[١٩] بأنواعه وسلالته المتعددة التى تنتشر فى معظم البيئات الأفريقية.

وهناك فرس النهر (سيد قشطة-Hippopotamus amphilibius) الذى يعتبر معلم من المعالم الرئيسية للأنهار الأستوائية الأفريقية. خاصة أعالى النيل وبالمثل التمساح النيلى Crocodylus niloticus) الذى يعتبر من أكبر أنواع التماسيح الحقيقية الأفريقية وهناك الأفاعى والسحالى والقوارض وكثير من الطيور والحشرات.

أما حيوانات إقليم السافانا فاهمها الزراف المبقعة Giraffa (camelopardalis) والنعامة (Struthio camalus)، وحمار الزرد الشائع (Equus burchelli) والخنزير الوحشى الافريقى (Phacochoerus aethiopicus) وأخيرا نجد العائلة البقرية Bovidae[٢٠] التى تنتشر أنواعها المختلفة فى معظم أنحاء القارة الإفريقية العشبية، بل يعتبر المصريون من أقدم أستأنسها فى التاريخ، والجدير بالذكر أن الجاموس الإفريقى (Syncerus caffer)[٢١] يعتبر من هذه العائلة وهو الذى يعيش فى الأدغال وفى السهول العشبية بجنوب أفريقيا وشرقها من الكيب إلى أثيوبيا و السودان.

وهناك بعض الحيوانات من اللواحم التى تعيش فى أقليم السفانا، ومن تلك نجد الأسد (Felis Leo) والفهد الحبشى (Acinonyx guttatus) والضبع المنقط (Hyaena corcuta) والنمر (Felis pardus) وقط الزباد الأفريقى (Viverra civetta) فإذا أضفنا إلى هذه الحيوانات بعض الحشرات مثل الجراد Locusts(لوحة٢/٤) وذبابة تسى تسى (شكل ٢/٦) لأمكن استكمال الصورة.

أما عن الصحراء فإننا نجد أن الجمل (Camelus dromedarius) – رغم انه دخل أفريقيا من الجزيرة العربية- يمثل أهم معالم الحياة الحيوانية فيها، هذا بالإضافة إلى الجراد- الذى يستوطن الصحراء وينتشر منها إلى ما حولها – وبعض الطيور مثل نسر الغريفون (Gyps fulvus) بالإضافة إلى عائلة الأرانب (Leporidae habessinicuss)، والورل المصرى Egyptian (Monitor) وهو نوع من السحالى الكبيرة.

هذه هى النماذج التى تمثل الحياة الحيوانية فى الصحراء الأفريقية.

هذا والجدير بالإشارة أن هناك بعض الحيوانات واسعة الانتشار فى كل البيئات المشار أليها ولعل من أهمها النعام (Struthio camelus) الذى يمتد فى توزيعه من مصر والسودان لينتشر فوق كل شرق ووسط وجنوب أفريقيا بدون استثناء سوى مناطق الغابات شديدة الكثافة، وهو يجرى عادة فى مجموعات من عشرين فردا ويكون برفقه الحمار الوحشى والتيائل Antelopes.

وقد أصبحت الحياة الحيوانية الطبيعية فى أفريقيا ثروة ليست طبيعية وحسب ولكنها اقتصادية أيضًا لما تساهم به من تنشيط حركة السياحة الرياضية (بالصيد) أو الترفيهية بزيارة حدائق الحيوان المفتوحة (المعازل الحيوانية) التى أخذت تنتشر بكثرة فى شرق وجنوب أفريقيا مثل تسافو ناشيونال بارك فى كنيا تلك الجنة الخلابة على الأرض[٢٢].

البيئة وتفاعلها

تكاد تكون افريقيا هى القارة الوحيدة التى تقع كلها فى نطاق العالم الثالث (خريطة ٢/٨) فهى كلها عدا ليبيا وجنوب أفريقيا تحوى مشاكل هذا العالم سيئ الحظ، ويتبلور ويتبوأر كل ذلك فيما يعرف بالدراسات البيئية، تلك الدراسات التى تدخل فيما يطلق عليه بالإنجليزية عدة مصطلحات منها: Habitat, Environment, Ecology وهى التى مازالت تحتاج إلى ترجمة عربية دقيقة تحدد مفهومها[٢٣].

لذلك فان هذه الدراسات تعتبر هى المحصلة والحصيلة التى تحوى كل نتائج تفاعل مكونات الوجود الطبيعى بما فيه الحيوى، ولهذا كانت ضرورة قراءة، ودراسة هذا الجزء من الكتاب، ومع وفى أثناء؟ قراءة كل فصوله، وكيف؟ طبعا صعب ، ولكنه ليس مستحيلا وما الهدف من ذلك إلا محاولة الوصول إلى فهم شبكة مكونات الوجود المتفاعلة باستمرار، إنها حركة للمادة والطاقة (مظهرى الوجود الواحد) فى الزمكان[٢٤].

والآن.... دعنا نبدأ، البيئة – فى الحقيقة- هى كل ما يحيط بالإنسان خاصة من الظروف الطبيعية والحيوية، وقد شغل موضوع تفاعل البيئة، الفكر الإنسانى كثيرا خلال القرن ١٩ ومازال للآن، وقد كان من نتيجة ذلك ظهور

فكرة التطور (داروين ١٨٥٩، ١٨٧١) وما تبعها من أفكار طبيعية (اينشتين ١٩٠٥، ١٩١١) وبشرية (هنتجتون ١٩٢٧).

والحق أقول أنه لوحظ ربما لأسباب بعضها معروفا، وجود علاقة بين المناخ وبين النشاط الاندفاعى لدى سكان المناطق الباردة والعاصفة، والخمول الذى يتميز به سكان المناطق الحارة، كما لوحظ وجود علاقة بين الفروق الجسمية وبين العوامل الجغرافية والمستوى الاقتصادى والاجتماعى والتغذية مما لا يبقى معه مجالا للشك فى قدرة الكائن البشرى على الاستجابة (السريعة أو البطيئة) للفروق البيئية ضمن إمكانياته الوراثية الموهوبة.

وقد كان من نتيجة ذلك، ما قامت به الظروف الطبيعية من دور حاسم فى عمليات الاستيطان التى تمت فى أفريقيا (جنوب وشرق وشمال القارة) على مراحل وفى فترات زمنية متلاحقة، لم تحددها فقط ظروف الغزو العسكرى، والفتح السياسى، بل أيضًا ظروف البيئة خصوصا الأحوال المناخية، ورغم أن الرجل الأبيض يستطيع أن يستقر فى المناطق الحارة وأن ينجح فى حياته إذا ما اتخذ بعض الإجراءات الوقائية فى مجالى الصحة والتغذية، إلا أن الواقع يشير إلى أن معظم الأوربيين يفضلون الاستقرار فى مناطق مناخية أبرد من المناطق الاستوائية أو المدارية.

والحقيقة أن هناك علاقة بين إنتاج الغذاء واستنزاف الموارد الطبيعية، كما أن هناك علاقة قوية بين الغذاء كمًا ونوعًا وبين مستوى المعيشة(جدول ٢/٤)

جدول ٢/٤- العلاقة بين بعض الموارد الطبيعية ومستوى معيشة السكان

نوع الغذاء	احتياجه من المياه	درجة التقدم	استهلاك الفرد من اللحوم
كيلو جرام واحد من اللحم البقرى	١٥ متر مكعب من المياه	فى دول الشمال	٨٠كجم/سنة
كيلو جرام واحد من حبوب	عشرة متر ٣ من المياه	فى دول الجنوب	٢٩كجم/سنة

ولم يكن هذا غريبا فى الواقع على التفكير العلمى الذى تأثر بالفكر التطورى – كما ذكرنا- والذى ارتبط أساسًا باختلاف المكان(الجغرافيا) وبعمق

الزمان(التاريخ السحيق)، ولهذا لم يكن غريبا أن تقول ألن ساميل (١٩١١) أن الانسان من نتاج سطح الأرض، وهذا يعنى ليس أنه مجرد ابن الأرض، تراب من ترابها بل يعنى أن الأرض رعته وخدمته وهيأت له أعماله ووجهت أفكاره، وجابهته بالصعاب التى قوت جسمه وشحذت تفكيره، وأعطته سُبل حل مشاكله فى الملاحة والرى....، وفى الجبال منحته عضلات أرجل، من حديد ليصعد المنحدر، وعلى طول الساحل تركت هذه العضلات مرتخية، ولكن عوضته عنها بصدر واسع وذراع قوية يحرك بها المجداف[٢٥].

من هذا يتضح أنه ليس هناك خلاف كبير بين الفكر الجغرافى وبين نتائج الدراسات البيولوجية، التى تصور فى الحقيقة نتيجة تفاعل عناصر البيئة المختلفة، فقد ألقت بحوث هيرنيو Hiernaux,J(١٩٧٢-١٩٧٦) البيولوجية على بعض الجماعات الأفريقية المختلفة التى تعيش فى نطاق وسط أفريقيا من الأقزام وزنوج البانتو ومقارنتهم بهؤلاء المنحدرين من مجموعة غرب أفريقيا(الزنوج الخلص= السودانيون)، كثيرا من الضوء وكثير من الصفات الأنثروبولوجية خاصة القامة ولون البشرة(الفاتح)[٢٦].

حيث أتضح أيضًا أن نمط التغذية عند سكان الغابات جيد مثل سكان السافانا بما فى ذلك الأقزام والمتقزمين Pygmies and pygmoid، لذا فإن حجم أجسامهم ليس لها علاقة بالتغذية بل غالبا بظروف البيئة من المناخ الحار الرطب وكذا الوراثة، كما كشفت عن الترابط بين معامل الوزن الخفيف جدا ومساحة سطح الجسم very low wight/surface ratio وبين النمو القوى للعضلات أى قدرة العمل العالية كما كشفت بحوثه أيضًا عن قدرة المقاومة البيولوجية المتلائمة مع البيئة[٢٧].

وقد اتفقت مع هذه النتائج، نتائج الدراسات والبحوث الفسيولوجية وعلاقتها بالبيئة[٢٨] المتعلقة بالأيض وهو التمثيل الغذائى (الميتابوليزم) وبنية الجسم.ومن الدراسات الرائدة فى العلاقة بين البيئة وبناء الإنسان دراسة J.R de.la H.Larett التى صدرت عام ١٩٣٥ بعنوان Race, sex and environment;

وهناك دراسات أخرى حديثة وتطبيقية على أفريقيا مثل تلك التى ألفها عن البيئة والتغذية والتى نشرت خلال سلسلة دراسات الجغرافيا الطبية التى مازالت تنتشر منذ عام ١٩٥٨، وغيرها من الدراسات الأنثروبولوجية[٢٩].

ويقوم التوازن بدور ملموس فى الاستقرار البيولوجى للبيئة، ذلك الذى يسبب حدوث خلل فيه(شكل ٢/٧) ظهور كثير من الأمراض التى تصيب الإنسان، والتى تعمل عوامل ايكولوجية عديدة فى كثير من مناطق أفريقيا على انتشارها، أو بالتالى الحد منها، يلاحظ ذلك من خلال دورة حياة طفيل الملاريا (شكل ٢/٨) مثلا.

هذا وقد أصبحت الأنثروبولوجيا الطبية Medical Anthropology من الدراسات المعتنى بها من جانب الأنثروبولوجيين الإيكولوجية والتطبيقيين بجانب الباثولوجيين أيضًا وهى بحق جديرة بأن تبحث من خلالها مشكلات عديدة تواجهها القارة الأفريقية، كسوء التغذية، وأمراض البيئة، ومشكلات الصحة العامة(شكل ٢/٩)، مع ما يصاحب ذلك من محاولة الاستفادة من المعتقدات والعادات الوطنية فيما يتعلق بالتشخيص والعلاج، وهى موضوعات يمكن للأنثروبولوجى أن يكون له رأى فيها خاصة إذا كان من مواطنى القارة ذاتها، حيث يكون فى وضع أفضل للقيام بدراسات مماثلة لأخرى أجرت ولكن بنظرة متباينة[٣٠].

ورغم أن الأمراض التى ترجع إلى عوامل البيئة فقط قليلة نسبيا، إذا ما قورنت بالأمراض المعدية والوبائية(خريطة ٢/٩) أو تلك الوراثية أو العقلية أو تلك المتعلقة بنقص من عناصر الغذاء، فإنه مازال هناك مجال كبير لدراسة الأمراض البيئية [٣١] (خريطة ٢/١٠)، وربما تعتبر أمراض المناطق الحارة وطبها خير دليل على ذلك، ويظهر ذلك بوضوح مع الملاريا [٣٢].

جدول٢/٥- يوضح العلاقة بين إصابات الملاريا وبين الخلية المنجلية بين عدد ١٧٢ من اليوروبا(أطفال المدارس)[٣٣].

صفة المنجلية	ملاريا عدد	موجب %	ملاريا	سالب %
خلية منجلية	٤٥	٨٣و٣٣	٩	١٦,٦٧
غير...	٩٨	٨٣,٠٥	٢٠	١٦,٩٥
الجملة	١٤٣	٨٣,١٤	٢٩	١٦,٨٦

ويبدو أن للبيئة دور كامل فى التحكم فى كثير من أمراض المناطق الحارة ومنها الملاريا (جدول٢/٥) وكذلك أمراض سوء التغذية التى منها مرض الكواشيركور (لوحة ٢/٥) الذى يرتبط مع نقص البروتين والسعرات الحرارية من الغذاء[٣٤] Protein-calorie malnutrion (PCM)، وهى أمراض كثيرًا ما تنتشر بصفة دائمة فى معظم الدول الأفريقية خاصة فى المجتمعات التى تتعرض للكوارث الطبيعية المسببة لنقص إنتاج الغذاء، مثل ما حدث فى إقليم الساحل وفى أثيوبيا (لوحة٢/٦) والصومال فى النصف الأول من عقد سبعينات القرن الحالى عندما تعرض للقحط الشديد الذى تسبب فى حدوث كثير من الحالات المرضية وحالات الوفيات بين الانسان والحيوان(لوحة٢/٧).

ويزيد من قسوة الحياة نتيجة قلة التساقط غير المتوقع فى بعض المناطق، كما حدث وتكرر فى إقليم الساحل فى غرب أفريقيا[٣٥]، النزاعات السياسية التى كثيرًا ما تحدث بين قوى داخلية بتشجيع من بعض الدول الكبرى أو أتباعها، مما يخلق مشكلة لاجئين(تشاد أوائل ١٩٨٠)، تتفاوت قسوتها مع الحرمان الذى يعانيه الأهالى خاصة النساء والأطفال (الذين لا يستطيعون التحرك طويلا ولا بعيدا) مما يهدد كيان الإنسان الإفريقى فى كيانه المادى والفكرى والصحى(مشكلة اللاجئين فى الصومال، فى هرجسية فقط أكثر من ٩٠ ألف فى حرمان دائم).

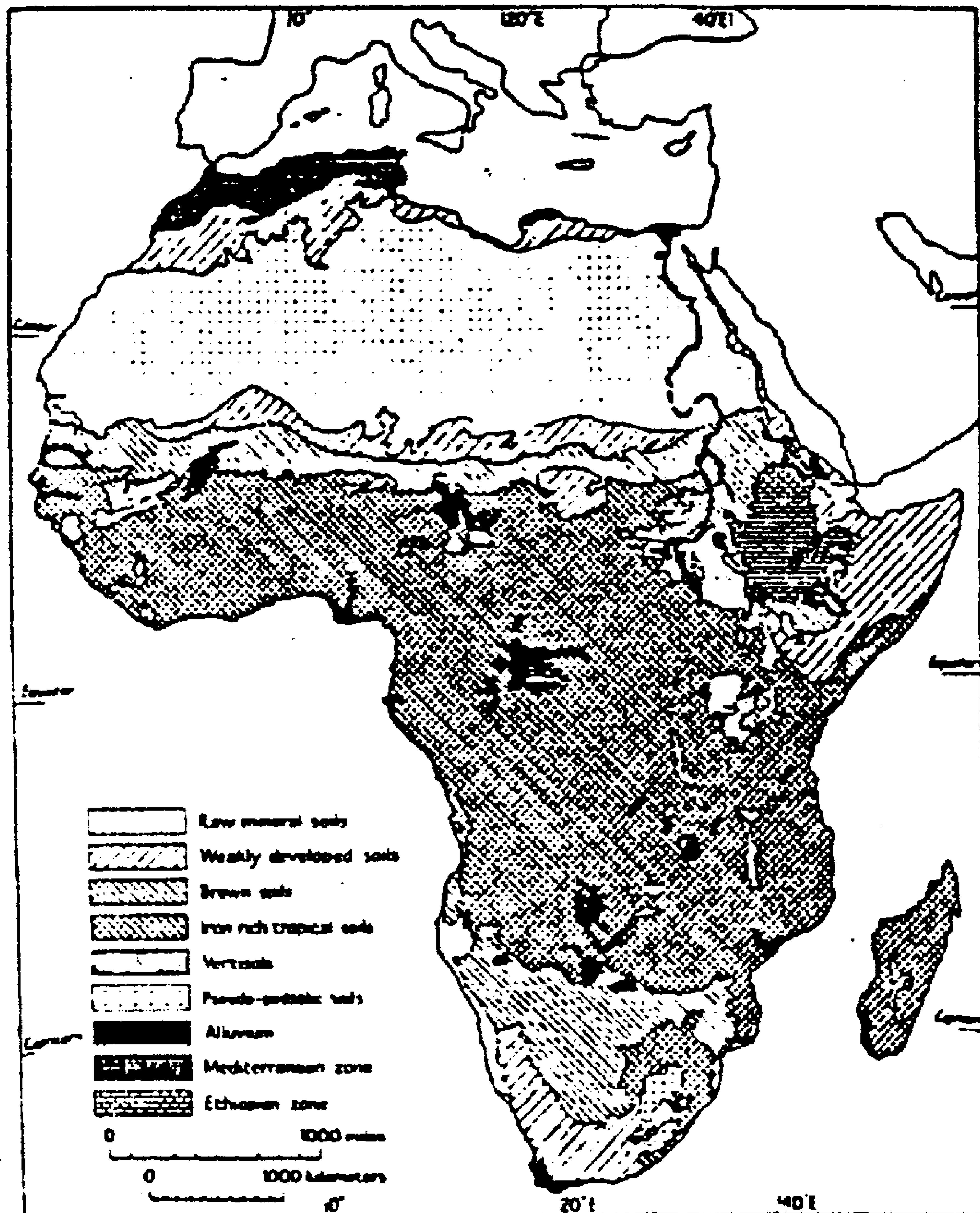
ومن المحزن أنه كثيرًا ما ترتبط أمراض سوء التغذية بالأمراض العصبية والعقلية، إذ ثبت أن ثمة وجود ارتباط بين مرض الكواشيركور وبين التخلف العقلى[٣٦]، مما يهدد كيان الإنسان الأفريقى فى قدراته بل فى وجوده سليما

معافا، لذا كان واجبا العناية والاهتمام بتغذية الأطفال(لوحة١٠) خاصة فى مرحلة فترة النمو، واعتبار هذا الموضوع من الأمور ذات الأهمية القومية وله الأفضلية والأولوية عما عداها من الموضوعات محل الاهتمام فى الدول الأفريقية.

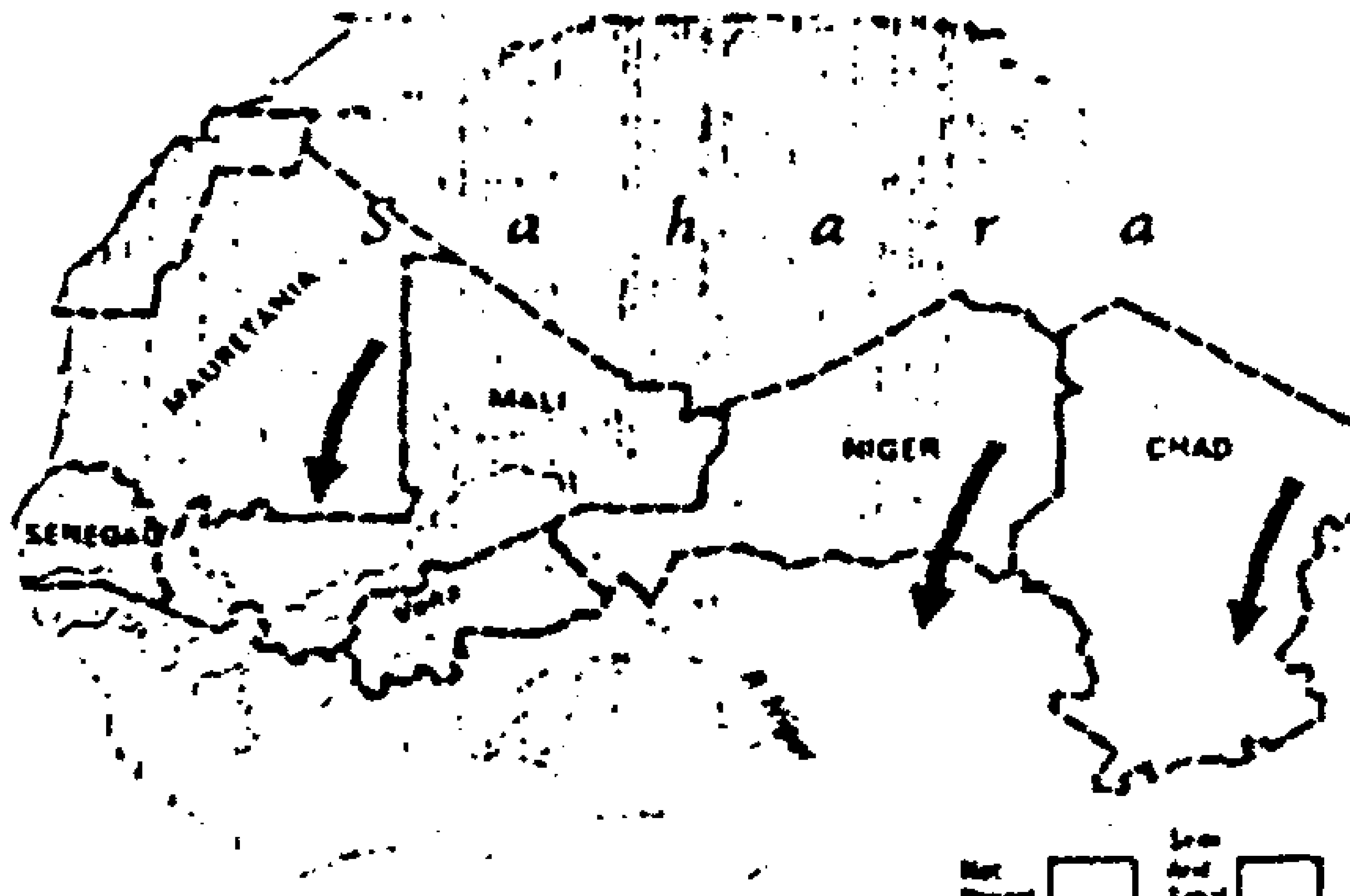
ومن المؤسف أن استغلال أفريقيا لم يقتصر على نهب ثرواتها الطبيعية والبشرية طوال العصور والعهود بل وتطرق إلى مجال الطب حيث جعلوا من إنسانها وحيوانها ميدانا خصبا للتجارب، ولكن أفريقيا ظلت عطاءة معطاة فلم تبخل بل وساعدت العلماء ومازالت على اكتشاف الكثير من أسباب الأمراض القاتلة والوبائية، لم يكن أولها الملاريا والتيفويد والباراتيفويد، وبالطبع لن يكون آخرها مرض الإيدز، ذلك الذى يشل المناعة ويعجل بموت صاحبه ومجتمعه.

هذا بالإضافة إلى الكوارث التى تهدد البشر بسبب التوسع فى قتل أشجار الغابات، والتوسع فى مد خطوط الكهرباء ذات الجهد العالى والفائق وهى أمثلة قليلة لما يتهدد الإنسان فى حياته المستقبلية.

أشكال الفصل الثاني



Map 1/2- the soils of Africa (After D'Hoore)



خريطة ٣/٣ ــ اتجاه التصحر وزحف الصحراء في غرب افريقيا

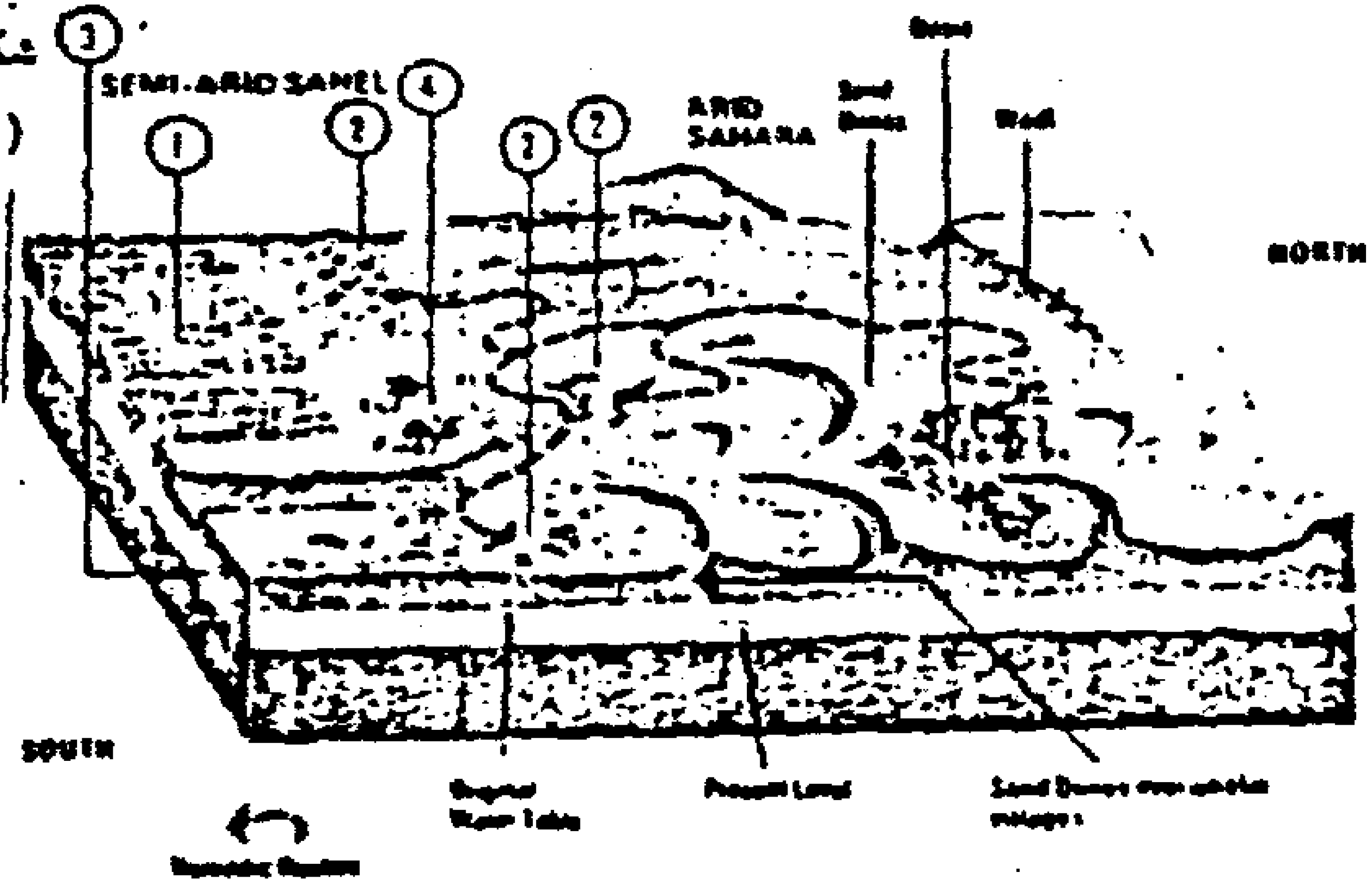
(من ماكلين و توسون)

شكل ٣/٧ ــ اسباب التصحر وزحف الصحراء

(من ماكلين و توسون)

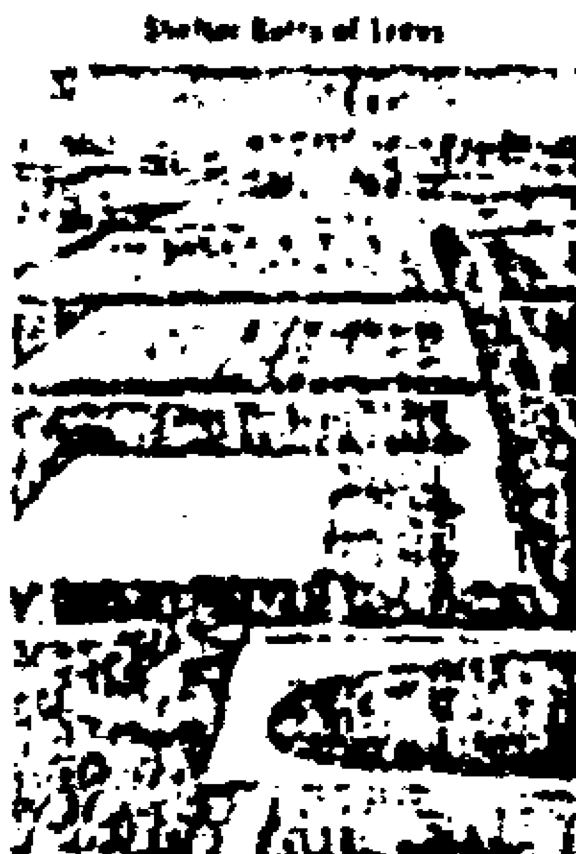
Reasons for advancing Sahara:

1. Monoculture of crops such as millet, sorghum year after year with no rotation and no manure.
2. Overgrazing of limited pasture by increasing numbers of cattle thanks to veterinary advances.
3. Lowering of the water table.
4. Cutting down of trees for fuel and shelter.
5. Prolonged drought.
   Although Sahara was once wetter, a severe drought has been most marked in this area of variable rainfall.



Soil Conservation Methods

Shelter Belts of Trees



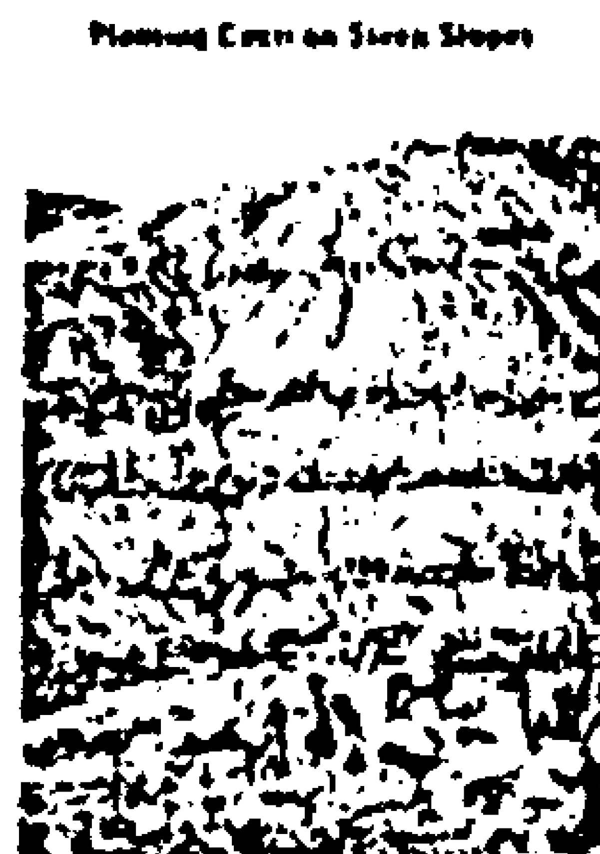
Stabilising Sand Dunes



Contour Ploughing

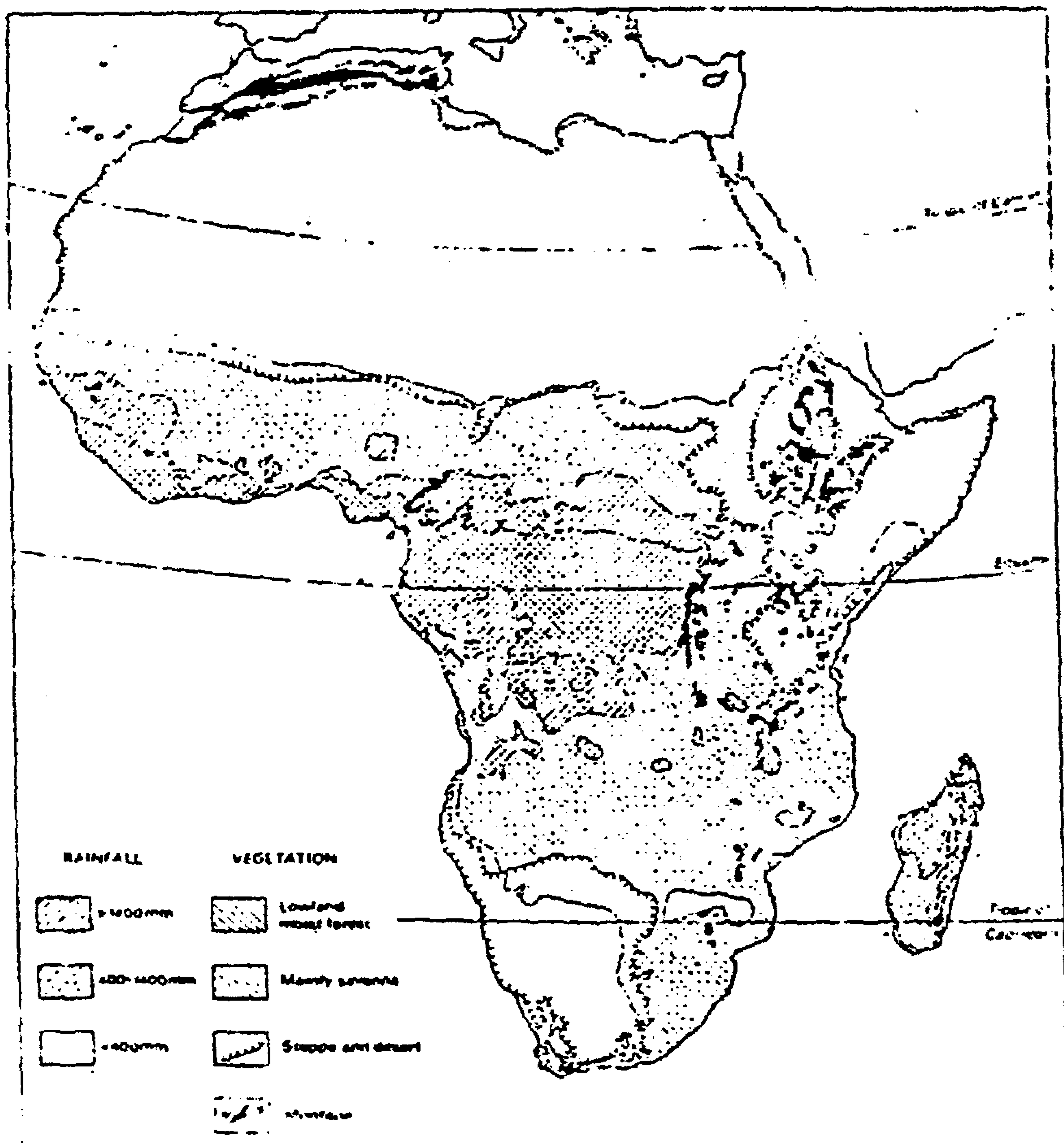


Planting Cover on Steep Slopes



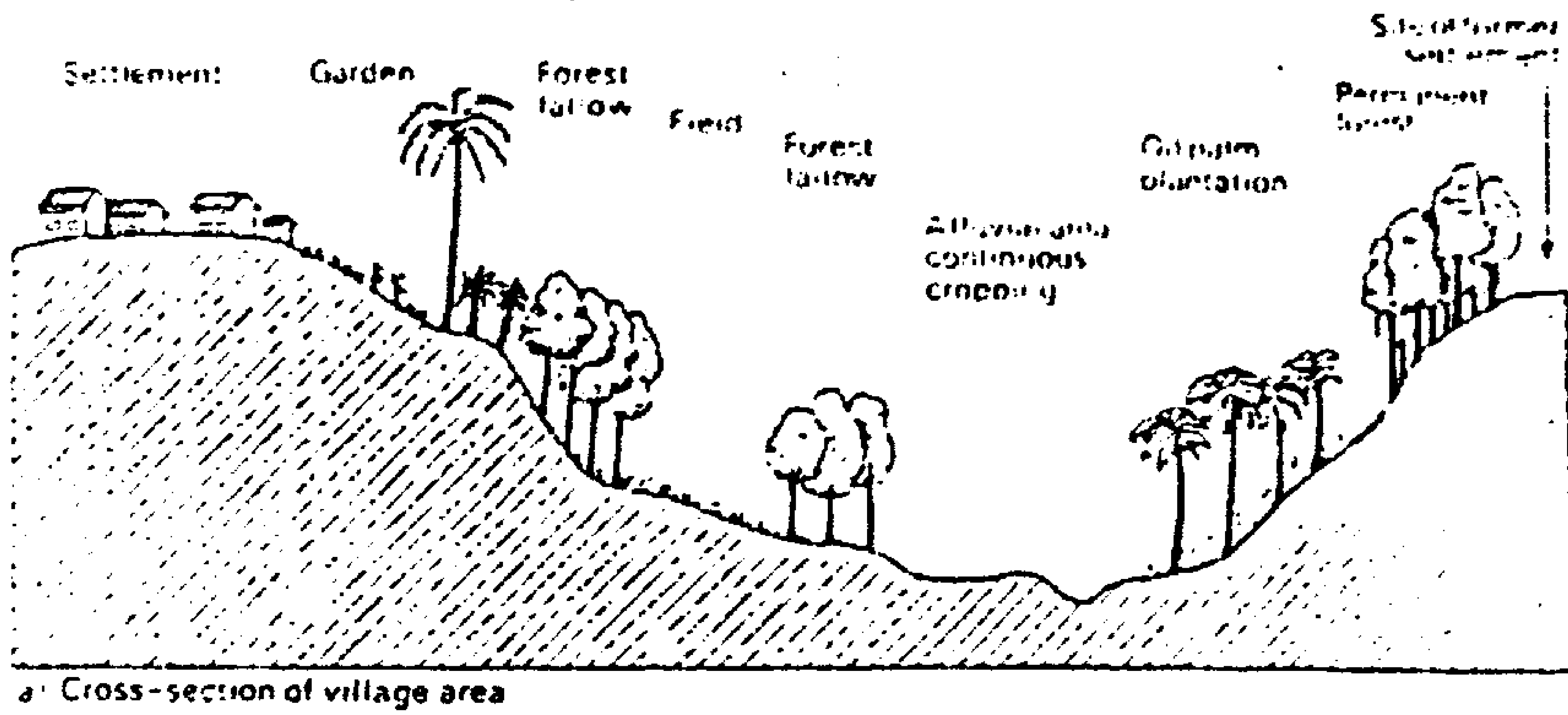
(من ماكلين و توسون)

شكل ٢/٢- أنماط المحافظة على التربة

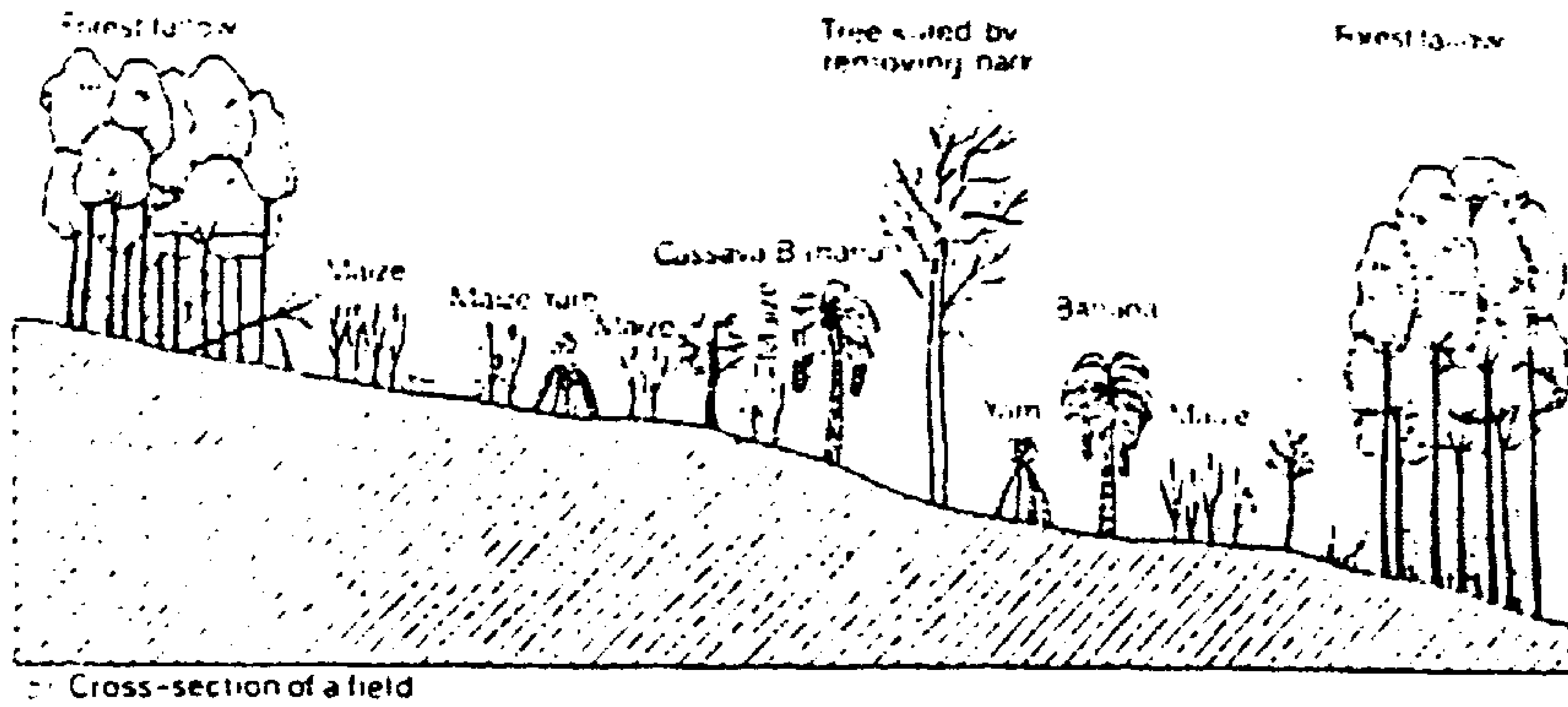


ep .2/2 *Vegetation in relation to rainfall. Lowland moist forest is confined to areas with a mean annual rainfall of over 1400 mm (56 in). The steppe and desert areas receive less than 400 mm (16 in). Between them lies savanna with montane vegetation above about 1500 m (5000 ft).*

خريطة ٢/٣- توزيع النباتات الطبيعية فى أفريقيا



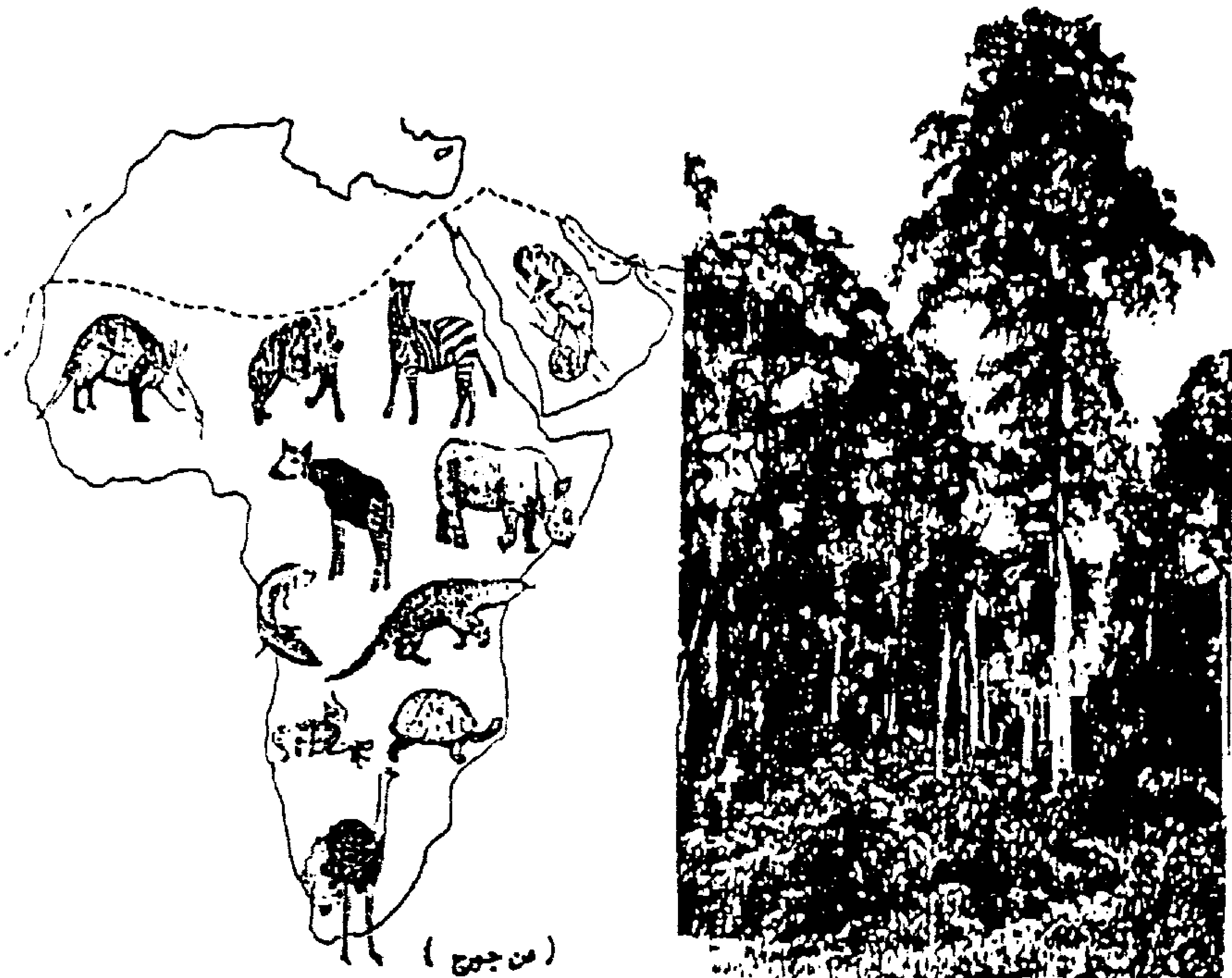
a) Cross-section of village area



b) Cross-section of a field

(عن جروف وكلين)

شكل ٢/٣- قطاع مستعرض فى منطقة زراعية فى الغابات المدارية فى الكنغو

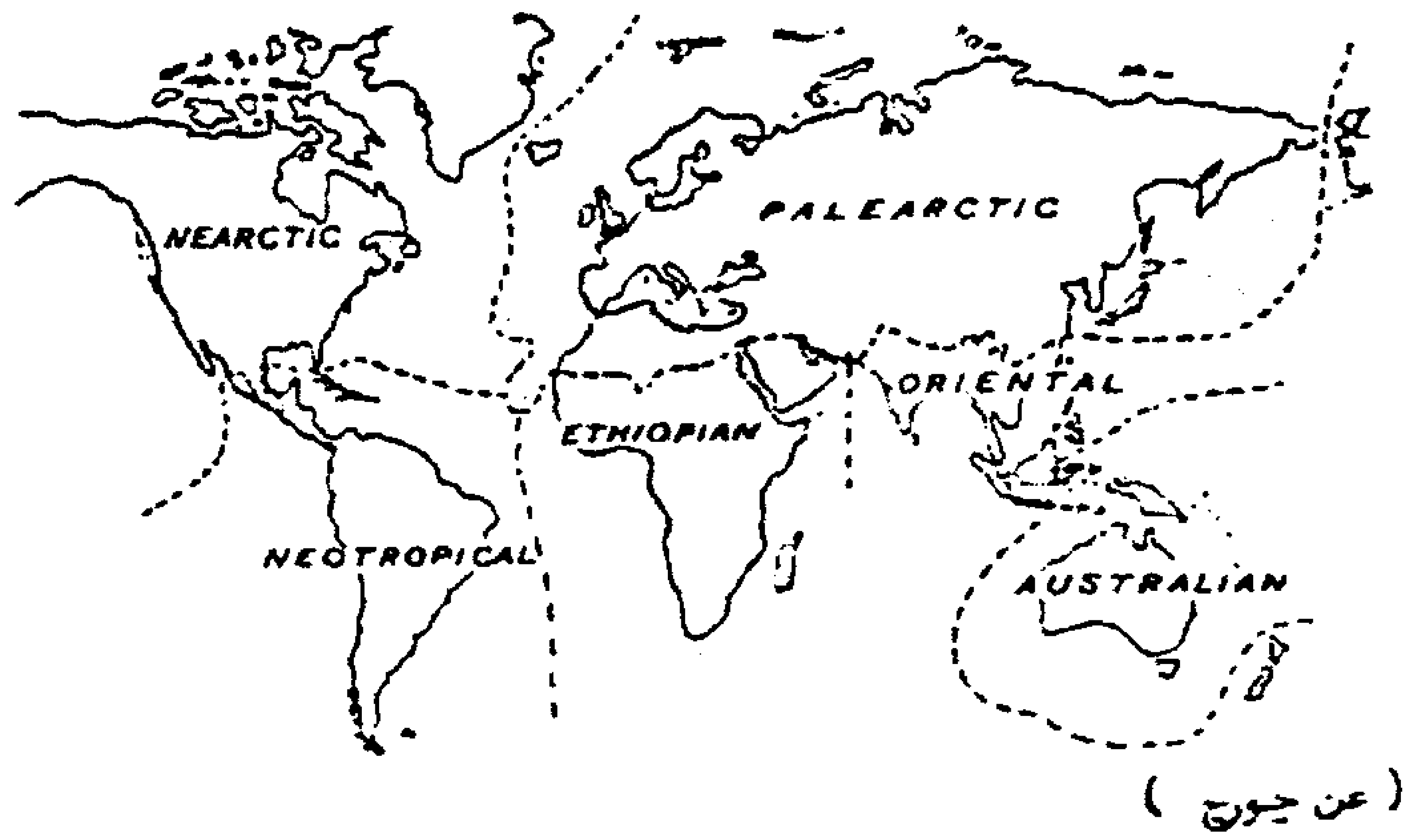


(من جورج)

خريطة ٢/٤ ـ بعض نماذج من حيوانات أفريقيا

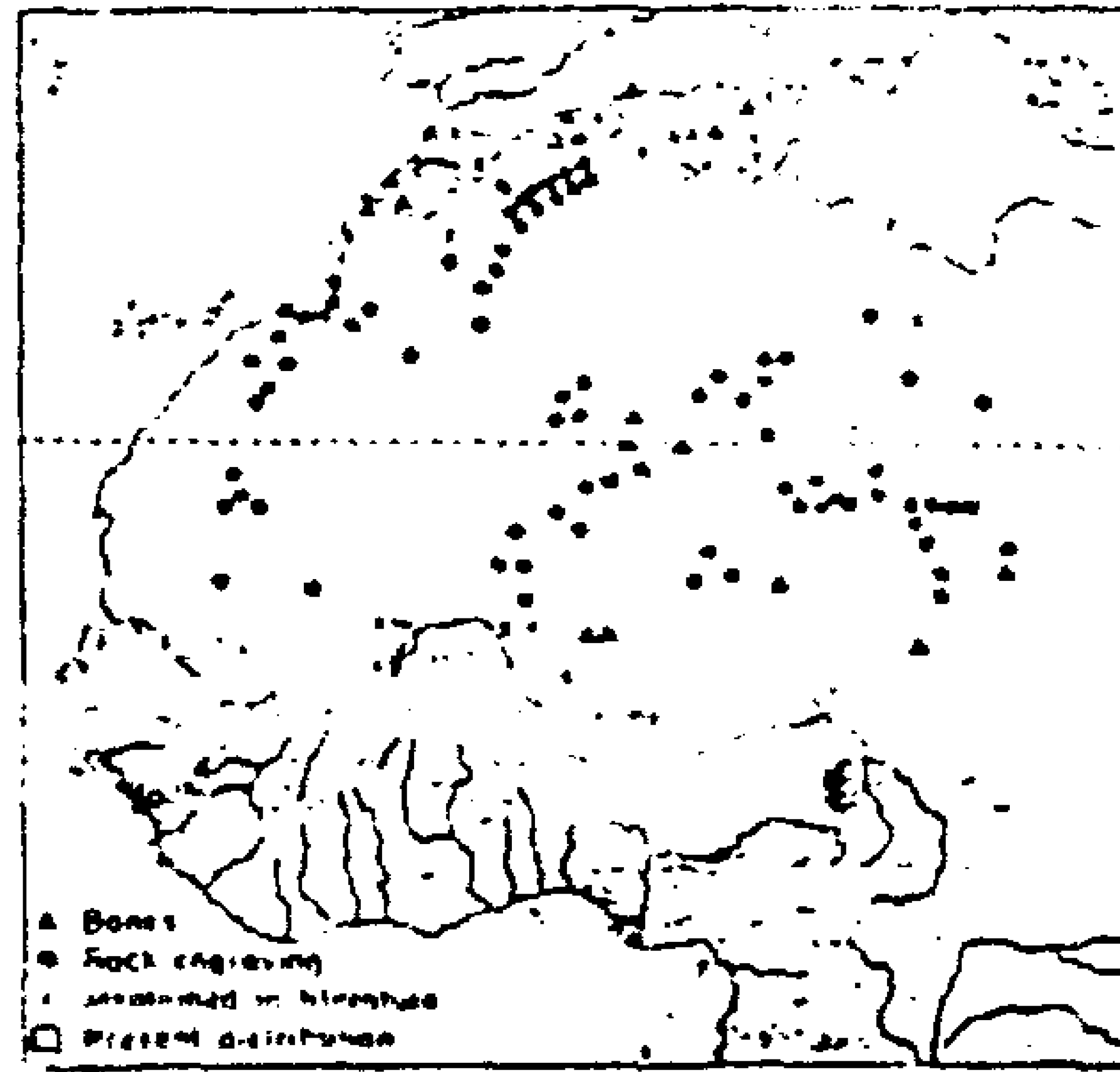
(عن جرف وتلين)

لوحة ٢/١ ـ نماذج من نباتات الغابة المدارية في جنوب نيجيريا

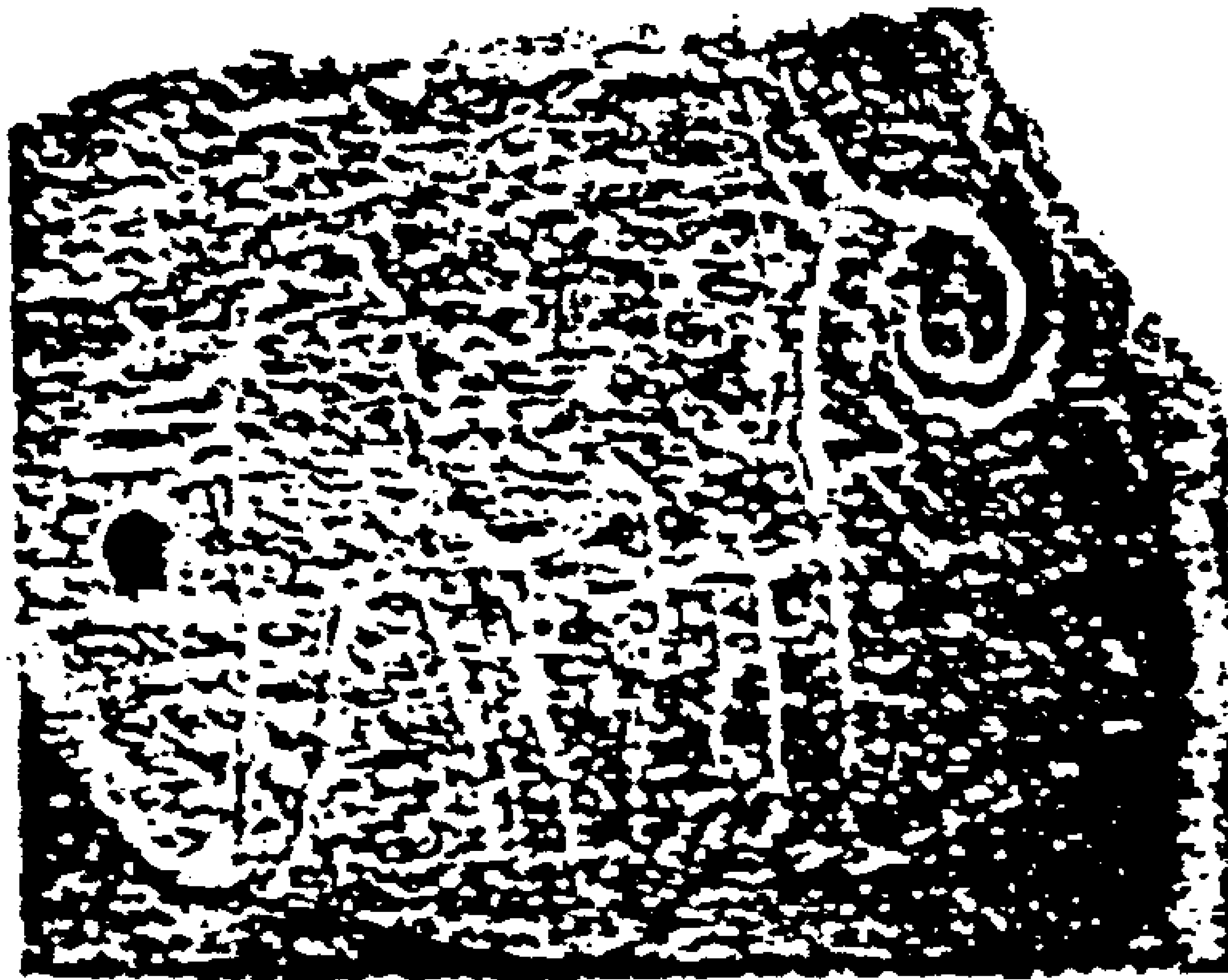


(عن جورج)

خريطة ٢/٥ ـ الأقسام الحيوانية الرئيسية فى العالم



خريطة 6/2 *Elephants in the Sahara. The distribution of elephants in the Sahara at present and earlier times is shown in this map by R. Mauny ('Répartition de la grande "faune éthiopienne" du nord-ouest africain du Paléolithique et à nos jours',* Proc. 3rd Pan-Afr. Cong. Prehist., *Livingstone 1955, 102-5) Increasing aridity in the last 7000 years plus hunting are the main reasons for the reduction in the area where they are found.*



Plat.2/2 *Saharan engraving of an elephant on volcanic rock in the wadi Ganoa in western Tibesti. The climate there now is far too dry for elephant and other savanna animals.*

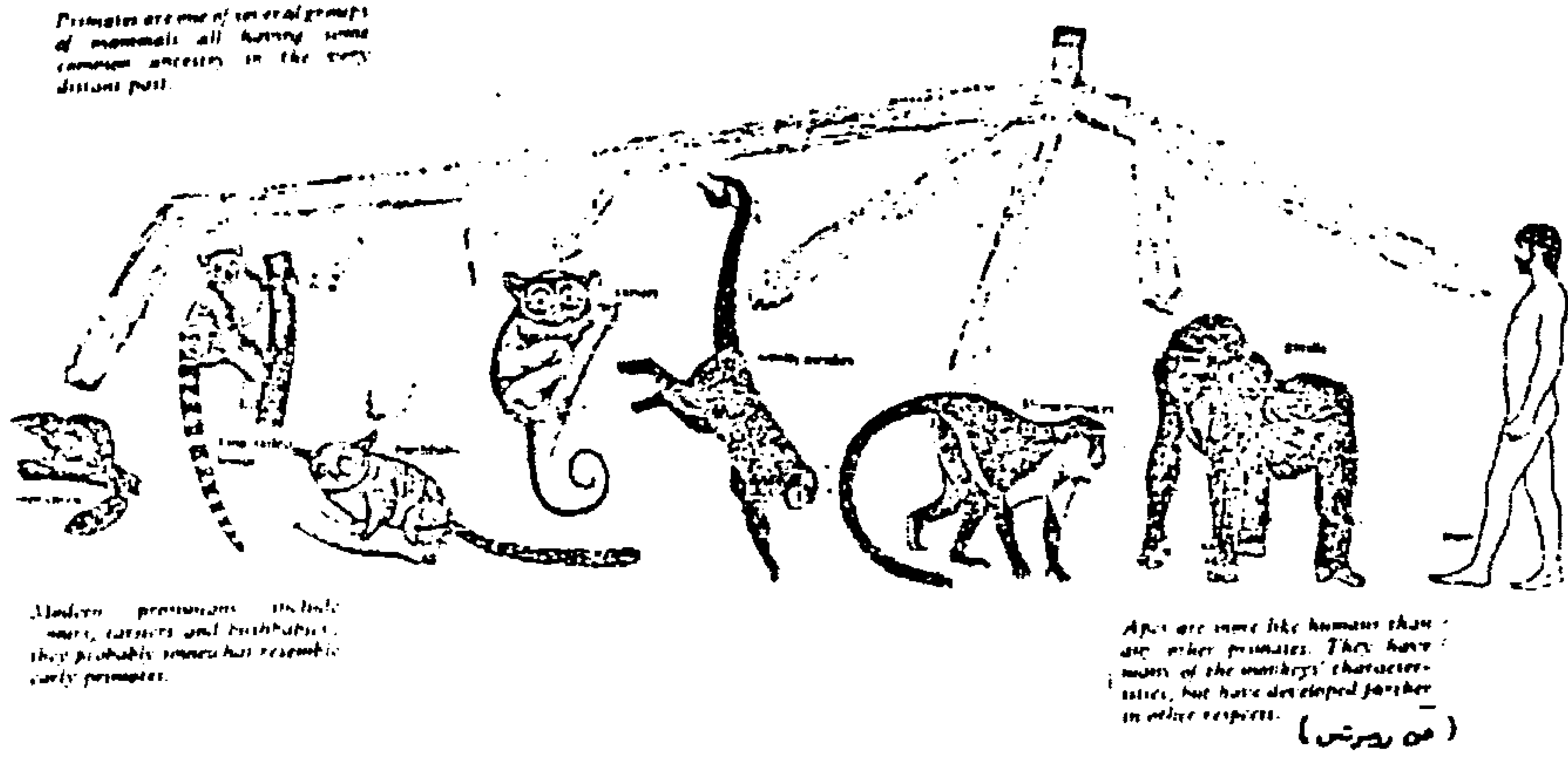


Photo by Sebastian

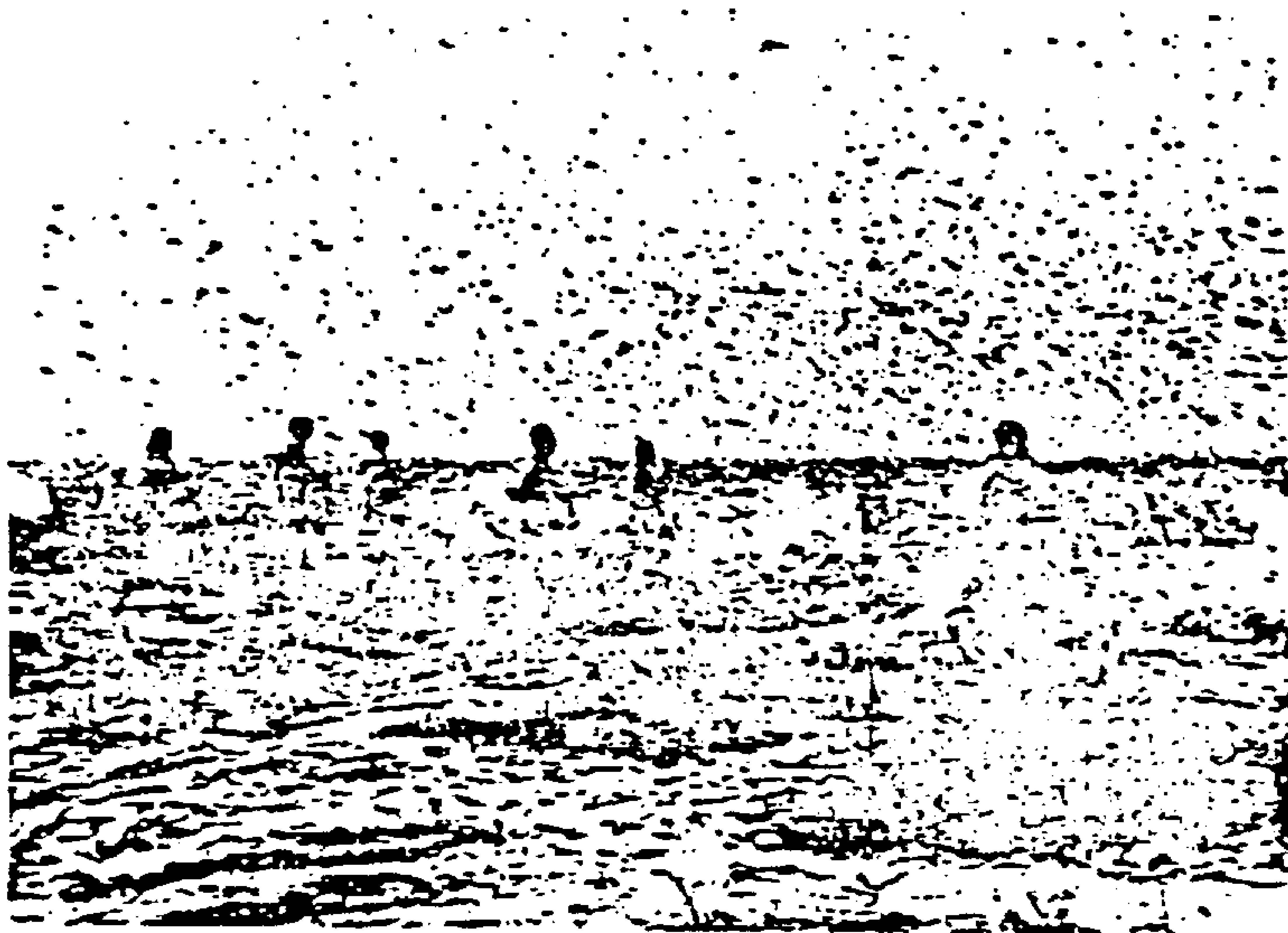


Hellman, from Monkmeyer Photo Press Service

Plat.3/2 Chimpanzees.



شكل ٢/٤- نماذج من الرئيسيات يقال أنها كانت خطوات الوصول للإنسان



Millions of Locusts swarming over fields

True branches snap under the weight of Locusts



(عن ماكلين و تومسون)

لوحة ٢/٤- خطورة انتشار الجراد على المزروعات في أفريقيا

شكل ٢/٥ ـ ذبابة تسى تسى فى افريقيا
(عن ماكلين و توسون)

(عن ماكلين وتوسون)
خريطة ٢/٧- امتداد دول العالم الثالث

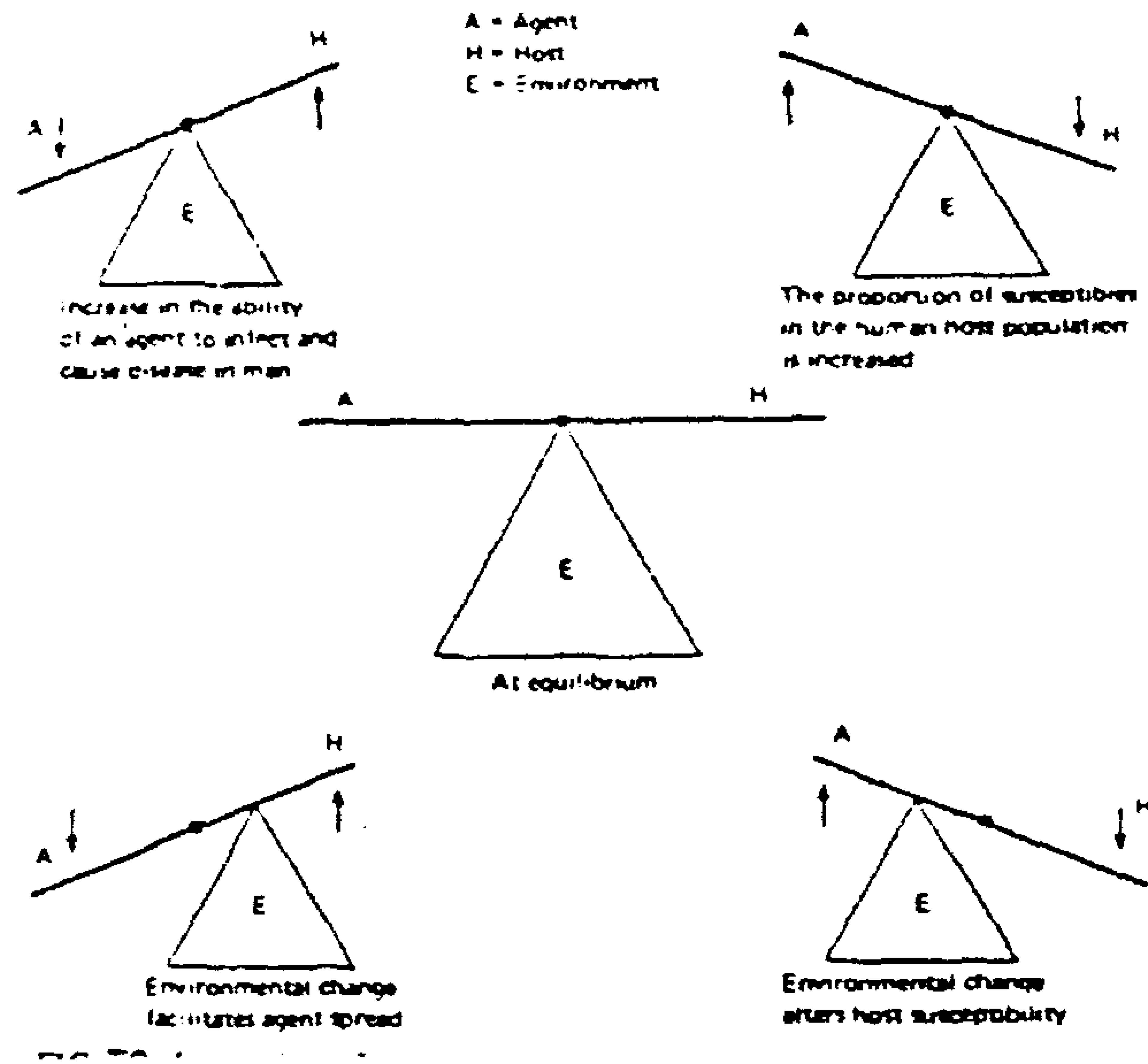
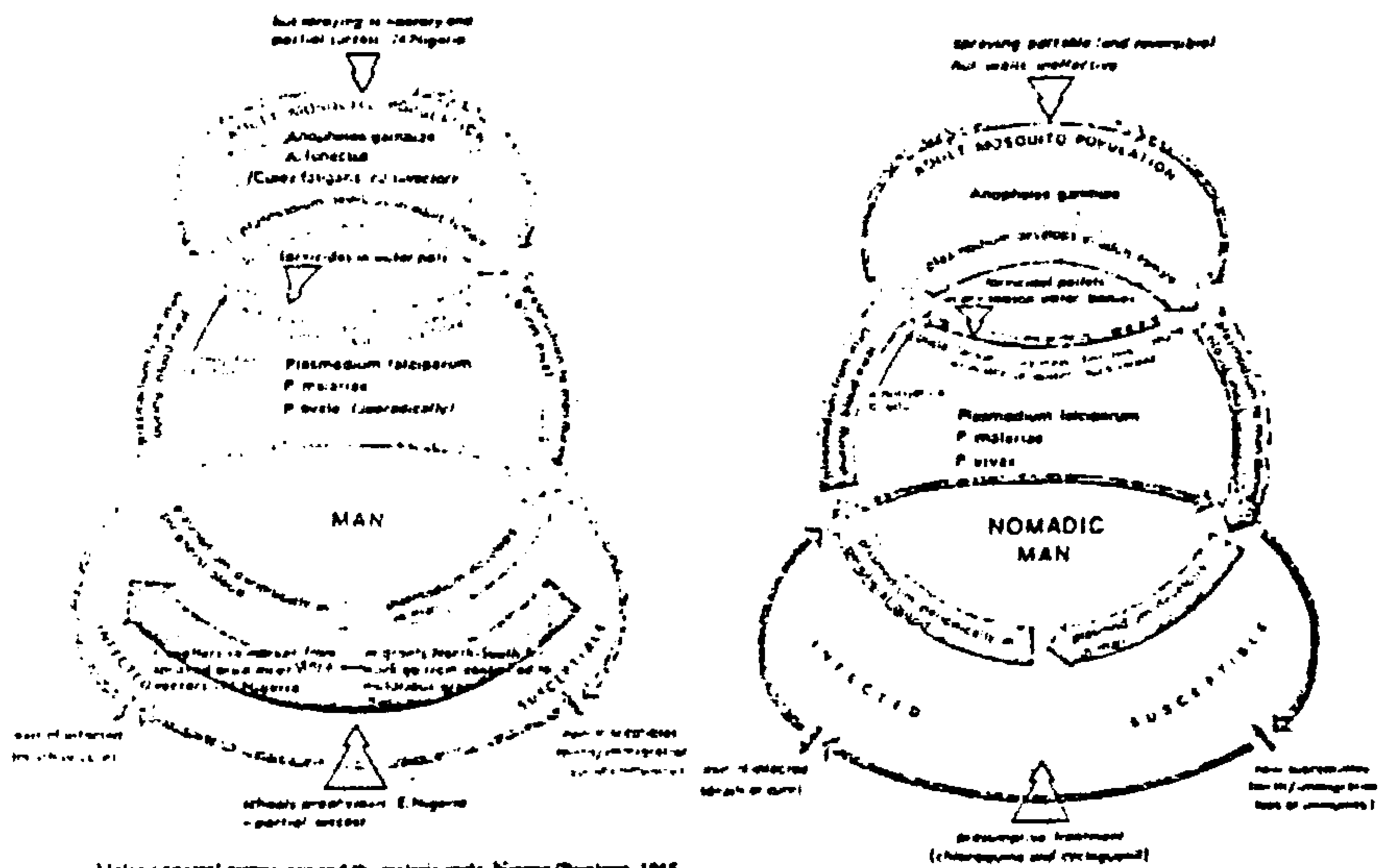


Fig.6/2. Interaction of agent, host, and environmental Factors, A= agent, H= host, E= environment

(عن فوكس)



Malaria control campaigns and the malaria cycle: Nigeria (Prothero, 1965, Bruce-Chwatt et al., 1955–56, Archer, 1965; Bruce-Chwatt, 1957; Dukes, 1966).

Malaria control campaigns and the malaria cycle: Somalia (W.H.O., 1965).

شكل ٧/٣ــ العوامل المتحكمة فى دورة انتشار الملاريا فى كل من نيجيريا والصومال

A Geographical Classification of Disease

Causes of Death and Illness in Developed Areas

Cancer

Arteriosclerosis

Accidents

Mental Disorders

Diseases of the Less Developed Countries

Diet Deficiency Diseases

Kwashiorkor
Beri-Beri
Scurvy
Pellagra

Endemic Diseases
i.e. Diseases constantly present

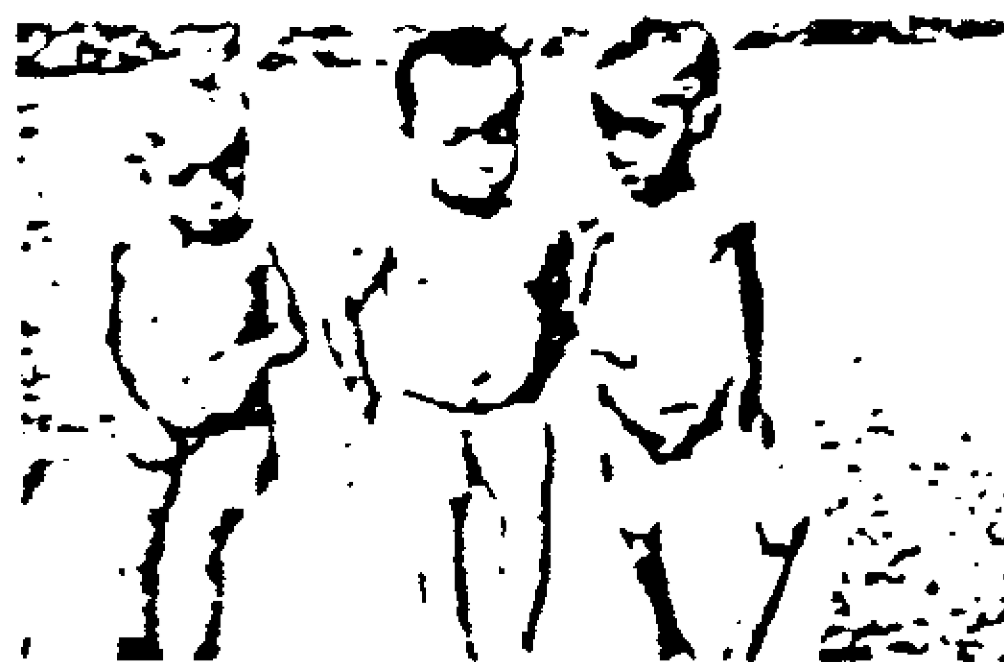
Malaria
Sleeping Sickness
Yaws
Leprosy
Tuberculosis
Bilharzia
Intestinal Worms

Epidemic Diseases

Cholera
Yellow Fever
Smallpox
Typhus

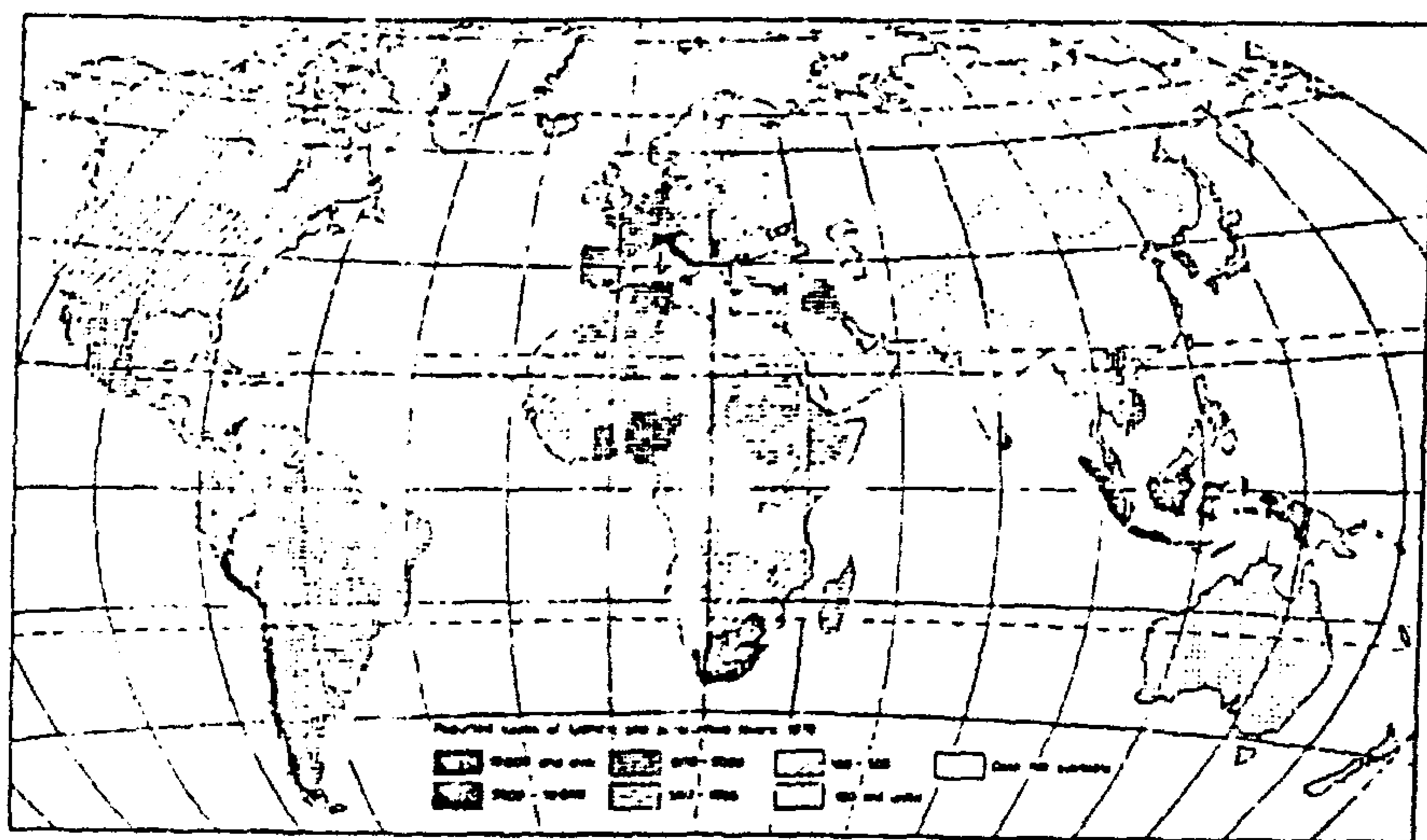
(عن ماكلين و تومسون)

شكل ٨/٢ ــ فى افريقيا تظهر معظم الأمراض المعروفة



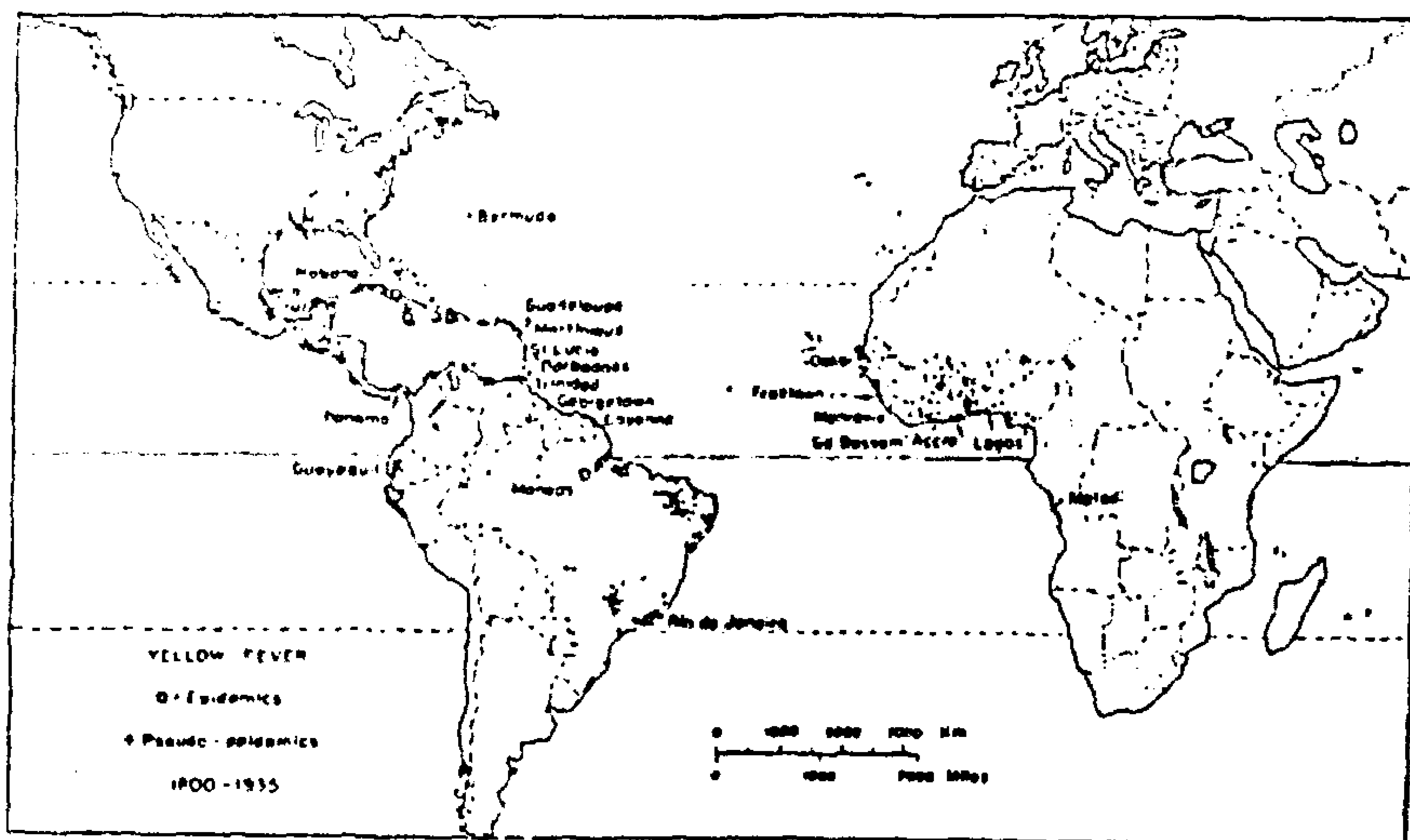
(عن ماكلين و تومسون)

لوحة ٥/٢ـ مقارنة بين أطفال مريضة و طفل سليم



Map.8/2-Reported cases of typhoid and paratyphoid fever, 1970.

(عن هوى)



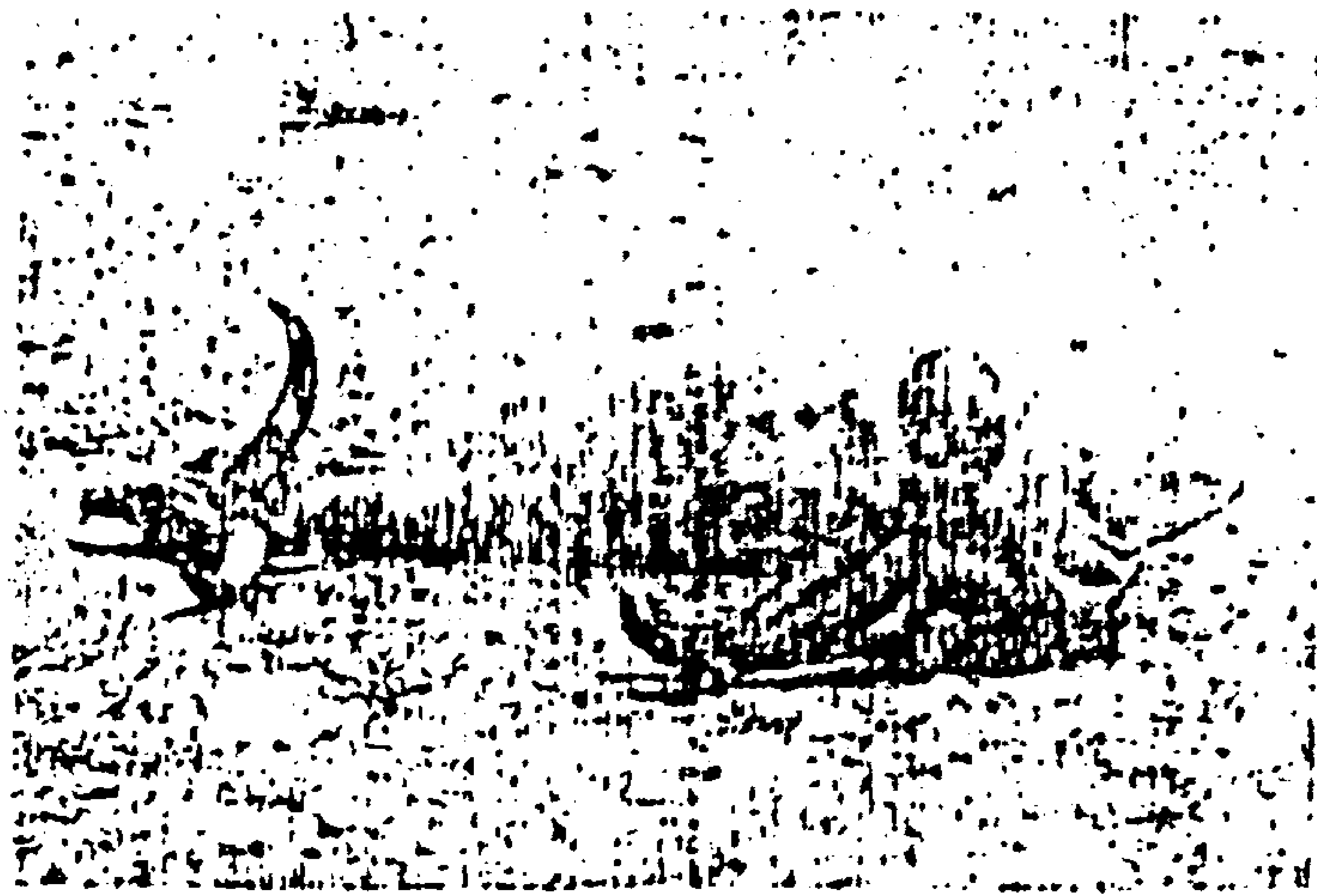
Map.9/2-Delineation of epidemic yellow fever areas, 1935. (From *Yellow Fever* by George K. Strode, ed. Copyright 1951, McGraw-Hill Book Company. Used with permission of McGraw-Hill Book Company.)

(عن فوكس وآخرين)

لوحة ٢/٦- من آثار الجفاف والجوع فى أثيوبيا ١٩٧٤

(عن جاردنز)





لوحة ٢/٧- هزال الأطفال ونفوق الحيوانات نتيجة للجفاف
والجوع فى غرب أفريقيا ١٩٧٤



(عن ماكلين وتومسون)
لوحة ٢/٨- محاولة علاج سوء التغذية بجرعات من الألبان الجافة

حواشى الفصل الثانى

(١) يوسف تونى: معجم المصطلحات الجغرافية، القاهرة، دار الفكر العربى، د.ت ، ص١٠٩

(2) Stamp, Dudley L and Morganm W,T.W: Africa; a study in tropical development,3 rd,ed London, john Wiley 1972,p89.

(3) D'Hoore,J.L.: Soils Map of Africa, Lagos, Comission for Technical Co-oparation in Afrrica, 1946,p.20.

(4) Stemp.D and Morgan, W.T.W: Africa, p.92.

(5) Bucakman, H.O and Brady , N.C.: The Nature and properties of soils. 7th ed London, collier macmillan,1969, p.593.

(6) Gore, Rich et al.: The desert, National Geogr,vol,156,No,5, Mov.1979,p.586-639.

(٧) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: أفريقيا، ص١٨٦،١٨٥

(8) Hill, Albert F.: Econmic Botany; .a textbook of useful plants and plant prodcts 2nd .ed, New Delhi, Tata Mavmillan Hill,1079,p3-5

(9) Polurin, Nicholas: Introduction to plant geography; and some related sciences,London, Longman,1971,19-17.

(١٠) راجع خريطة الأقاليم النباتية الكبرى فى أطلس جين افريك ، ص٣٩

(١١) طبيعيا هى نباتات الإقليم الصينى(ذو الفصل الجاف الشتوى، أى عكس البحر المتوسط) ولكنها تأقلمت فى اقليم البحر المتوسط حتى أصبحت لصيقة به.

(١٢) سام ويريل اينشتين: الصحراء، ترجمة مصطفى بدران، ط٤، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦، ص٧٩

(١٣) "استبس" تعنى أصلا السهول العشبية القصيرة عديمة الأشجار.

(١٤) سافانا"= السهول المغطاة بالحشائش الطويلة، التى قد توجد بها أشجار هنا أو هناك.

(15) H Hailey, Lored: An Africal survey; recised 1956, London, oxfored univ, press,1957,p964.

(16) George, Wilma Animal geography, London, Heinemenn,1972, p.24-25.

(١٧) حسين فرج زين الدين: أطلس ثدييات العالم، القاهرة، ١٩٧٠، ص٣٣١

(18) Wolff.Rebert and Dallet , Robert: Animals of Africa, Paris, Lito,N.D,N.D,p94-95.

(19) Dorst,jean and Dandelot, Pierre: Larger Mammals of Africa, London, Collins, 1970, p.43ff.

(٢٠) تكثر وتنتشر هذه العائلة فى أفريقيا (عدا مدغشقر)، والجدير بالذكر أن الجاموس المائى لا يوجد طبيعيا فى أفريقيا، إذ أنه جلب أخيرا من جنوب شرق آسيا إلى مصر فقط.

(21) Brown, Leslie: Africa; a natural history, London, Hamish Hamilton, 1970,p158.

(22) Root, Joan and Alan: Mzima Kenya`s Spring of Life National geogr. Magazine, Sep,1971,p350-373.

(٢٣) فاروق عبد الجواد شويقة: الأكلوجيا البشرية، المفهوم والمجال والهدف، مجلة الدراسات الأفريقية، ع٣، ١٩٧٤، ص١٨٣-٢٠١

(٢٤) راجع مؤلفات المؤلف، ومحاضرات محمد عبد الفتاح القصاص وأدب مدرسته الايكولوجية وغيرها من المصادر الايكولوجية الهامة مثل:

Odum,E,P: Ecology, New York, Holt,1963.

Clark,G.L.: Elements of ecology, New York, Willey,1956

(٢٥) عبد الفتاح محمد وهيبة: الحتمية والامكانات، عرض لتطور الفكر الجغرافى الإسكندرية، الثقافية الجامعية، ١٩٦٠، ص١٦

(26) Hiernaux, jean: "Long- term biological effects of human migrsion from the African savanna to the equetoriel forest; acase study of human adaptation to a hot and wet climate". In: Harrison, G,A,(ed.): Pepulation strucature and human variation, Cambridge, Cambridge Univ,Press,1977,p187-217(IBP.II).

(27) Loc,cit

(٢٨) منها على سبيل المثال كل ما يؤثر على جسم الإنسان فى البيئة المحيطة به مثل الجاذبية حيث أن المقدار الطبيعى لها ٠,٣-٠,٥ جاوس فقط وكذا موجات اللاسلكى والضوء والحرارة الكهرومغناطيسية

(٢٩) مثل:

Harrison, G.A et.al.: The effects of altitude variation in Ethiopian poplation,phil, Trans, R,Soc.256,1969,p147-182.

Wyndham, C.H et,al.:Heart reactions of Caucasians & Bantu in south Africa, J,Appl,Physiol., vol 19,No,4,1964,p598-606.

(٣٠) مثل تلك التى تضمنها الكتاب التالى:

Landy, David(ed): Culture disease and healing ; Studies in medical anthropology, New york, Macmillan pub, Co., 1977,559p.

(٣١) تم القضاء نهائيا على الحمى الصحراء فى ١٧ أبريل ١٩٧٨، كما أعلنت الهو WHO.

(٣٢) الملاريا حاليا تتوطن فى أكثر من مائة دولة حيث يعانى أكثر من ٥٠٠ مليون نسمة من مشكلة الماء الذى يؤدى إلى أكثر من مليون حالة وفاة كل عام حيث يحدث حوالى ٩٠% منها فى أفريقيا جنوب الصحارى من بينها نسبة ٨٢% من الأطفال دون الخامسة من العمر، ومن ينجو منها تترك عليه آثار تؤثر فى مستوى تعليمه وإنتاجيته، حيث يؤدى هذا المرض إلى خسارة فى المتوسط ١٣% من النمو الاقتصادى السنوى فى البلدات التى يتفشى فيها على نطاق واسع ومعظمها دول أفريقية.

هذا وتتسبب الإصابة بالملاريا بين البشر نتيجة لدغة من بعوضة من جنس الأنوفيلة تكون أنثى بالتحديد حيث تنقل للمرض طفيل دقيق أحادى الخلية يسمى المنصورة المنجلية Plasmodium falcina, rum.

(33) Garlick, j,D and Baricot, N.A : Blood groups and leamoglobin varicants in NIgerian (Yoruba)Shoolchildren Annals of Human Genetics vol .21, 1956,1957,p420-425.

(٣٤) فاروق عبد الجواد شويقة: نطاق الجوع فى غرب أفريقيا، الدراسات الخاصة رقم ١، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٣٩١-٤٢١

(٣٥) راجع مقال المؤلف: "نطاق الجوع فى غرب أفريقيا" مصدر سابق.

(36) Wittmann, W.et,al.: "Studies on protein- calorie malnutrition and information". In Wolstenholme, G,E.W and o`connor, Maevė(ed): Nutrition and Infection, London, Churchill Ltd, 1967, p73-89 (cibe Foundation study Group,No,31).

ببلوجرافية الفصل الثاني

(1) Brown, Leslie: Africa; a natural history. 6th.pr. London, Hamish Hamilton, 1970.

(2) Fox, John P.; Ha;;, Carrie E. and Elveback, Lila R.: Epidemiology; Man and disease. London, Macmillan, 1970.

(3) George, Wilma: Animal geography. London, Heinemann, 1972.

(4) Grove, A.T. abd Klein, M.G.: Rural Africa. Cambridge. Cambridge, Cambridge Univ. Press, 1980.

(5) Grzimek, Bernard: No room for Wild animals. Translated by: Stevens, R.H. New York, Norton, 1957.

(6) Howe.G. Melvyn (ed.): A World geography of Human disease. London, Academec Press, 1977.

(7) Kufman, Peter B. and LaCroix, J. Donald: Plants; people and emviroment. New York, Macmillan Publishing Co., 1979.

(8) Lewis, T. and Taylor, L.R.: Introduction to experimental ecology. London, Academic Press, 1967.

(9) Maclean, Kenneth and Thomsom, Norman (ed.): and etlas of earth and Man; problems of our planet. Edinburgh, Barholomew, 1977.

(10) May, Jacques M.: The ecology of human disease. New york, M D Publications, 1958 (studies in medical geogr.No.1)

(11) ———————— and Mclellan, D.L.: The ecology of Malnutrition in Easteam Africa and four Countries of Western Africa. New York, Hafner publishing Co., 1970(studies in medical geor., Vol. 9).

(12) McGinnies, W.G. and Goldman, B.J.(eds.): Arid lands in perspective. Tucson, Arizona, Univ. of Arizona Press, 1969.

(13) Petrov, M.P.: Deserts of the World. Translated from Russian by: I P S T staff. New York, John Wiley & Son, 1976.
(14) Thomas, M.F. and Whittington, G.w.: Enviroment and land use in Africa. London, Methuen, 1969.

الفصل الثالث

السلالات البشرية

السلالات البشرية

تدرس السلالات البشرية، الإنسان من حيث أصله وسلالاته ومميزاتها الحسية ومدى تأثرها بعوامل البيئة الطبيعية، وهذا الفرع من الجغرافيا وثيق الصلة بعلم الأنثروبولوجيا الطبيعية Physical Anthropology وهو العلم الذى يعتبره كثير من الجغرافيين المعاصرين بعيدًا عن ميدان الجغرافيا، فى حين أن بعض الجغرافيين أمثال: فلير Fleure، وبياسوتى Biosuti وكون Coon قد أسهموا فى الإضافة بالكثير إلى هذا النوع من الجغرافيا بل وإلى الأنثروبولوجيا الطبيعية ذاتها(١).

وتتلخص الموضوعات الرئيسية التى تعالجها دراسة السلالات البشرية فى محاولة دراسة التوصل إلى موطن الإنسان، ودراسة الحركات البشرية التى ترتب عليها تكوين السلالات البشرية الرئيسية، ودراسة الصفات الجسمية لكل سلالة من شكل الشعر ولونه وشكل الرأس ولون البشرة... إلخ، ثم دراسة العناصر المختلفة التى تضمها كل سلالة من السلالات البشرية مع الاهتمام بتوزيع كل هذه الصفات توزيعًا جغرافيًا وإيضاح أثر البيئة بعناصرها المختلفة فيها.

وقد إهتم المصريون إهتمامًا واضحًا منذ القدم بدراسة السلالات البشرية فنجد أن قدمائهم قد ميزوا بين المجموعات السلالية المختلفة المحيطة بهم، حيث تجدهم يصورون إناسًا ملونين باللون الأحمر، وآخرين باللون الأصفر، وآخرين باللون الأسود ولهم شعر أكرت، وآخرين لهم شعور صفراء (شقر) وعيون زرقاء، بل لقد وضع هيرودوت المؤرخ والأنثربولوجى الرحالة الكبير تصنيفًا لبعض الجنود الإثيوبيين مستندًا على مظهر شعر الرأس(٢).

هذا وتقدم دراسة السلالات البشرية خدمة كبيرة وعملية، ذلك أنها تيسر الاتصال بين المهتمين بدراسات الإنسان وهو الذين ينبغى لهم أن يكونوا قادرين على معرفة أنماط الناس الذين يشاهدونهم ويدرسونهم. وأنه لمن المفيد حقًا أن تكون الدراسة العملية والنظرية للسلالات البشرية ذات طابع تكاملى وليس تنافسى، بمعنى أن تكمل بعضها بعضًا، لا أن تتعارض وتستنفد جهودها.

ويؤكد هذا الاتجاه أن الجغرافيا الحديثة تدرس الأرض والإنسان على أساس من وجهة النظر الداروينية التى أضافه إلى الفكر الإنسانى تأثير البيئة

على الأحياء[٣]، ذلك التأثير الذى يتراكم بعضه فوق بعض محدثًا تغييرًا جذريا بعد مدة قد تطول أو تقصر.

ومهما كانت أهمية ومكانة دراسة الأنثربولوجيا الجغرافية حاليًا، فإنه مما لا شك فيه أنه يمكنها هى وفروعها ومنها السلالات البشرية، أن تؤكد بالإضافة إلى وحدة الأصل البيولوجي الواحد الذى يجمع البشر جميعًا، يمكنها أيضًا، أن تقدم الكثير عن طريق مبدأ المساواة البيولوجية، إذ يمكن القضاء نهائيًا على الدعاوى الواهية المزعومة التى إتخذت سندًا لتطوير مواقف إجتماعية مستهجنة تقوم على التعصب والتحزب.

هذا وتعظم أهمية الدراسة العلمية فى الموضوعات المتعلقة بالإنسان وما أكثرها إذا تضمنت جزء عن موضوع السلالات، بل إن البحث لا يعتبر كاملا إذا لم يتضمن شيئًا عن مشكلة السلالات[٤]، التى اتسع نطاق دراساتها وأصبح يشتمل على جوانب علمية معملية مثل دراسة المناعة ضد الأمراض والتأقلم على أنواع معينة من المناخ، وهى تلك الدراسة التى بدأ الاهتمام يزداد بها حاليا تحت موضوع علم الأمراض الجغرافى [٥]، الذى يعتبر بحق أحد المجالات الهامة فى دراسات الإيكولوجيا البشرية التى تهتم ضمن ما تهتم به على دراسة بيئة الشعوب Ethnoeclogy أو الشعوب فى بيئاتها، وهى مجال هام من مجالات الدراسات الأنثربولوجية ويشارك فيها كل من الجغرافيين المهتمين بدراسة الشعوب بقدر اهتمام الأنثروبولوجيين المهتمين بالمنحى والمنهج الإيكولوجى.

وتعتبر كتابات بريتشارد parichared, cowls خاصة كتابه:

Researches into the Physical history of Man الذى صدرت طبعته الثالثة عام ١٨٤٣ فى خمس مجلدات، من أعرق وأقيم وأشمل الدراسات عن السلالات البشرية بما تحويه من دراسة تشريحية ولغوية ونفسية وأثنولوجية وهى بحق تعد أساس.وعماد المدرسة الإثنولوجية البريطانية [٦]، وبالمثل فى أمريكا كان كتاب Indignous races of the earth الذى وضعه G.A, Gliddon;J.C Mott عام ١٩٥٧ من أشمل الكتب فى السلالات حيث جمع وحلل وفند الكثير من الآراء عن القول الذى كان سائدًا عن انحطاط السلالة الزنجية[٧].

وكان بيبربول بروكا Broca, P.P. أول من أسس الجمعية الأنثربولوجية الفرنسية (١٨٥٩) وأول من أنشأ مدرستها فى فرنسا (١٨٧٦) وتعد دراسته عن المقاييس الأنثروبومترية (١٨٧٥) من أفضل ما كتب ومازالت نظريته وأساليبه تستعمل حتى الآن، لتحديد أنماط السلالات البشرية كما كان ينبغى تمامًا، وكان ألفرد هادون Haddon, A. خاصة بعد نشرة كتاب The study of Man (١٨٩٨) فى انجلترا وأمريكا، من واضعى أسس المدرسة البريطانية الحديثة ثم جاء وبعده الكثيرين بعد ذلك[٨] فى بريطانيا، وفى أمريكا مثل ريبلى Ripley,W,S الذى نشر كتابًا عن سلالات أوروبا (١٩٠٠) وهو الذى اقتفى أثره كون Coon,C.G بعد ذلك (١٩٦٤و١٩٦٥) وزاد عليه وعمق.

مراحل تطور الإنسان وسلالاته

يمكن استعراض مراحل تطور الإنسان من القردة البشرية Anthropoid apes رغم أن هذا الموضوع يحمل الكثير من المشكلات العويصة التى يصعب البت فيها برأى ثابت نظرًا لأن الباحثين فى العلوم البيولوجية أمثال: الوراثيين، والأنثربولوجيين الطبيعيين، والفسيولوجيين، وعلماء النفس، والأطباء من مختلف فروع الطب وكذلك الباحثين فى العلوم الاجتماعية أمثال: الأنثربولوجيين الاجتماعيين، وعلماء الاجتماع، والجغرافيين. كان لكل من هؤلاء رأيه الخاص فى الموضوع. ولكن أخيرًا كاد يتفق الجميع على حد أدنى من الرأى فى هذا الشأن، وعلى ذلك فإن الرأى المستقل المنفرد من أى منهم فى هذا الموضوع يعد شاذًا لا يتفق مع واقع التفكير العلمى.

وإذا بدأنا العرض من فترة ظهور القردة العليا The apes نجد أن الدراسة تترك خلفها كل الرئيسيات الدنيا وما دونها[٩].

١- الأوليجوسين الأسفل Lower oligcene(منذ ٣٥ سنة) قردة عليا غير متخصصة Propliopithecus وهى أسلاف الجيبون gibbon.

٢- الميوسين الأسفل Lower Miocene(١٩ مليون سنة) بداية القردة العليا المتخصصة، وغير متخصصة تمامًا للمعيشة على الشجر، ومركبة الأسنان، وكان فكها الأسفل وقدمها تشبه مثيلاتها لدى الشمبانزى والأورانج أوتان والجوريللا (شكل ٣/١) والانسان بروكونسل Prococol(من عائلة دريوبيثكس Dryopthecus).

٣- البليوسين الأسفل lower Plicene (٧مليون سنة) قردة تعيش على الأرض (قرد الجنوب Australopithecus) له قدمين، وفك سفلى قصيرة، وأنياب غير بارزة رغم أن أسنانه ذات صفات بشرية وبدأ الدماغ فى الاتساع.

٤- البليسوسين الأسفل Lower Pleistocene(مليون سنة) بداية ظهور الانتصاب الكامل fully erect(القرد البشرى المنتصب pithecanthropus erectus) له قدمين بشريتين، والفك بارز، حجم الدماغ ما بين الجوريللا والإنسان الحديث، الأسنان بشرية ضخمة، ربما كان من آكل اللحوم، كان يستعمل الآلات الحجرية الصغيرة.

٥- البليستوسين الأوسط Middle Pleistocene(٥٠٠ ألف سنة) الإنسان الأول Homo erectus ذو الدماغ الكبير كالحالى، والفك السفلى متراجع، والذقن ناتئة، صانع ومستعمل للآلات الحجرية الدقيقة، اكتشف واستعمل النار، جمجمته سميكة، وخلال هذه الفترة ظهرت طلائع الإنسان الحديث الحالى[١٠] (كرومانيون Cromagnon).

٦- البليستوسين الأعلى Early Pleistocene(١٠٠ ألف سنة) بدأ- عناصر الإنسان الحديث الحالى Homo Sapien Sapien تكثر وتسود نتيجة تكاثرها وللطفرات التى حدثت فى الأسلاف القديمة والتى شملت شكل وحجم الأسنان، والوجه وحجم الدماغ، والجبهة ومؤخرة الرأس.

٧- فجر الهلوسين Early Holecene (٢٥ ألف سنة) بداية ظهور السلالات الحالية للإنسان الحديث (خريطة ٣/١) وقد ظهرت الفروق بينها نتيجة انعزالها وتزاوجها الداخلى فى بيئات طبيعية متباينة، حيث ظهرت أسلاف السلالة البيضاء القوقازية Caucazoids، والسلالة السوداء الزنجية Nigroids والسلالة الصفراء المغولية Mongoloids(لوحة ٣/١) والسلالة الأسترالية التسمانية Australiod-tasmanoid، وفى خلال هذه الفترة دخل الإنسان أمريكا حيث بدأ فى التأقلم مكونًا السلالة الفرعية الأمريكية American Secondary race .

٨- فجر العصر الحجرى الحديث Early Neolithic(سنة ٨ آلاف ق.م. فى الشرق الأوسط) بداية استئناس النبات والحيوان والتحول من الجمع والالتقاط إلى الزراعة الثابتة (المستوطنات Sethelments)، بداية ظهور

الأمراض المتوطنة والوبائية نتيجة لكثرة الاختلاط وقلة الحماية الصحية، وبدأت تظهر آثار التباين فى الغذاء.

٩- فجر عصر البرونز Early Bronze (٥٠٠ ق.م فى حوض البحر المتوسط) بداية تدهور الحياة المستقرة الحضرية نتيجة تكدس الإنسان ومعيشته فى التغذية، وبدأت عوامل ضعف المناعة فى الظهور، مع كثرة الهجرة التى صاحبت الصراعات والحروب بين الجماعات التى كثر لديها استعمال الأسلحة المعدنية.

١٠- فجر عصر الحديد Early Iron Age (٥٠٠ ق.م. فى حوض البحر المتوسط) بداية تدهور الحياة المستقرة الحضرية نتيجة تكدس الإنسان ومعيشته فى ظروف غير صحية فى المدن، ومما زاد من انتشار الأمراض عدم كفاية الغذاء، وانتشار سوء التغذية، وبدأت عوامل ضعف المناعة فى الظهور، مع كثرة الهجرة التى صاحبت الصراعات والحروب بين الجماعات البشرية التى كثر لديها استخدام الأسلحة الحديدية والمعدنية.

١١- فترة الهجرة Migration Ages(حتى سنة ٥٠٠ بعد الميلاد فى أوروبا) تم القضاء على حضارة البحر المتوسط القديمة بواسطة العناصر البربرية، وحدث التوسع فى التزاوج والاختلاط خاصة بين السلالة المغولية.

١٢- العصور الوسطى Middle Ages (حتى سنة ١٠٠٠ فى أوروبا) انتشار الحضارة المدنية مع ما صاحبها من أحياء الفقراء القذرة، وانتشار حالات سوء التغذية وبداية الضمور فى قامة الإنسان، وتزايد معدل انتشار الأمراض الوبائية.

١٣- فترة المستعمرات Colonization Period(حتى سنة ١٥٠٠) ظهور السلالات الفرعية مثل البولينيزيون، والهنود الحمر، والدرافيديون، وانتشار الأوروبيون إلى العالم الجديد وأفريقيا، مما ساعد على ظهور وانتشار سلالات مهجنة جديدة وظهور أنماط ومستويات جديدة من الحياة لدى الشعوب البدائية التى دخلتها مظاهر الحضارة الأوروبية وما صاحبها من أمراض أوربية لم تكن معروفة من قبل كالزهرى.

١٤- فترة التصنيع Period of Industrization (حتى ١٨٠٠) تزايد سريع فى معدل الأعمال الحضارية غير الصحية، ومظاهر الحياة المكتظة،

تزايد الأمراض المهنية ولكن بدأ التحكم فى الأمراض الوبائية وتقدم الجراحة، ومع ذلك تزايد إنتشار أمراض السل والزهرى وأمراض الأسنان.

١٥- فترة الآلات Period of Mechanization (حتى ١٩٠٠) تزايد الضغط على الأعصاب نتيجة لظروف المعيشة الحديثة، تكاثر الأمراض العصبية والعقلية الحضارية، ظهرت أمراض الحرمان من الفيتامينات فى الطعام، وتفشت أمراض تسوس الأسنان وأمراض سوء التغذية، وتزايد هبوط معدل وفيات الأطفال نتيجة تقدم وسائل العلاج الطبى.

بدأ زوال الاختيار الطبيعى حيث قل تأثير البيئة على الإنسان نتيجة تزايد الميسرات الحديثة فى وسائل النقل والمواصلات، ظهرت تغييرات واضحة على الأجيال المتتابعة خاصة تلك التى هاجرت من بيئة إلى أخرى، فى تزايد أبعاد الجسم.

وقد ساعدت الوسائل والامكانات الحديثة على حدوث تغييرات عضوية جسمية وعقلية فى الأجيال المتلاحقة نحو الأفضل، وبذلك تعاظمت التأثيرات الحضارية فى تغيير مورفولوجية الإنسان. وبصفة عامة فإن الاتجاه فى البلدان المتحضرة (فى فترت السلم) يتجه نحو تزايد ارتفاع القامة والنحافة واستطالة الوجه الفكين وتزايد حالات عدم تطابق الأسنان.

١٦ـ القرن العشرين(حتى ١٩٨٠) تعاقبت فترات حضارية كثيرة، خلال هذا القرن، حيث ظهر عصر الكهرباء وعصر الذرة ثم عصر الكمبيوتر والفضاء، وقد صاحبها جميعًا، عصر التلوث الذى كانت له تأثيرات كبيرة وعميقة على المكونات البيولوجية للكائنات الحية ومنها الإنسان بسلالاته المتباينة.

١٧- نهاية القرن ٢٠(بعد ١٩٨٠) ظهرت إرهاصات ظهور إنسان جديد، يعتمد على إمكانيات التكنولوجيا الحديثة خاصة إمكانات الألكترونات، التى تفتح أفاقًا غير محدودة أمام التقدم الإنسانى، خاصة بالنسبة للبيئات البكر التى لم تستثمر بعد كأعماق البحار والمحيطات والمناطق القطبية والصحارى الحارة وأخيرا الفضاء القريب والبعيد.

١٨- بدايات القرن ٢١ (بعد ١٩٩٩) تتابع ظهور تكنولوجيا المعلومات تخزينًا وتنسيقًا ونقلا بسرعات كبيرة ومتزايدة وظهور شبكة الإنترنت وما

سيتبعها من الأوترنت من أمام الإنسان، آفاق الانتقال المادى للكواكب القريبة ثم البعيدة بعد ذلك.

أفريقيا وتطور الإنسان

تعددت آراء علماء الأنثروبولوجيا عن الموطن الأول للإنسان الذى نشأ وتطور فيه، حيث ظهرت ثلاث نظريات متباينة تقول الأولى بأن الإنسان ظهر لأول مرة فى آسيا، والثانية تنادى بأن الموطن الأول للإنسان كان فى القارة الأفريقية، والثالثة والأخيرة تجمع بين القارتين فى منطقة الشرق العربى كموطن أصلى للإنسان، ومن الطبيعى أن كل مجموعة من العلماء تحاول أن تبرهن وتدلل على صحة رأيها مستندة على حقائق من: الجغرافيا التاريخية، والجيولوجيا، والباليانتولوجيا البشرية.

ومن الباحثين الذين قالوا بأن أفريقيا هى مهد الإنسان: كين Keane, A. وليكى Leakey,L,S، الذى اهتم العالم بكشوفه عن إنسان الزنج Zinjanthropus والإنسان البارع Homo Habilis[١١] فى شرق أفريقيا وقد كانت هذه الكشوف وغيرها، هى التى دعت العلماء إلى القول بأن أفريقيا هى موطن الإنسان مستندين إلى أنها الموطن الأساسى للقردة العليا Apes[١٢] خاصة تلك القريبة الشبه بالإنسان مورفولوجيا وسلوكيا ونقصد بها الشمبانزى.

ومما يعزز هذا الرأى الكشوف التى قام بها كل من دارت Dart,R وبروم Broom,R وروبينسون Robinson, J,T منذ عام ١٩٢٥ عن البشريات الجنوبية [١٣] والتى أظهرت أن إنسان الزنج كان صاحب صفات إنسانية كثيرة إذ كان منتصب القامة وكان يقوم بصناعة وتشكيل بعض الآلات الحجرية.

ولكن وبرغم تعدد الآراء حول الموطن الأصلى للإنسان، إلا أن معظمها تتفق على أن منطقة شمال أفريقيا وغرب آسيا كانت خلال عصر البلايستوسين، كانت من أنسب الأقاليم كى تكون الموطن الأول للإنسان الحديث، حيث تطور فيها بيولوجيا وحضاريًا[١٤].

ومع هذا فقد عثر فى أفريقيا على حفريات عديدة من الإنسان الحديث الحفرى (إنسان العصر الحجرى القديم الأعلى) مثل تلك التى عثر عليها فى كانام(جنوب كافيروندو)[١٥]، وفى روديسيا والترنسفال (جمجمة برسكوب)، كما تحفل القارة فى نفس الوقت بالحفريات العديدة من البشريات الجنوبية

Australupithecus مثل Zinjanthropus صاحب حضارة العصر الحجرى القديم فى أولدوفاى، كما عثر على حفرية إنسان الزنج ضمن جماجم السلالة الزنجية القديمة أيضًا فى أولدوفاى رغم أنها دلت فى رأى البعض على وصول طلائع الزنوج من آسيا إلى أفريقيا(١٦)، ومنها إلى أوروبا (جمجمة جريمالدى).

وعندما خفت وطأة الجليد الذى كان يغطى أوروبا فى العصر الجليدى انتشر البشر الذين كانوا يستقرون فى النطاق الصحراوى من شمال أفريقيا والذى كانت تسوده المروج الخضراء أثناء فترات العصور المطيرة انتشروا فى كل اتجاه: نحو الشمال إلى أوروبا عبر مضيق جبل طارق وعبر صقلية وإيطاليا، ونحو الشرق إلى آسيا، وتوغلوا فى القارة الأفريقية جنوبا، وأكبر الظن أن الأقزام الأفريقيين من بقايا هؤلاء البشر طوال الرؤوس، وبالمثل يقال عن البوشمن الهيكوم Heikum Bushmen أصحاب الاستطالة الخفيفة فى الرأس.

وتتابع بعد ذلك خروج الجماعات من موطن الإنسان حيث اتجه أسلاف السودانيين إلى غرب أفريقيا، كما اتجهت أسلاف الصوماليين والبانتو والهوتنتوت إلى شرق وجنوب أفريقيا، وأمام التشابه الواضح بين سلالات المجموعة الزنجية المنتشرة فى أفريقيا وفى جنوب آسيا أثير تساؤل عن العلاقة بينهما من حيث الأصل المشترك والمثل قيل عن السلالات القديمة الأخرى مثل النجريللو والنجريتو (١٧) (أقزام أفريقيا وأقزام آسيا).

ويفسر البعض هذا التشابه بسبب وحدة الأصل المشترك، الذى يرجحون وجوده معاصرًا مطلع العصر الحجرى القديم الأعلى، وأنه كان فى جنوب شرق آسيا حيث انطلق منه شرقًا وغربًا، ولكن هناك من البراهين القوية المبنية على أدلة حفرية كثيرة تثبت عراقة وأصالة السلالات القديمة الزنجية الأفريقية فى إفريقيا(١٨).

ومن بين هذه الأدلة الهيكل العظمى والجمجمة التى عثر عليها سنة ١٩٢٧ فى أسيلار Asselar على بعد ٤٠٠ كيلومتر شمال شرق تمبكتو فى الصحراء الكبرى فى طبقات عصر البلايستوسين وبالتحديد فى فترة العصر الحجرى القديم الأعلى فى فترة الثقافة المجدلينية، وقد استدل من دراسة هذا الهيكل أن

هذا الإنسان كان لا يقل ارتفاع قامته عن ١٧٠ سم[١٩] وأنه كان ذا رأس مستطيل (المعامل ٩,٧٠).

هذا ولم تكن القارة الأفريقية هي الموطن الأول لظهور الإنسان، وحسب بل كانت أيضًا، المكان الذى شهد تطور حضارة الإنسان منذ العصر الحجرى القديم، وما تلاه من عصور حيث تعتبر مصر الموطن الأول للزراعة، وقد أكدت ذلك الكشوف الأثرية والأنثروبولوجية التى تمت فى الصعيد الأعلى والنوبة فى مصر منذ بداية هذا القرن[٢٠]، كما أكدتها أيضًا الكشوف الحديثة (١٩٦٣-١٩٦٥) التى قامت بها جامعة ييل الأمريكية والمتحف التاريخى بكندا فى منطقة كوم أمبو وعلى ضفتى النيل فى النوبة المصرية[٢١]، ثم الكشوف الأخيرة (١٩٨٠-١٩٨١) التى تمت فى الصحراء الغربية.

يضاف إلى ذلك أن أفريقيا ومصر قد أضافت إلى الكشوف العلمية كشفا عريقًا؛ ذلك أن منطقة الفيوم التى جادت بنماذج كثيرة من الحيوانات العليا التى تم كشفها وترجع إلى عصر الأوليجوسين وما بعده، تلك المنطقة التى هى صحراء حاليًا كانت فى ذلك العصر تغطيها الغابات الكثيفة شبه الاستوائية، ولقد كانت الفيوم منذ ٢٥-٣٥ مليون سنة مرتعا غنيًا بصورة غير عادية لمخلوقات شبيهة بالقرود والنسانيس (بارابيثيكوس) وأسلاف الجيبون (الأولوبيثكيس)، وكذلك أسلاف الشمبانزى والغوريللا (اجيبتوبيثيكس) الذى يمثل مع ال (بروبليوبيثكيس)حلقة الوصل للإنسان الأول، إذ وجد أن حفريات كل منهما تحوى فكوكًا وأسنانًا لها بعض الصفات المماثلة فى الإنسان رغم أنه كانت له أرجل خلفية قوية تساعده على القفز، وكما قال العالم ألوين سيمزنز أن الدراسات التى أجريت على الجمجمة تفتح سجل حقبة أكثر قدما فى تاريخ البشر وما يتردد عن علاقة أصل بين الإنسان والقردة[٢٢].

ولقد تمت كشوف كثيرة ترجع إلى مجموعة حفريات القرد الجنوبى (أوسترالوبيثيكس) فى إفريقيا الجنوبية ومن ثم كانت القرد الجنوبى، وقد كان أول كشف هو ذلك الذى عثر عليه رايموند دارت Dart, R. وفى تاونجو قرب كمبرلى عام ١٩٢٥، وتلت ذلك كشوف أخرى عثر على معظمها Broom,R. فى أوائل الخمسينات.

هذا وقد عثر فى كهف استركفونتين بالقرب من جوها نسبرج على أربعة أجزاء من عظام قدم متحجرة حيث فحصها توبياس Tobias, F. مدير قسم

الأبحاث الأنثروبولوجية فى جامعة ويت ويترزراند مشتركًا مع رونالد كلارك Clark,R. حيث قالا بأن صاحب هذه القدم يمكن أن يمثل الحلقة المفقودة التى توضح كيف تطور الإنسان من السير على الأربع إلى السير منتصب القامة وبطريقة الخطوة.

ولعل أفضل ترتيب لهذه الكشوف العديدة هو تقسيمها بين النوعين الرئيسيين التاليين [٢٣]:

(١) القرد الجنوبى الأفريقى Australopthecus Africanus وهو كائن صغير يظن أنه يزن ما بين ٢٥-٣٠ كجم، وكان مخه يصل إلى ٦٠٠ سم٣ حسب تقدير دارت Dart، ورغم أن هذه السعة أقل من سعة مخ الغوريللا إلا أنها تتناسب مع جمجمته بل إن النسبة أكبر عنده مما عند الجوريللا، وتتراوح عظمة فوق الحاجب عنده كثيرًا بين البروز والتراجع، ولكنها داخل حدود الصفة الإنسانية، كما أن بروز الوجه يمثل مرحلة متوسطة بين القردة والإنسان، ويدل شكل العظام فى الجمجمة ومواضع إرتباطات العضلات على أنه كان يسير معتدلاً.

(٢) القردة الجنوبى القوى Australopithecus Robustus [٢٤] وهو كائن أكبر نوعا وربما كان يصل وزنه إلى ضعف وزن القرد الجنوبى الأفريقى، لذا يفضل البعض تسميته شبيه الإنسان، وكانت أضراسه كبيرة جدا بينما كانت الأسنان والأنياب صغيرة، وعلى ذلك فإنه كان أقل فى الصفات الإنسانية من القرد الإفريقى وكان يعيش فى شرق وجنوب أفريقيا، منذ نحو مليونى عام أثناء عصر البليستوسين، وهو الذى يرى فيه الكثير من علماء الأنثروبولوجيا أنه كان شبيها بالإنسان لدرجة تكفى لتصنيفه بوصفه فرعًا قديمًا من فصيلة البشر Hominida لا بوصفه عضوًا فى فصيلة القردة Pongidae، ويبدو أنه كانت توجد فى نفس الوقت عدة أنواع من القرد الجنوبى، كانت تختلف من ناحية الحجم وبعض السمات القليلة الأهمية، ولكنها كانت تشترك كلها فى عدة صفات مميزة، فتركيب عظامها الحوضية يدل على أنه كان يمكنها جميعا من السير المنتصب، كما أن أنيابها يظهر بها ذلك الاختزال المميز لأنياب الإنسان، الأمر الذى يشير إلى أن هذه الأنياب لم تكن تستخدم فى التقطيع والتمزيق على نفس النطاق الواسع الذى كانت تستخدم به فى الصور التطورية للقردة الأقدم عهدًا، وربما كان التغير فى تركيب الأسنان

كان مصحوبا بتغير فى العادات المعيشية، وخاصة استخدام الأدوات حيث وجدت فى إحدى طبقات خانق أولدوفاى (كينيا) بالقرب من حفرية للقرد الجنوبى أدوات ركيكة الصنع يقدر عمرها بمليون وثلاثة أرباع المليون من السنين، إلا أنه باحتواء هذه الطبقة أيضًا على بقايا شكل آخر معاصر للقرد الجنوبى ظهرت بعض الظلال من الغموض والشك على مغزى هذا الكشف[٢٥].

ولما كان هذا الشكل الآخر أشبه إلى حد ما من الناحية الجسدية بالإنسان الحديث، فقد عرف أيضًا باسم الإنسان البارع Homo Habilis، والواقع أن عددًا كبيرًا من الأنثربولوجيين يشكون فى أن القرد الجنوبى الإفريقى كان حقـًا سلفا مباشرًا للإنسان، وينظرون إليه على أنه خط جانبى للتطور الحقيقى فى نهاية الأمر، وربما كان الإنسان البارع قد تطور تدريجيا إلى الإنسان المنتصب Homo Erectus[٢٦] ثم إلى الإنسان العاقل Homo Sapiens، ولكن هذا موضع شك أيضًا.

وعلى ذلك فقد شهد عصر البليستوسين أشكالا متعددة من الرئيسيات التى منها القرد الجنوبى، والإنسان المنتصب، كان كل منها شبيه بالإنسان العاقل لدرجة تكفى لأن يكون سلفا ممكنا له، فهذه الرئيسيات جميعا كان لديها، على ما يبدو بعض الصفات المميزة للإنسان: كالوقفة المنتصبة، والمشى بطريقة الخطوة، وإمكانية استخدام اليدين فى معالجة الأشياء، ولكن النقطة التى ينبغى تأكيدها هنا هى أن أنواع الإنسان القرد كانت لديها على الأرجح القدرة على صنع واستخدام أدوات حجرية بدائية منذ وقت بعيد يرجع إلى مليونى سنة، كما أن هناك هوة سحيقة بين البقايا الحفرية التى وجدت فى موقع أولدوفاى بشرق أفريقيا(الأنواع المختلفة من القرد الجنوبى، والإنسان البارع) وبين حفريات الأنواع المختلفة التى يطلق عليها إجمالا إسم "الإنسان المنتصب" (ومنها النياندرتال)، والتى ينظر إليها بصفة عامة على أنها أسلاف مباشرة للإنسان وإن لم يكن ذلك رأيًا يتفق عليه الجميع، ويبدو الاختلاف بينها واضحا بصورة خاصة فيما يتعلق بالمخ، فسعة تجويف مخ قرد الجنوب كانت لا تزال فى الحدود الخاصة بالقردة العادية ويبدو فضلا عن ذلك أن المناطق الجدارية الصدغية لأمخاخها كانت ضعيفة النمو، بهذا الاكتشاف أهمية خاصة إذا عرفنا أن هذه المناطق هى التى تختص بعملية إبداع الرموز، والواقع أن القدرة على

وضع الرموز هى أكثر الصفات تمييزًا للإنسان لأنها قامت بالدور الأكبر فى تطوير ثقافته(٢٧).

ولقد تم العثور فى الرواسب التى ترجع إلى عصر الميوسين الأسفل والأوسط أى منذ نحو ٢٠ مليون سنة فى شرق أفريقيا على بعض القردة الحفرية المهمة التى تنتمى إلى أنواع انحدرت منها الجوريللا والشمبانزى، ويقول لويس ليكى Leakey, L .S. (١٩٠٣-١٩٧٢) أن بعض هذه الحفريات التى وجدت فى تلك الرواسب ذاتها هى حفريات أدامية وليست حفريات قردية خاصة وأنه قد لوحظ أنه يوجد فى ذلك الوقت تؤلف الأسلاف الأولى للشمبانزى والجوريللا والجيبون، والمعتقد أن هذه الأنواع القدرية القديمة كانت فى ذلك الحين قد بلغت درجة من التخصص والارتباط بالخط القردى بحيث لا يمنكن أن يظهر فيها أشباه البشر.

ومن أهم ما عثر عليه ليكى تلك البقايا العظمية التى وجدت فوق طبقة من الأرض تمثل بلا شك محل سكن، وتحتوى على عدد من الأدوات وعظام الحيوانات، كما عثر على عظمة ذقن أعتقد خطأ أنها جزء من الجمجمة، وأوصاف الجمجمة تضعها ضمن مجموعة القرد الجنوبى، ولكنها تختلف عن القرد الأفريقى وعن شبيه الإنسان اللذين وجدا فى جنوب أفريقيا وقد أطلق عليها اسم إنسان الزنج(٢٨)، إذ أن عظام الحاجبين ثقيلة والفك أيضًا ثقيل العظام وتجويف المخ حوالى ٧٠٠سم٣.

ويعتبر إنسان الزنج أقدم صانع للأدوات، ومع ذلك فإن حجم مخه لا يسمح بتكوين لغة، ومن ثم لا يمكن لمجموعة أحيائية من غير لغة أن تصبح لها حضارة، وتدعم هذا الاتجاه الكشوف الجديدة فى المنطقة نفسها لمجموعة تسمى ما قبل إنسان الزنج Prezinjanthropus وهى أقرب مجموعة للإنسان المنتصب، ومع كثرة كشوف هذه الحفريات سميت الإنسان القادر أو البارع Homo Habilis الذى كان يصنع الأدوات ويصطاد الكثير من الحيوانات الموجودة فى تلك البيئة القديمة(٢٩).

وقد قدم ليكى فى نوفمبر عام ١٩٧٢ إلى الجمعية الجغرافية الوطنية فى واشنجتون تقريرًا علميًا عما اكتشفه من بقايا جمجمة وساق يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف المليون سنة فى جبل حجرى بصحراء تقع شرق بحيرة رودلف فى كينيا، وقد اعتبر هذه البقايا أقدم البشر للإنسان الأول لأنها تمتد فى

قدمها مليونا ونصف مليون عام عن أقدم أثر أمكن الحصول عليه حتى الآن(الرجل القرد الأفريقى الذى عاش منذ مليون عام)، وأكد ليكى أنه بالرغم من أن هذه الجمجمة لا تشبه جماجم الإنسان الحديث إلا أنها تختلف كذلك عن جميع أشكال الجماجم التى عثر عليه للإنسان الأول، والاكتشاف الجديد يبين أن هذا المخلوق الإنسانى يرجع إلى حوالى مليونين ونصف مليون عام. وذكرت الجمعية الجغرافية الأمريكية فى تعليقها، أن هذه النظرية تقوم على أساس أن الرجل القرد الأفريقى Australopithecus Africanus الذى كان أساسا من أكلة النباتات قد وصل إلى مرحلة تطورية مسدودة؛ بينما استطاع هذا الإنسان البارع Homo Habillis إلى استخدم اللحوم فى غذائه مما أمكنه أن يبقى على قيد الحياة، وبذلك يمكن أن تقلب هذه النظرية النظريات القائمة بشأن كيف ومتى تطور الإنسان عن أجداده فيما قبل التاريخ فى إفريقيا[٣٠].

مفهوم السلالة والعرق

شاع خطأ فى اللغة العربية استعمال الألفاظ "جنس- نوع – سلالة- عرق" إذ استعملت للدلالة على غير مفهوماتها المقصودة والعلمية الصحيحة، ذلك إن استعمالها الشائع يقصد به- إذا كان الإنسان هو محل الاهتمام- أقسام الإنسان المتعددة وهذا غير صحيح علميًا بالنسبة للفظ الجنس والنوع. فالمعروف علميا أن المملكة الحيوانية التى يندرج تحتها الإنسان كأحد فروعها تنقسم إلى مستويات تصنيفية متعددة تشمل: المملكة Kingdom وفيها عدة قبائل Phyla، كما تنقسم القبيلة الواحدة إلى عدة طوائف Classes، وتشمل الطائفة عدة رتب Orders، والرتبة بدورها تشتمل على أكثر من عائلة Family، وهذه تنقسم إلى أكثر من جنس Genus، الذى هو بالتالى يشمل أكثر من نوع Species، ويشتمل النوع الواحد أكثر من سلالة Race[٣١].

وكان ظهور فكرة السلالة طبيعيًا، مع الأفكار التى صاحبت إنتشار أفكار مدرسة أرسطو، ثم تزايدت العناية بها بعد ظهور تصنيف ليناوس Linnaeus سنة ١٧٣٥ للمملكة النباتية ثم الحيوانية، هذا وقد دخل هذا المصطلح فى مجال التاريخ الطبيعى على يد بوفن Buffon,G,L.L الذى استعمله عام ١٧٤٩ لوصف ست مجموعات بشرية[٣٢].

ومن أفضل التعريفات الشاملة للسلالة ذلك التعريف الذى وضعه كون(٣٣) قائلا فيه أن: " السلالة هى قسم كبير من النوع البشرى، يحتل أصلا منذ الانتشار الأول للنوع الانسانى إقليميًا جغرافيًا موحدًا كبيرًا، يلامس سلالات أخرى عبر دهاليز ضيقة من الأرض حتى اكتسبت كل سلالة داخل اقليمها صفاتها الموروثة المتميزة بمظهرها الطبيعى المتطور بخصائصها الاحيائية بما فى ذلك قوة الثقافة".

وهناك تعريف آخر للسلالة وهو: "أنها جماعة تشتمل عدة أفراد يشتركون فى صفات عدة متشابهة، وعندى أن: "السلالة البشرية تعتبر قسما رئيسيًا من النوع الانسانى، يتحدد ببعض الصفات الظاهرية فى الغالب، وما ذلك إلا نتيجة تباين تركيبها البيولوجى المتوارث وفقًا لقوانين الوراثة من خلال انتقالها من جيل إلى آخر (شكل ٣/٢)، ويطلق أحيانًا هذا المصطلح على مفهوم النوع الفرعى Subspecies ويقصد به جماعة من الجماعات المحلية التى تعيش فى بيئة جغرافية معينة ومتمايزة(٣٤)، هذا وغالبا ما يحدث تداخل وامتزاج overlapping فى التوزيع الجغرافى للسلالات ويتفاوت هذا التوزيع مع الزمان بل ومع التقدم التكنولوجى الذى ظهر أثره أخيرًا بوضوح فى وسائل النقل والمواصلات التى سهلت وسرعت من اختلاط السلالات والشعوب مما أدى إلى ظهور سلالات جديدة باستمرار(٣٥).

هذا وتتفاوت معايير تحديد السلالة بيولوجيًا بين سمات ظاهرية وأخرى باطنية، أما الظاهرية فقد تكون أنثربوسكوبية أى تتضمن صفات لها معايير معينة متفق عليها كشكل الرأس أو الوجه (وأجزائه كالأنف والعين والشفاه... إلخ)، وأما عن الباطنية فأهمها الدم وصفاته (فصائله ومكوناته وضغطه) وبصمات الأصابع ومكونات إفرازات الجسم كالبول... إلخ(٣٦)، فكل هذه الصفات هى التى تحدد صفات الفرد وبالتالى تحدد صفات الجماعة أو السلالة (شكل ٣/٣)، وعلى أساسها تبنى معظم العلاقات الاجتماعية والقرابية التى تبنى على أساسها بالتالى المجموعات والشعوب بعد ذلك.

أما العرق فهو تعبير يطلق على الجماعات التى تظهر نتيجة الاختلاط الثقافى ونتيجة التغييرات الوراثية التى تطرأ على مجموعة بشرية تعيش داخل منطقة وبيئة معينة، وهو ينتج من الاختلاط المؤقت بين العناصر البيولوجية الوراثية والعناصر الثقافية المكتسبة المشتركة بين جميع البشر(٣٧)، وفى الحقيقة

لا تكتمل فكرة ومفهوم العرق إلا بتداخل عدة عناصر ومكونات ثقافية واجتماعية أخرى؛ كاللغة والمعتقدات الدينية والتراث الثقافى والحضارى المشترك ذلك الذى يعطى فى النهاية السمة والشخصية المحددة لكل مجموعة سكانية معينة.

وبذلك نجد أن مكونات مفهوم العرق تحددها عناصر طبيعية وايكولوجية وثقافية واجتماعية واقتصادية وتكنولوجية معينة تنعكس كلها فى خليط ممزوج يعطى فى النهاية السمة المميزة للشعب وللقوم المعين والمحدد محل الاهتمام، ومن هنا كانت فكرة القومية والأمية والشعوبية ومن هنا بدأت كثير من مشكلات القارة تظهر، ومن هنا أيضًا كذلك يبدأ الحل الواعى لها.

عراقة سلالات القارة الأفريقية

تتمثل عراقة القارة الأفريقية من الناحية الأنثروبولوجية فى ناحيتين الأولى أنها تمثل حتى الآن الموطن المرجح لنشأة الإنسان أو على الأقل كانت من مواطنه الأصلية، والثانية فى أن كل سلالاتها عريقة فيها حيث نشأت معظمها فيها ولم تفد إليها من خارجها كما كان يظن من قبل.

وقد دلت الحفريات أن الإنسان ارتقى فى أفريقيا، فالقرد الجنوبى Australopithecus والبشريات صانعة الآلات التى تحتل موضعا فيما بين القردة العليا والإنسان، كانت تعيش فى إفريقيا الشرقية والجنوبية منذ نحو ٣,٥ مليون سنة كما سبق القول.

كما عثر على الإنسان الحكيم (البارع) Homo Habilis صانع الآلات والإنسان المنتصب Homo Erectus صاحب المخ الكبير أيضًا فى هذه المناطق، وإن كانت الأدلة تتباين من مكان إلى آخر على تطور الإنسان العاقل Homo Sapiens الذى ربما ظهر فى القارة منذ مائة ألف سنة، وقد ساعدت أدلة البحث الحديثة الجيولوجية والأركيولوجية والأنثروبومترية والإشعاعية على أن أفريقيا قد ساهمت مساهمة كبيرة فى ملىء فراغ شجرة تطور الإنسان، بما كشفت عنه حفريات شرق أفريقيا خاصة فى كينيا، حيث كشفت أسرة ليكى Leakey, Family وآلات للعائلة البشرية الأولى التى ترجع إلى نحو ٢ مليون سنة.

ولعل أهم ما كان يميز به الهوموها بيليز (الإنسان الصانع) هو قدرته المحدودة على الكلام حيث اتضح من دراسة فيليب توبياس وجود نتوء مخى فى منطقة بروكا بعد أحد المراكز العصبية المسئولة عن الكلام(٣٨).

هذا وقد اعتبر سير آرثر كيث Keith,Sir A. الحفريات التى كانت تتميز بطول الرأس والأنف والتى عثر عليها ليكى Leakey, L.S.B على شواطىء بحيرتى ناكورو والمنتيتا فى شرق أفريقيا لأسلاف الحاميين Proto-Hamites وأدخلها ضمن نمط إنسان كرومانيون Cro-Magnon الذى اعتبرها سلف للأوربيين Proto-European(٣٩).

كما كان إليوت سميث Elliot- Smith صاحب دعوى أن الإنسان المصرى فى عصر ما قبل التاريخ وعصر بداية الأسرات هو صاحب حضارة الزراعة الأولى ومن مصر إنتشرت أيضًا سلالة أصحاب اللون البنى Brown Race(القوقازى داكن اللون) وقد بنى إليوت سميث رأيه هذا على أدلة تشريحية عثر عليها فى مناطق كثيرة من العالم القديم(٤٠).

بل الواقع أن جهود ليكى قد توجت فى كانجيرا Kanjera(١٩٣١-١٩٣٢) بكينيا بالكشف عن جمجمتين من نوع الهوموسابينز، كما إستقر الرأى على ذلك فى ندوة المعهد الأنثروبولوجي الملكى R.A.I المنعقدة فى كامبردج عام ١٩٣٣، والتى أرجعتها إلى البلايوستوسين الأوسط وأدواتها إلى الثقافة الشيلية Chellean، كما أرجعوا بقايا فك كانام Kanam نظرًا للتشابه الشديد إلى الهوموسابينز أيضًا، أما أدلة الطبقات الجيولوجية والحفريات الحيوانية فقد أرجعتها إلى البلايستوسين الأسفل أى تقريبا فى فترة معاصرة لزمن البثيك أنثروبس وإنسان الصين أى فترة سابقة لعصر الإنسان الحديث(٤١).

والجدير بالذكر أنه بعد جهود أليس هردليكا Hrdlicka,Alis المتأنية فى فحص كثير من الهياكل القديمة يمكن القول أن أمريكا لم تشهد إنسان العصر الحجرى القديم Palaeolithic man(٤٢)، وعلى ذلك فإن السبق ينحصر فى قارات العالم القديم، ويبدو حتى الآن أن كل الأدلة من الأيكولوجيا القديمة والبقايا الحفرية ترجع أفريقيا موطنًا لإنسان الحديث بل وما سبقه من أنماط بشرية قديمة.

هذا وتحتوى الأرض الأفريقية على ثقافات عريقة ترجع إلى عصر البلايستوسين الأدنى oldowan tools فى كينيا (Kanan) وأوغندا

Kanyatsi) والمغرب (الدار البيضاء) وتونس (عين حنيش) وبقايا عظمية للقرد الجنوبى Australopithecine فى أولدوفاى olduvai(١,٨ مليون سنة) ولا يتولى laetolil فى شرق أفريقيا، وفى ماكابان Makapan وستركتونتين Sterkfontein وتونجى Taunge فى جنوب أفريقيا، وأيضًا فى يايا yaya الصحراء(تشاد)(٤٣).

كما تنتشر البقايا الثقافية والعظمية للإنسان من أوائل وأواسط البلايستوسين الأعلى خاصة الثقافات الشيلية Chellian والأشولية Acheulian والليفلوازية الموستيرية Levallios Mousterian والسانجوان Sangoan والعاطرية Aterian وعظام الإنسان المنتصب القامة Erectus Homo والإنسان الحديث Homo Sapiens والنياندرتال Neanderthaloids والروديسى Rhodsioids فى كل أنحاء القارة خاصة الشمال الغربى والشرقى وشرق وجنوب القارة (٤٤).

ولقد دلت كل تلك الآثار على أن أفريقيا كانت موطنًا للإنسان الأول ومنها إنتشر إلى باقى قارات العالم (خريطة ٣/٢)، كما حوت كشوف مكبيرتى Mcburney, C,B,M (١٩٥٢و١٩٥٥) فى كهف الهوافطيح فى برقة ويقع إلى الشرق قليلا من بلدة سوسة (أبولونيا القديمة) بالجبل الأخضر؛ على حفريات عظيمة وآلات وأدوات حجرية ربطت بيولوجيا وحضاريا بين إنسان الكرمل (الطابون) وإنسان الرباط(الحنك) وهما مع إنسان الهوافطيح من النمط النياندرتالى (الفترة الدفينة السابقة على فرم (٤٥)، مما يحمل الدليل على وحدة الأصل للإنسان العربى الحديث، هذا وقد حوت حضارته التى عثر عليها فى كهف الهوافطيح على أول آله نفخ موسيقية (فلوت)، كل هذا يدل على عراقة الإنسانية والحضارة فى أفريقيا وكما يدل على عظم مساهمة أفريقيا فى إثبات وحدة وعراقة الإنسان العربى.

المجموعات السلالية الأفريقية

تتعرض الكتابة فى السلالات إلى محاذير كثيرة منها الدعوى التى شاعت فى الأصول المتباينة للسلالات الحالية(للإنسان الحالى) والتى بدأها فرانز فيدنريخ Weidennerich,F وتلقفها كون Coon,C.S وبنى كتابه (أصل السلالات ، ١٩٦٣) على أساس فكرة (تحت النوع Subspecies) التى تقسم

النوع الحالى Homo Sapiens إلى أنواع فرعية (أو تحت أنواع) تمثلها المجموعات السلالية الكبرى التى هى: القوقازية Caucasiod، والمغولية Mongoloid وكونجولية Congoid، والكيبوانية Capiod، والاسترالية Australiod وهى بعامة تتفق مع التقسيم الأساسى الشائع حاليا، وهى التى حاول كون أن يربطها ببعض أنماط من البشريات القردية مما أوخذ عليه كثيرًا.

أما دوبزانسكى Dobzhansky,Th فقد قسم الجنس البشرى إلى ٣٤ سلالة (٤٧) منها تسع فى القارة الأفريقية هى: البحر المتوسط- شرق أوروبا- السودانيون- زنوج الغابة- البانتو- البوشمن- الهوتنتوت- أقزام أفريقيا- ملونو جنوب أفريقيا. والغالب على هذه السلالات أنها تشمل أقدم وأعرق السلالات، إلى جانب أنها تتضمن سلالات حديثة مازال وعائها الجينى مفتوحا حتى اليوم.

وبعامة فقد قسم معظم الأنثروبولوجيين ناس الأرض إلى ثلاث مجموعات سلالية كبرى هى القوقازيون Caucasoids والزنوج Negroids والمغوليين Mongoloids وهم من يعرفون بتعبيرات شائعة السلالات البيضاء، والسوداء، والصفراء على التوالى.

ويمثل القوقازيون وهم الأكثر شيوعا بين الثلاث، الجماعات البيضاء بما فيها شقراء وبنية البشرة وذات الشعر المموج أو المسترسل وهم الذين ينتشرون فى أوروبا وأفريقيا شمال الغابات (وهو ما يطلق عليه خطأ شمال الصحراء) وجنوب غرب آسيا ومعظم الهند بالإضافة إلى المهاجرين من هذه المناطق إلى سائر أنحاء العالم المعمور حاليا خصوصا أمريكا واستراليا وأفريقيا الجنوبية.

أما الزنوج فيعرفون بأنهم أصحاب البشرة السوداء والشعر الصوفى والمفلفل والشفاه السميكة المقلوبة للخارج والفك البارز وهم ينتشرون أساسا فى إفريقيا جنوب نطاق الغابات وخلاله من شمال خط الأستواء إلى جنوب القارة، بالإضافة إلى مجموعة جزر ميلانيزيا فى المحيط الباسفيكى (الهادى) وبعض مناطق أمريكا.

أما المغول فلون بشرتهم أصفر متباينة درجاته، وبالشعر المستقيم وبالرأس والوجه العريض، وبوجود طية فوق الجفن العلوى للعين(الثنية المغولية epicanthic fold) (شكل ٣/٤)، وموطنهم شرق آسيا مع امتداد وآثار لهم بين هنود أمريكا والإسكيمو وبعض مناطق أفريقيا.

هذا كما توجد بعض الجماعات السلالية الصغيرة، مثل الأستراليين الأصليين فى أستراليا والأقزام والجماعات الكيبوانية (البوشمن والهوتنتوت) فى أفريقيا، هذا ويجب ملاحظة أن غالبية سكان العالم الآن تقريبا ينتمون بصورة أو بأخرى إلى المجموعات الثلاث الرئيسية السابق ذكرها.

أما السلالات البشرية فى القارة الأفريقية حاليا (خريطة ٣/٣) فيمكن تقسيمها إلى المجموعات التالية: القوقازيون، الزنوج، والمغوليون(الجنوبيون)، بالإضافة إلى الجماعات الأفريقية القديمة ممثلة فى الكيبوانيين (البوشمن والهوتنتوت) والأقزام(شكل ٣/٥)

والملاحظ أن هذه السلالات قد نشأت وتكونت نتيجة الاختلاط الذى حدث ويحدث باستمرار فيما بينها.

وعلى ذلك فإنه يمكن حصر **المجموعات السلالية العشر الكبرى التالية** التى تندرج تحتها عدة سلالات فرعية وهى التى تدخل تحتها العديد من الجماعات القبلية[٤٨] (جدول ٣/١).

جدول ٣/١- تصنيف شويقة للسلالات البشرية الأفريقية

000	المجموعة الكيبوانية(جنوب غرب القارة): وتشمل، البوشمن والهوتنتوت.
100	الأقزام الأفريقيون (متناثرين فى وسط الغابات الأستوائية): وهم النجريللو.
200	الزنوج الخلص (غرب أفريقيا): ويشملون، زنوج السودان وزنوج الغابات
300	زنوج البانتو (جنوب وشرق وغرب ووسط القارة): وينقسمون إلى شرقيون ومعهم النيليون وغربيون وجنوبيون وبحيريون.
400	زنوج النيل(جنوب السودان وشمال أوغندا):كثيرون ومنهم/ الدنكا والنوير والشلك والأنواك وغيرهم.
500	زنوج أنصاف الحاميين (من جنوب السودان إلى وسط تنجانيقا): وأقسامها الجغرافية هى، الشماليون والجنوبيون وأهل الوسط.
600	جماعات زنجية عريضة الرأس (وسط القارة ووسط وجنوب غرب السودان) مثل الآزاندى والنوبا والأنجسانا.
700	القوقازيون(شمال وشرق وجنوب القارة): وينقسمون إلى، ساميين وحاميين (السلالة البنية) وأوربيين.
800	الأسيويون(مدن جنوب وشرق أفريقيا): أهالى شبه القارة الهندية والأندونيسيون من المغول الجنوبيون).
900	الملاجاشيون وأهالى الجزر الأخرى (مدغشقر والجزر القريبة منها): فى المحيط الهندى.

وعليه فإنه يمكن القول أنه يوجد بالقارة الأفريقية معظم السلالات البشرية المعاصرة، نجدها ممثلة فيها بتواجد واضح، بل هناك بها مجموعات سلالية وأوعية جينية جديدة تكونت نتيجة حدوث اختلاط بين أكثر من سلالة فى مناطق مختلفة منها، خاصة شرق وجنوب القارة[٤٩].

وفى الحقيقة إذا أمعنا النظر فى توزيعات الصفات الأنثروبومترية والأنثروبوسكوبية فى أفريقيا(جدول ٣/٢) نجد أن معظمها ممثلا فى القارة بين سلالاتها وشعوبها المختلفة بحيث لا تكاد توجد صفة أنثروبومترية، إلا وهى ممثلة فى القارة الأفريقية.

جدول ٣/٢- بعض الصفات الأنثروبومترية والأنثروبوسكوبية بين سلالات أفريقيا (٥٠).

السلالة والشعب	القامة	لون البشرة	شكل الرأس	شكل الأنف	شكل الشعر	الشفاة	صفات خاصة
الكيبوانية							
أكمام	قصيرة	فاتحة- بنية ومصفرة	ضيقة - متوسطة	عريض جدا	مفلفل	رفيعة وإلى حد ما مقلوبة	الخدود بارز والعجز متضخم
الأقزام							
مبوتس	قصيرة جدا	فاتحة-بنية ومصفة	ضيقة- متوسطة	عريض	مجعد	متوسطة ولكن غير مقلوبة	العيون ناتئة يغطى الجسم زغب
الزنوج							
ماندى	طويلة	غامقة-بنية	ضيقة	عريض	مجعد	مكتنزة ومقلوبة	الفك بارز
دنكا	طويلة جدا	غمقة-بنية	ضيقة	عريض	مجعد	متوسطة ومقلوبة	الأطراف طويلة
القوقازية							
القبائل	طويلة	بنى فاتح	متوسطة	ضيق- متوسط	مستقيم أو مموج	متوسطة- رفيعة	أحيانا الشعر والعين أشقر
الجالا	طويلة	بنى متوسط	متوسطة	ضيق	مجعد	متوسطة- سميكة	الأنف ناتئة
المغولية							
مرينا	قصيرة	بنى مصفر	متوسطة إلى عريضة	عريض	مستقيم	متوسطة	الثنية المغولية

هذا وتساعد الدراسات الأنثرو بومترية والأنثروبوسكوبية أيضًا فى إثبات أو نفى العلاقة السلالية وبالتالى الاجتماعية بين جماعات جينية معينة خاصة وأن هذه الدراسات تتبع المنهج الكمى(٥١)، وتزداد هذه الأهمية فى أفريقيا حيث تقل الوثائق التاريخية ذات القيمة والدلالة العلمية.

وإذا بدأنا بمجموعة السلالات القديمة نجد أن النمط الأول منها هو النمط الكيبوانى ممثلا فى البوشمن والهوتنتوت، وذلك نسبة إلى منطقة رأس الرجاء الصالح حيث يعيشون قريبا منها حاليا فى مناطق العزلة الفقيرة فى صحراء ناميبيا بعد أن دفعوا إليها أمام الموجات الزنجية التى وفدت بعدهم، مما اضطرت إلى الإنزواء فى هذه المناطق القاحلة الصعبة، بعدما كانوا منتشرين فى معظم أجزاء القارة خاصة قسمها الشرقى بل والشمالى حيث كان موطنهم الأصلى.

وتعتبر هذه المجموعة السلالية (مع المجموعة الكونجولية) إفريقية النشأة والموطن أساسا (من إنسان بوسكوب)، حيث لا يوجد إمتداد للسلالة الكيبوانية خارج أفريقيا- ربما لأسباب جغرافية وتاريخية- وكان من نتيجة ذلك أن ثقافاتهم خاصة من الناحية اللغوية (اللغات الخواسانية) تعتبر لغات إفريقية بحتة.

وتتميز هذه المجموعة السلالية بقصر القامة(أقل من ١٥٠سم) والبشرة الصفراء إلى البنية والشعر المفلفل وعظم الوجنات بارزة والأنف أفطس والجبهة عريضة وعالية وعظمة الذقن مدببة بالإضافة إلى ظاهرة تضخم العجز Steatopygous(رجالا ونساء) مع Elongated labia minora ومع مظهر الرأس الخماسى ومحاجر العين المستطيلة(٥٢).

والجدير بالذكر أن مجموعات قبائل هذه المجموعة لا يقتصر وجودها على مناطقها المنعزلة المشار إليها، بل لقد انتقل بعض أفراد منهم- خاصة من الهوتنتوت- للعمل فى المدن والريف الحضارى فى دول جنوب أفريقيا خاصة جمهوريته، وكان لذلك أثره على تكوينات أجسادهم ومظاهرهم الثقافية.

والملاحظ أن هناك اختلاف واضح بين البوشمن والهوتنتوت ليس فقط فى اللغات بل أيضًا فى الحرف والنشاط الاقتصادى فبينما يزاول البوشمن- حتى اليو- أبسط أنماط الحياة من جمع والتقاط الغذاء حينما تجود به الطبيعة، نجد أن الهوتنتوت يزاولون رعى الماشية.

ولا يفوتنا أن نذكر أن هناك بعض الجماعات الكيبوانية مازالت تنتشر فى شمال وفى شرق القارة، كدليل حى على عظم اتساع أوطان هذه المجموعة فوق معظم أراضى القارة، ففى شمال القارة تنتشر السمات الكيبوانية بين القبائل والريفيين بل وبعض عائلات الواحات المصرية (عائلتى أبو ليفة والحدادين فى البحرية)، كما توجد فى شرق أفريقيا قبيلتى هادزا وسانداوى فى وسط تنجانيقا وهما ينتمان لهذه المجموعة الكيبوانية بيولوجيا وثقافيًا(٥٣).

ومما لا شك فيه أن هذا الانتشار القديم، قد ترك تأثيره البيولوجى على معظم الجماعات الزنجية البانتوية فى جنوب أفريقيا بنسب متفاوتة (٥٤) (خريطة ٣/٤).

أما النمط القديم الثانى فهو الأقزام (النجريللو) صغيرى القامة(١٤٠ للرجال، ١٣٠ للنساء فى المتوسط عامة) ونجد أنهم يتميزون أيضًا بالبشرة الصفراء الداكنة والمغطاة بشعر خفيف، وبالعيون البارزة، والأنوف المفلطحة، والفك البارز، بالإضافة إلى شعر الرأس المفلفل(٥٥)، هذا بالإضافة إلى السمات الدالة على قدم وعراقة هذه الجماعة مثل ظاهرة تضخم العجز Steatopygous وتكور الجبهة وبعض الصفات الطفلية، ويعيش الأقزام فى غابات وسط القارة فى كنف بعض القبائل البانتوية حيث يرتبطون بهم اقتصاديا ولغويا ودينيا(٥٦).

وتذكر أحدث الدراسات أن الأقزام الأفريقيين (النجريللو) شأنهم شأن الأقزام الأسيوسيون (النجريتو) ليست لهم صلة بيولوجية قديمة بالسلالة الزنجية بل إنهما يعتبران نمطًا سلاليًا خاصًا، وأن تشابهما فى التاريخ السلالى حيث تعرض كلا منها إلى هجمات من عناصر أقوى أضطرتهم إلى الانزواء داخل أوطانهم الحالية المنعزلة(٥٧).

أما المجموعة الكونجولية ويقصد بها أساسا هنا الزنوج، فينقسمون إلى السودانيين أو الزنوج الخلص (لوحة ٣/٢)، وزنوج البانتو، والجدير بالإشارة أن توزيعات كل من هاتين المجموعتين تتضارب فيها الآراء والاجتهادات، فبينما يرى سليجمان Seligman, C.S. (١٩٣٠) عندما وضع خط البانتو Bantu line ليفصل ثقافيا- ولغويا بالتحديد- بين زنوج السودان وبين زنوج البانتو، فوطن الأولين يمتد ليغطى مناطق غرب القارة، وأوطان البانتو تمتد لتغطى كل جنوب القارة(٥٨).

ونجد أن ريتشارد جولدسبى Goldsby, R.(١٩٧١) يرى أن أوطان زنوج غرب أفريقيا تمتد لتشمل غرب القارة ومعظم حوض الكنغو، بينما تغطى أوطان البانتو القسم المتبقى من القارة جنوب خط الأستواء وهو يفرق بيولوجيا بين عدة سلالات فى أفريقيا الزنجية هى: زنوج السودان، والبانتو، وزنوج شرق أفريقيا(النيلسون وأنصافهم عند سليجمان)، وأقزام الغابات، والهوتنتوت، والأخيرة سلالة خارج المجموعة الكونجولية [٥٩] (خريطة ٣/٥).

والجدير بالذكر أن منطقة تخصص (موطن) الزنوج فى أفريقيا كانت فى شمال نيجيريا الحالية حيث عاشوا فيها نحو ألف عام منذ القرن الأول للميلاد، ومع عام ألف تقريبا انتشروا غربا وشرقا أساسا ثم جنوبا حيث انتشروا فى أوطانهم الحالية.

أما زنوج البانتو أو الكافيير فهم زنوج تأثروا بدماء حامية شرقية (إثيوبية) قوقازية كثيرة، وهم تجمعهم مجموعة لغوية واحدة على خلاف زنوج السودان متعددى اللغات، وهم يقطنون كل النصف الجنوبى من القارة تقريبا إلى الجنوب من خط عرض ٥° شمالا.

وينقسم البانتو إلى شرقيين وهم الذين يعيشون فى أوغندا وكينيا وتنزانيا، وغربيين وهم الذين يعيشون فى حوض الكنغو وانجولا، ثم جنوبيين وهم الذين يحيون إلى الجنوب من نهر الزمبيزى بصفة عامة، ثم بحيريون على هضبة البحيرات الأستوائية.

هذا ويتميز البانتو بالصفات الجسدية الزنجية التى كثيرًا ما تكون معدلة بعض الشىء خاصة فى صفات الوجه نتيجة للتأثيرات القوقازية خاصة بين البانتو الشرقيين، بينما يظهر تأثير الأقزام خاصة فى عرض الرأس الكبير وقصر القامة بين البانتو الغربيين، أما البانتو الجنوبيين فيتميزون بلون البشرة الأقل سودا وبالقامة الطويلة، نجد ذلك عند الزولو وغيرهم، ولا يختلف كثيرا بانتو البحيرات من البانتو الشرقيين.

ويبدو أن للبيئة الجغرافية دور ملموس فى خلق التباين البيولوجى، ذلك أنه رغم التشابه الكبير فى المكونات الجينية بين أفراد الجنس البشرى[٥٩]، إلا أنه لوحظ أن لكل مجموعة سكانية تركيب وراثى متباين حتى بين أفراد الوعاء الجينى الواحد المحدود (جدول ٣/٣)

جدول ٣/٣- توزيع فصائل الدم مجموعة ABO بين بعض جماعات كينيا(٦٠)

القبيلة أو الجماعة	n	A	B	O	AB
تافيتا Taveta	٥٦	٣٠	٢٢	٤٤	٤
تائيتا Teiitaa	٢٧	٤١	٧	٤٥	٧
كامبا Kamba	٧٧	٢٥	١٦	٥٧	٣
بونى Boni	٥٠	٦	٥٠	٣٤	١٠
سواحيلى Swahili	٩٨	١٠	٤٦	٣٥	٨
عرب Arabs	٦١	٣٣	١٠	٥٤	٣

وأفريقيا كما نعلم هى موطن السلالات السوداء، التى تمثلها هنا فى صورتها النقية زنوج غينيا أو السودانيون أهالى غرب أفريقيا، وتتميز سلالاتهم بارتفاع القامة وبلون البشرة الداكن والفك البارز والشفاه المكتنزة المقلوبة والأنف الأفطس والشعر الصوفى وارتفاع نسبة طول الأطراف السفلى وضيق عظم الحوض بالإضافة إلى تزايد تردد الخلية المنجلية فى الدم(٦١).

ومن السلالات السوداء أيضًا السلالة النيلية ونصف الحامية أو النيلية الحامية كما تعرف حاليًا وهى من المجموعة الزنجية ولكنها تحوى دماء قوقازية بنسبة كبيرة، وأفضل ملامحهم نجدها ممثلة فى الدنكا (لوحة ٣/٣) والشلك والنوير، وتتميز بطول القامة الديد (يتجاوز المترين – من أطول ناس العالم)، وجسدهم نحيل والأطراف طويلة بالنسبة للجذع، والرأس والوجه طويل جدًا، والشعر أسود ومموج قليلا، ويبدو أنهم نتاج تزاوج قديم تم بين الزنوج وبين الكوشيين (الأثيوبيين).

ويمثل القوقازيون فى إفريقيا؛ ناس النصف الشمالى منها، حيث نجد أن كل المناطق الواقعة إلى الشمال وإلى الشرق من خط الزنوج الذى يمتد من مصب السنغال شرقًا فى تعرجات بين بسيطة وكبيرة لينتهى مع مصب نهر تانا فى للمحيط الهندى، كلها، تقطنها جماعات قوقازية الأصل، تعد فرعًا من سلالة البحر المتوسط تعرف بالسلالة المتوسطة الجنوبية أو السلالة البنية كما أطلق عليها أليوت سميث Elliot, S السابق الإشارة إليه.

ونظرًا لأتساع أوطان هذه السلالة فقد قسمت جغرافيًا ولغويًا بين الحاميين الشرقيين أو الإثيوبيين وبين الحاميين الشماليين أو البربر وبينهما الساميين فى مرتفعات إثيوبيا وبعض المناطق الأخرى.

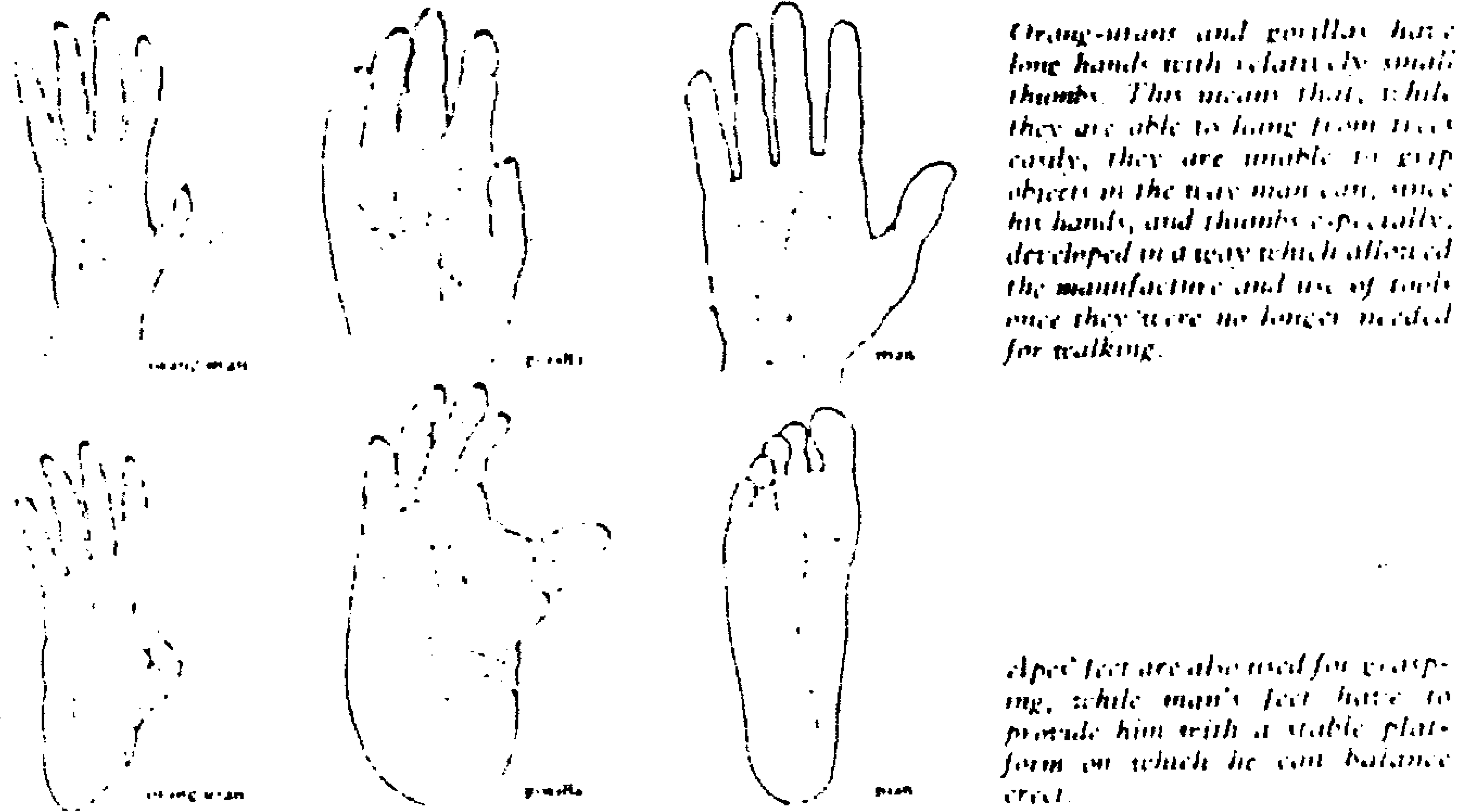
هذا ويعتبر الأوربيون فى جنوب أفريقيا من ضمن السلالة القوقازية وأن كانوا ينتمون إلى سلالة فرعية أخرى هى فى الغالب النوردية حيث كان معظمهم من الهولانديين والبريطان وهؤلاء هم الذين اختلطوا بالمواطنين الوطنيين وأنتجوا فيما بعد السلالة التى عرفة بطونو الكيب وهى سلالة خلاسية تجمع بين الصفات القوقازية والزنجية والكيبوانية.

أما الصفات الطبيعية للسلالة القوقازية البحر متوسطية الجنوبية فتتميز بالرأس والوجه والأنف الطويل والضيق والذقن الواضح، والقامة المتوسطة، ولون البشرة والشعر الأسمر الداكن وأحيانًا الأشقر بالنسبة للحاميين الشماليين والأسود بالنسبة للحاميين الشرقيين.

أما الأقليات السلالية الأخرى فى إفريقيا فهم الآسيويون وملونو الكيب والأوربيون بالإضافة إلى الخليط السلالى العجيب الغريب فى جزيرة مدغشقر.

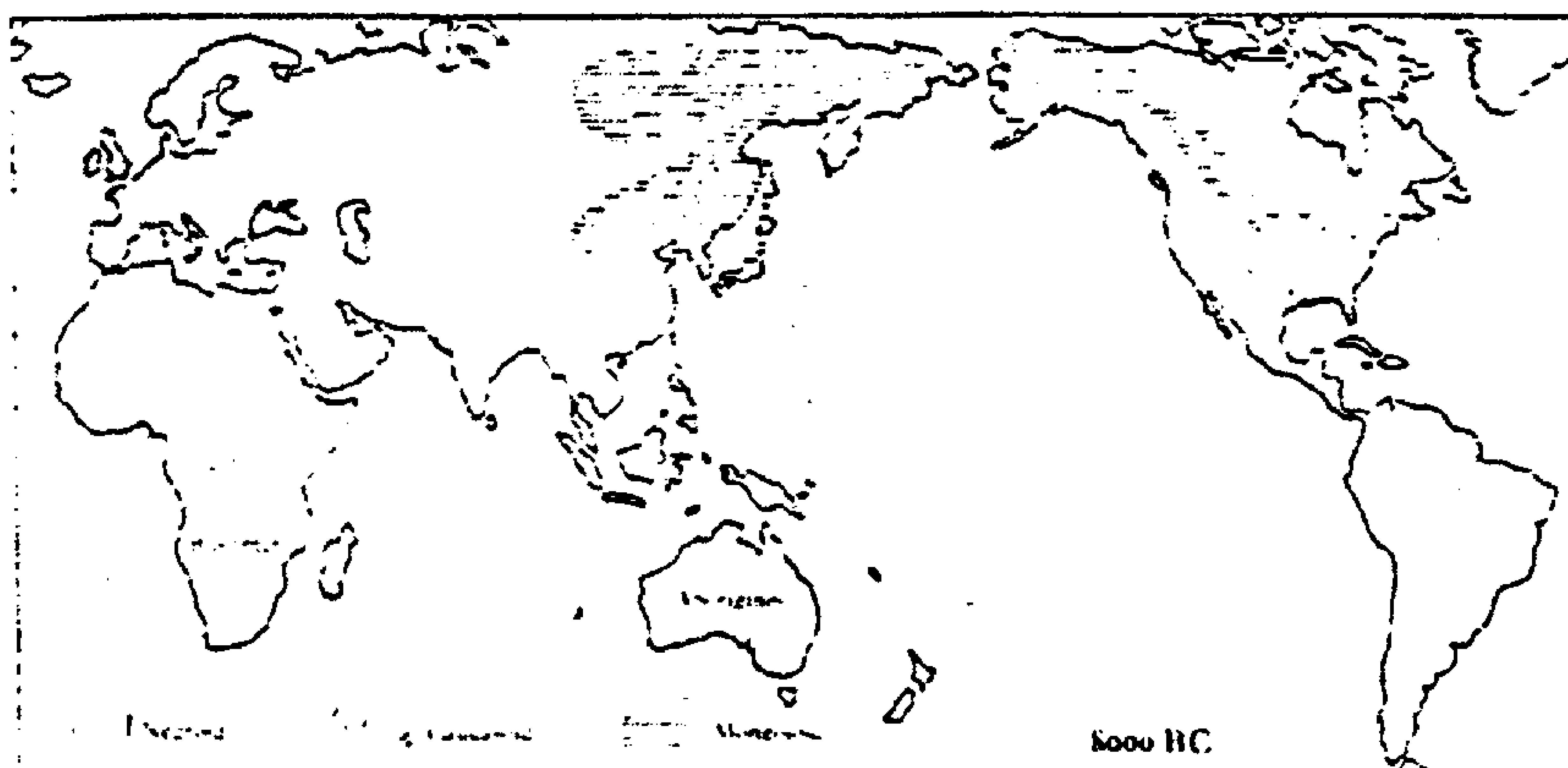
فالآسيويون يستقرون فى المدن الكبرى فى الساحل الشرقى خاصة فى جنوب وكينيا وتنزانيا ومعظمهم من مسلمى الهند والباكستان وشبه القارة الهندية بعامة، وهم فى الغالب لا يختلفون كثيرًا عن الحاميين الشرقيين فى معظم صفاتهم الجسدية، إذ أنهم ينتمون أصلا إلى السلالة القوقازية البحر متوسطية (الهند أوربية لغويًا).

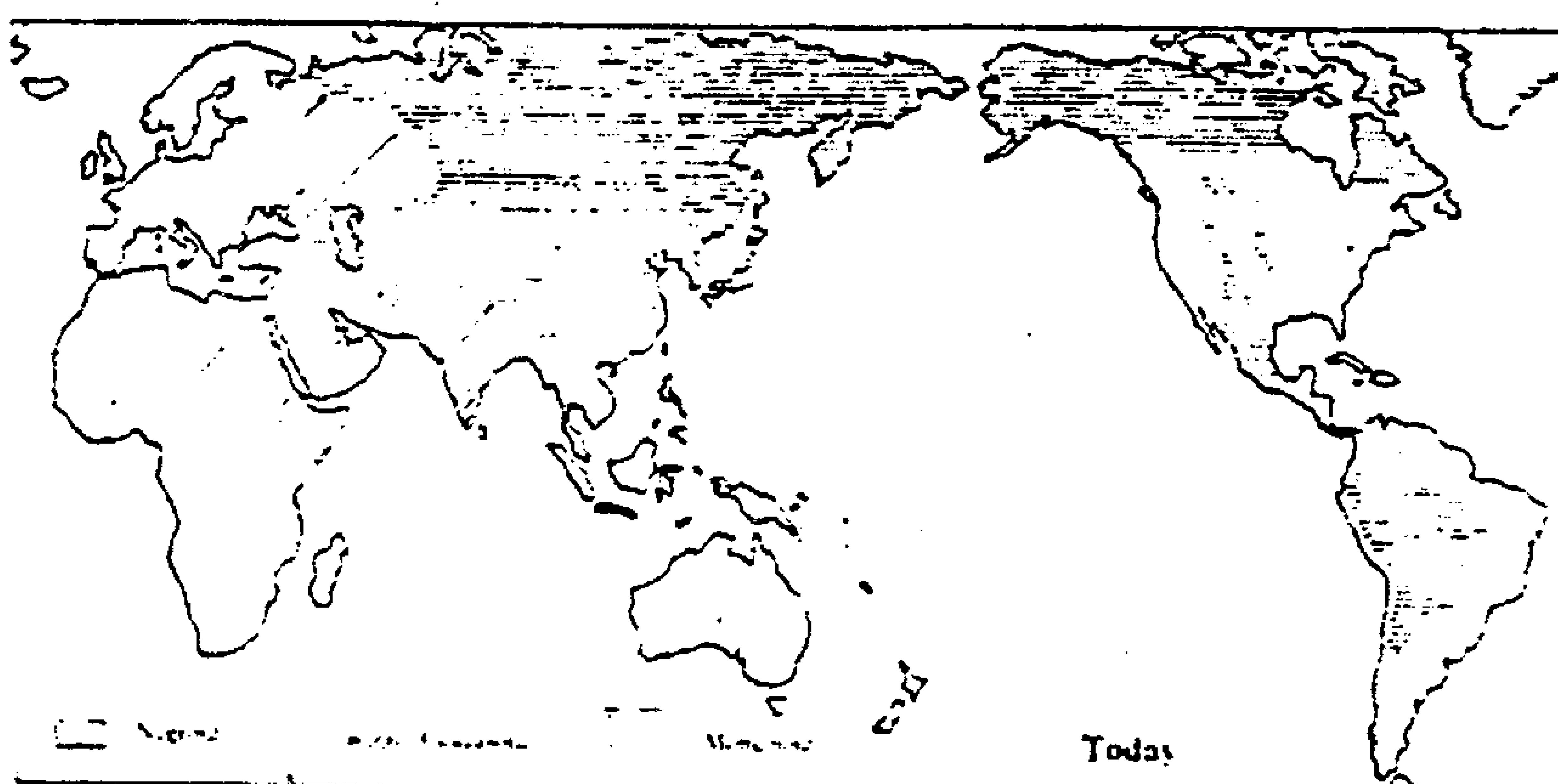
أشكال الفصل الثالث



(عن روبرتس)

شكل ١/٣- تطور اليد والقدم (الأورانج أوتان والجوريلا والآدمى)





(عن روبرتس)

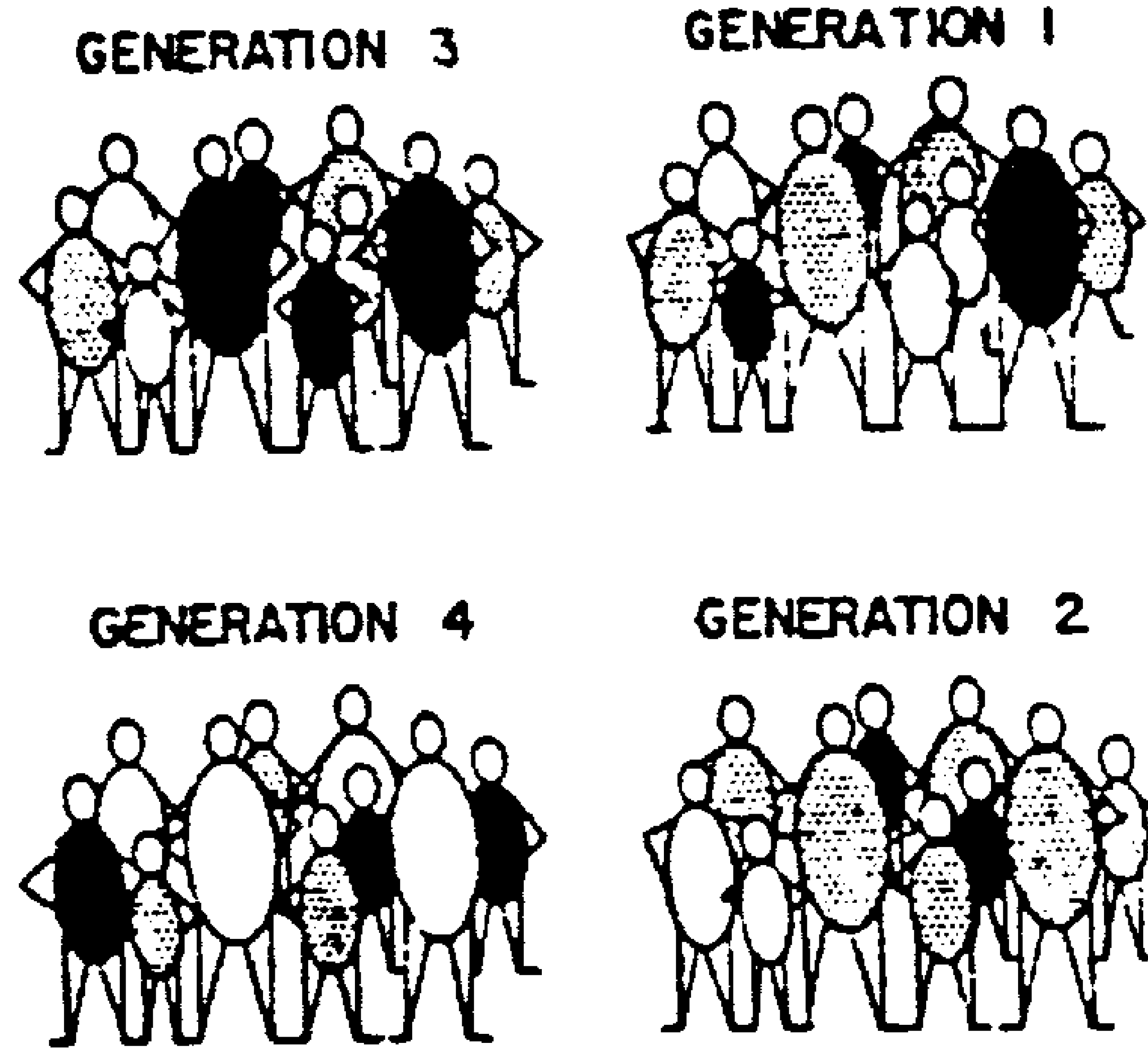
خريطة ١/٣- تطور واتساع وتعقد توزيع السلالات البشرية بمرور الزمان



(عن روبرتس)

لوحة ٣/١ — نماذج للسلالات البشرية الرئيسية الثلاث

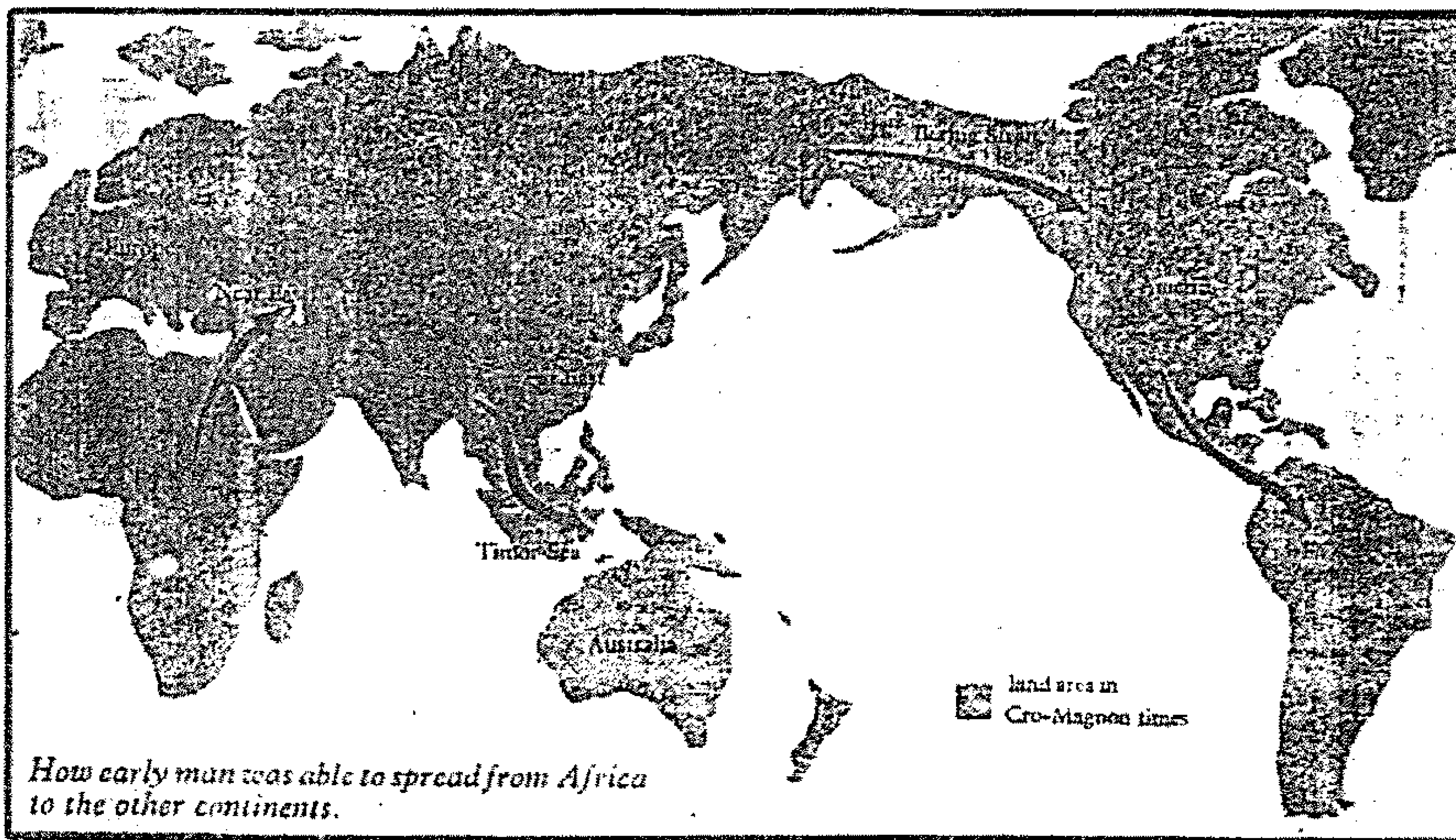
(من اليمين : مغول — قوقازى — زنجى)



(عن روبرتس)

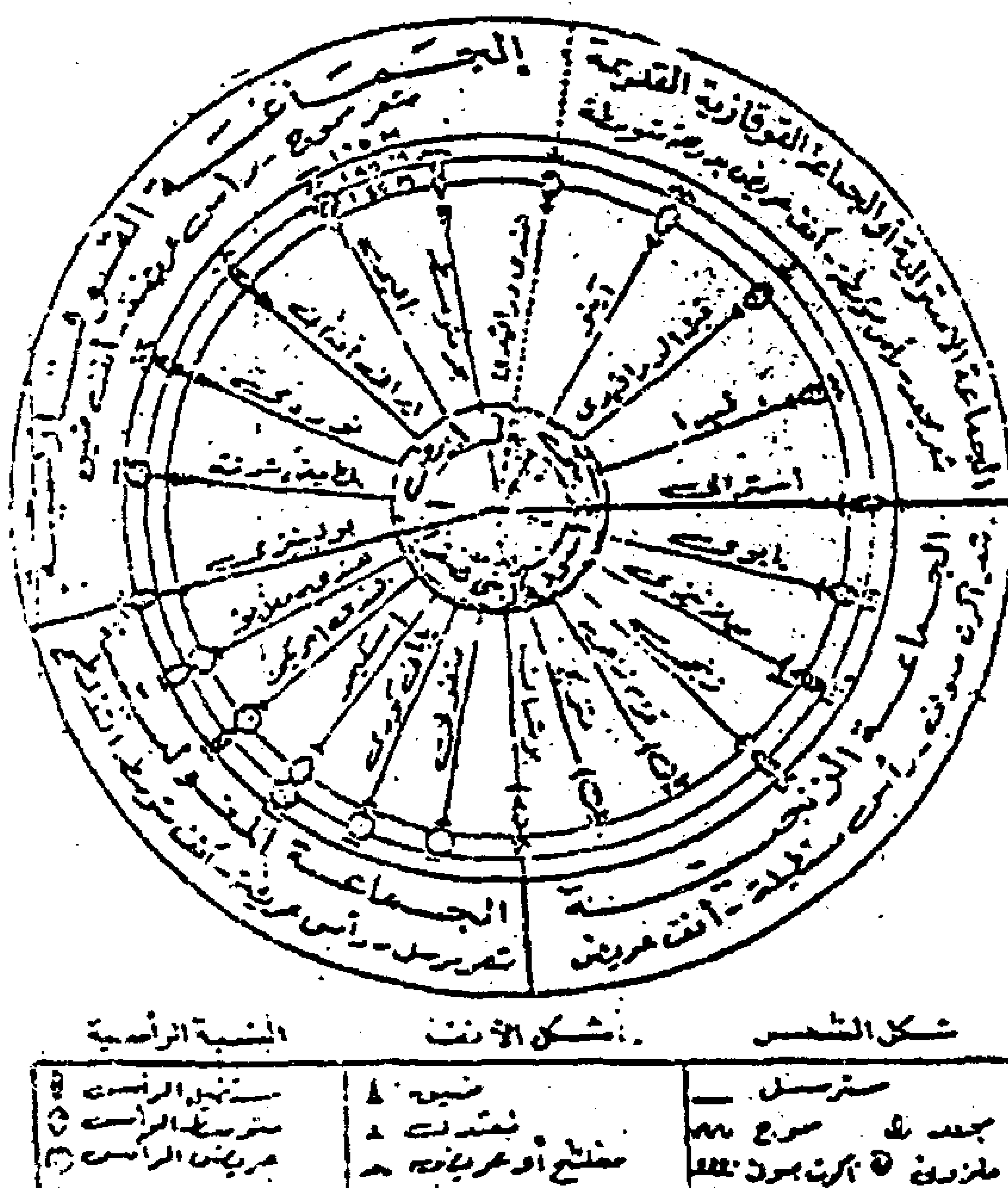
شكل ٣/٢ — يوضح كيفية الاختلاط الذى يحدث أثناء عملية انتقال الصفات الانثروبولوجية من جيل الى آخر

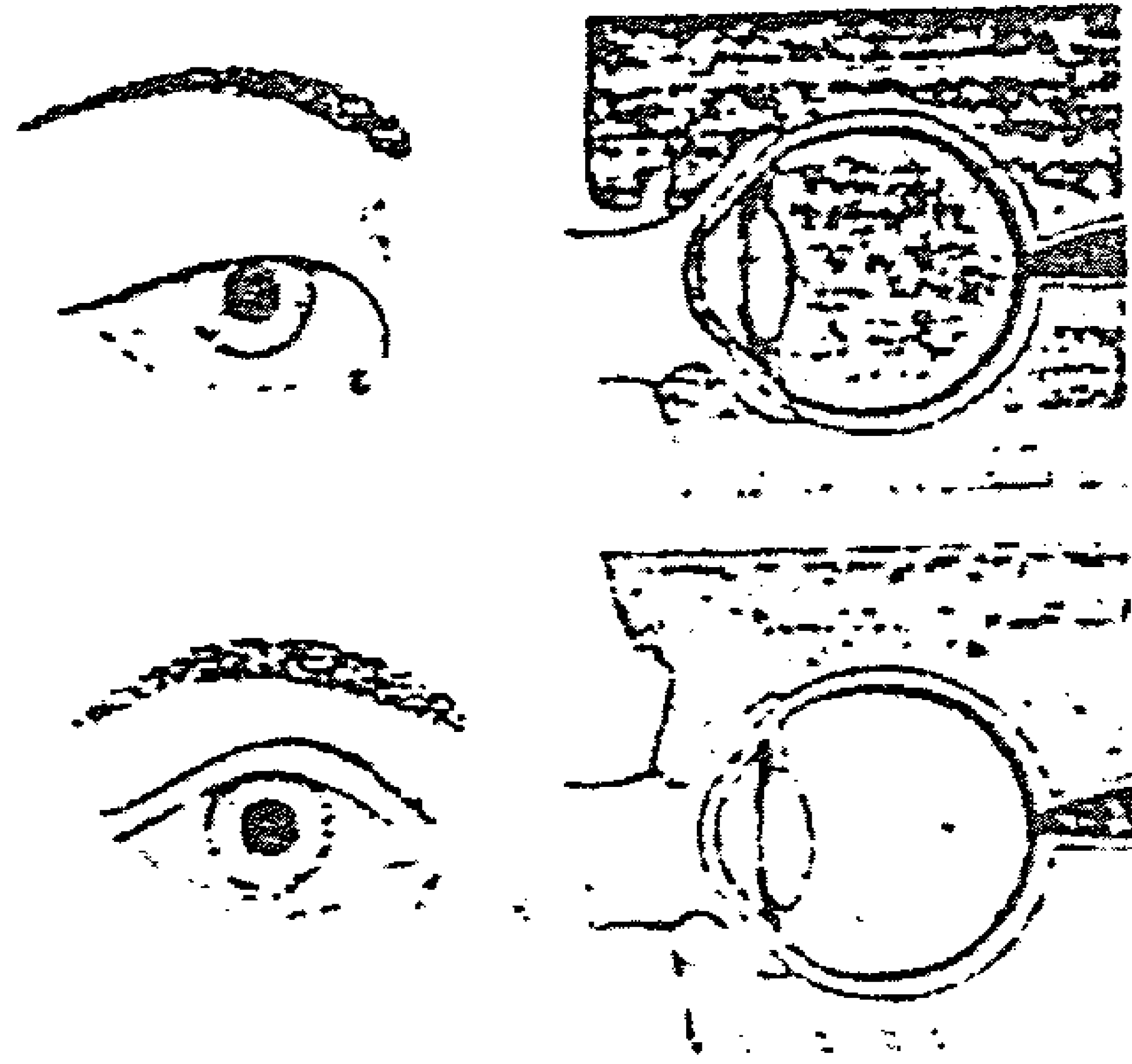
خريطة ٣/٢- أفريقيا هي موطن آدم الأول ومنها إنتشر إلى باقى قارات العالم



How early man was able to spread from Africa to the other continents.

شكل ٣/٣/ الجماعات السلالية الرئيسية الكبرى وصفاتها

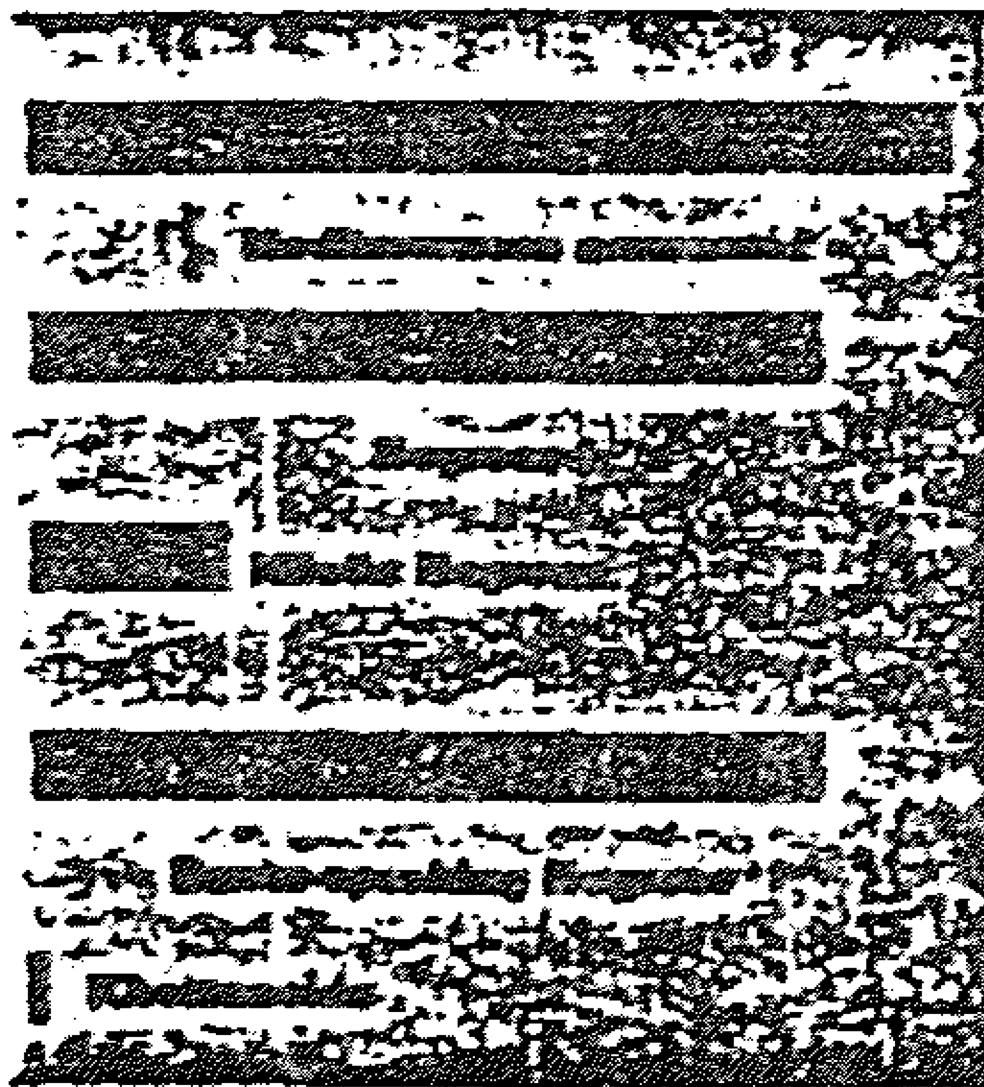




The Mongoloid eye (top) is one of the most recent adaptations of the human body to the environment. Its fold on the upper eyelid helps to protect the eye against the severe Central Asian winter. The Caucasian eye (bottom) has a thinner fatty eyelid.

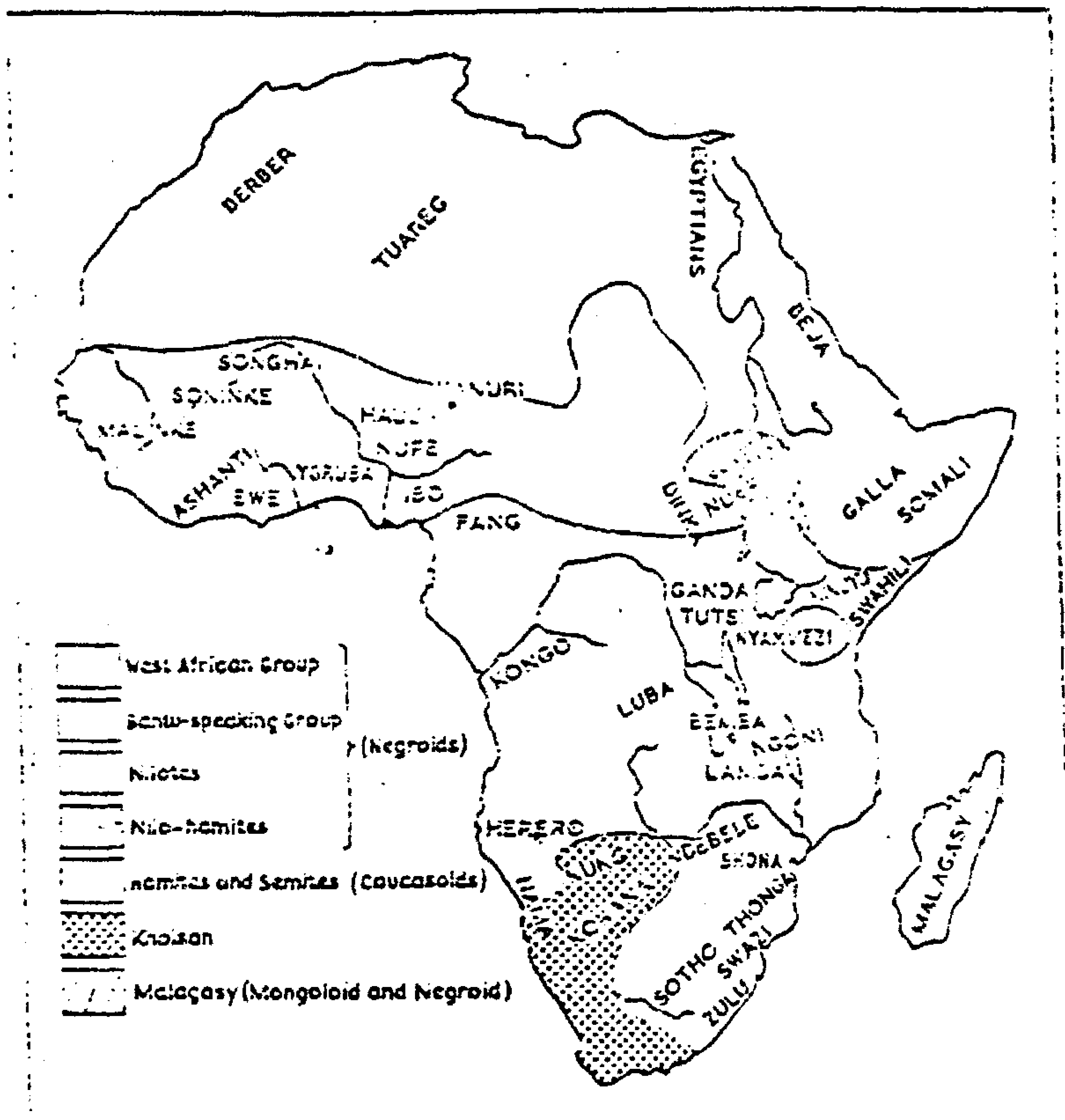
(عن روبرتس)

شكل ٣/٤ــ ثنية جفن العين المغولية



(عن ترى)

شكل ٣/٥ــ السلالات البشرية في افريقيا



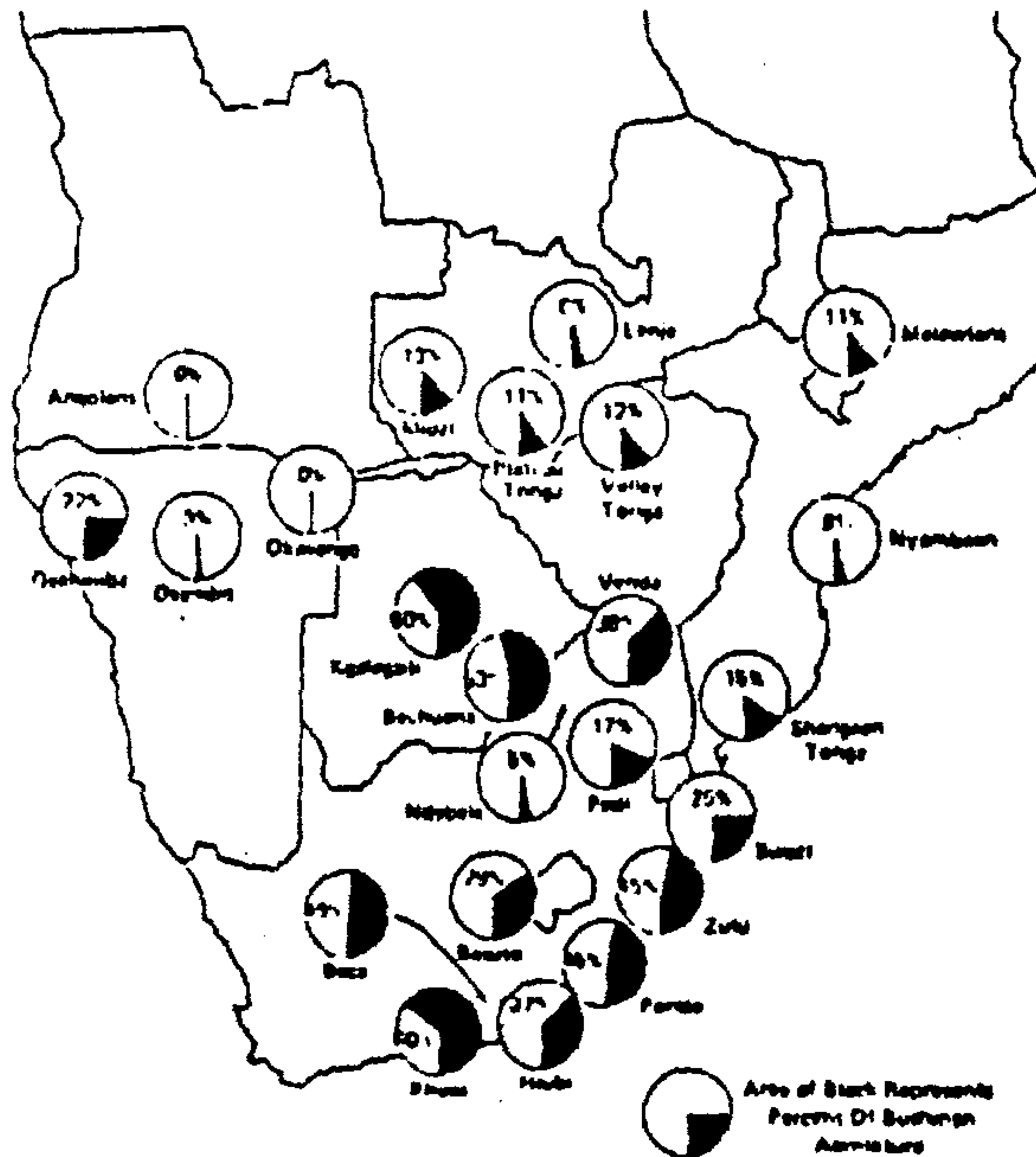
خريطة ٣/٣- توزيع المجموعات السلالية فى أفريقيا



Plat. 2/3 A Hausa tribeswoman from Tibesti in the Chad Republic shows her scarifications The coins hanging from her necklace are five-franc pieces of the 19th century

(عن شريك)

Map 4/3 sloshing the amount of Bushman admisture in various Negro tribes in southern Africa. (From A. G. Steinberg, Ann. Rev. Genet. 3:25, 1969)



خريطة ٣/٥
سلالات أفريقيا الزنجيــــة

(عن سبنسر و توماس)



Plnt.3/3 – A group of Dinka village chiefs in southern Sudan is being addressed by a senior chief. Each of the village chiefs carries a ceremonial symbol of his rank. The Dinka have only a simple tribal organization.

حواشي الفصل الثالث

(١) فاروق عبد الجواد شويقة: مقدمة فى الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ص١٧٧

(2) Morel, Pierre: L`anthropologie physique, Paris, Presses Univ, de France ,1962,p7-9.

(3) Fleur, H, J.: "Preface" In: Ammar, Abbas: The people of Sharqiya Cairo, Societe Geogr, d`Egypte,1944,Vol,I,p.viii.

(4) Linton, R.H.J.: Tree of culture, New York, H.AAlfred A.Knopf,1955,pp.21

(٥) ساتيه، أليس سوتيه: علم الأمراض الجغرافى فى المناطق المدارية محاضرة ألقيت فى الجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة يوم الأربعاء ٢٩ ديسمبر ١٩٧٦ بمناسبة العيد المنوى للجمعية.

(6) Pennimam, T,M.: A hundred years of anthropology, London, Duckworthe, 1935,p.77-81.

(7) Ibid,p85

(8) Ibid,p125-129.

(9) Hooton, E.A: Up form the ape, 2nd, rev,ed, New York, Macmillan, 1964,p694-698.

(١٠) فاروق عبد الجواد شويقة: مقدمة فى الأنثروبولوجيا الطبيعية، مصدر سابق، ص ٤٨

(11) Leakey, L.S.B.:"The origin of the genus homo" In: Evolution after Darwin , Vol.2 Chicago,Chicago Univ, press,1960,p17-22.

(١٢) يسرى عبد الرزاق الجوهرى: السلالات البشرية ، إسكندرية، دار المعارف، ١٩٦٦، ص١٢١

(13) Hawkes, J& Wolley,L: Prehistory and beginnings of civilization, London, UNSCO,1963,p60.

(14) Sandf ord,K,S; Arkell,W,J.: Faleolithic man and the nile valley in Nubia and Upper Egypt , Chicago,1933,p243.

(١٥) محمد السيد غلاب: تطور الجنس البشرى. ط٥. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٤، ص١٣٨

(16) Nestrkh, M.: The races of mankind ,2nd pr,Moscow, Progress publ., 1966,p116.

(١٧) فاروق عبد الجواد شويقة: الأقزام الأفريقيون: مجلة الدراسات الأفريقية، ع٥، ١٩٧٦، ص١-١٠١

(١٨) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية، مجلة الدراسات الأفريقية، ع٦، ١٩٧٧، ص١١١-٢٠٨

(19) Coon, C.S.: The origin of races, London, Jonathan Cape, 1962, p, 650.

(20) Sandfored, K,S.and Arkell.E.J.: op,cit,p301.

(٢١) فاروق عبد الجواد شويقة: النوبة المصرية (رسالة دكتوراه غير منشورة)، ١٩٧٤، ص١٤

(٢٢) اكتشاف جمجمة بالفيوم لمخلوق عمره ٣٦ مليون سنة، الأهرام السبت أول يوليو ١٩٩٥، ص

(23) Hulse, F.S.: The human species; an introduction to physical anthropology, 2nd, ed New york, Random, House,1971,p101.

(٢٤) كان إطلاق تسمية قرد الجنوب نتيجة كشوف ريموند درات Dart. R. (من الأساتذة المؤسسين لجامعة ويت واترز راند فى جنوب أفريقيا) والذى اكتشف جمجمة تونج Taung المتحجرة حيث أطلق عليها قرد الجنوب:

Dubow, S. Human Origins Race, Typology and the other Raymond and Dart. African Studies, Vol.55, No. 1, 1996, p.1-30).

(25) Terry, Roy W.: Man in Africa, Johanesburg, The Institute for the Study of Man in Africa, 1963,p,3-5.

(26) Howells, W.W.: Bach of history; The study of our own history ,New york, Doubleday,co., 1954,p32.

(٢٧) فاروق عبد الجواد شويقة: مقدمة فى الأنثربولوجيا الطبيعية، ص٦٤-٦٧

(28) Leaky,L,S.:op,cit.,p19.

(29) Coon,C,S.: The orgin of races,p289.

(30) Leakey, R,E.: "Skull 1470; discovery in Kenya of the earlist suggestion of the genus Homo nearly three million years old comles a rethinking of man kind's pedigree" National geogr., vol 143,No.6 June 1873,p819-829.

(٣١) فارو ق عبد الجواد شويقة: مقدمة فى الأنثروبولوجيا الطبيعية، ص١٧٩

(٣٢) ذات المصدر، ص١٧٨

(33) Coon,C.S.: The living races of Man, New york, Alfred, A. Knopf, 1965,p10.

(34) King: J.C.: The biology of race, New yprk, Harcourt Brace jovonick,1971,p110.

(٣٥) فاروق عبد الجواد شويقة: المصدر السابق، ص١٨٥

(٣٦) فاروق عبد الجواد شويقة : مدخل إلى الأنثروبولوجيا، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨١، ص٥٩-١٧٠

(37) Montague,A.: An introduction to physical anthropology, 3rd, spring filed, Thomas,1960,p.419.

(٣٨) لويجى لوفا كافاللى- سفورزا: الجينات والشعوب واللغات ترجمة أحمد مستجير، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، الفين، ص ١٨٨

(39) Penniman, T.K.: A hundred years of anthrology, London, Duckworth, 1935,p272.

(40) Daniel, Glyn: "Elliot-Smith, Egypt and diffusionism" In Zuckerman,S(ed).:

The concept of Human evlution, London, Acadimic press, 1973, p416.

(41) Penniman, T,K.:op,cit,p273.

(42) Ibid,p274.

(43) Clark, J.Desmond: "Prehisriic origin of African culture" In: Mc Ewan, P,J,M(ed): Africa from early times to 1800, London, oxfored univ, Press, 1968,p1-20.

(44) Mcburney, C.B.M: Human fleat (cylraica) and the stone Age of the South East mediterransea, Cambridge, Cambridge univm press,1967,p349

(٤٥) محمد مصطفى بازامة: تاريخ ليبيا فى عصور ما قبل التاريخ، بنى غازى، الجامعة الليبية، ١٩٧٣، ص١٧

(46) Gowlett,J: Ascent to civilization London, Collins, 1984,p115.

(47) Dobzansky, Th.: Mankind evolving, New York Haven, Yale Univ, press,1962,p264.

(٤٨) القبيلة مصطلح له دلالة سلالية (بيولوجية) وأيضا دلالة لغوية(ثقافية) وكذا دلالة إجتماعية (قرابية).

(٤٩) فاروق عبد الجواد شويقة: " خريطة رقمية للسلالات والشعوب فى القارة الأفريقية. فى: الموسوعة الأفريقية. المجلد الرابع (الأنثروبولوجيا). جامعة القاهرة معهد البحوث والدراسات الأفريقية؛ مايو ١٩٩٧، ص ٣٠٩-٣٩٤.

(50) Murdock,G,P.: Africa; its people and their culture history, New york, Mxgraw, Hill,1959,p10.

(51) Fisher, R.A: The coefficient of racial likeness and the future of craniometry, J,R,A.I;vol,66,1936.

(٥٢) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية الافريقية ، دراسة فى الأنثربولوجيا الجغرافية، مجلة الدراسات الأفريقية، ع٦، ١٩٧٧، ص١١-٢٠٨

(٥٣) نفس المصدر

(54) Fudenberg, H,Huge et,: Basic Immunogentic , New York Oxfored Univ, Press,1972,pp74.

(55) Montagu, A: An introduction to physical anthropology, p593-596.

(٥٦) فاروق عبد الجواد شويقة: الأقزام الأفريقيون: مجلة الدراسات الأفريقية، ع٥، ١٩٧٦، ص١-١٠١.

(57) Seligman, C,G.: Races of Africa 4th ,ed,London, Oxfored Univ, Press,1967,p27.

(58) Ibid, p8-10

(59) Goldsby, Richared A.: Race and Races New York, The Macmillan co., 1977,p41.

(60) Dobzansky, The: Mankind evolving, New Haven, Yale univ press,1962,p221.

(61) The variability of sickle- cellrates in the tribes of Kenya and southern sudun, British Medical journal, vol,I1964,294-297.

(62)Handall, Henry, W.: Introduction to geography,5th,ed.

(٦٤) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥، ص ١٤٧-١٨٧

ببلوجرافية الفصل الثالث

(١) إبراهيم أحمد رزقانة: العائلة البشرية. القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٥٠.

(٢) ———— ومحمد متولى موسى ومحمد محمود العياد: الأجناس البشرية، القاهرة، مكتبة الشعب بالفجالة، ١٩٧٤.

(3) Cole, S.M.: Races of Man, 2nd.ed. London, Wrustees of British Museum, 1965.

(4) Coon, C.S.: The origin of races. London, Jonathan Cape, 1964.

(5) ———— with Hunt, E.E.: The living races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965.

(٦) فاروق عبد الجواد شويقة: مدخل إلى الأنثروبومتريا. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨١.

(٧) ————: مقدمة فى الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢.

(8) Godsby, R.A.L Race and races. New York, Macmillan Co, 1971.

(٩) محمد السيد غلاب: تطور الجنس البشرى. ط٥. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤.

(١٠) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥.

(١١) محمد رياض: الإنسان؛ دراسة فى النوع والحضارة. ط٢. بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٤.

(12) McElroy, Ann and Townsend, Patricia K.: Medical Anthropology in ecological perspective. North Scitate Mass., Duxbury Press, 1976.

(14) Millot, J.: Biologie des races humaines. Paris, Librairée Armand Colin, 1952.

(15) Roberts, J.M.: The earlist Men and Women. London, Penguin Books, 1980.

(16) Terry, Ry W.: Man in Africa. Johannesburg, Institute for the study of man in Afica, 1963.

(17) Vallois, H.V.: Le race Humain. Paris, Presses Univ. de France, 1951.

الفصل الرابع

المجموعات اللغوية

المجموعات اللغوية

تعتبر اللغة من السمات الأساسية[1]، فمجرد وجودها دليل على وجود قدرات مورفولوجية وفسيولوجية وعقلية عند الإنسان. واللغة هى وسيلة الاتصال المباشر بين البشر عن طريق رموز صوتية معينة، يتفق على كتابتها بأسلوب معين(شكل ٤/١).

هذا وقد شهد تطور كتابة حروف اللغات مراحل متعددة من الأشكال أخذت الاتجاه نحو التبسط فى معظم الأحوال ولقد شهدت ذلك معظم المجتمعات ليس فى الشرق فقط (شكل ٤/٢)، بل وفى أوروبا أيضًا (جدول ٤/١).

جدول ١/٤- الأبجدية ALPHABET اليونانية

Capital	Small	النطق	
A	α	Alpha	=a
B	β	Beta	=b
Γ	γ	Gamma	=g (hard as in "gun")
Δ	δ	Dĕlta	=d
E	ϵ	Ĕ-psilŏn	=ĕ (as in "met") thin ĕ
Z	ξ	Zēta	=z (= δσ)
H	Ŋ	Ēta	=ē (as in "meet")
Θ	θˇ	Thēta	=th (as in "thin")
I	I	Iōta	= i
K	κ	Kappa	= K
Λ	λ	Lambda	= l
M	μ	Mu	= m
N	ν	Nu	= n
Ξ	ξ	Xi	= x (κσ, γσ, χσ)
O	O	O-mīcrŏn	=ŏ(as in "got)o-little
Π	π	Pi	= p
P	ρ	Rhō	= r (rh)
Σ	σς	Sigma	=s(ς only at the end) never=z
T	τ	Tau	= t
τ	υ	U-psilon	= u (thin u)
Φ	ϕ	Phi	= ph
X	χ	Chi	=ch, Kh (as in "chorus")
Ψ	ψ	Psi	= ps (βσ or πσ)
Ω	ω	O-mega	=ō (as in gō) o-big

λ Takes the place of ν before γ, κ, χ and ξ, e.g. " larynx" = λάρνγξ, "sponge" = σπόγγος.

The aspirate (h), at the beginning of a word only, is written thus: ά= ha. Initial ρ and υ aleays have the aspirate.

This sign reversed is placed over unaspirated vowels which begin a word: έξ. These signs stand to the left of a capital letter: Anchises Αγχίσης.

When a diphthong (δίφθογγο) begins a word the sign is placed over the second vowel: αύτό, εϋρηκα.

Ττ is preferred to σσ in Attic Greek.

والحقيقة أنه يصعب الفصل بين الدراسات اللغوية وبين الدراسات الأنثربولوجية فكل من الإثنتين تتشابك موضوعاتها وتتداخل وتتفاعل بدرجات فى معظمها معنوياتها كبيرة، لهذا فليس غريبا أن يهتم كلا من اللغويين والأنثروبولوجيين ببحوث الآخرين[٢]، لهذا كثرت كتابات الأنثروبولوجيين فى اللغويات حيث قام بها أنثروبولوجيين أمثال فرانسس بواز (١٩١٦) وأيفانز بريتشارد (١٩٢٩) وفيرث (١٩٥٧) وقد تجلى ذلك منذ القدم فى أسلوب كتابة الأرقام (شكل ٣/٤).

ولا أقول- فقط- أن الثقافة كاللغة ظاهرة إنسانية [٣]، بل أقول أن اللغة هى أساس العناصر الثقافية التى تكون الظاهرة الانسانية الثقافية، والتى تتداخل مع الزمكان فتكون المستوى الحضارى [٤] وعلى ذلك وبهذه الرؤية، نجد أن دراسة المجموعات اللغوية وتوزيعاتها بل والعلاقات الثقافية بين الشعوب تربط بين اهتمام كل من اللغويين والأنثربولوجيين، بمفهومهم الواسع وأعنى به، كل دارسى العلوم الإنسانية باعتبارهم من الجمهرة العامة للأنثروبولوجيين، بالإضافة إلى الأنثروبولوجيين المتخصصين والثقافيين على وجه الخصوص باعتبارهم خاصة الخاصة

هذا واللغة –أى لغة- تقوم فى المجتمع بالعديد من الوظائف لعل أولها نقل الأفكار والمعارف بين البشر من خلال مصطلحات لفظية صوتية أو مكتوبة وبها تظهر الهوية وتحفظ الأحداث ويكشف مكنون الوعى، لذا كان اهتمام الأنثروبولوجيين بها لا يقل عن اهتمام اللغويين.

وتعتبر أفريقيا لغويا من أكثر القارات تعقيدًا، لا يتفوق عليها غالبا فى هذا، إلا الأهالى من الجنوبية الأصليين فى غينيا الجديدة، إذ يوجد فى أفريقيا ما لا يقل عن ٨٠٠ لغة ولهجة، وتظهر أهمية دراسة المجموعات اللغوية، فى أنها تفتح الباب أمام الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية، خاصة أمام عدم وجود وثائق مكتوبة قديمة خارج نطاق أفريقيا الشمالية، وأيضا أمام قلة المستخرجات الأثرية[٥]، وهذا جانب من جوانب أهمية دراسة اللغات، بالإضافة إلى أهميتها بالنسبة للدراسات الجارية الخاصة باللغات الحية وما يتصل بها من الجوانب الثقافية والأثنولوجية والأنثروبولوجية العامة.

هذا وهناك صلة واضحة بين التقسيم الثقافى اللغوى وبين التقسيم الحضارى الشامل (الذى يشمل كل الإنتاج الثقافى للإنسان)، يظهر هذا بوضوح عند تقسيم أفريقيا إلى أقاليم حضارية فهى ذات صلة كبيرة مع تقسيمها إلى مجموعات لغوية.

المجموعات الكبرى الرئيسية

يحمل تطور التوزيع الجغرافى للغات فى أفريقيا دلالات ثقافية كثيرة يمكن أن نستنتج منها علاقات تتفاوت معنوياتها من مكان إلى آخر ومن عصر إلى آخر، إذ يمكن من مقارنة توزيع اللغات فى قرون غابرة(خريطة ٤/١) مع توزيعاها الحالى(خريطة ٤/٢) أن تظهر علاقات وصلات تاريخية وثقافية كثيرة بين شعوب القارة.

وهناك عدة تصنيفات وتقسيمات لغوية [٦] للغات أفريقيا، تتفق كلها على أن تقسيمها يحمل كثير من التعقيدات نظرًا للترابط الكبير بين توزيعات اللغات وتوزيع القبائل، فتقريبا تتعدد اللغات بتعدد القبائل، ولكن من أبسط التصنيفات اللغوية ذلك الذى تأخذ به المدرسة الفرنسية[٧]، وهو الذى فرق بين ثلاث مجموعات كبرى هى:

١- الخواسانية (لغات الطقطقات) التى تندرج تحتها لغات البوشمن والهوتنتوت.

٢- زنوج – أفريقيا وتندرج تحتها مجموعتين أصغرهما النيجر- الكونغو، والنيلية الصحراوية.

٣- الحامية- السامية.

هذا بالإضافة إلى بعض اللغات الأوروبية التى تغلغلت مع الاستعمار خاصة فى جنوب أفريقيا حيث تركت آثارها هناك ممثلة فى ظهور لغة مختلطة جديدة هى الأفريكانية.

ويبدو أن أساس هذا التباين اللغوى يرجع إلى أختلاف الأصول السلالية واختلاف موطن النشأة (خريطة ٤/٣) مما ترك أثره واضحا على هذا التوزيع الجغرافى للغات الأفريقية.

ومن **التقسيمات اللغوية** الهامة أيضًا للقارة الأفريقية التقسيم الثانى الذى يعبر عن رأى المدرسة البريطانية وهو فى الواقع تقسيم عريض وواسع[٨]:

١- **الحامية الشرقية:** وتمتد منطقتها فى الجانب الشمالى الشرقى من القارة الأفريقية ممتدة من خط الأستواء حتى خط عرض ٢٥شمالاً، ومن الساحل حتى خط ٣٠ شرقًا تقريبًا.

٢- **الحامية الغربية:** وتمتد لتشمل القسم الأوسط والشمالى الغربى من الصحراء الكبرى.

٣- **السامية:** وتشمل معظم لغات شمال أفريقيا من السنغال فى الغرب إلى مصر فى الشرق فكل هذه مناطق لغاتها سامية (عربية) مع بعض الجيوب الحامية.

٤- **لغات غرب أفريقيا:** وتلك متعددة تشمل: لغات الزنوج السودانيين، والهوسا، والأيوى، واليوربا.

٥- **البانتو:** وتلك أوسع المجموعات الأفريقية إنتشارًا حيث يتحدث بها معظم الأفريقيون جنوب خط الأستواء تقريبا، عدا البوشمن والهوتنتوت التى تعتبر لغاتهم مجموعة لغوية صغيرة متميزة.

وتعتبر هذه المجموعات اللغوية، الوعاء الحاوى لكل اللغات الأفريقية[٩]، وهى التى تضفى أهم السمات الثقافية على الناطقين بها(جدول ٤/٢).

جدول ٤/٤- توزيع اللغات الأفريقية على شعوب ومناطق القارة[١٠] (١٩٦٠)

المجموعة اللغوية	الشعوب	المناطق	عدد السكان بالألف نسمة
١- السامية Seletic	العرب، عرب- بربر،	شمال الصحراء حتى تشاد[١١]	
	المصريون..إلخ	وادى النيل	٥٠,٠٠٠
	الأمهريون	اثيوبيا	٦,٠٠٠
	تيجرى	اثيوبيا	١,١٥٠
٢- الكوشية	الصومال	اثيوبيا،الصومال،كينيا	٢,٥٠٠
Cushitig	دناكل (آفار)	اثيوبيا، الصومال	١١٠
(الحامية)	جالا	اثيوبيا	٣,٠٠٠
	سيدامو (كافا..إلخ)		١,٥٠٠
٣-البربرية	الطوارق	الصحراء	٢٠٠
Berber	البربر[١٢]	شمال غرب أفريقيا	
٤- التشادية Chadic	الهوسا.. إلخ	نيجيريا الشمال،النيجر	٦,٠٠٠
٥- صنغاى Songhaig	صونغاى، زيرما.إلخ.	مالى، النيجر	٦٥٠
٦- كانورية Kanurig	كانورى	شمال نيجيريا	١,٤٠٠
٧- السودانية Sudanic			
- النيلية	الدنكا.. إلخ	السودان	٩٠٠
Nilotic	التسو..إلخ	أوغندا	١,٣٠٠
	ليو	كينيا، تنزانيا	٨٠٠
	ماساى.. إلخ	كينيا، تنزانيا	١٨٠
٨- النيجيرية Nigritic			

(تابع) جدول ٢/٤ .

- الأطلنطية Atlantic	فولانى(فولا، فل، فلب، بيول)	السنغال،مالى،غينيا فولتا العليا، بنين النيجر، شمال نيجيريا، الكمرون	٥,٠٠٠
	ولوف (Jolof)	السنغال	٨٥٠
	سرير (serer)	السنغال	٣٠٠
	ديولو (Diolo)	غمبيا	١٥٠
	تيمن (Temne)	سيراليون	٥٢٥
- ماند Mande	مالينك Malinke (ماندينجو (١٣) (Mandingo)	السنغال، غينيا مالى، غينيا، غينيا بيسلو، ساحل العاج	١,٠٠٠
	مامبارا mambara	مالى	١,٠٠٠
	مونينكىMoninke	مالى	٣٦٠
	سوسو Susu	غينيا	٣٠٠
	مندى Mende	سيراليون	١,٠٠٠
	القبائل Kpelle	غينيا، ليبيريا	٢٥٠
٩- فولتاوية Voltig	موسى Mossi وداجومبا.. إلخ.	فولتا، ساحل العاج	
	سنوفو Senofo	ساحل العاج	٥٤٠
١٠- كوا كورو Kwa-kru	كرو Kru	ليبيا	١,٠٠٠
- توى Twi (إيوى Ewe)	جا Ga، أدانجمAdangme ..إلخ	غانا	٢٠٠
	إيوى Ewe	غانا، توجو	٧٠٠
	فون Fon	توجو، داهوس	١,٠٠٠

(تابع) جدول ٢/٤

-يوروبا Yoruba	يوربا Yoruba	غرب نيجيريا	٣,٠٠٠
	اجبا Egba		
	اكيتى Ekiti		
	ايف Ife		
	ايجيبو Ijebu		
	إلخ	غرب نيجيريا، بنين	١,٧٠٠
- نوب Nupe	أجبيرا..إلخ	شمال نيجيريا	٧٠٠
-ادو Edo	ادى (بينى Bini		
	أوسوكى Osoko.		
	إلخ	غرب نيجيريا	١,٠٠٠
-ايبو Ebo	ايبو Ebo	شرق وغرب نيجيريا	٥,٥٠٠
١١-جماعات لخرى	إيجاو Ijaw (Ijo)	شرق وغرب نيجيريا	٣٠٠
غير إيجاو بنتوية	دوالا Duala إلخ	الكمرون	٧٠
Other-non	بايا Baya	الكمرون وأفريقيا الوسطى	٢٠٠
Bantoid	ازاندى Azandi	الكنغو (ليو Leo)	٧٥٠
١٢-البانتاية	إيبيبيو Tbibio		
Bantoid	افيكى Efi	..إلخ شرق نيجيريا	٤,٠٠٠
	تيف Tiv (مونشى	شرق وشمال نيجيريا	٨٠٠
	(minshi		
١٣-البانتو Bantu	باميليك Bamilike		
(بانتو الغرب)	فانج Fang		
	(مفانج Mfang،		
	بولو (Bulu	الكمرون، جابون	٧٠٠
	(با)كونوجو (BA)	الكنغو (Leo,Brazza	
	Kongo	أنجولا	٣,٠٠٠
	نجالا Ngala(Ba-	(Equator	
	..إلخ (جدول ٤/٣)	الكنغو Leo	٧٠٠

(تابع)جدول ٢/ ٤

	مونجو -Mongo(Ba	الكنغو (Equator)	٢٠٠
	تتلا -Tetela(Ba	الكنغو (kasai)	٣٠٠
	لولوا -Lulua(Bama		
	Bene-	الكنغو (Kasai)	٥٠٠
	لوبا -Luba(Ba	الكنغو (Kasai, Katanga	٣,٠٠٠
	لوندا -Lunda(Ba	الكنغو (Kasai,	
	(Chokwe, إلخ..	Katanga	
	Ndembu,etc.	أنجولا Angola	
		شمال زامبيا	٧٠٠
(بانتو الشرق)	ياءو -yao(M-Wa	موزمبيق، مالاوى	
		تنجانيقا	١,٠٠٠
	نيامويزى		
	Nyanwezi(Ba-	تنجانيقا	٥٠٠
	سوكوما		
	Sukuma(Ba-	تنجانيقا	١,٠٠٠
	سواحلى Swahili		
	(Wa-		
	(Handi-		
	Mu,		
	Zaramo..etc	تنجانيقا، زنزيار، كينيا	١,٠٠٠
مارافى-Maravi	شيوا Chewa		
	(Masheba)	زامبيا، مالاوى	٦٥٠
	نتانجا Nyanja		
	(Ma-wa-	موزمبيق، مالاوى	٣٠٠
	نياسا -Nyasa(Wa	موزمبيق، تنجانيقا	٣٠٠

(تابع) جدول ٢/٤

مرتفعات كينيا	Chagga(Wa- شاجا	تنجانيقا	٢٦٠
Kenya	Kamba(wa- كامبا	كينيا	٦٠٠
Highland	Kikuku(wa- كيكوكو	كينيا	١,٨٠٠
بانتو البحيرات	Rundi(Ba- روندى	بوروندى	٢,٠٠٠
Interlaoustrine	Wa-		
	Ruanda رواندا		
	(Banya-	رواندا	٢,١٥٠
	Ganda(Ba-جاندا	أوغندا	١,٠٠٠
	Soga(Ba- سوجا	أوغندا	٥٠٠
	Nkole نيكولى		
	(Banya-A-	أوغندا	٥٠٠
	Nyoro(Ba- نيورو	أوغندا	١١٠
	Toro(Ba- تورو	أوغندا	١٥٠
	كافيروندو		
	Kavirondo(wanga		
	..etc	كينيا	٣٠٠
	Haya(Wa- هايا	تنجانيقا	٣٠٠
	Zinza زنزا		
	Ha هاء		
	Bashi,.. باشى		
	...etc. الخ..	تنجانيقا، كنغو(كيغو)	٧٠٠
١٤-شونا Shona	Shoma (Ma- شونا		
(من بانتو الجنوب)	Karanga, (كارانجا		
	Korekore كوركور		
	Ndau نداو		
	Tunga تونجا		
	zezuru زيزورو		
	.....etc. (الخ..	زامبيا،زمبابوى، موزمبيق	١,٠٠٠

(تابع) جدول ٤/٢

	لوزى Lozi		
	(باروتسى)Barotse	شمال زامبيا	١٨٠
	لامبا Lamba(Ba-	شمال زامبيا الكنغو (كاتنجا)	٧٠
	بمبا Bemda(Ba- Wawem-ba)	شمال زامبيا	١٥٠
	مبوندرو Mbundu (U-, Ovi- (لواندا Lunda، بايلوندو Bailundu ..إلخ)	أنجولا	١,٣٠٠
	آمبو Ambo(Ov-	أنجولا، ناميبيا	٣٠٠
	هيريرو Herero داماراDamara	ناميبيا، بتسوانا	٨٠
ثونجا (Tonga)	ثونجا Thonga (Ba- (شانجنا Shangena النجوى Alengwe, شوبى Chopi, رونجا Ronga,.. إلخ) ...etc.	موزمبيق، ترانسفال	١,٠٠٠
نجونى Nguni) (من بانتو الجنوب)	أنجونى Angoni	زامبيا، تنجانبيقا	٢٠٠
	ندبيل Ndebele (ماتابل Matabele)	زمبابوى، ترانسفال	٥٠٠
	سوازى Swazi(Ama-	سوازى، ترمسفال	٤٠٠
	زولو Zulu(Ama-	ناتال	٣,٠٠٠
	بوندو Ponda(Ama	شرق الكيب	٣٠٠
	تمبو Tembu(Ama	شرق الكيب	٤٠٠

(تابع) جدول ٢/٤

	اكسهوسا Khosa (Ama-	شرق الكيب	٣,٠٠٠
١٥- سوثو تسوانا Sotho Tseana (من بانتو الجنوب)	فندا Venda(Ba-	زمبابوى، ترانسفال	١٤٠
	بدى Pedi(Ba-	ترانسفال	٧٧٠
	سوشو Sotho (باسوتو Basuto	باسوتو، ناتال،	٢,٠٠٠
	تسوانا Tswana (بشوانا Bechuana (Bama-Ngwato.etc	بتسوانا، ترانسفال، شمال الكيب	٨٠٠
١٦-خواسانية Khoisan	بوشمن Bushmen	ناميبيا، بتسوانا	٣٠
	هوتنتوت Hottentot	ناميبيا، غرب الكيب	٥٠
١٧-مالاوية بولينيزية Malayo Polynesian	مالاجاشى Malagasy مرينا Merina هوفا.إلخ Hova.etc	مالاجاشى	٤,٠٠٠

جدول ٤/٣ـ كلمات من لغة لانجالا[١٤](أهم لغات الكنغو)

ماهذا؟	أكونيني	Oakau nene*	للقريب
كيف الحال؟	إمبوتي نَابيْنو	Nabeno	Imbootee
هل أنت بخير؟	كَلامُو	Malamo	
كويس جدًا	مَلامُو مِنجِي	Menge	Malamo
هذا رجل	أويُو مُوبَالي	Mobale	Oyo
إمرأة	مُورواسِّي	Mowasse	
صغير	مُوَّانَا	Mowana	
نعم	إ إي	Ee	
لا	تِهْ	Tia	
هنا	أوَّا	Awa	
هناك	كُونَا	Quna	
ملابس	بيلاَمْبَا	Belamba	
إمسك	كَمَاتِا	Kamata	
إجلس	كوڤانْداَ	Kovanda	

أما تصنيف جرينبرج (خريطة ٤/٤) للغات الأفريقية فرغم أنه من أحدث وأدق ما نشر في الموضوع، إلا أنه أخفق في إجراء حصر دقيق لها، فبينما نجده يورد في الكشاف ٧٣٠ لغة نجده يذكر في متن الكتاب ٤٣٧ لغة فقط، صنفها في أربع مجموعات كبرى[١٥] هي:

كونجو ـ كردفانية، ونيل صحراوية، وأفروآسيوية، وخواسانية. ورغم ما يفهم من أن هذه المجموعات تشمل اللغات الحية الأفريقية، وبعض من اللغات المنقرضة (الميتة) كالمصرية القديمة وصورتها الحالية(القبطية) إلا أنها أغفلت بعض اللغات المنقرضة كاللغة المروية(في النوبة السودانية) التي كانت تدون بحروف هيروغليفية.

هذا ويمكن عرض مجموعات جرينبرج اللغوية فى العجالة التالية:

١- الأفروآسيوية: من بين الأسر اللغوية الأربع الموجودة فى أفريقيا توجد أسرة واحدة يتحدث بها خارج القارة. وقد أطلق عليها جرينبرج الأسرة الأفروآسيوية وكانت تعرف من قبل باسم الأسرة الحامية السامية. والأسم "أفروآسيوية" مناسب لانها تضم خمسة أفرع منفصلة متساوية الأهمية، هى السامية، والبربرية، والمصرية، والكوشية، والتشادية، والملاحظ أنه لم توجد أربع منها خارج أفريقيا، أما السامية فقد عرفت أولا وتحدث بها فى جنوب غرب آسيا.

ومنذ أكثر من أربعين عاما اقترح نولدكه أن تكون أفريقيا وطنا للغات السامية وإذا صح هذا فإننا نستطيع أن نقول أن السامية البدائية قد انطلقت من أفريقيا إلى شبه جزيرة العرب عن طريق باب المندب قبل عام ٣٠٠٠ ق.م ومنها انتشرت شمالا، وأن اللغة المصرية القديمة قد نشأت أساسا بين جماعات الصيادين الذين كانوا يصطادون ويقتنصون فى الغابات التى كانت تغطى وادى النيل، وان لغة البربر قد حملت شمالا عبر الصحراء إلى شمال أفريقيا، كما كانت توحى بذلك قصص تقاليد البربر أنفسهم، وأن بعض اللغات السامية التى تفرعت فى هذه الأثناء فى آسيا قد أخذت تعود مرة أخرى إلى أفريقيا منذ حوالى عام ألف ق.م.

(أ) اللغات السامية فى أفريقيا: وهى التى تشمل الفينيقية المندثرة، وكانت هذه اللغة سائدة فى المراكز التجارية المتناثرة على ساحل أفريقية، وفى الريف المحيط بإقليم قرطاجة كما تشمل اللغات الإثيوبية والعربية أيضًا.

وقد اشتقت اللغات الإثيوبية السامية من لغتين أو أكثر من اللغات العربية الجنوبية أدخلها غزاة مثقفون من حضرموت واليمن قبل العصر المسيحى بقرون قليلة، ولا يعرفون متى حدث هذا بالضبط. ويتحدث بها أكثر من عشرة ملايين نسمة، أو نصف سكان أثيوبيا، بما فيها إريتريا، ويتركز المتحدثون بها فى ربع مساحة البلاد. واللغة المقدسة القديمة هى لغة الكنيسة القبطية المحلية وتعرف بالجعزية. أما اللغة الرسمية فهى الأمهرية وهى لسان خمسة ملايين نسمة، وأما التجرينية فهى لغة إقليم أكسوم وهى أقرب إلى الجعز من الأمهرية، ولا ينبغى أن نخلطها بلغة تيجرة، وهى التى اشتقت من لغة عربية جنوبية أخرى، يتحدث بها فى إريتريا، أما اللغات الإثيوبية الأخرى فهى: الجفات،

والأرجية، وهررى، وجوارج. ويتحدث بها أقوام منعزلون بعضهم عن بعض بمثابة الجزر، وسط الجالا المتحدثين بالكوشية، والذين غزوا الحبشة فى القرن الخامس عشر.

أما اللهجات العربية الأفريقية الحديثة فهى مشتقة أساسا من لغات ولهجات القبائل العربية التى دخلت أفريقيا من جنوب غرب آسيا ولكنها تأثرت باللهجات المحلية.

فاللهجة المصرية تمتد غربًا حتى شرقى تونس، ومن ثم تحل محلها اللهجة المغربية التى تمتد حتى المحيط الأطلنطى، والتى كانت سائدة يوما ما فى أجزاء من أسبانيا والبرتغال.

وتعتمد **اللهجة المغربية** التى يتحدث بها البدو والحضر، على لهجة بدو العراق الشمالى التى جلبها الهلالية فى القرن الثانى عشر، وهى لا تختلف كثيرًا عن لهجة الحسانية فى موريتانيا وفى غيرها من أجزاء الصحراء الكبرى، أما اللهجة المغربية السائدة فى مدن المغرب ولاسيما فى مدينة فاس فهى لهجة نقية أقرب إلى الفصحى.

أما فى **الصومال وأثيوبيا** فيتحدث التجار العرب لهجة يمنية، فى حين يتحدث عرب زنجبار والمحيط الهندى لهجة عمان.

وأما **اللغة السواحلية** فهى لغة خلاسية من لهجة عمان العربية ولغة البانتو، وهى واسعة الأنتشار بوصفها لغة التجار فى شرق ووسط أفريقيا.

(ب) اللغة المصرية: للغة المصرية القديمة تاريخ طويل بوصفها لغة مكتوبة ولا يزال شكل من أشكالها يكتب بحروف أفريقية معدلة باقية فى اللغة القبطية.

(جـ) لغة البربر: لغة البربر متجانسة تجانسا يدعو للدهشة- على ضوء قدمها- فهى تمتد من المحيط الأطلنطى حتى واحة سيوة فى مصر، ومن البحر المتوسط حتى ثنية نهر النيجر. وقبل الغزوات العربية منذ إثنى عشر قرنا كانت لغة البربر تحتل كتلة جغرافية متصلة. ولم يتم تمزقها الحالى إلا بعد غزو البدو منذ حوالى ٨٠٠ عام. ورغم أنها تشتمل على لهجات عديدة، إلا أنه يمكن تمييز مجموعتين بها: إحدهما مجموعة الزناتية، التى يتحدث بها أساسا فى المغرب

وبعض واحات الصحراء. أما المجموعة الثانية فتشتمل على الباقى، مثل الريفية والسوسية ولهجة أطلس الأوسط والبربر والقبائل والطوارق.

ويقال أنه لغة البربر حملت شمالا عبر الصحراء من وطن مفترض هو الوطن الأفروآسيوى وربما كان يتحدث بها أصحاب الحضارة القفصية. أما مسألة المولويين وتحدثهم بها فمسألة أخرى. إلا أن اللغة الريفية على الأقل تشتمل بعض لاحقات البحر المتوسط(سنت، - أنا) فى أسماء النباتات المزروعة، ويقال أن لغة الجوانش ذات أساس (بحر متوسط) والجوانش هى لغة البربر المندثرة التى كانت سائدة فى جزر كناريا قبل الغزو الأسبانى، والذين كانوا أصحاب الحضارة الحجرية الحديثة.

(د) اللغة الكوشية: ربما كانت اللغة الكوشية- مثل البربرية كانت تكون كتلة صلبة قبل وصول الغزاة الأحباشى منذ أكثر من ألفى عام حيث يحملوا لغات عربية جنوبية.

وقد استطاع جرينبرج أن يصف أربعا وخمسين لغة فى إثيوبيا مقسمة على خمس مجموعات إقليمية: الشمالية هى البجا، ويتحدث بها أيضًا البشاريون والهندندوة على ساحل البحر الأحمر فى السودان. والمجموعة الكوشية الوسطى تتكون من ثمان لغات منعزلة فى إثيوبيا، والفرع الشرقى، ويشتمل على ست عشرة لغة لشعوب متعددة، معظمها رعوى، مثل الجالا والصومال والسيدامو. وللفرع الغربى ثلاثون وحدة صغيرة فى جنوب غرب إثيوبيا.

أما الفرع الجنوبى فيشتمل على ست لغات وينحصران فى جيبين صغيريين فى تنزانيا وكل منهما يقع إلى الشرق من جيب مساو من البوشمن ويحيط بكل منهما شعوب تتحدث لغات سودانية شرقية من الغرب وشعوب تتحدث البانتو من الشمال والغرب والجنوب. وهذا وضع جغرافى غريب جدا، ويشير إلى تعقد الحركات السكانية قديما على طول ممر مرتفعات شرق أفريقيا.

(هـ) مجموعة تشاد: لغات تشاد التى يتحدث بها فى الوسط الغربى للسودان إلى الشرق مباشرة من ثنية النيجر، وتتكون من ١١٢ لغة موزعة على تسع مجموعات.

من هذه اللغات لغة الهوسا، وهى أكثرها انتشارًا، وهى لغة جامعة واسعة سودانية الأصل تضم الحرفيين والتجار، كما أنها اللغة السائدة لمنطقة كبيرة،

وهى تقف على طرف نقيض من حيث التنوع والتعقد مع ثلاث من اللغات الأفروآسيوية والسامية والمصرية القديمة والبربرية وهذا يدل على عراقة بالغة.

٢- مجموعة الكونغوكردفانية: تنقسم هذه المجموعة- التى كانت تسمى مجموعة النيجر كنغو- إلى قسمين جغرافيين: أحدهما أكبر، ويشتمل على ست مجموعات و ٢٠٣ لغة يتحدث بها فى الغابات واقليم السافانا المجاور له فى أفريقيا الغربية، على شكل شريط ضيق يمتد من الشرق إلى الغرب، من السنغال وليبيريا حتى أعالى نهرًا ويلى على خط طول ٥٠° س وشمال خط الأستواء مباشرة.

ولغات الساحل الغربى المعروفة جيدًا مثل الماندى والكرو والأيوى واليوروبا والإيبو، كلها أعضاء فى هذه الأسرة. وكذلك لغة البانتو التى تعتبر واحدة من الواحد والثلاثين لغة المنتمية إلى مجموعة بنوكونغو.

ولقد انتشرت لغات البانتو فى معظم أفريقيا الجنوبية، شرقى وطنهم الأصلى منذ إدخال المحصولات الغذائية الصالحة للنمو فى الغابات المدارية من أندونيسيا.

أما لغة الفولانى- وهى واحدة من الاثنتين والعشرين لغة الموجودة فى المجموعة الأطلنطية الغربية- فتتحدثها قبائل أكثر قبائل جنوب الصحراء قوقازانية. وكذلك لغة الهيررو، وهى مشتقة من البانتو ويتحدث بها فى أنجولا.

وأكثر من هذا فالتوتسى أو الواتوسى نصف القوقازانيين الذين يسكنون رواندا وبوروندى يتحدثون البانتو(١٦). إلا أن معظم المتحدثين بمجموعة لغات النيجر كونغو زنوج صرف.

أما اللغات الكردفانية التى تنتمى إلى هذه الأسرة فيتحدثها سكان اقليم فى جبال النوبا فى غرب السودان، وتحيط بهم شعوب تتحدث لغات نيلية صحراوية. ورغم صغر مساحة هذا الإقليم فإن به إحدى وثلاثين لغة تنضوى تحت خمس مجموعات.

ومن اللغات المنتشرة والشائعة فى هذه الانحاء لغة الفور(جدول ٤/٥) وهى المنتشرة فى أنحاء واسعة فى غرب سودان وادى النيل.

جدول ٥/٤ـ كلمات من لغة الفور (١٧)

بالعربية	لغة الفور (نطق) وتكتب بحروف لاتينية	
رجل	دودى	Dody
إمرأة	ألاكو	Alako
بيت	تون	Ton
أكل	نو	No
مياه	كورو	Koro
ملابس	جورنجا	Gornga
أولاد	دوجولا	Dogola
ولد	كويك دى	Quek dy
بنت	كويك نى	Quek ny

٣ـ اللغات النيلية الصحراوية: هذه اللغات يبلغ عددها ٦٣ لغة تنضوى تحت مجموعات، وتنتشر إنتشارًا واسعا ولكنه غير متصل، وتتحدث باثنتين منها شعوبا نهرية، الصونغاى على ثنية النيجر واللغة النيلية النوبية أو الدنقلاوية على ثنية النيل شمال العطبرة. وتقع مروى وسط هذا الإقليم، وهى مركز لغة مندثرة قديمة كما ذكر من قبل، هذا وتوجد كتلة كبيرة من هذه اللغات فى وسط شرق الصحراء الكبرى الأفريقية.

وهذه هى لغات التيدا وغيرهم من الشعوب شبه القوقازية فى فزان وهضبة تبستى، التى يوجد بها عددا كبيرا من النقوش الصخرية، والتى تبين شعوبا زنجية وقوقازانية يرعون الماشية ويعرفون العجلات. وتكاد تحيط بها لغات مشابهة لتلك اللغات الكوشسة الشرقية وهذه بدورها تحيط تماما باللغات الكردفانية، مما يجعل منطقة جنوب غرب السودان منطقة لغويا شديدة التعقيد.

وتتحث المجموعة اللغوية التشادية النيلية جماعات تمتد جنوبا حتى غربى أثيوبيا والصومال وتتغلغل داخل تنزانيا، وتتحدثها الشعوب النيلية وهى تشمل

الدينكا والشلوك، والنوير، والبارى والتوركانا والناندى، والسوك، والماساى وغيرها.

٤- المجموعة الخواسانية: يتحدث الخواسانية، أو لغة الطقطقات: البوشمن والهوتنتوت، ومجموعتان منعزلتان تعملان أساسا بالصيد فى تنزانيا هما السانداوى والهاتسا.

وتقسم المجموعة الخواسانية، فى الجنوب الأفريقى إلى ثلاث مجموعات: شمالية، ووسطى، وجنوبية، وكلها يتحدثها البوشمن أما الهوتنتوت فيتحدثون إحدى لغات المجموعة الوسطى. ولغة السانداوى من ناحية النحو وليس من ناحية التركيب أقرب إلى الخواسانية الوسطى. أما لغة الهاتسا بالمعلوم عنها قليل.

واللغات الخواسانية ترتبط بالسلالة الكيبوانية(١٨) ولكن هناك جماعة زنجية هى جماعة برجداما فى جنوب غرب أفريقيا تتحدث الخواسانية الشمالية أيضًا، كما أن لغتين من لغات البانتو أخذتا الطقطات(١٩)، هما الزولو والسوتو فى جنوب أفريقيا وقد بذلت محاولات للربط بين لغة الهوتنتوت واللغات الكوشية حيث أن الهوتنتوت رعاة أيضًا ولكن مازال الموضوع محل نقاش إذ لم توجد إلا بعض أوجه شبه مقتصرة على اللاحقات التى تدل على الجنس، وهى إن صدقت تدل على اتصال قديم بين المتحدثين بالخواسانية والكوشية، وذلك قبل إدخال الماشية إلى جنوب أفريقيا ومثل هذا الاتصال- إن حدث- لم يتم فى جنوب أفريقيا بالضرورة.

التقسيمات الفرعية للغات غرب أفريقيا:

تنقسم مجموعة اللغات السودانية التى يتحدث بها الزنوج الخلص فى غرب أفريقيا(٢٠)، وهى التى تتفق مع مجموعة النيجر- كونجو عند جرينبرج إلى المجموعات الكبرى التالية(٢١):

١- **مجموعة لغات كوا Kwa** التى يتكلم بها فى المناطق الساحلية من غينيا العليا Upper Guinea المحصورة بين المجرى الأدنى لنهر النيجر ونهر سانت بول St.Pauls فى ليبيريا وتنقسم هذه المجموعة بدورها إلى عدة فروع هى:

أ- **مجموعة ايوى أكان Ewe Akan** ويتكلم بها فى غانا وتوجو وبنين.

ب- مجموعة لاجوون **Lagoon** ويتكلم بها فى المناطق الساحلية من أوفورى كوست.

جـ- مجموعة كرو **Kru** وتمتد الشعوب التى تتكلم بها من غرب أوفورى كوست وحتى مصب نهر سانت بول.

د- مجموعة اليوروبا **Yoruba**

هـ - مجموعة نوبى **Nupe**.

و- مجموعة إيبو **Ibo**.

س- مجموعة إدو **Ido**.

ح- مجموعة إجو **Ijo** فى نيجيريا.

وفى لغو كوا Kwa توجد مجموعة كبيرة من الكلمات التى أصلها حرف واحد ساكن وحرف واحد آخر متحرك مثل " Ka" ومعناها باللغة العربية (يبقى- يظل- يعيش) إذ أن معناها بالانجليزية هو "live -still" وأيضًا معناها بالإنجليزية "Vanish,die"

ولهذه اللغة مقاطع إضافية (غير أصلية Suffixes,prefices) تختص بالإضافة إلى أوائل ونهايات الكلمة، كما أن لها مقاطع إضافية أيضًا تختص بالنطق الأنفى Nasal sound كما تتميز هذه اللغة أيضًا بأصوات الحركات والمقاطع التى وظيفتها اشتقاق الأسماء من الأفعال، وتنقسم الأسماء إلى فصائل تتميز حسب نمط الأسماء التى تشتمل عليها كل فصيلة، فهناك فصيلة تشتمل على أسماء الأشخاص personal nouns بينما تشتمل الأخرى على أسماء الحيوان وأخرى على أسماء الأشجار والغابات وهكذا، فالتميز بين الفصائل فى هذه اللغة يرجع إلى نوع الكلمة ومدلولها ولا يرجع إلى الإضافات أو المقاطع الأولية التى تدخل على الكلمة prefixes كما فى بعض اللغات الأخرى كالبانتوية التى تميز الفصائل فيها بهذه الإضافات.

٢- المجموعة الثانية هى شبه بانتوية وهى مجموعة اللغات الموجودة فى منطقة تقاطع نهر البنوى **Benue Cross river languages** وهذه المجموعة تتوافق وتتطابق نسبيًا مع مجموعة لغات (ديفالوسيى) Defalosses التى توجد فى النيجر والكمرون ومع مجموعة جونستون Jhonstone ولغات هذه المجموعة تشتمل على كثير من أصول الكلمات التى تنتهى بحرف ساكن

(إذ أن معظم اللغات الإفريقية تنتهى أصول كلماتها بحرف متحرك) وذلك مثل "efik" أو wut وكلتا هاتين الكلمتين بمعنى يقتل kill، وذلك على عكس مجموعة Ewe التى فيها كلمة wu التى تنتهى بحرف متحرك ومعناها أيضًا يقتل Kill . وهذه المجموعة لها نفي المقاطع التى تميز اشتقاق الأسماء من الأفعال كما فى المجموعة السابقة تماماً، غير أن بعض لغات هذه المجموعة لها نظام بدايات الفصائل أى المقاطع التى توضع فى بداية الاسم لتبين فصيلته.

ونظرا للموقع الجغرافى الذى توجد وتنتشر به هذه المجموعة وهو الموقع الجغرافى الذى يفصل بين الأقاليم التى تتكلم اللغات السودانية وتلك الأقاليم التى تتكلم لغة البانتو فإن بعض لغات هذه المجموعة تمثل مرحلة انتقالية بين اللغتين، أو بمعنى أدق تكون مزيجا من قواعد ونظام البنية اللغوية فى كلا من اللغات السودانية ولغات البانتو.

٣- المجموعة الثالثة: **وهى مجموعة لغات توجو الوسطى Middle Togo group** ومعظم لغات هذه المجموعة تنتشر فى منطقة بالغة الصغر والضيق حيث تتركز فى المنطقة المنحصرة ما بين الدرجتين السابعة والثامنة من درجات العرض، وبعض هذه اللغات التى تختفى وتنقرض شيئًا فشيئًا قد امتصت أو امتزجت فى مجموعات ايوى Ewe ومجموعات أكان Akan، أما باقى لغات هذه المجموعة التى مازالت منتشرة فمنها لغات أفاتيمى Avatime وليكبى Likpe وأديلى Adele وكبوسو Kposso وكيب Keb.

وأصل الكلمة فى هذه المجموعة تتكون أساسا من حرفيين أحدهما متحرك والحرف الآخر ساكن تماما كما فى المجموعة الأولى (مجموعة كوا Kwa)، ففى لغة كبوسو نجد أن كلمة يقتل هى Wu ومتكونة أساسا من حرفين الأول ساكن وهو ال W والآخر متحرك وهو الـ U .

ويتكون التقسيم الفصائلى أو التمييز بين الفصائل عن طريق إضافة المقاطع البدائية prefixes إلى بداية الاسم وليس عن طريق مدلول الإسم كما فى مجموعة كوا. وبعض لغات هذه المجموعة تستخدم المقاطع النهائية suffixes بجانب المقاطع البدئية prefixes.

والملاحظ - أيضًا- أن هذه المجموعة (وهى التى تقع بين المجموعة الأولى والمجموعة الرابعة) تحتوى وتضم علاقة لغوية واضحة بينهما.

٤- المجموعة الرابعة: وهى مجموعة لغات كور Cur أو جور Goor

وتنتشر هذه المجموعة فى القسم الشمالى فى كل من أوفورى كوست- وتوجو- وبنين- وفى الأجزاء المتاخمة لهذه الأقطار من فولتا العليا، وتضم هذه المجموعة الفروع Sub -groups الآتية:

أ- مجموعة موسى Mossi ومن لغاتها موسى، داجومبى Dagombe وغيرها.

ب- مجموعة تيم Tem.

جـ- مجموعة جروسى Grussi وجرونوسى Grunsi.

د- مجموعة بارجو Bargu.

هـ- مجموعة جورما Gurma.

و- مجموعة كيلينا Killina.

س- مجموعة سينوفو Senufo أوسينا Siena.

ح- مجموعة صنغاى Songai.

وهذه المجموعات تندرج جميعها تحت مجموعة _جور) أو (كور) والأخيرة منها وهى مجموعة (صنغاى) هى فى الحقيقة لغة مهجورة يندر من يتكلم بها رغم أنها كانت واسعة الانتشار زمن إمبراطوريتها الغابرة وهى لغة لها نمطها الخاص فى التكوين والبنية اللغوية.

ويتكون أصل الكلمة فى هذه المجموعة فى معظم الأحيان وليس كلها من حرف ساكن وآخر متحرك، والملاحظ أن كل من لغة جورما Gurma ولغة تم Tem تستخدم فى التمييز بين فصائل الأسماء كلا من المقاطع البدئية prefixes والمقاطع النهائية suffixes ولا تعتمد على مدلولات الأسماء فى التمييز بين الفصائل.

٥- المجموعة الخامسة: وهى مجموعة اللغات الأطلنطية الغربية West Atlantic languages

وتوجد فى الجزء أو الإقليم المنحصر بين السنغال وبين المحيط الأطلنطى مع تضمنها الكثير من اللهجات فى أقصى الشرق وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- المجموعة الشرقية وتشمل لغات تيمنى Temne- بولوم Bulom- ليمبا Limba- كيسى Kissi- جولا Golo- ادجوكرو Adjukru.

ب- المجموعة الغربية وتتمثل فى:-

(١) لغة ديولا (Dyola)

(٢) مجموعة لغات (بيساو- بولاما Bissao-bolama) وتشتمل اللغات بولا Bola- السارار Sarar- بيبيل pepel- كانيوب Kanyop.

(٣) سلسلة لغات جيبا Cluster Geba وتشتمل على لغتى بيافادا Biafada- بادجادى Padjada.

(٤) لغات بانيون Banyon- نالو nalu- بولاندا Bulanda.

(٥) لغة كونياجى Konyagi.

(٦) لغة بيدجوجو bidjogo.

(٧) لغة الولوف والسرير Wolof& serer .

ومجموعة **اللغات الأطلنطية** هذه لا تحمل أى نوع من الشبه أو التقارب بينها وبين المجموعة السابقة لا من ناحية النمط أو النظام المتعلق بالنية اللغوية ولا من ناحية الأصوات ولا من ناحية الصرف والاشتقاق. فكل لغات هذه المجموعة يدخلها نظام فصائل الأسماء، غير أنها تختلف من لغة لآخرى فى طريقة التمييز بين الفصائل التى تضمها كل لغة، فبعضها يستخدم المقاطع البدئية prefixes فى التمييز بين الفصائل مثل لغة بولوم Bolum ولغة تيمنى Temne ولغة ادجوكور adjukru. والبعض الآخر يستعمل المقاطع البدئية والنهائية مثل لغة جولا Gola. وهناك لغات أخرى تستعمل المقاطع النهائية suffixes مع تغيير الحرف الأول من الكلمة وذلك مثل لغة الولوف wolof ولغة السرير Serer.

٦- المجموعة السادسة: وهى **مجموعة لغات الماندنجو والماندى Mandingo & Mande**

وتنتشر هذه المجموعة فى إقليم السودان الغربى فيما بين خطى عرض ٤، ٥ شمالا.

وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين كبيرين كل قسم يضم عددا كبيرًا من اللغات وهما:

أ- مجموعة لغات ماندى تان Mande Tan وتشتمل على لغة بامبارا Bambara ولغة سونينكى Soninke ولغة مالينكى Malinke ولغة ديولا Dyula وهذه ليست كل لغات هذه المجموعة بل إنها الأكثر انتشارًا وتذكر على أنها الممثلات اللغوية الرئيسية لهذه المجموعة.

ب- مجموعة لغات ماندى فو Mande fu وتشتمل على اللغات سوسو Susu ومجموعة Kepelle-Mande فى سيراليون وليبيريا. وأهم لغات هذه المجموعة الفرعية المنتشرة فى سيراليون وليبيريا والتى تسمى مجموعة كيبللى- ماندى هى (ماندى Mande ولغة كيبيللى Kepelle- ولغة جباندى Gbande- ولغة جبوندى Gbunde ولغة توما Toma ولغة مانو Mano، ولغة جيو Gio).

وتوجد **لغة دجالونكاDjalonka** ويتكلم بها فى غينينا الاستوائية كما يوجد عدد من اللغات الصغيرة تنتشر من أقصى الركن الشرق حتى الركن الشمالى الغربى من نيجيريا وهى بوكو Boko وبوسا Busa. وكثيرًا ما تسمع فى لغات الماندنجو الكلمات المكونة من مقطعين ، وكثير من هذه الكلمات هى عبارة عن مزيج من أصلين مختلفين كل أصل يتكون من مقطع واحد وكل مقطع يتكون من حرف ساكن وحرف آخر متحرك. ولايدخل فى هذه المجموعة نظام المقاطع البدئية prefixes التى تميز بين الأسماء إلا فى الأصول المبدئية الأصلية rudimentary forms.

وغالبا ما تحتوى الكلمة فى هذه المجموعة على معنيين معنى يدل على فعل وآخر على اسم، هذه الدلالة المزودجة تلاحظ فى نفس الوقت وبدون تغيير فى حروف الكلمة كما نجد مثالا على ذلك فى لغة بامبارا Bambara حيث نجد أن كلمة " ti" معناها سقف من قش أو بسقف بالقش.

نموذج من اللغات السودانية- الهوسا:

تعتبر لغة الهوسا إحدى لغات المجموعة التشادية التى تبلغ عدد لغاتها نحو المائة، والهوسا تعتبر لغة حديثة العهد نسبيا إذ لم تظهر إلا فى القرن ١٩ تقريبا، وهى فى الأصل لغة قبائل الحوصا، الذين إستطاعوا أن يمدوا نفوذهم

السياسى واللغوى على منطقة كبيرة من غرب أفريقيا منذ القرن ١٥[٢٢]، حيث أصبحت الهوسا تكتسب بمرور الأيام أرضًا وناسا جددًا إلى أن أصبح يتكلم بها نحو ٤٠ مليون نسمة فى نيجيريا والكاميرون وبنين وغيرها. وقد كان لقدرة المتكلمين بها على الحركة الواسعة فى منطقة غرب أفريقيا طلبا للرزق من التجارة، أثره الواضح فى اتساع نطاق هذه اللغة حتى أنها لتنتشر بين قبائل اليوروبا والإيبو وغيرها من القبائل الزنجية[٢٣]، كلغة ثانية بالإضافة إلى اللغات الوطنية الخاصة بكل منها.

ويتسع نطاق انتشار هذه اللغة ليشمل منطقة متسعة تمتد إلى تمانراست فى جنوب الجزائر شمالا، وإلى تمبكتو فى مالى جنوبًا، وإلى فورت لامى فى تشاد شرقا، بل يوجد لها امتداد فى غرب السودان أيضًا[٢٤].

وتعتبر **الهوسا لغة المسلمين الأصلية فى غرب أفريقيا**، لذلك فقد كانت تكتب بالحروف العربية، وهذا مكن المستشرقين الذين تسربوا مع الإستعمار بهدف نشر المسيحية- إذ كان معظمهم مبعوثين من قبل الجمعية التبشرية الكنيسة البريطانية من دراسة المجتمع الأفريقى ولغاته الشائعة، تمهيدًا لنشر قواعد ومفردات لغاته، خاصة الإسلامية منها كالهوسا- وكما حدث كذلك فى السواحيلية أيضًا- باللغات الأوربية.

إلى كتابة هذه اللغات بالحروف اللاتينية بدعوى أن ذلك يحقق درجة أعلى من الدقة العلمية؟. فكان أن بدأت تظهر كتب تدرس الهوسا وتحض على كتابتها بالحروف اللاتينية منذ عام ١٨٦٢ عندما أصدر شن Schon كتابه المعنون Grammer of Hausa language، ثم كتابا آخر عن مفردات لغة الهوسا مع عناصر من قواعدها"[٢٥].

ثم تتابعت بعد ذلك الدراسات والبحوث اللغوية عن هذه اللغة الزنجية ذات العناصر والمفردات الكثيرة ذات الأصل العربى الصميم، حيث ظهرت دراسات كثيرة قام بها لغويون لعل من أهمهم أبراهام Abraham, R.C الذى نشر كتابه القيم عن لغة الهوسا الذى يعد من أفضل ما كتب عنها حتى الآن، وهو بعنوان:

The language of Hausa People, London,1959.

هذا وللغة الهوسا فى نيجيريا – حيث ثقلها الأساسي- أربع لهجات هى[٢٦]:

١- **اللهجة الشمالية:** وهى التى يتكلم بها أهالى كاتسينا وهطيجا Hadiga[٢٧] وأقصى شمال نيجيريا، ويقال أنها أقل اللهجات تأثرًا باللغات المحلية المجاورة.

٢- **لهجة زاريا:** وهى أكثر لغات الهوسا تأثرا باللهجات النيجيرية الجنوبية ربما نظرا لموقعها الجغرافى.

٣- **لهجة سوكوتو:** وهى التى ودخلت إليها الهوسا نتيجة لانتصارات الشيخ عثمان بن فوديو فى بداية القرن ١٩، حيث غيرت قبيلته لغتها من الكلاتية إلى هذه اللهجة من الهوسا.

٤- **لهجة كنو:** وهى التى تعد لغة الثقافة فى البلاد، لذلك كانت واسعة الانتشار للغاية لما ينشر بها من آداب مختلفة فى شتى فنون المعرفة.

والجدير بالذكر ان انتشار لغة الهوسا اصبح كاسحا وذا أهمية خاصة حاليا فى غرب أفريقيا حيث تتعدد اللغات لدرجة يصعب معها التفاهم مع أحد الوطنيين حتى مع اللجوء إلى مترجم واحد، إذ غالبا ما يتطلب الأمر ضرورة الاستعانة بمترجمين اثنين على الأقل يعرف كلا منهما لغة الهوسا، وذلك هو ما يحدث مع من يزور هذه المناطق كالصحفى الذى كان يجرى تحقيقا فى هذه المناطق حيث اضطر إلى طلب معاونة مترجم من العربية إلى الهوسا ومترجم آخر من الهوسا إلى التماشق (لغة الطوارق)[٢٨].

نموذج من اللغات البانتوية- السواحلية:

تعتبر اللغة السواحيلية[٢٩] أهم لغات البانتو واسعة الانتشار فى كل أفريقيا جنوب خط الاستواء، هذا ويتحدث بالسواحلية على طول الساحل الشرقى للقارة إبتداء من قسمايو فى الشمال إلى إيبو فى الجنوب كلغة تخاطب أساسية للوطنيين فى مناطق واسعة من كينيا وتنزانيا وأوغندا وحتى شمال زمبابوى وشرق حوض الكنغو، كما أنها تستعمل فى الإدارة والتعليم خاصة فى تنزانيا حيث تعتبر اللغة الرسمية للدولة.

ويتحدث بالسواحلية أيضًا أهالى السواحل الشمالية الغربية لملاجاشى وأهالى جزر القمر حيث تنتشر كلغة تخاطب بالإضافة إلى اللغات المحلية، بل إنها تفهم فى الموانى الجنوبية للبحر الأحمر وعلى طول السواحل الجنوبية للجزيرة والخليج العربى وموانى الباكستان.

والسواحلية تعتبر صورة حديثة مطورة من لغات البانتو[٣٠] التى صنفها جرينرج ضمن مجموعة اللغات الكونجو- كردفانية، هذا ويتحدث بها حاليا فى أفريقيا مالا يقل عن ستين مليون نسمة، وهى بذلك تمثل مع العربية إحدى ثلاث لغات أفريقية وطنية أساسية فى القارة.

ومن الأدلة اللغوية على أصالة اللغة السواحلية كلغة أفريقية وطنية أنه توجد بها مجموعة من الأسماء تبدأ بالمقطع "نى Ni" فى المفرد، كما تبدأ بالمقطع "فى Vi" فى الجمع، وتلك سمة بانتوية أصلية، تمثل هى وغيرها من الشواهد اللغوية دليلا على بعدها الكامل عن اللغات الأفروأسيوية وعلى أصالتها الأفريقية(جدول١٨) وهناك أدلة أخرى كثيرة – يضيق عنها المكان- على السواحلية قد نشأت من لهجات بانتوية توحدت أثناء الاتصال التجارى والاحتكاك الثقافى بالعرب الوافدين من الخليج والجنوب العربى.

جدول ٤/٥- تطور مدلول لفظ شعب، كدليل على عراقة أفريقية اللغة السواحلية

المصطلح(=شعب)	فى لغة	ملاحظات
بانتو Bantu	الزولو	لغة قديمة فى جنوب أفريقيا
وانتو Wantu	النيانجا	لغة حديثة فى وسط أفريقيا
واتو Watu	السواحلية	لغة حديثة فى شرق أفريقيا

ويبدو أن القرن ١٩ قد حمل كثير من الفرص أمام انتشار اللغة السواحلية، حيث بلغ فيه النفوذ العربى، التجارى والثقافى أوجهه فى شرق أفريقيا، بعدما انتشر العرب المسلمون من جزيرة زنجبار موغلين غربا فى داخل القارة، حيث اختلطوا بالأهالى الوطنيين وتعاملوا معهم بل وامتزجوا بهم[٣١]، مما خلق ثقافة جديدة تبلورت فى اللغة بل وأقول والثقافة السواحلية والإفريقية.

وقد ساعدت على ذلك ظروفا محلية أخرى، حيث تعرض من ثلثى شعب الماساى (١٨٩٠-١٨٩١) للفناء موتا بالطاعون، وبذلك أخلت لغة الماساى- التى كانت تمثل منافسا قويا وطنيا- الميدان أمام اللغة السواحلية للانتشار والسيادة.

هذا وتشتمل اللغة السواحلية على نحو خمسين فى مائة من مفرادتها من الألفاظ العربية، بل لقد كانت تكتب بالحروف العربية حتى عام ١٩٠٧[٣٢] عندما أعلنت الحكومة الألمانية- أثناء حكمها لتنجانيقا- إلغاء إستخداام الحروف العربية وإحلال الحروف اللاتينينة محلها، لذلك نجد أن كل الوثائق القديمة المكتوبة بالسواحلية مكتوبة بحروف عربية، وكان هذا التغيير كارثة قومية أفريقية حيث انقطعت سلسلة تتابع الثقافة السواحلية بين القديم والجديد أجيالا وآدابا، وهو ما حدث مع كثير من اللغات الإسلامية الأخرى أيضًا (الهوسا، والتركية).

ولما كانت اللغة السواحلية ترجع فى أصلها الأفريقى إلى لغة من الأسرة البانتوية، لذلك فإن بنيتها اللغوية تحمل السمات المميزة لهذه الأسرة منها تصنيف الأسماء وفقا للسوابق، وعليه فيمكن القول أن السواحلية تعد لغة بانتوية من حيث القواعد النحوية، بينما هى من الناحية اللفظية (المفردات اللغوية) من الأسرة الأفروآسيوية حيث تتضمن الكثير من المفردات العربية بدرجة ملحوظة للغاية، حتى إذا ما قورنت بالألفاظ البرتغالية الممثلة لأكبر نسبة من الألفاظ الأوربية فى السواحلية.

ولعل أفضل النظريات التى تتحدث عن أصل السواحلية، تقول بأنها نشأت من خليط من أهم اللغات البانتوية[٣٣] التى كانت مستعملة فى شرق أفريقيا عندما وصل العرب إليها حيث أصبحت لغة التعامل والتفاهم اليومية بين هذا الخليط الغريب العجيب لأفراد قادمين من بلاد العرب وبلاد العجم (فارس) وأوربا بالإضافة إلى الأفارقة البانتو، فكان أن ظهرت اللغة السواحلية، المدونة بالحروف العربية(كالفارسية والأوردية الحالية، ومثل التركية والصومالية قبل تحولهما للكتابة بالحروف اللاتينية).

وقد دخلت السواحلية أيضًا مع الألفاظ العربية بعض الألفاظ البرتغالية والألمانية والانجليزية وذلك بحكم الاحتكاك الثقافى الذى حدث أثناء الفترات الاستعمارية التى شهدتها المنطقة من هذه الدول، ولكن مع ذلك فإن تأثير اللغة العربية هو الواضح والسائد لدرجة أنه قيل: "أن السواحلية لغة أفريقية معربة أو عربية مؤفرقة"، ولعل فى هذا خير دليل على عمق الصلة الثقافية والحضارية بين السواحلية ومتكلموها وبين الثقافة والحضارة العربية والاسلامية، والتى يجب أن تعمل الدول والشعوب العربية والإسلامية على

تدعيمها وتقويتها والمحافظة عليها من الهزات التى بدأت تحدثها السياسات الاستعمارية لحصر المد العربى والاسلامى وللانتقاص من انتشاره، وإنه لمحزن أن يعمل الكثير بوعى أو بدون وعى على إبعاد أمم وشعوب ودول كانت إسلامية وعربية، إبعادها- فى الواقع والجوهر- عن أصالتها وفطرتها السليمة، حدث هذا فى الاندلس وصقلية ومالطا وتركيا وفى دول وأمم وسط آسيا وأفغانستان، والآن يعملون- الجميع شرقا وغربا وعربا- على أن تفقد الثقافة العربية والاسلامية بلادا جديدة كالصومال وإرتيريا وساحل البنادر وبلاد السواحلية.

هذا وهناك نحو خمسة عشر لهجة للغة السواحلية لعل أهمها الست التالية[٣٤]:

١- كى انجوجا ki-unguja وهى لهجة أهل جزيرة زنجبار، وتعتبر اللهجة الأم أو السواحلية الفصحى، حيث أصبحت لغة التخاطب الأولى فى شرق أفريقيا.

٢- كى مفيتا Ki-Mvita وهى لهجة أهل ممباسا وضواحيها وتعد اللهجة الثانية إلا أنها غير مكتوبة، عكس الحال مع كى أنجوجا.

٣- كى آمو Ki- Amu وهى لهجة أهل لاموفى كينيا، وقد كتب بها المؤلفون والشعراء.

٤- كى هاديمو Ki-Hadimu وهى لهجة أهل ريف زنجبار.

٥- كى نجوانا Ki-Ngwana وهى اللهجة المستعملة فى الكنغو.

٦- كى باتيا Ki-Pata وهى لهجة قديمة (وثائقية) كانت مستعملة فى جزيرة بتا وما حولها.

وأخيرا، أقول أن ميدان اللغة السواحلية يعد حاليا مفتوحا، ليس فقط للدراسة والبحث[٣٥]ولكن أيضًا لتدعيم أصالة الثقافة والحضارة العربية والاسلامية فى أفريقيا، ولمواجهة تحديات الغرب والشرق الزاحف على القارة لافقارها ولافقادها شخصيتها وقوميتها، وهل القومية بالدرجة الأولى- بعد الجينات البيولوجية والوطن الجغرافى- إلا اللغة نطقا وكتابة وأصالة وهوية.

ألا، فليكافح أبناءنا فى سبيل دعم أصالة هذه اللغة وإعادة كتابتها بالحروف العربية[٣٦]، والنشر بذلك على أوسع نطاق وأعتقد أنه يمكن تصميم وتصنيع

الآلات الكاتبة المناسبة، بل والمطابع اللازمة لذلك، ولينشط الجميع وهم كثر وكلهم نشاط والحمد لله، لإعادة نقل العربية، ولتسارع الحكومات العربية والإسلامية خاصة الخليجية التى كان لأجدادهم شرف نشر الإسلام والعربية فى شرق أفريقيا، لتسارع وتنشط فى فتح المدارس الابتدائية والمتوسطة والعالية دفعة واحدة، ولتخصص منحا استثمارية قوية وسخية لكافة المجالات ولتقدم لهذه الدول المتحرقة شوقا للتنمية وللمال، وهى التى تأخذ من الشرق (تنزانيا من الصين) ومن الغرب (كينيا من أمريكا) حاليا الكثير للتنمية.

إنى أدعو، أن تخصص دول الخليج خاصة عمان والإمارات، ألف مليون دولار سنويا لمدة عشر سنوات، تصرف بحكمة على تنمية مجتمعات هذه البلدان، بشرط عودة كتابة السواحلية بالعربية، وعودة انفتاحها على الثقافة العربية والإسلامية، وما يستتبع ذلك من صلات حضارية شاملة.

فإذا نجحنا، وما أخال هذا إلا حادثا، يمكننا تطبيق ذلك على مجتمعات وبلدان كثيرة، فقدتها وافتقدتها العربية والعروبة والعرب، فى كل من آسيا وأفريقيا وربما أوربا.

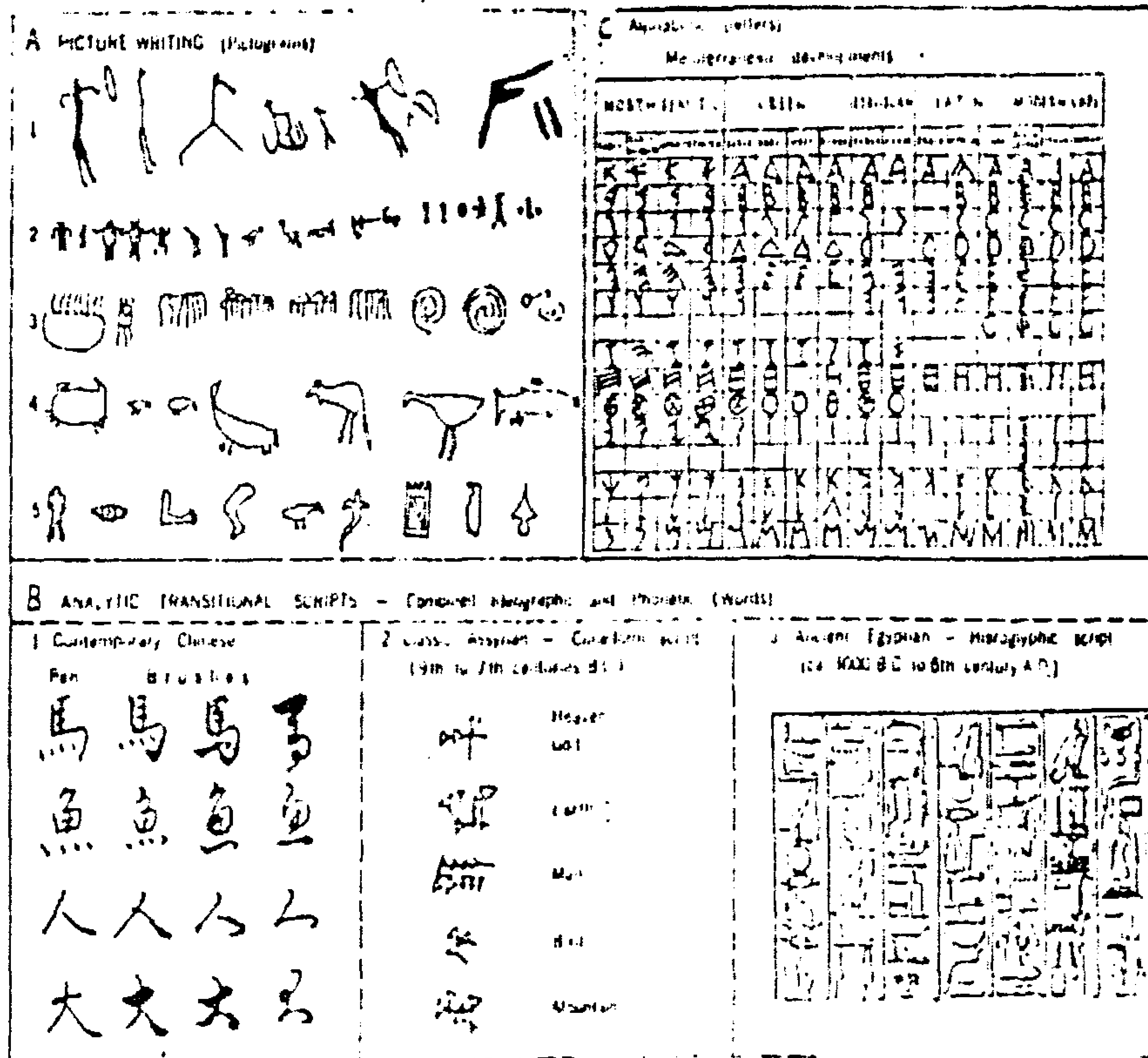
دور اللغة فى الوحدة الأفريقية

تسود حاليا كلغات جارية فى أفريقيا مجموعة محدودة من اللغات الدارجة[٣٧] هى العربية فى شمال القارة والسواحلية فى شرقها والهوسا والفولا والبانجالا فى الغرب والبانتو فى الجنوب(خريطة ٤/٥) وهى تسود كلغات أساسية بالإضافة إلى اللغات المحلية القبلية، ولما كانت الدول حاليا تعمل على إذابة النعرات القبلية والمحلية وصهرها فى القومية الكبرى التى تجمع كل الأممية والشعوبية التى قد تكون داخلة فى تكوين الأمة الكبرى والدولة.

لما كان ذلك، كذلك، ولما كانت اللغة تعتبر من أهم عناصر الوحدة القومية، لذلك كانت الدعوى القائلة بتجميع اللغات الأفريقية فى أربع فقط[٣٨] هى العربية والهوسا والسواحلية ولغة بانتوية ولتكن الزولو، أو الأفريكانية دعوى جد جديدة وجادة وجيدة، يجب تشجيعها والدعوة إليها ومحاولة تنفيذها وليكن ذلك عن طريق منظمة الثقافة التى يجب أن تستحدث فى المنظمة الأفريقية، تلك دعوى أضم صوتى إلى صاحبها.

ولكن الواقع يقول غير ذلك، فشعوب أوروبا رغم تعدد لغاتها يجمعاه الاتحاد الأوروبى ثانى أكبر قوة فى عالم اليوم بعد الولايات المتحدة الأمريكية فلنتعلم أفريقيا و الأفارقة.

أشكال الفصل الرابع



(معدلة عن سبنسر و توماس)

شكل ٤/١ - نماذج لتطور ظهور الكتابة من الرسومات إلى الحروف

話	قصة	言	لغة		
詩	شعر	語	كلمة	証	دليل

أمثلة من الكتابة اليابانية

	ス	セ	ソ	サ	タ	ナ
Katakana	su	se	so	sa	ta	na
	た	つ	て	ち		
Hiragana	ta	tu	te	ti		

شكل ٤/٢- أمثلة من الكتابة اليابانية: الكاتاكانا والهيراجانا

الأرقام العربية الأصلية هى:

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

والأرقام العربية الحديثة بعد ان تطورت فى بغداد وهى:

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

والأرقام العربية القديمة بعد تطويرها فى أوائل القرن العشرين هى: 1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

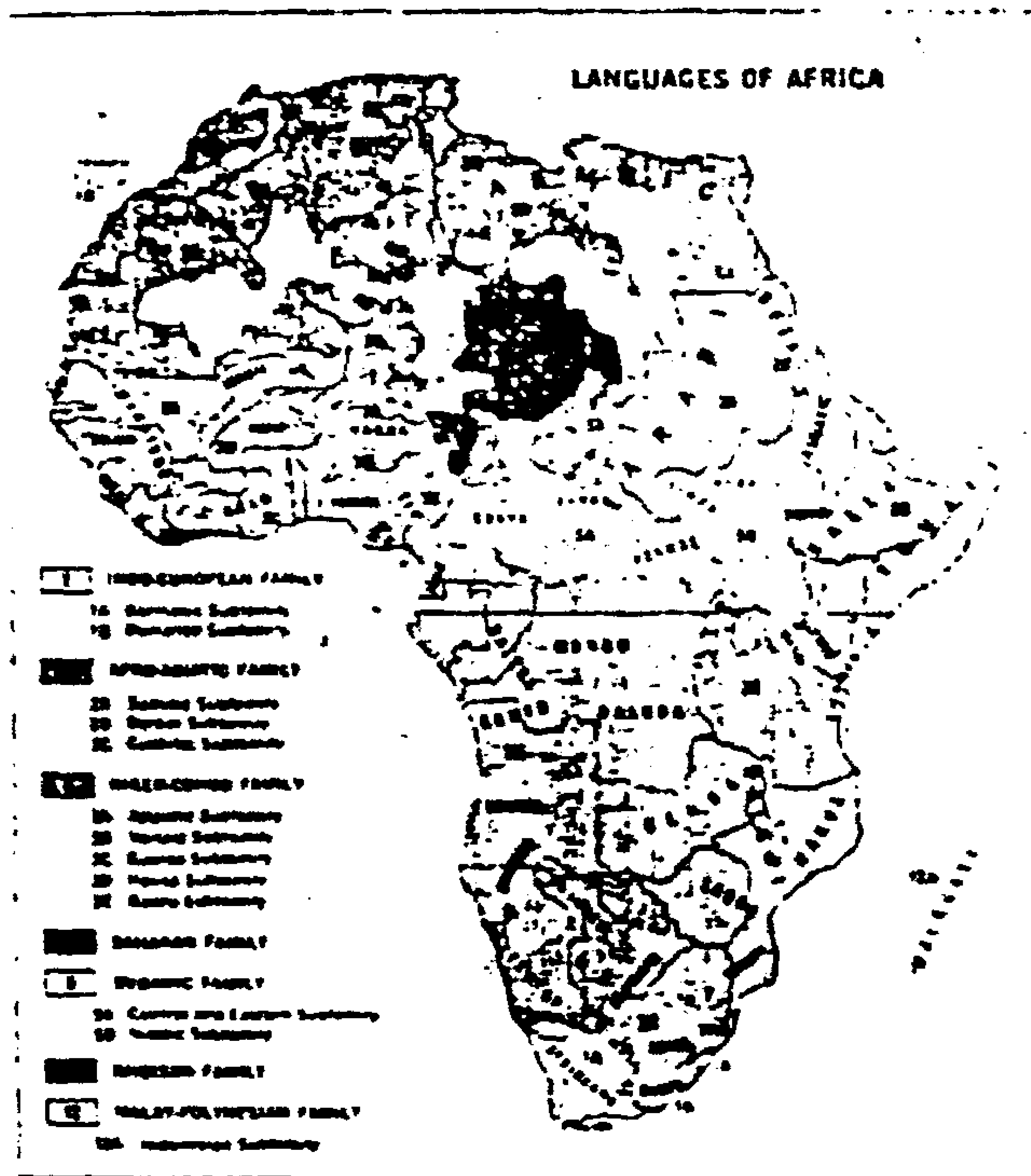
ولقد ابتكر العرب فى العصر العباسى الأرقام العربية التى توصف الآن بانها افرنجية وذلك عندما اعيتهم الأرقام الرومانية فى العمليات الحسابية وبنوا ابتكارهم على عدد الزوايا فى كل رقم فرقم ٤ مثلا به اربع زوايا ورقم ٥ به خمس زوايا، وتطورت الأرقام العربية الأصلية إلى الأرقام العربية الحديثة وانتشرت فى شرق الامبراطورية الاسلامية إلى الهند وجنوب شرق آسيا ولاتزال باقية فى شرق العالم العربى حتى اليوم اما الأرقام العربية الأصلية فقد بقيت بغرب العالم الاسلامى وانتقلت منه إلى أوربا وتعرف الآن باسم الأرقام العربية

شكل ٤/٣- أرقام العرب

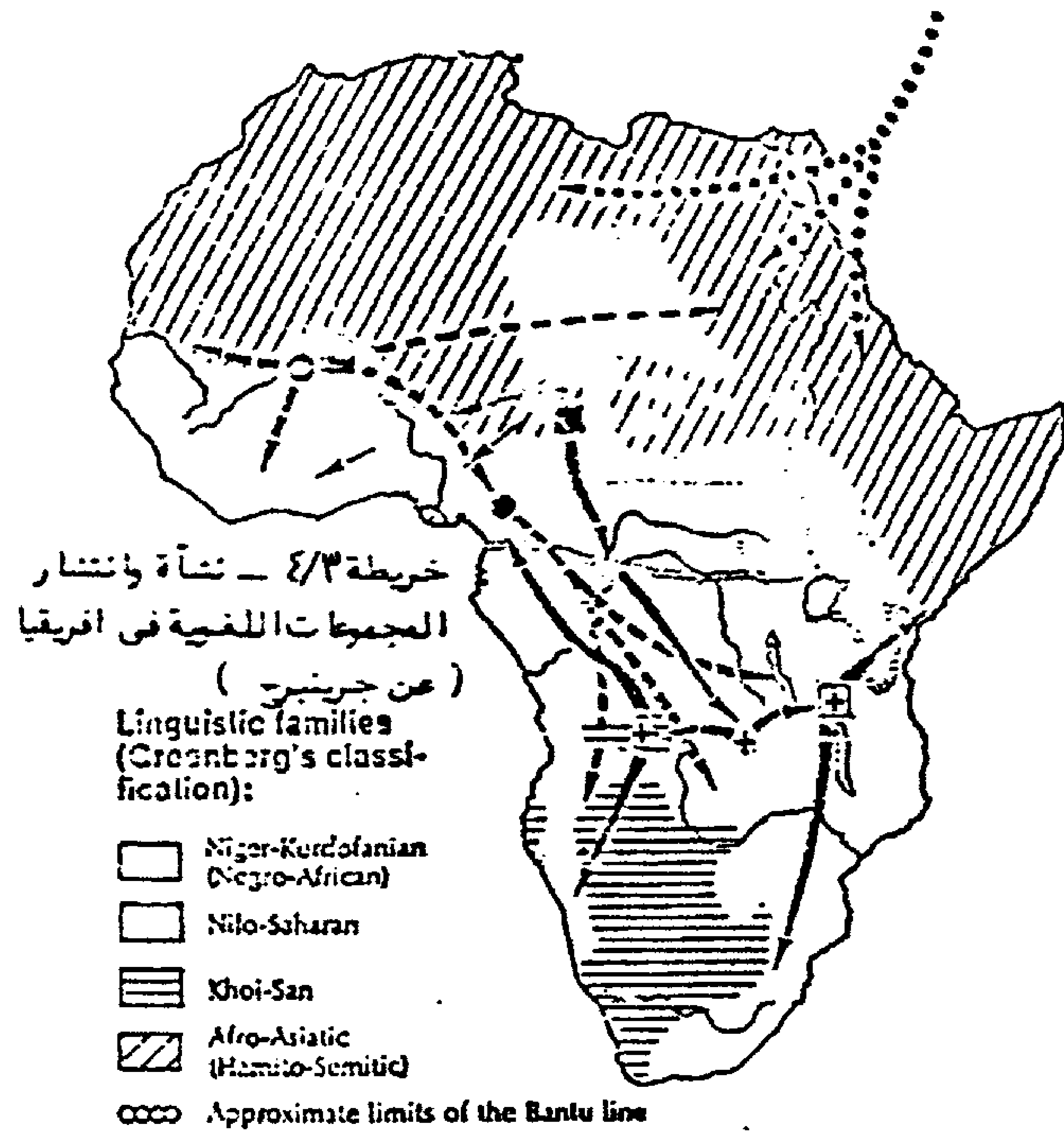


Map 1/4 African Languages about A.D. 1500 (1—Furian, 2—Hamitic, 3—Khoisan, 4—Kordofanian)

(عن مردوك)



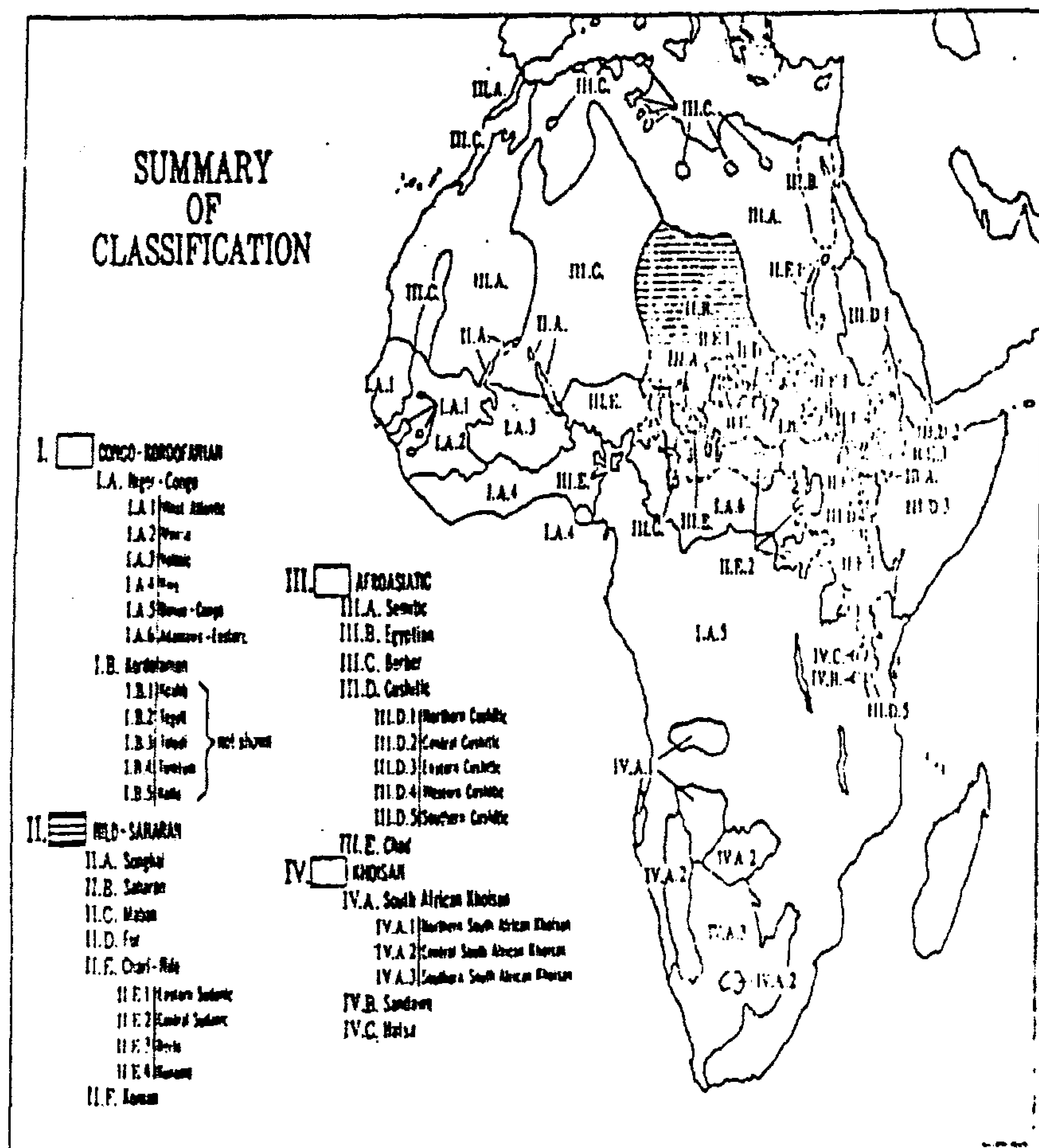
(عن د ى بليجى)
خريطة ٢/٤ ــ التوزيع الجغرافى الحالى للغات فى افريقيا



خريطة ٣/٤ ــ نشأة وانتشار المجموعات اللغوية فى أفريقيا (عن جرينبرج)

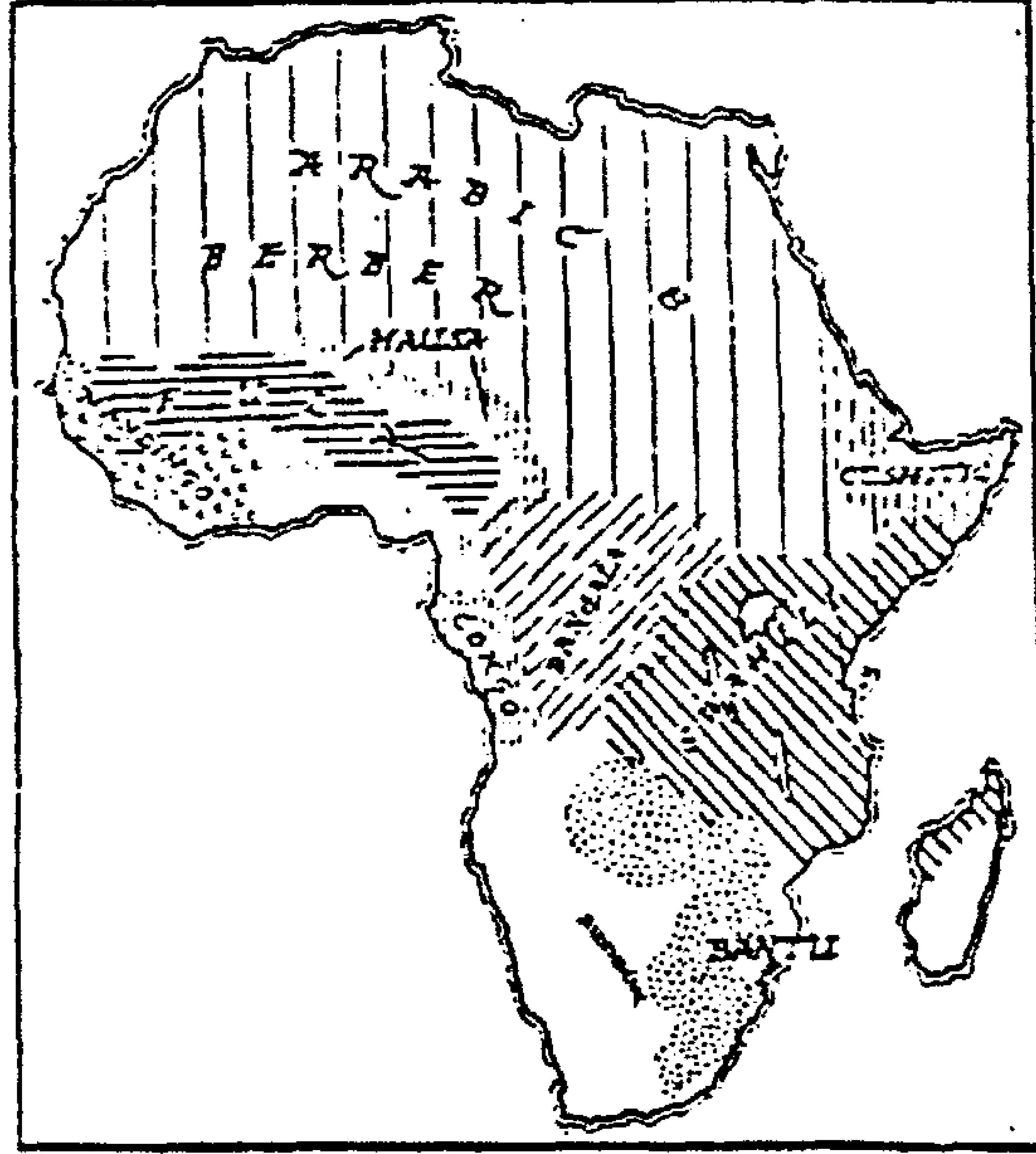
The profusion and tangle of Central African groups has been greatly simplified:

- Departure point of the Pre-Bantu
- Proto-Bantu homeland, according to Guthrie
- Western Proto-Bantu
- Eastern Proto-Bantu
- Migrations of the Pre-Bantu and the Bantu (Guthrie)
- Diffusion of Pre-Bantu elements in (West) Africa
- African migrations, according to Murdock
- Neolithic homeland of [illegible] agriculture
- Proto-Bantu homeland, according to Greenberg
- [illegible])



(عن جرينبرج)

خريطة ٤/٤ ـ توزيـع مجموعات جرينبرج اللغوية في افريقيـا



(عن هورابين)

خريطة ٤/٥ ــ توزيع اللغات الشائعة حاليا فى افريقيا

حواشي الفصل الرابع

(١) انسان بالبانتوية= Muntu (الإنسان عرض للثقافة الأنويتية ، ص ١٠١).

(2) Hymes,oell(ed): Language in Cuture and society, New York, Marper,1964,p.5

(3) Hickerson, Nancy Parrott: Linguistic anthropology, New Yorkm Holt,1972,p1

(٤) فاروق عبد الجواد شويقة: مقدمة في الأنثربولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ص٢٦

(5) Greenberg, Joseph H,: "Africa as a linguistic area" In Bascom, W,R and Herskovits, M.J(ed); Continuty and change in African culture, Chicago, Chicago univ, Press, 1958,p15-27

(٦) تعتمد التصنيفات اللغوية على التشابه والاختلاف في النظم الصوتية (تغريد السيد عنبر، دراسات صوتية القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٠، ص١٠) وأقول وايضا على القواعد النحوية والصرفية والاشتقاقية.

(7) Chi-Bonnardel, Regine Van: The atlas of Africa, Paris, Jeuns afrique,1973,p57-58.

(8) Piddington, R.:An international to social anthroplogy, 2nd.ed, Edinburgh, Oliver& Boyed,1963,p33.

(٩) محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، القاهرة، دار الثقافة ، ١٩٨٠، ص١٤٦-١٤٧

(10) Boyed, A, and Rensburge, P.V: AN atlas of African affairs London, Methuen, 1962,p17-19.

(١١) في تشاد يتحدثون العربية التشادية.

(١٢) يلبس رجال البربر عند سن البلوغ اللثام(بالبربرية تاغلموست) لأسباب كثيرة (ليو الأفريقي: وصف أفريقيا، ص٦٨-٦٩).

(١٣) تتحدث لغة الماندينكا

(١٤) عن محمد نبيل عبد الوهاب، أحد أفراد قوات هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٦٠ التي كانت تعمل في الكنغو (مقابلة بالجيزة في مارس ٢٠٠٧).

(15) Greenberg, J.H.: The languages of Africa ,2nd,ed, The Hauge, Bloomington,1966,p162.

(١٦) فاروق عبد الجواد شويقة: الوا- توتسى عمالقة افريقيا: دراسة اثنوسيسوبيولوجية، مجلة الدراسات الأفريقية، ع٨، ١٩٧٨، ص٦٥-١٣٨

(١٧) شفاة من الإخبارى محمد أبو بكر موسى من أهالى كابكابيا فى دارفور ومقيم فى مصر (مقابلة فى ١٧ فبراير ٢٠٠٦).

(١٨) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية؛ دراسة فى الأنثربولوجيا الجغرافية مجلة الدراسات الأفريقية، مج٦، ١٩٧٧، ص١١١-٢٠٨

(19) Westphal, EO.J:" The Non-Bantu languages of Southern Africa "In " Tucker, A.N & Bryan, W.A.: Handbootk of African languages of North- Eastern Africa, London, Oxfored univ, Press,1956,p16-173.

(20) Ermann, D.W&Bryan, W.A.:- Languages of West Africa, London Oxfored Univ, Press, 1952(Handbook of frican languages, part 11).

(21) Western man, D& Bryan, M.A.: Languages of West Africa. London, Internatinal Africa institute,1970,p7-8ff.

(22) Ibid,p162.

(23) Kraft, C.H.& Kirk- Greene, H,M.: Hausa, Muffolk, odder, 1976, p3.

(٢٤) مصطفى حجازى السيد حجازى: دراسة نحوية وصفية للغة الهوسا، لهجة كنو (رسالة دكتوراه غير منشورة) جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٧٦، ص١٠

(٢٥) نفس المصدر، ص٩

(٢٦) نفس المصدر، ص١٢-١٣.

(٢٧) لعلها ترجع فى أصلها العربى إلى "خديجة" (المؤلف).

(٢٨) مجلة العربى، ع٢٨٢، مايو ١٩٨٢، ص١٠٠-١٢٣.

(٢٩) نسبة إلى أهالى الساحل وسكان المستوطنات الساحلية فى شرق أفريقيا(عبد الله نجيب: تاريخ الأدب السواحيلى حتى نهاية القرن التاسع عشر (رسالة دكتوراه غير منشورة) معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٨٢، ص٦

(٣٠) تتميز اللغات البانتوية بظاهرة البادئات perfixesفمثلا يضاف إلى الجذر "Ganda- إحدى البادئات التالية لتعطى كل منها معنى مستقل مختلفة عن الأخر: Ba(ناس people)، MU(فرد person)، Bu(بلاد Country)، Lu(لغة language)،

ومن الجمل الشهيرة لشرح هذه الاستعمالات الجملة التالية:

"(A day there was) a person walking through Buganda, the territory of the Baganda, might meet a Muganda, who would speak to him in luganda"

ومع أن هذه المصطلحات يساء استعمالها، ألا أنه يجب التركيز على أن أسماء القبائل دائما ما يسبق جذرها إحدى البادئات التالية:

Ba-wa-,A-,Ama

(Piddington, R,: An introduction to social anthropology 2nd,ed, Edinburgh, Oliver &Boyd,1963,p34.)

إذ بينما يستعمل Ba فى الشمال فى (بلاد) بوجاندة، تستعمل المقاطع الأخر لا الدالة على الشعب فى كل من الغرب والجنوب حسب الأحوال.

(٣١) فاروق عبد الجواد شويقة: الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا، دراسة جغرافية، أنثروبولوجية القاهرة رسالة دبلوم غير منشورة) معهد الدراسات الأفريقية، ١٩٦٠، ص١٢٦-١٢٧

(٣٢) الحقيقة أن التآمر على كتابتها بالحروف اللاتينية بدء عام ١٨٥٦ (راجية محمد عفت: الثقافة العربية فى شرق أفريقيا. (رسالة دكتوراه غير منشورة) . معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٨٠، ص١٠٢-١٠٣

(٣٣) منها الجندا، والفانجالو، وتسوانا، ونيانجا، ويمبا، وكينيا، ولينجالاولوبا Ki-luba(Ki= لغة).

(34) Prins, A,H ,J: The Swahili- Speeking peopoles of Zanzibar and the East Africa coast(Arabs, Ahirazi and Swahilli). London,International African Insititute,1957,p25-27.

(٣٥) الذى يقوم به على خير وجه حاليا أبناء قسم اللغات الأفريقية بجامعة الأزهر المنشرون هنا وهناك خاصة فى معهدنا العتيد العريق للدراسات الأفريقية بالقاهرة بقسمه اليافع النشيط.

(٣٦) قاوم الشيخ: الأمين المزروعى قاضى قضاة شرق أفريقيا فى ممبسا (ت١٩٤٠) كتابه اللغة السواحلية بحروف غير عربية وله مخطوط فى ذلك فى مكتبة جامعة لندن(شارع ماليت).

(37) Heine, Bernd: Status and use of Africa frances, new york, Humanities Press Inc., 1970,p29-30.

(٣٨) محمد عبد الغنى سعودى: اللغة وأثرها فى دعم الوحدة الأفريقية، محاضرة ألقيت فى مؤتمر المعلمين الأفارقة(صباح يوم الأحد ٧ ديسمبر ١٩٧٥)، ص١٩ من الترجمة العربية و ص ٢٩ من الانجليزية وص٣١ من الفرنسية.

ببلوجرافية الفصل الرابع

(1) Alexandre, Pierre: an introducation to languages and language in Africa. London, Heinemann, 1972.

(2) Dalby, David (ed.): language and history in Africa. London, Frank Cass & Co, 1970.

(3) Good, H.: language in history. London, Penguin Books, 1958.

(4) Greenberg, J.H.: The languages of Africa. 2 nd. ed. The Hauge, Bloomington, 1966.

(5) Hickerson, Nancy Parrott: Idnguistic anthropology. New York, Holt, 1972.

(6) Horrabin, J.F.: An atlas of Africa . New York, Frederck A. Praeger, 1960.

(7) Hymes, Dell (ed.): language in Culture and Society; a reader in linguistics and anthropology. New York, Harper & Row, 1964.

(8) Kraft, C.H. and Kirk-Greene, H.M.: Hausa. 5 th. Imp. Suffolk, Hodder & Stoughton Ltd, 1978.

(9) prins, A.H.J.: The Swahili-speaking of Zanzibar and the East African Coast (Arabs, Shirazi, and Swahili). London , International African Institute, 1967.

(10) Welmers, Wm.E.: African language structure. Berkeley, Univ. of Californa Press, 1973.

(11) Westermann, Diedrich and Bryan, M.A.: Languages of West Africa. London, Lnternational African Institute, 1970.

(12) ——————— and Ward, Ids, C.: Practical phonetics for students of African languages. London, Oxford Univ. Press, 1964.

(13) Wodak, Ruth (ed.): languade and Idelody. Amsterdam, John Benjomimous, 1989.

الفصل الخامس

التاريخ الحضارى

التاريخ الحضارى

تساعد دراسة أحداث التاريخ المختلفة، على استقراء البناء الفكرى والفلسفى للأمة، وذلك خلال فترة من تاريخها الطويل، وبذلك تتكون الشبكة المتكاملة لدراسة التاريخ بعناصرها المختلفة من سياسية واقتصادية وحربية واجتماعية، أو ما يعرف بعامة بالتاريخ الحضارى.

هذا، ويبدو أن تاريخ أفريقيا، قد مر بعدة مراحل، يمكن دمجها فى ثلاث مجموعات كبرى هى: مرحلة المحليات ومرحلة الاستعمار، ثم مرحلة الاستقلال والمعاصرة.

والحقيقة أن بناء هذا الفصل، قد أخذ بهذا الرأى، وإن تخير لعرض هذه المراحل، عناوين ومسميات أخرى ربما تكون أكثر شيوعا واكثر دلالة لعرض تاريخ أفريقيا الحضارى.

ويجب أن ننوه بادىء ذى بدء وقبل الخوض فى الموضوع أن هناك كثير من المفاهيم يجب أن يعاد النظر فيها، إذ أن الشائع فى الموضوع، ظهور عدة أفكارًا متحيزة ضد القارة، والعجيب والغريب أن كثيرين من المؤرخين المعاصرين كثيرا ما يرددوا هذه الأفكار، بوعى وعن علم لغرض فى نفس يعقوب، أو بدون وعى وبجهل علمى ووطنى، والواجب فى الحالتين إيقاظ الشعور الوطنى فيهم ولديهم وعندهم، حتى يطبقوا منهج البحث التاريخى السليم ويفرزوا الغث من السمين، من الوثائق التاريخية، ليصلوا إلى الحقيقة التى مازالت مجهولة فى التاريخ الإفريقى.

ومن بين هذه المواضيع الشائكة، موضوع تجارة الرقيق، ودور الإسلام فى إفريقيا، والاستعمار الأوروبى ودوره فى إدخال الحضارة إلى القارة، وهو الأمر الذى كثيرًا ما ردده مؤرخون معاصرون غافلون، رغم أن المنصفين من المؤرخين الأوربيين ينفون ذلك ويذكرون أن الأوربيين لم يدخلوا الحضارة إلى أفريقيا حتى نهاية القرن الماضى(١).

والآن دعنا نبدأ، فندخل التاريخ.....

من تاريخ أفريقيا القديم:

في البدء كان الكلمة، وفي البادء كانت مصر، صاحبة أقدم حضارات أفريقيا، وهي التي تعد من أزهر وأقدم حضارات الإنسان على الأرض كان ذلك الظهور حول عام ٣٥٠٠ ق.م، عندما بدأت عوامل الوحدة تظهر في مصر لمواجهة مطالب الحياة في وادي النيل، ثم أخذت تنمو بعد استخدام المعادن وظهور الكتابة والحياة المستقرة في القرى الزراعية المعتمدة على نظم الري الجماعية، وكان للملك مينا (نعرمر)(٣٢٠٠ق.م) دور مشهور في توحيد الوجهين القبلي والبحري وهما اللذين شهدا قبله توحيد الممالك الصغرى التي كانت سائدة فيهما قبل ذلك.

نعود فنقول أن تاريخ مصر القديمة (الفرعونية) إزدهر خلال أسراته بدولها الثلاث (القديمة والوسطى والحديثة) وكان عماد حضارتها الإنسان المصري ذلك الأصيل الذي استوعب كل الغزوات والجماعات النازحة الوافدة حربا وسلما إلى مصر، وهناك أدلة كثيرة تشهد على ذلك ممثلة في العديد من المخلفات الثقافية المتعددة، التي مازال للآن، يعجز الفكر عن حقيقة إقامتها وعملها ووظيفتها وتركيبها، من هذه الآثار والمخلفات الثقافية والحضارية؛ كانت الأهرامات والمسلات والتحنيط، والملابس والغذاء والوقود وكل مظاهر الحضارة المادية والفكرية الغابرة التليدة.

ولقد مر التطور التاريخي للشعب المصري وفكره، بمراحل تدريجية سلسة وسهلة، فلم يشهد كثير من النزاعات والتحويلات والمنعطفات التي شهدتها المجتمعات الأخرى، وتلك وأيم الحق له لا عليه، إذ كان فكره وقيمه وحقيقة فهمه للحياة الدنيا، خير معين له على إجتياز مصاعب الحياة وآلامها، الكثيرة والعديدة وهي تلك التي ما زالت حتى الآن ولكن بصور أخرى مختلفة.

لهذا كان الإنسان المصري ومازال- مهما كان مستواه- فيلسوفا بقدر ما كان جغرافيا وأنثربولوجيا ومؤرخا لقد كان ومازال موسوعي الفكر رغم فقره وأميته البادية والظاهرة، وحافظ عليه فكره، وقيمه كقيمة متزايدة خلال عصور التاريخ المختلفة، الفرعونية والبيزنطية والرومانية والمسيحية ثم الإسلامية العربية وحتى اليوم؛ هذا في رأيي سبب استمرار تواجد الحضارة المصرية واستمراريتها حتى الآن رغم الصعاب والتنزلات التي تواجهها باستمرار.

وقد امتدت الحضارة القديمة المصرية جنوبا إلى النوبة حيث ظهرت حضارة كرمة ونباتا وكووش ومروى[٢]، ثم إلى أكسوم بعد ذلك فى إثيوبيا الحالية، وفى الحقيقة تحمل كل هذه الحضارات الكثير من السمات المصرية القديمة، مما يجعل دراستها تتصل فى أكثر من محور بالدراسات المصرية، وهذا يؤكد عمق صلة مصر بإفريقيا منذ أقدم عصور التاريخ والعصور التاريخية.

وفى الحقيقة لقد شهد تاريخ أفريقيا القديم ثلاث مراكز رئيسية للزراعة كان أحداها فى مصر (حلوان والمعادى ومرمدة بنى سلامة وكوم أمبو وغيرها)[٣] والثانى فى إثيوبيا (دير داوة)والثالث فى ثنية النيجر (جاو)، ومن هذه المراكز الثلاث إنتشرت حرفة الزراعة فى باقى أنحاء القارة[٤].

وأيضًا ظهرت فى أفريقيا حرفة إنتاج وتصنيع واستعمال الحديد فى أكثر من مركز كان منها مملكة كوش فى ثنية النيل النوبى (نباتا ومروى وناجا)، وايضًا فى غرب أفريقيا (نوك) والصحراء (كوروتورو)، وكلها مراكز كانت تعمل فى الحديد منذ القرن الخامس قبل الميلاد وربما أعرق وأقدم من ذلك.

هذا وقد كان لحضارة ومدينة قرطاج التى كونها الفينيقيون فى القرن السادس قبل الميلاد فى شمال تونس الحالية، دور حضارى واضح، شمل آثار دينية ولغوية وزراعية (الزيتون)، فى هذه المناطق الساحلية من شمال غرب القارة الأفريقية، رغم هزيمتها فى الحروب البونية (منتصف القرن الثانى قبل الميلاد) أمام الجيوش الرومانية[٥].

هذا وقد دخلت المسيحية النوبة فى شمال الحوض الأوسط لنهر النيل فى القرن السادس للميلاد، حيث ظهرت ثلاث ممالك نوباتيا فى الشمال، وعلوة فى الجنوب، ومقرة فى الوسط، وكانت علوة آخرها فى مقاومتها للحركة الإسلامية الزاحفة (١٦ ق.م)[٦]، وأما المرتفعات الإثيوبية فقد دخلتها المسيحية حيث تكونت مملكة أكسوم القوية (٤ ق.م) وهى التى إستمر وجودها إمتدادًا من ٨ ق.م، وكانت عاصمتها مروى (القديمة)، ومازالت بقية قوة هذه المملكة مسيطرة دينيا وإلى حد ما سياسيا فى البلاد[٧].

والحقيقة أن تاريخ أفريقيا الزنجية الحقيقى المعتمد على الوثائق، يبدأ بتأريخ العصور الوسطى، خصوصا مع دخول وإنتشار الإسلام، ومع ذلك فقد حفل تاريخ القارة الحضارى منذ أقدم العصور (أكثر من ٣ آلاف سنة ق.م)،

وحتى وصول وصراع الأوربيين (مع القرن الثامن عشر قبل الميلاد) على التوغل فى القارة، على كثير من أدلة التقدم الملموس فى أعماق القارة، نتيجة لتوغل طرق التجارة منذ أقدم العصور وخصوصا منذ العصر اليونانى الرومانى (خريطة ٥/١).

التاريخ الوسيط فى أفريقيا:

يرتبط التاريخ الوسيط فى أفريقيا بالإسلام، فكلاهما مترابطان ومترادفان بل ومتطابقان خاصة فى المناطق والمجتمعات المتواجدة شمال خط الاستواء، إذ بعد أن دخل الاسلام مصر (٦٣٩-٦٤٢م)[٨]، انتشر غربا وجنوبا، حيث وصل مده إلى سبته (٦٩٩م) قرب المحيط الأطلنطى حيث عبر البحر إلى أوروبا، كما وصل مده إلى بلاد النوبة السفلى وعقد معهم معاهدة البقط [٩] مع أهلها، وبذلك نجد أن الإسلام قد انتشر فى المناطق الساحلية المطلة على البحر المتوسط فى إفريقيا الشمالية وإلى مشارف وسط أفريقيا خلال القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى).

ولقد كان لنشاط عقبة بن نافع الفضل الكبير فى نشر الإسلام فى شمال أفريقيا حيث أسس مدينة القيروان عام ٥٠هـ وجعلها مركزًا لنشر الإسلام[١٠]، وقد عمل حفيده عبد الرحمن بن حبيب الفهرى(١٢٧-١٣٢هـ) على حفر سلسلة من الآبار تصل بين واحات افريقية (تونس الحالية) وبين مدينة أودغشت بصحراء المغرب، التى عملت مع مثيلاتها المنتشرة على طول الطرق الممتدة من بلاد المغرب فى الشمال إلى بلاد غرب أفريقيا خاصة منذ دخول الجمل إلى أفريقيا على أيدى العرب، على ربط كثير من مراكز الصحراء بالمنافذ الخارجية الشمالية.

أما فى القرن الثانى الهجرى(الثامن الميلادى)، فقد فتح موسى بن نصير المغرب والمناطق الغربية من الجزائر(٦٩٩-٧٠٥م)، كما أدخل الأدارسة قبائل البربر فى المغرب إلى الإسلام، وبالمثل حدث مع بطونهم ومع التبو المنتشرون فى الصحراء، وقد استمر الوضع على هذه الحال خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين)، أما منذ القرن الخامس الهجرى (١١م) فقد بدأ أيضًا وصول النفوذ العربى وتدعم فى شرق القارة بدء من ساحل الصومال الشمالى وإرتيريا التى شهدت فى القرن السابق بداية

النزوح العربى[١٠] حيث وفد العرب عدة موانى، وعن طريقها أخذوا يتاجرون فى العاج والذهب والرقيق، وقد ترك هذا الاحتكاك الحضارى آثاره الثقافية الدالة على انتشار الاسلام السلمى[١٢].

ومنذ وصول فاسكودى جاما إلى شرق أفريقيا (١٤٩٨م) بدأت المعرفة الأوربية بالمنطقة، وأخذ تأثيرها يظهر باحتلال بعض من دولها (البرتغال- ألمانيا- بريطانيا- فرنسا وغيرها) لها، حيث تزايد الصراع عليها خاصة أثناء فترات الصراع العالمى والأوروبى، ولم ينتهى الوضع بالاستقلال إلا بعد صراع وطنى مرير(حرب الماوماوالتى قام بها الكيكويو على سبيل المثال).

هذا والملاحظ أن كل أجزاء أفريقيا لم تسلم من الحروب الصليبية، شمال أفريقيا[١٣] ومصر، بل وشرقها، إذ حرصت البابوية فى روما منذ القرن الرابع عشر الميلادى، على تقوية صلتها بالحبشة لمحاولة جذبها إلى مجال الحروب الصليبية ضد المسلمين، حتى أن إسحق الأول ملك الحبشة (١٣١٤-١٤٢٩م) فكر فى القيام بحملة صليبية كبرى ضد المماليك فى مصر فى عهد السلطان برسباى، وصادفت هذه الفكرة قبولا من بعض ملوك أوروبا منهم ألفونس الخامس ملك أرغونة الذى شرع فى إعداد أسطولا كبيرًا لمهاجمة شواطىء دولة المماليك فى مصر، وأرسل سفارة إلى ملك الحبشة يؤكد فيها حسن النوايا عن طريق عقد مصاهرة بين الطرفين، كما أظهر ملك فرنسا إهتماما كبيرًا بذلك المشروع الصليبى رغم انشغال فرنسا فى حرب المائة عام[١٤].

ورغم تعذر تنفيذ هذه الفكرة لبعد المسافة بين الحبشة والغرب الأوروبى، فإن الاتصالات الودية ظلت بين الطرفين، بل قويت هذه الإتصالات بعد أن تم للبرتغاليين كشف طريق رأس الرجاء الصالح ونجاحهم فى هزيمة المماليك فى موقعة ديو البحرية سنة ١٥٠٩م قرب شواطئ الهند، فعندئذ أرسلت ملكة الحبشة هيلانة رجلا أرمينا إسمه ماثيو فى سفارة سنة ١٥١٠ م إلى عمانويل ملك البرتغال لمفاوضته فى عقد اتفاقية حربية معه ضد المسلمين، وحرصت ملكة الحبشة فى رسالتها إلى ملك البرتغال بتلقيه ب"قاهر المسلمين" وأظهرت إعجابها بما أحرزه البرتغاليون من إنتصارات على المسلمين فى المحيط الهندى وأبدت رغبتها فى أن يمدها الرتغاليون بالسفن اللازمة لنقل جنودها الأحباش إلى الحجاز لغزو وتحطم الكعبة ولإغلاق البحر الأحمر من ناحيتى الطور شمالا وباب المندب جنوبًا[١٥].

هذا وقد حفل تاريخ أفريقيا الحضارى منذ اقدم العصور (٣ آلاف سنة ق.م) حتى وصول وصراع المستعمر الأوروبى (مع ق١٨م) على التوغل فى القارة، بسلسلة طويلة من الحضارات التى ظهرت خلال الفترة اللاحقة للميلاد (خريطة ٥/٢) حيث ظهرت حضارات ودول كثيرة مثل دول المرابطين (١٠٧٥م) فى شمال أفريقيا، كما شهدت منطقة غرب القارة العديد من الممالك والامبراطوريات والدول الوطنية مثل غانا (ق١١٠٨م) وهى التى ذكر عنها البكرى (١٠٦٧م) الكثير واصفا مدى غناها وقوتها، وكانم (١٣٠٠م) ومالى (١٣٢٥م)، والهوسا(١٤٠٠م) والموسى (١٤٥٠ م) وبنين (١٤٥٠ م)، وسنغاى وعاصمتها جاو (١٥٠٠م) [١٦] وبورنو (١٦٠٠م) وأشانتى (١٧٥٠م) وداهومى (١٨٠٠م).

وقد شهدت شرق أفريقيا نشاطا ملموسا للعرب منذ العصور السابقة على الاسلام، حيث كانت تلك المناطق تعتبر مناطق العرب والعربية، نظرًا للنشاط الملموس للملاحيين العرب فى المحيط الهندى، الذى كان كله بحق بحر العرب وليس شطرة الشمالى فقط، وان كان العرب كغيرهم قد ساهموا بدرجات مختلفة فى تجارة الرقيق قبل ظهور الإسلام، إلا أنهم- بعد ظهوره- قد كانوا سباقين إلى تصفية هذا الوضع اللاإنسانى، مسترشدين بنصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التى كانت تحض على إنهاء هذا الوضع بأسرع الوسائل وأسلمها وأسلسها، وقد شهد بذلك الثقات من المؤرخين الأوربيين الصادقين[١٧]، خاصة إذا عرفنا أن المسلمين قد إكتووا بنار الرّق كثيرًا، أكثر مما يحاول البعض الإيهام بغيره[١٨].

والحقيقة لقد كانت منتشرة على طول ذلك الساحل البلدان والحلات العربية (خريطة ٥/٣) التى شهدت قيام دولة بوسعيد العربية الإسلامية بعد ذلك، والتى استمرت مزدهرة حتى وصول البرتغاليين ودخولهم فى صراع غير متكافىء معهم[١٩].

ورغم كل الظروف يمكن القول أن القارة الأفريقية كما أنها قارة المستقبل، فهى قارة الإسلام[٢٠] بل هى فى الحق والحقيقة القارة الإسلامية باعتبار الممكن، إذا عمل مسلمو اليوم بأعمال الآباء والأجداد؛ بإن يكونوا قدوة حسنة فى الدعوة إلى الله بالتى هى أحسن.

ولعل من أهم معالم تاريخ ممالك أفريقيا الزنجية، أنها كانت على صلات وعلاقات قوية فيما بينها يشاهد ذلك خاصة بالنسبة للشعوب البانتوية التى كانت من أهم ممالكها كونجو(١٥٠٠م) ولوبا(١٥٠٠م) ولولندا(١٧٥٠م) وبوجاندا(١٨٠٠م) أما موينى متويا (١٤٧٥م) فقد كانت سلف دولة زمبابوى القديمة (ق١١-١٩) التى كانت من أظهر المعالم الحضارية فى أفريقيا الجنوبية، حيث دلت بقايا آثار زمبابوى المنتشرة فى شمال موزمبيق (شمال نهر لوندى) والمكونة من حائط كبير إرتفاعه ٣٠ قدما ونظرًا لعظمة هذه الحضارة فقد أطلق البرتغاليون على هذا الأثر "أكروبول"، وكانت هذه المدينة هى التى أطلق عليها البرتغاليون مونوموتابا وكانت من أغنى الدول لما كان يستخرج من أراضيها من الذهب.

هذا وقد حفل تاريخ شعوب حوض الكونجو خلال العصور الوسطى بكثرة الصراعات التى كانت سائدة بين الممالك الوطنية، مثل ما حدث عندما غزت جاجا jaga الكونجو Kong حيث كونت ست دول هى: ياكابيارى، وباكاكوانجو، وامبانجالا، وجاجا امباكا، وجاجا افيموندو، وجاجا هومبى، وهى دول صغيرة كانت تقع للداخل قليلا من الساحل إلى الجنوب من مصب نهر الكونجو[٢١]، وهذا كان من ضمن الأسباب القوية الهجرة مملكة الكونجو (١٦٦٥-١٧١٠م) عندما مات الملك أنطونيو الأول وخلفه ألفار السابع عام ١٦٦٦م[٢٢]، والمثل يقال أيضًا عن ممالك كاتانجا (١٧٠٠-١٨٥٠م) خاصة لوبا ولوندا وكازمبى ولوزى.

والجدير بالذكر أن الصراع الداخلى الذى شهدته الممالك الوطنية فى أفريقيا خلال العصور الوسطى وما أعقبها من عصور، لم يكن بعيدًا عن تأثيرات المستعمر والمستغل الأروبى[٢٣]، ذلك الذى حرض الأفريقى على محاربة الأفريقى كى يسبه ويسلبه حريته، ويبيعه للرجل الأبيض بأبخس الأثمان، كى ينقله هذا بالعشرات والمئات والألوف الى الأرض الجديدة فى أمريكا اللاتينية والأنجلوسكسونية، ليعمل فى المناجم والمزارع[٢٤]، ويا ليتهم كانوا يسلبونه حريته فقط، بل كانوا يسلبونه روحه، أعنى عقيدته، حيث كانوا يجبرونه على اعتناق المسيحية بدعوى تخليص روحه، حتى ولو كان مسلم الديانة، ولنا فى قصة كونتاكينتى (جذور) خير دليل وبرهان.

والحقيقة التى لا شك فيها أن التاريخ الافريقى على الاستعمار، قد حفل بالكثير من الممالك الوطنية فى كل أنحاء القارة(خريطة ٥/٤) حيث كانت كل منها تمثل إتجاها حضاريا متميزا، والحق أقول أن هذه الفترة مازالت تحتاج إلى إعادة دراسة على أن يتولى ذلك متخصصون وطنيون مخلصون، كى يزيحوا الرماد من على الحقائق التاريخية، وليجلوا الوجه المشرق للحضارة الأفريقية.

الإستعمار والكشوف الجغرافية

لن نطنب فى هذا الجزء، الكلام كثيرًا، تاركين للخرائط والأشكال فتح مجال الفكر والتأمل والاستنتاج لمن له قلب وأراد الوصول للحق والحقيقة، ولعل هذا الموضوع يعتبر عصب الدراسات الأفريقية الحديثة فبه ومنه تبدأ، وهو الذى يجب أن تعاد دراسته وكتابته من جديد، ولتدفن كل الكتابات السابقة المغرضة ولتعاد كتابته الحقيقة المستندة إلى أسانيد علمية وثائقية مقارنة.

كان الإستعمار البرتغالى أول من هبط أفريقيا من المستعمرين الأوربيين (خريطة ٥/٥) بعدما شعر الأوربيون بأهمية أفريقيا التجارية (الغرب= الذهب، والرقيق، والشرق=الذهب، والعاج والرقيق) فخلال القرن الرابع عشر عندما كانت تكثر فى شمال أفريقيا الطرق البرية عبر الصحراء، كى تربط شمال القارة مع غربها ووسطها[٢٥]، وهنا يجب ذكر نقطة هامة هى أن تلك العصور كانت عصور صراع دينى داخل أوروبا المسيحية نفسها، وبينها وبين العالم الإسلامى فى الشرق، لذلك حرص البرتغاليون (من أهل إيبيريا= الأندلس السابق) على منع تحكم المسلمين فى المشرق فى التجارة المارة من الشرق إلى أوروبا، فكان أن طوقوا أفريقيا وتوغلوا فى العالم الإسلامى وحالفوا(وهم الكاثوليك) ملوك الحبشة(الارثوذوكس) ضد سلاطين المماليك فى مصر (المسلمين) (خريطة ٥/٦).

إنها ليست أضغان وليست أضغاث أحلام، ولكنها حقيقة المصالح التجارية والدينية التى ظهرت فى سلسلة الكشوف والحروب الصليبية فى الشرق وفى أفريقيا، والتى مازالت تتلون لتستر أهدافا خفية بأهداف ظاهرية، والحقيقة أنه من عاشر هؤلاء يعرف مدى حرصهم على هذا الأسلوب والمنهج فى التفكير والتنفيذ.

والجدير بالذكر ملاحظة ترابط كل عناصر التاريخ الحضارى الأوروبى، بهدف نشر قيمه الثقافية بمختلف أنماطها فى أكبر جزء من العالم، وكانت أفريقيا من أهم القارات إن لم تكن أهمها فعلا التى شهدت هذا النشاط، وكان أداة ذلك الحملات الكشفية التى شهدتها القارة وكانت أنشطها خلال الفترة الممتدة من منتصف القرن الثامن عشر م إلى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر (خريطة ٥/٧) ونذكر هنا أهم عشرة منها؛ هى [٢٦]:

١- جيمس بروس Bruce,J (١٧٧٣-٦٨) فى أثيوبيا

٢- مونجوبارك Park,M (١٧٩٧-٩٥، ١٨٠٦-٥) فى غرب أفريقيا

٣- هوخ كلابراون Clapperton,H (١٨٢٥-٢٣) من شمال إلى غرب أفريقيا

٤-ريتشارد ليون لاندر (نيجيريا وفرناندبو) Lander,R.L (١٨٣٤-٢٥) فى شمال وغرب نيجيريا وفرناندوبو.

٥- دافيد ليفنجستون Livingdtone,D (١٨٥٦-٤٦) فى أفريقيا الجنوبية

٦- ويليام بالفوربايكى Baikie,W.B (١٨٤٥) فى شرق نيجيريا.

٧- ريتشارد فرنسيسي بورتون. Burton,R.F (١٨٥٥-٥٤)إلى هزر من ساحل الصومال الشمالى.

٨- جون هاننج سبيك. Speke,J.H (١٨٥٩-٥٧) فى تنزانيا (تنجانيقا، وزنزبار)

٩- صمويل وايت باكر Baker,S.W مع سبيك (١٨٦٥-٦٠) أوغندا وجنوب السودان من تنزانيا

١٠-هنرى مورتون ستانلى Stanley,H.M (مع ليفينجستون) (٦٦-١٨٧٣)فى تنزانيا وموزمبيق ومالاوى وزامبيا وشرق الكنغو.

ولم يكن الأوربيون الذين كشفوا سواحل أفريقيا جنوب "كيب فرد" قبل عام ١٨٠٠ يحرصون على أن يتوغلوا إلى داخل القارة، إلى أن جاء منجو بارك ١٧٩٦ فتوغل إلى حوض نهر النيجر.

وفى ١٨٤١ عمل المبشر دافيد ليفنجستون ولمدة ٣٢ سنة متتالية فى أفريقيا[٢٧]، وفى عام ١٨٥٨ وصل ريتشارد برتون وجون سبيك إلى بحيرة

تنجانيقا، حيث تابع سبيك بمفرده الرحلة إلى بحيرة فيكتوريا، وقد خرج هنرى ستانلى عام ١٨٧١ للبحث عن ليفنجستون حيث كشف مناطق كثيرة من وسط القارة [٢٨]، بعد ذلك تتابع الكثيرون خاصة الصحفيون الأمريكان لكشف حوض الكونغو وغيره من مناطق وسط أفريقيا.

والحق؛ لقد كان لكل مكتشف هدف خاص يسعى إليه/ فبينما كان يسعى ليفينجستون لنشر المسيحية[٢٩]، لقد كان هدف باكر(بيكر) كشف منابع النيل، أما استانلى فكان يبغى كشف حوض الكونغو وهكذا حسب أهوائهم وأهواء من استأجرهم، ولكن الجميع إلتقوا على كشف غموض وغوامض القارة بغرض إستغلالها ونقل ثرواتها إلى أوطانهم الأوربية وهذا ما حدث فعلا

ولقد شهدت حركة الكشوف التى تلت منتصف القرن التاسع عشر توغلا كاملا فى القارة بل أنه تم اختراقها من كافة سواحلها إلى الداخل، وإلى الشواطىء المتابلة(خريطة ٥/٨)، وكانت تلك الحملات هى إرهاصات الحملات العسكرية التى تلتها، والتى كانت مقدمة تقسيم القارة بين القوى العالمية المعاصرة فى ذلك الزمان، وعملت على نزع ثروات مستعمراتها إلى بلدانها الأوروبية.

وقد إرتبطت حملات الكشوف البرتغالية ومحطاتها التجارية فى شرق أفريقيا بمستعمراتها فى الهند (جوا)، وفى أنجولا بمستعمراتها فى البرازيل، كما ارتبطت الإثنتين بالبرتغال بطبيعة الحال، بل حرصت الدول الاستعمارية على ربط أفريقيا كل غرب أوروبا وأمريكا، بطرق بحرية منتظمة (خريطة ٥/٩)، كانت تنقل عليها كل خيرات القارة من ثروة مادية وبشرية (جدول ٥/١) (خريطة ٥/١٠) (لوحة ٥/١)

جدول ٥/١- أعداد الرقيق الذى سلب من أفريقيا خلال المدة ١٥٢٦-١٨٧٠(٣٠)

العدد بالألف نسمة	إلى	العدد بالألف نسمة	إلى
١٧٥	أوروبا	١٦٠٠	امريكا الفرنسية
١٥٥٢	أمريكا الاسبانية	٥٠٠	أمريكا الهولاندية
٣٦٤٧	البرازيل (البرتغال)	٢٨	جزر الهند الغربية الجرمانية
١٦٦٥	منطقة الكاريبى البريطانية		
٩٣٩	أمريكا البريطانية		
		٩٥٦٦	الجملة

ومع ذكر تجارة الرقيق ونقله إلى أمريكا[٣١]، تظهر أهمية منطقة غرب أفريقيا، التى شهدت قيام ممالك وطنية وإسلامية قوية منذ القرن التاسع عشر للميلاد، مثل مالى وسنغاى والهوسا والموسى، ومع وصول البرتغاليين ثم باقى الأوروبين (ق١٥-١٩م)، ظهرت محطات تجارية (خريطة ٥/١١)للعمل أساسًا فى تصدير الرقيق.

ولقد كانت جريمة الاستعمار بشعة، حيث حطم الكثير من الدول والممالك الوطنية، إذ منذ أوائل القرن الخامس عشر، بدأ المستعمرون على العمل التدريجى لهدم ممالك كثيرة مثل: ولوف (ساحل غينيا)، أكان وأشانتى (غانا)، داهومى (بنين)، أويو وبنين (جنوب نيجيريا) وكان الخطف الأوروبى المنظم، لثروات هذه البلاد خاصة شبابها وأطفالها(= مستقبلها)، هى المقدمات المباشرة لنجاحه فى إستعمارها، وربطها به وبمصالحه حتى اليوم والغد.

كان التجار الأوربيون فى الظاهر (وهم فى الحقيقة مبشرون بالاستعمار وعقيدته) يتبادلون مع الإفريقيين السلاح وذخيرته، والملابس والدخان والخمور والخرز(لاحظ معظمها أدوات تحطيم بطىء للإنسان)، بالإنسان الأفريقى (الرقيق) لنقله للعمل فى المزارع الواسعة فى العالم الجديد، أى أنه لإستغلال

أمريكا إستغل أفريقيا، أنها سلسلة استغلال مازالت مستمرة للآن (فى أفريقيا والعالم العربى والإسلامى).

ويقال أن عدد الرجال والنساء والأطفال الأفارقة الذين نقلو (سرقوا، قسرا) إلى جزر الهند الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية والوسطى لن يعرف بدقة، التقديرات المحافظة تصل به إلى ١٠ ملايين، مات منهم نحو ١٥% من الأمراض والإهمال فى رحلة الطريق عبر الأطلنطى (٦-١٢ أسبوعا)[٣٢]، ومما زاد من نكبة أفريقيا أن غالبية هذا الرقيق (نحو ٦٥-٧٥%) كانوا من الشباب ما بين ١٥-٤٠ سنة أى أن أغلبهم كانوا فى سن الإنتاج والعطاء[٣٣]، وتلك المهزلة البشرية لم تتوقف إلا مع عام ١٨٠٠ تقريبا لتنتهى أكبر وأضخم عملية تهجير قصرى فى التاريخ.

والحقيقة التى يجب إبرازها هنا، أن الزنجى الأفريقى قد أثبت أنه على مستوى المسئولية الحضارية أينما كان سواء فى قارته الأم، أو فى أمريكا حيث المهجر القصرى، يلاحظ ذلك رغم محاولة الكثيرين إبراز الفارق فى أمريكا بين زنوج أفريقيا الذين أجبروا على الانتقال كرقيق إلى أمريكا(فيما بعد عام ١٧٣٣ حتى إلغاء تجارة الرقيق) وبين المهاجرين القوقازيون من الأوربييون، على أساس أن الزنوج ليس لهم تاريخ ولا تقاليد ولا عادات مشتركة[٣٤]، فإن الأحداث أثبتت أن الزنجى الأمريكى (الأفريقى الأصل) له أصول معروفة [٣٥]، كما أن كفاحه ملموس ومنظم وهادف[٣٦].

هذا وقد قدر موليفى اسانتى Asante,M(عام ٢٠٠٤) وهو أمريكى من أصول أفريقية وكان يشغل وظيفة استاذ الدراسات الأفريقية فى جامعة تيمبل الأمريكية ، عدد الأفارقة فى الشتات أى خارج القارة الأم (أفريقيا) كالآتى:-

- ٧٠ مليون فى البرازيل
- ٣٥ مليون نسمة فى الولايات المتحدة الأمريكية.
- ٢٥ مليون نسمة فى جزر الكاريبى (هاييتى- جامايكا- الباهاما- ترينيداد- كوبا).
- ٤ مليون نسمة فى فنزويلا
- ٤ مليون نسمة فى كولومبيا

٢ مليون نسمة متفرقين فى باقى دول أمريكا اللاتينية (أمريكا الوسطى والجنوبية).

وكان تجار الرقيق- أيا كانوا من الأفارقة أو غيرهم- هم من كانوا وراء الكثير من الحروب والمنازعات الداخلية بين شعوب وقبائل القارة وبين الغزاة المستعمرين خاصة تلك التى شهدتها غرب القارة ونصفها الجنوبى والتى كان من أهمها الحرب التى عرفت باسم حرب الكافير استمرت من عام ١٧٧٨ إلى ١٨٧٧ حيث سميت بحرب المائة عام الأفريقية[٣٧].

نظرة للمستقبل:

كان زحف الاستعمار على إفريقيا مركزًا ومخططا واستراتيجيا مما استتبع صعوبة خروجه منها، بل حرصه على وجوده وتواجده هنا وهناك[٣٨] بصورة أو بأخرى وباستمرار.

وفى الحقيقة لقد يترك الأستعمار ؟ أفريقيا مرغما ، والحق أنه لم يتركها ولن يتركها أبدًا فهى قارة المستقبل، كما أنها البيئة التى يعتبرها امتدادًا طبيعيا له ولنشاطه بمختلف أنواعه، ابتداء بالنشاط الزراعى والتعدينى والتجارى حتى تجاربه النووية والطبية كأن الأفارقة من العرب والزنوج ما هم إلا فئران تجاربهم.

أنه كان يتمنى ألا يترك أرض أفريقيا عسكريا- رغم أنه لم ولن يتركها اقتصاديا ولا تجارية ولا تجريبيا كما اتفقنا- انظر مثلا إلى الدول التى منحها الاستقلال؟ نجده يحتفظ فيها بعد ذلك بقوات عسكرية لا تجلو عنها إلا بعد كفاح شعبى فى أغلب الأحيان، فمثلا مصر (منحت الاستقلال ١٩٢٢، ولم تخرج قوات بريطانيا إلا أوائل ١٩٥٦ مع احتفاظهم بقاعدة أخذت بعد عدوان ١٩٥٦)، وهكذا كثير من الدول الأخرى.

بل إنه إذا ساعد فى الظاهر بعض الشعوب على الأستقلال، فما يتم ذلك إلا بعد كفاح وصراع مسلح(كينيا ١٩٦٣) وغيرها الكثير، هذا ويشترك كل المستعمرين فى ربط مستعمراتهم الأفريقية السابقة بعجلتهم مثل الكومنولث البريطانى، بل إن زمبابوى (روديسيا الجنوبية سابقًا) التى حاولت الأقلية البريطانية فيها فرض سيطرتها على الحكم منذ ١٩٧٥ بعيدًا عنهم، فقد تدخلوا صلحا فى الصراع – ظاهريا- لصالح العناصر الوطنية المنتصرة، وكان ثمن

ذلك استقلال ١٩٨٠ مع تدخل وترابط اقتصادى، وهكذا فعلت فرنسا عندما ضمن مجموعة الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية معظم مستعمراتها التى نالت الاستقلال؟ فى تنظيم سياسى فرنسى وهى فى الحقيقة مازالت تندرج تحت قوات الاحتلال الثقافى وأحيانا العسكرى، وهو الذى يفتعل الصراعات الداخلية بين طوائف الشعب الواحد (أحداث تشاد أوائل ١٩٨٠) دائمًا وباستمرار حتى تستمر له كلمة فاصلة فى داخل البلاد وعلى رؤوس العباد.

ليس هذا وحسب، بل إن الأستعمار قد خلف بعده مناطق صراع دفينة دائمة، تتمثل فى الحدود المتنازع عليها وهى فى الغالب مناطق أسيء وضع حدودها فى فترة التكالب، فكانت النتيجة أن ورثتها شعوب أفريقيا، إنها مثل الأمراض الوراثية والخبيثة التى يبتلى بهذا الأخلاف من الأسلاف، وليس أمامهم مخرج منها إلا الموت؛ صراعا بأسلحة الاستعمار، أو علاجا بالتجارب الدوائية الاستعمارية.

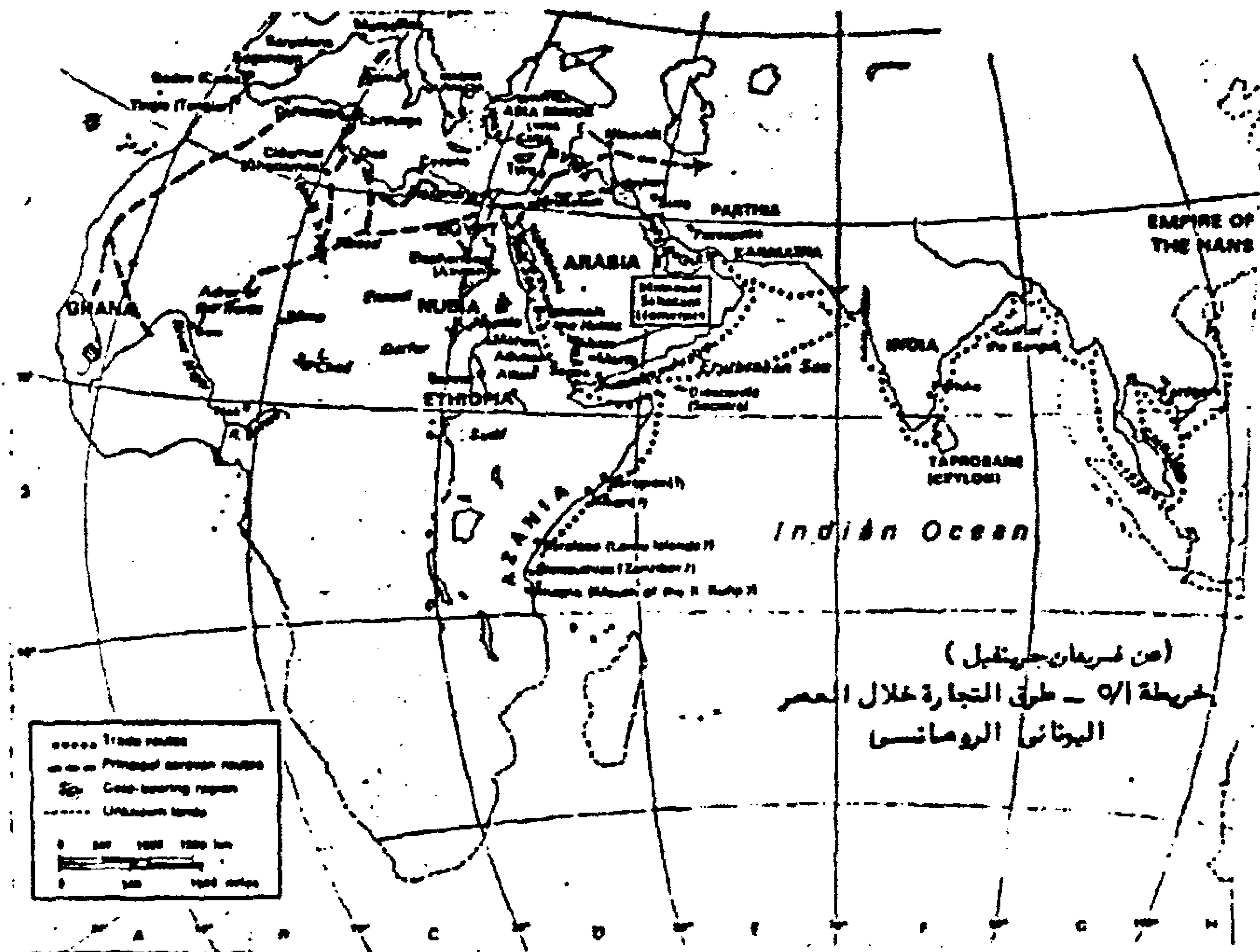
ومع أن شعوب أفريقيا قد شهدت تغييرا ثقافيا وحضاريا[٣٩] كبيرًا خلال المائة سنة الأخيرة، يتجلى ذلك من تضخم السكن العمرانى (عددا وحجما ووظيفة) والحركة السكانية، وإعادة التوطن، واحتراف بعض الأهالى حرفا جديدة متقدمة، والتنظيمات الحكومية المستقرة، وتزايد دور وسائل النقل والمواصلات (برية، وبحرية، وجوية، وأثيرية) وهى التى عملت على نقل الإنسان بذاته، أو بأفكاره، عبر عصور وعهود من التقدم لم تكن لتخطر على البال.

ولكن هذا التقدم المشهود لم يتم بالدرجة المتوقعة، البعض (من الغربيين غالبا) يقول أن هذا يرجع إلى الأنماط التقليدية للحياة التى مازالت سائدة، وآخرون (من الشرقيين معظمهم) يقول أن هذا من بقايا الإحتكارات، ولكن عندى كوطنى أفريقى، أقول أنه ربما يرجع هذا إلى خليط من هذا كله بنسب متفاوتة - ولكن معها بدون شك- القهر النفسى والذاتى؛ الذى مازال يشعر به الإنسان الأفريقى كفرد وكمجتمع، ولكن ما يعنينى هو أن يتملك الفرد الإفريقى أينما كان حقه كاملا كإنسان، وعندى أيضًا أن هذا لن يحدث إلا بتحقيق الذاتية الأفريقية، الفردية بالقيم الدينية، والاقتصادية والسياسية، بالتنمية والصناعية بالتحديد.

هذا والجدير بالإشارة أن كل نقطة من التى ذكرت هنا؛ تحتاج إلى إعادة كتابة تفصيلية، أى أن التاريخ الإفريقى يحتاج إلى إعادة كتابة من جديد بأيدى وعقول أفريقية خالصة، وهنا يجب التنويه إلى أن كتابة التاريخ أساسها الصدق والأمانة والشفافية الكاملة أى لتذكر الحقائق والأحداث كما حدثت تماما دونّ ما خجل ولا وجل ولا مداراه، كل هذا من أجل الوصول إلى حلول واقعية لمشكلات المجتمعات الأفريقية مما يجعل تاريخها مشرقا مع الأيام.

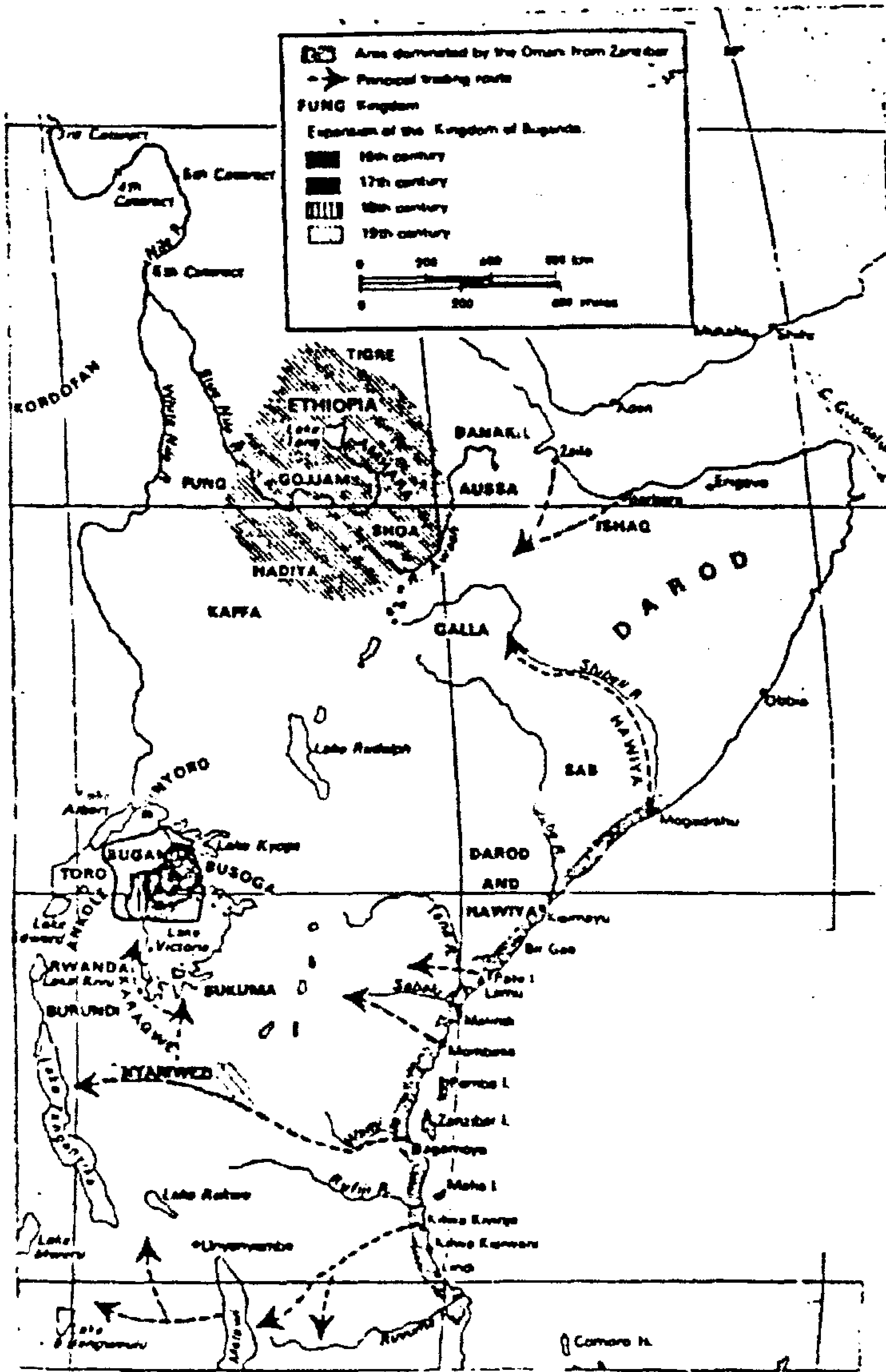
هذا وليجرى تحليل وربط وتعليل وتسبيب بفكر أفريقى وبمنهج تاريخى سليم لهذه الأحداث، وبذلك تظهر أساس الأحداث التاريخية الهامة وتتضح الحقيقة ويطمئن الجميع لعدالة التاريخ الذى هو أعدل ما يكشف عن الأحداث والوقائع.

أشكال الفصل الخامس



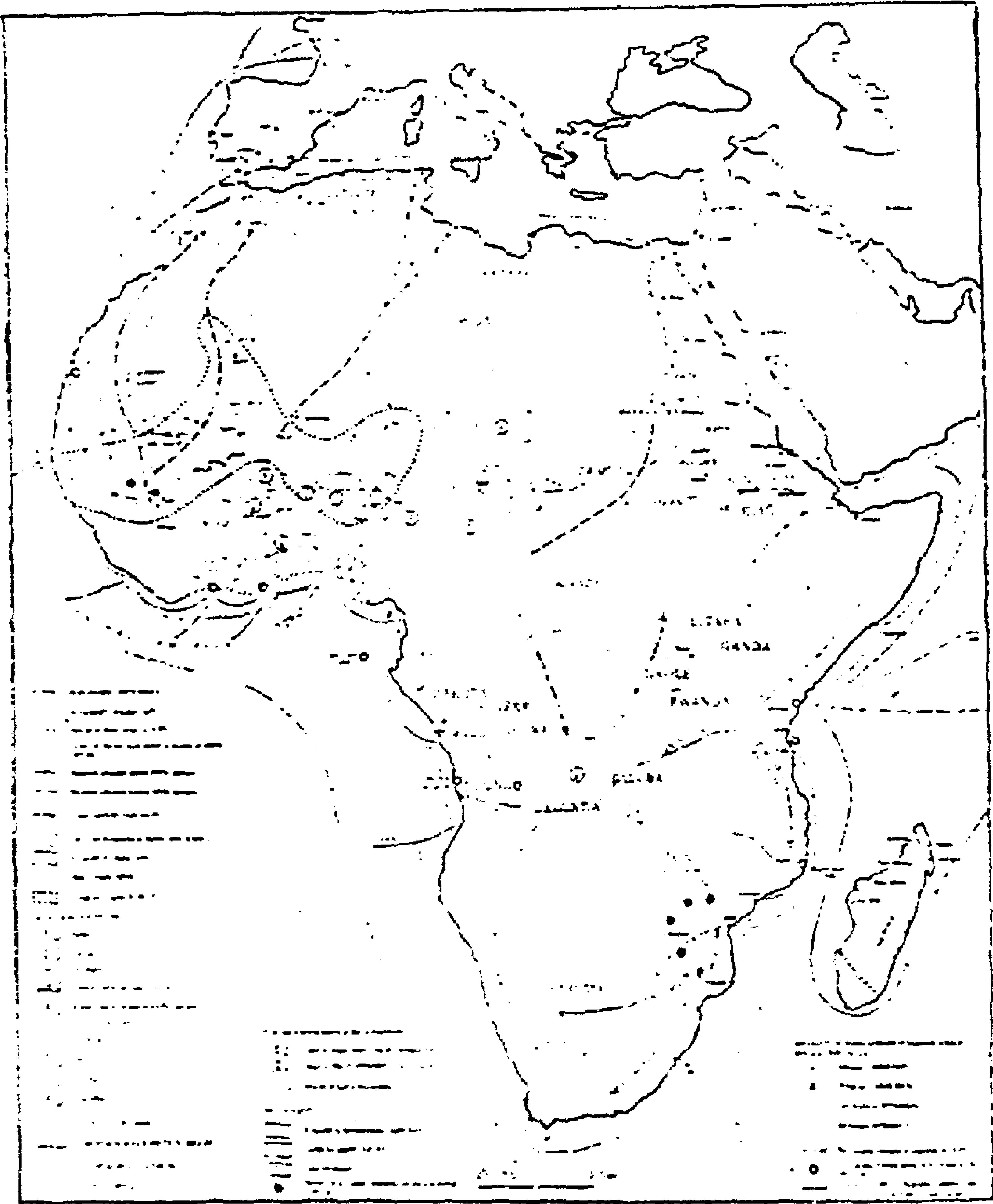
(عن فريمان جرينفيل)
خريطة ١/٥ ـ طرق التجارة خلال العصر اليونانى الرومانى

خريطة ٣/٥
دول وممالك افريقيا
قبل الاستعمار



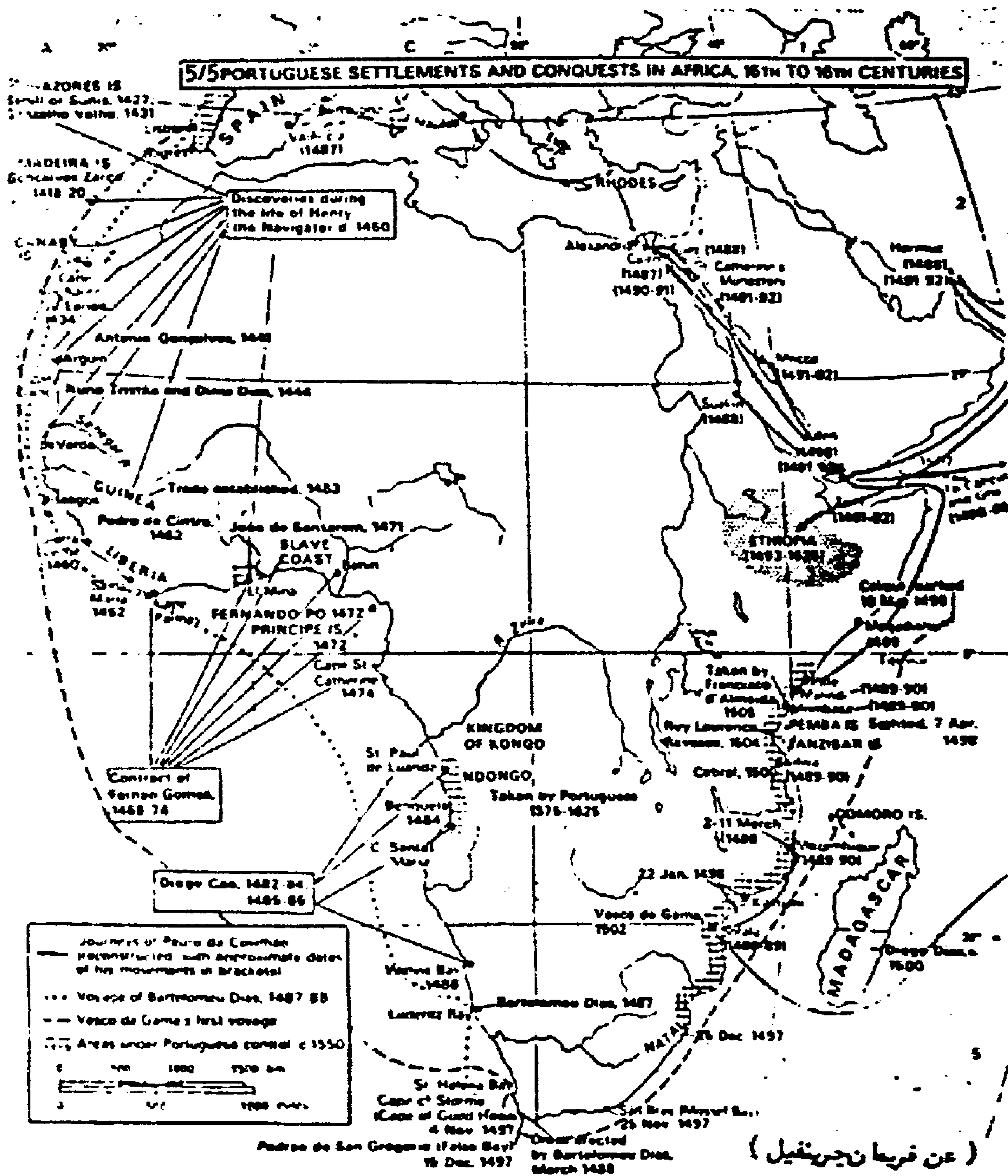
(عن فريمان جرينفيل)

خريطة ٣/٥- شرق إفريقيا خلال الفترة من ق ١٧-ق ١٩م

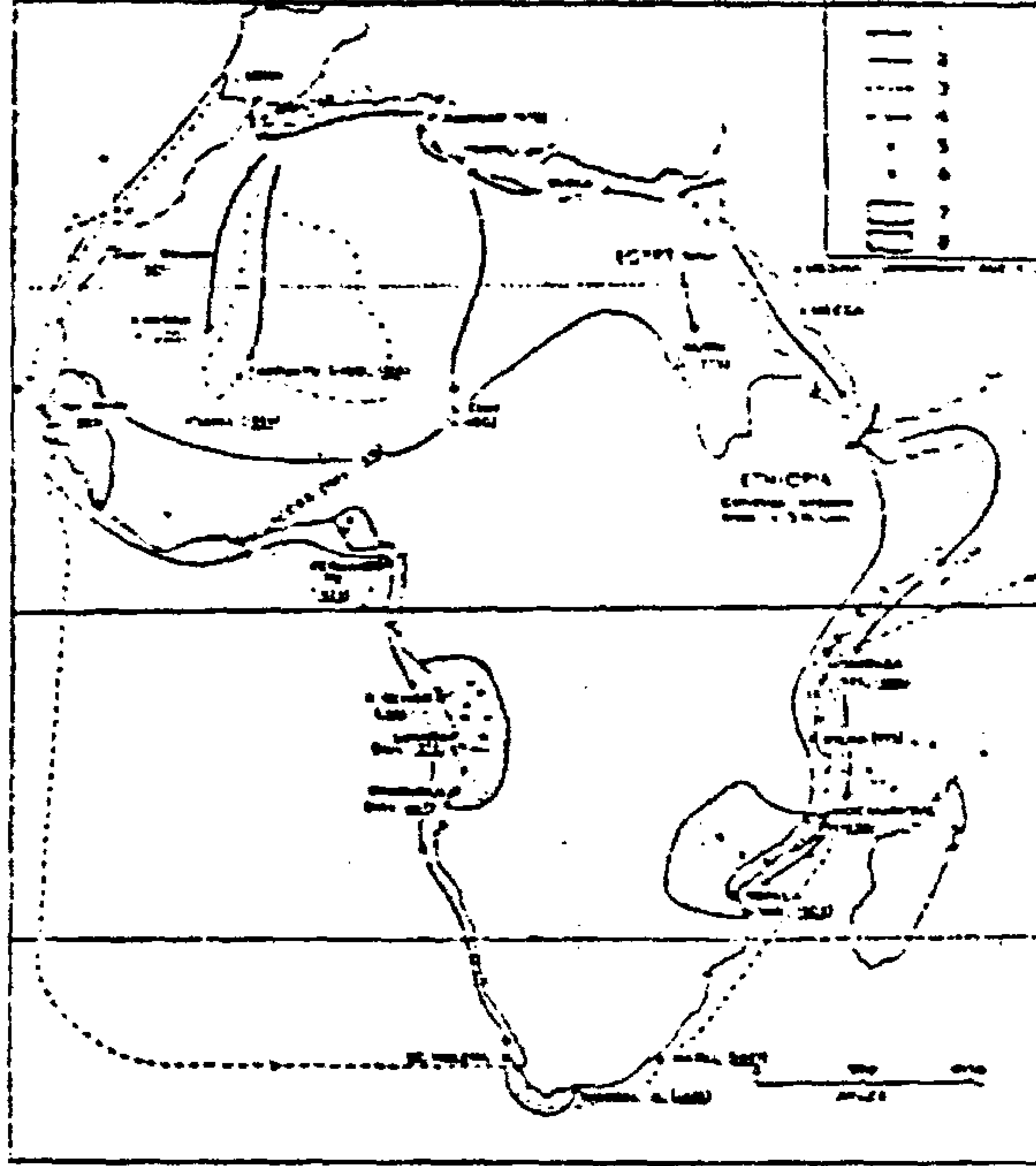


(عن أطلس جين افريك)

خريطة ٥/٤- أفريقيا فى فترة ما قبل الاستعمار



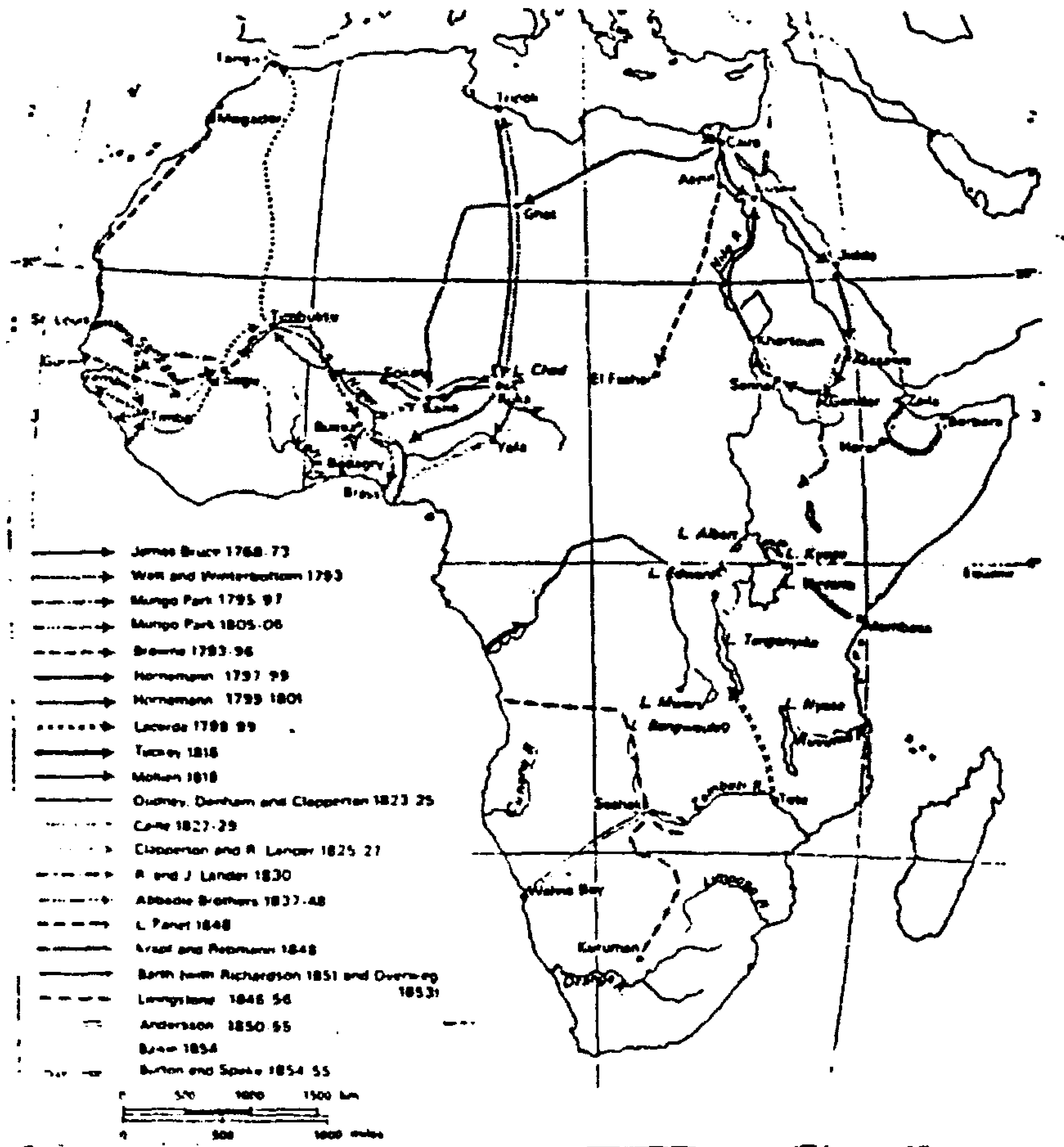
(عن فريما نجرينفيل)



Map 6/5 *The Arabs and the Portuguese in Africa, 640–1650 A.D.* (Dates relating to the Portuguese exploration and expansion are underlined; other dates relate to the earlier Arab conquest)

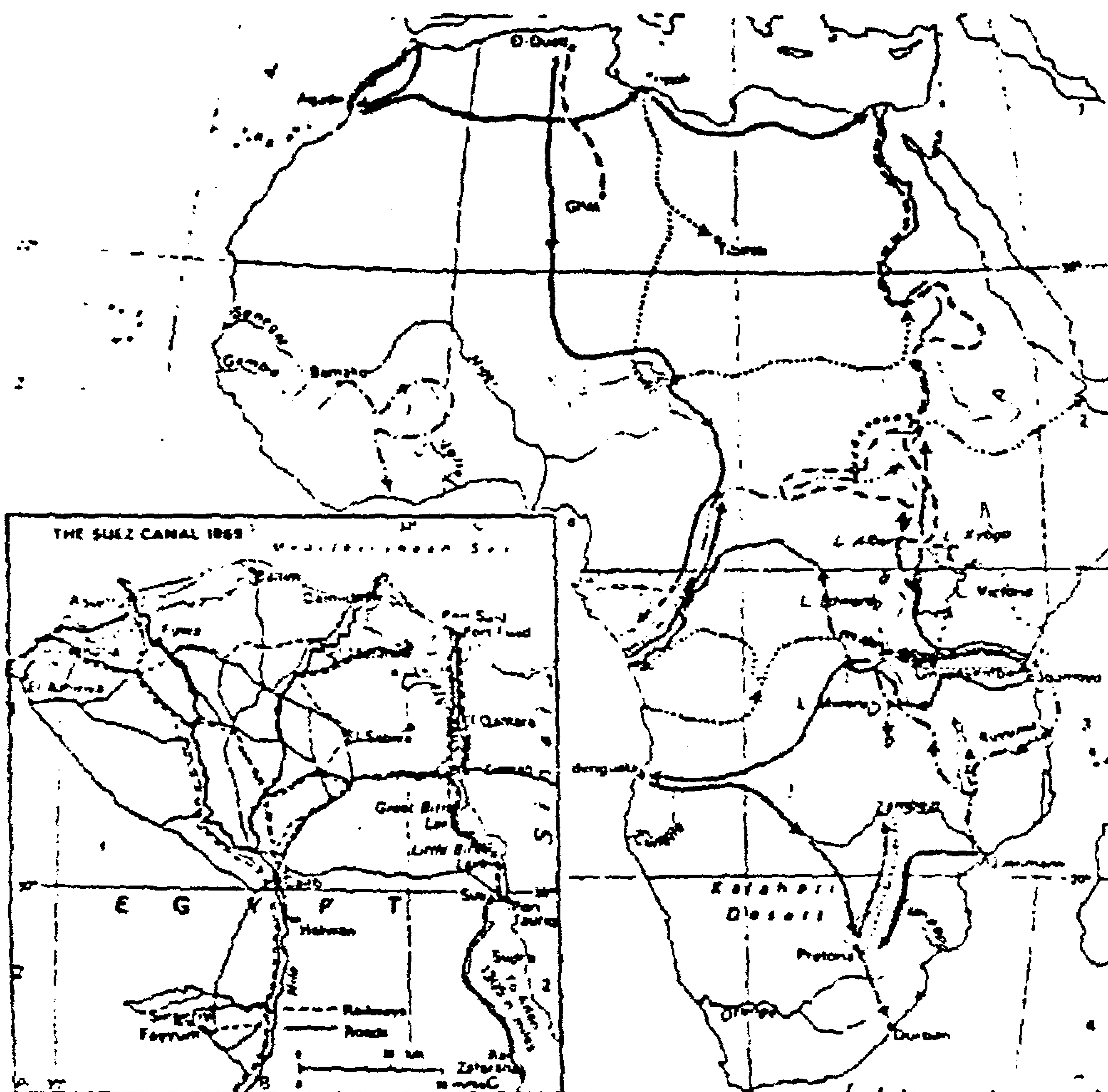
1. Lines of Islamic expansion, seventh to thirteenth centuries. 2. Early Portuguese explorers, 1430–86. 3. First voyage of Vasco da Gama, 1497–9. 4. The journey of Ibn Battuta, 1351–4. 5. Portuguese settlements in western Africa, fifteenth to early seventeenth centuries. 6. Arab settlements in eastern Africa conquered by the Portuguese. 7. Moslem dominated by 1450. 8. Probable extent of Portuguese influence inland by the early seventeenth century

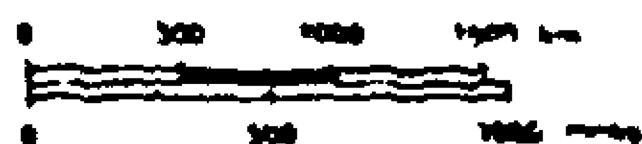
(عن مونتجوى وامبلتون)



(عنفريمان جرينفيل)

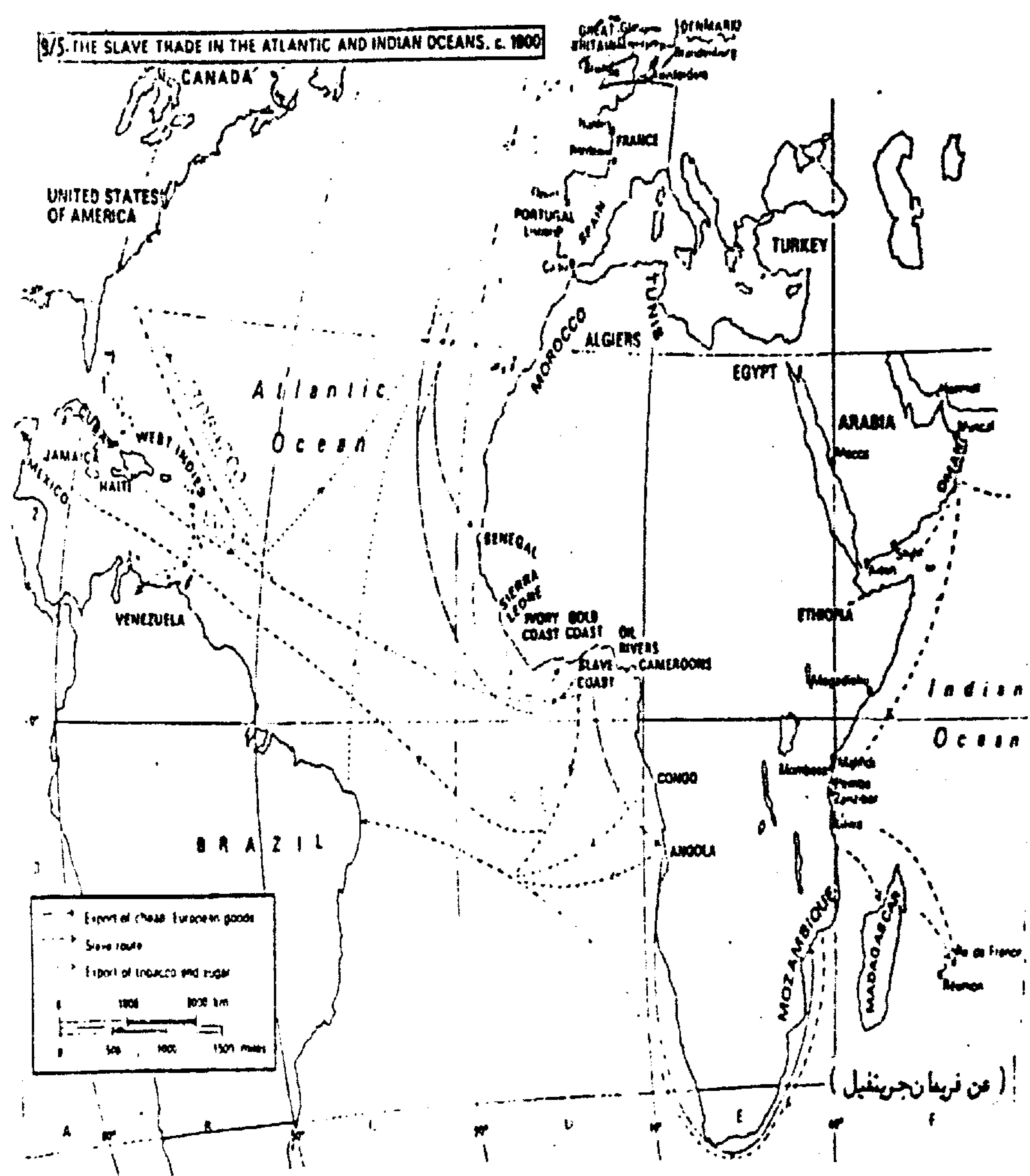
خريطة ٥/٧- خط سير أهم الكشوف الجغرافية
للقارة الأفريقية خلال الفترة ١٧٦٨-١٨٥٦

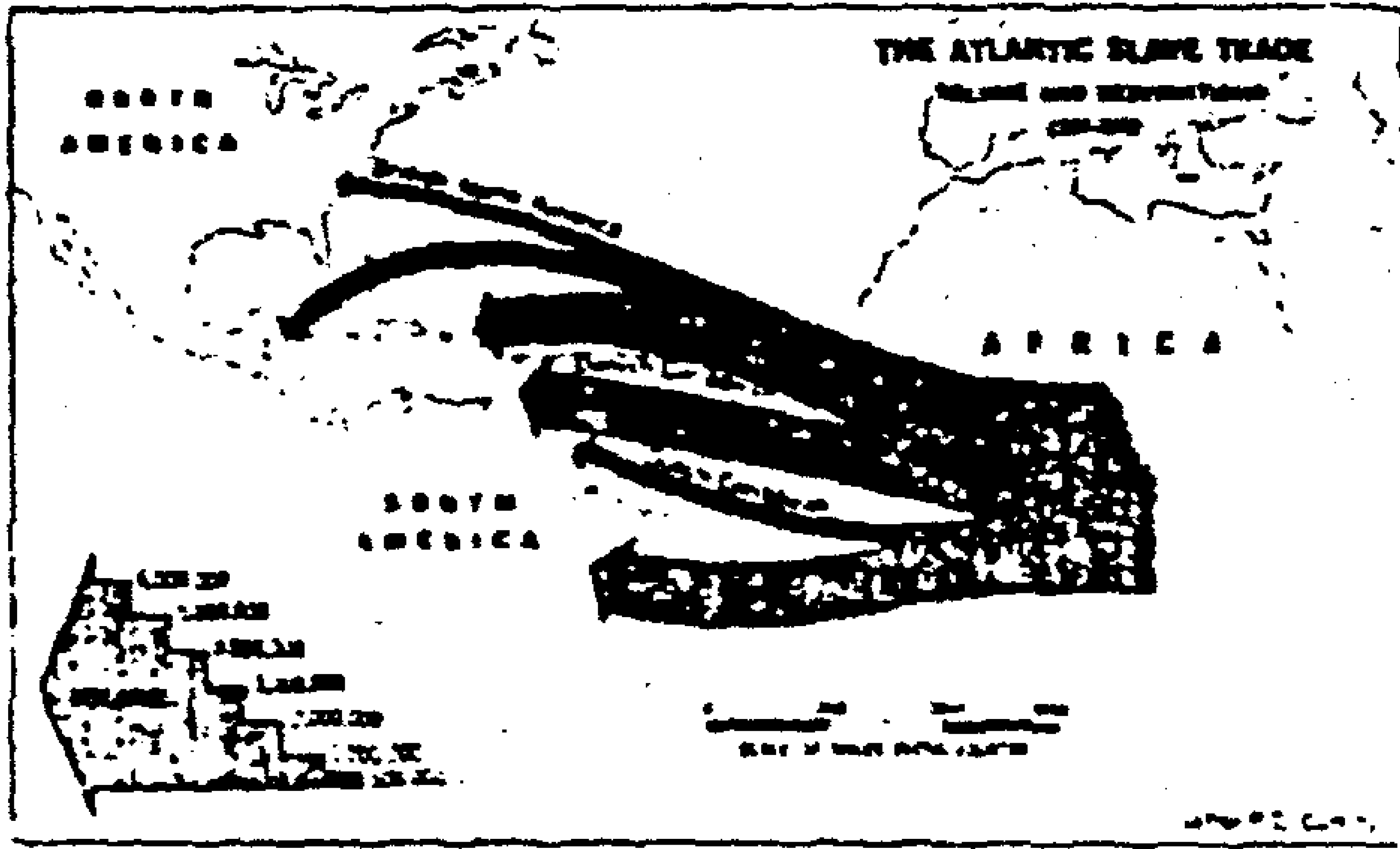




(عن فريما نجرينفيل)

خريطة ٨/٥ ـ خط سير أهم الكشوف الجغرافية فى خلال الفترة ١٨٥٧ ـ ١٩٠٠

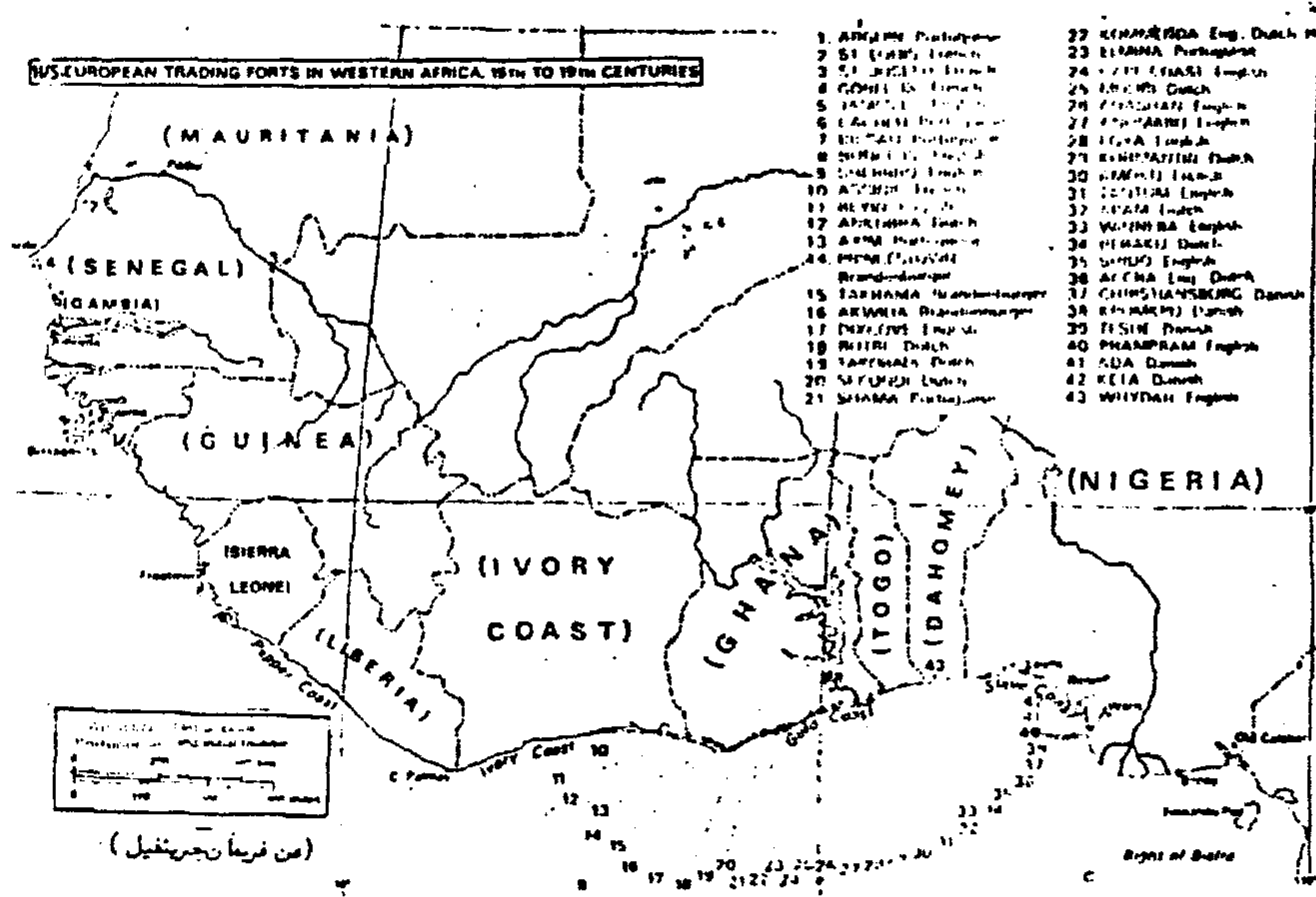

9/5. THE SLAVE TRADE IN THE ATLANTIC AND INDIAN OCEANS, c. 1800
CANADA
UNITED STATES OF AMERICA
GREAT BRITAIN
DENMARK
FRANCE
PORTUGAL
SPAIN
TURKEY
MOROCCO
ALGIERS
TUNIS
EGYPT
ARABIA
Atlantic Ocean
CUBA
WEST INDIES
JAMAICA
HAITI
MEXICO
SENEGAL
SIERRA LEONE
IVORY COAST
GOLD COAST
OIL RIVERS
SLAVE COAST
CAMEROONS
ETHIOPIA
VENEZUELA
Indian Ocean
CONGO
ANGOLA
BRAZIL
MOZAMBIQUE
MADAGASCAR
Export of cheap European goods
Slave route
Export of tobacco and sugar
(عن فريمان جرينفيل)



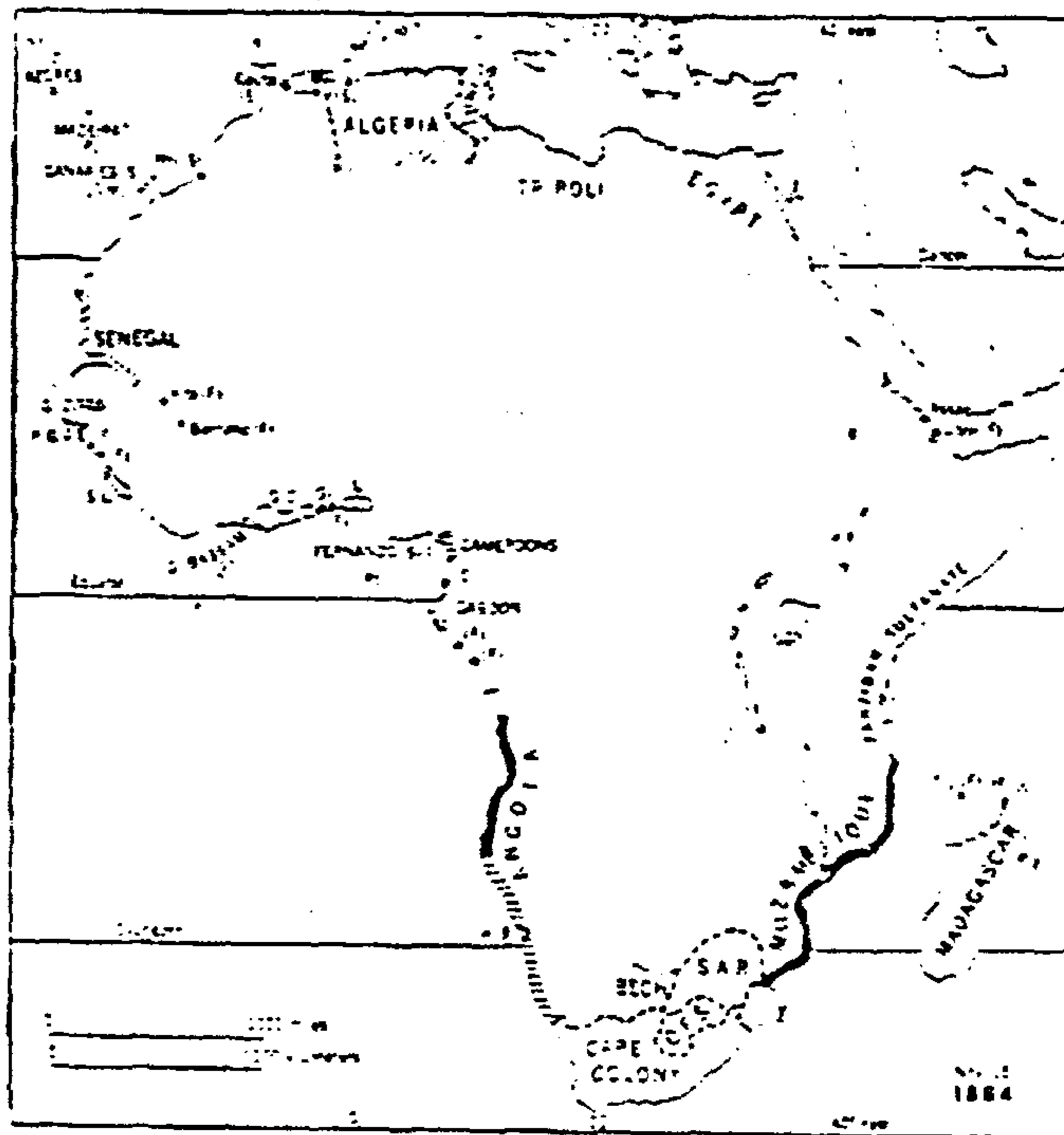
(عن د يبليجى)
خريطة ٥/١٠ ــ حركة تجارة الرقيق من افريقيا الى امريكا ١٧٠١ ــ ١٨١٠



(عن العربي ــ يناير ١٩٨٢)
لوحة ٥/١ ــ رحلة أطفال لمشاهدة بيت العبيد بجزيرة جوريه أمام داكار

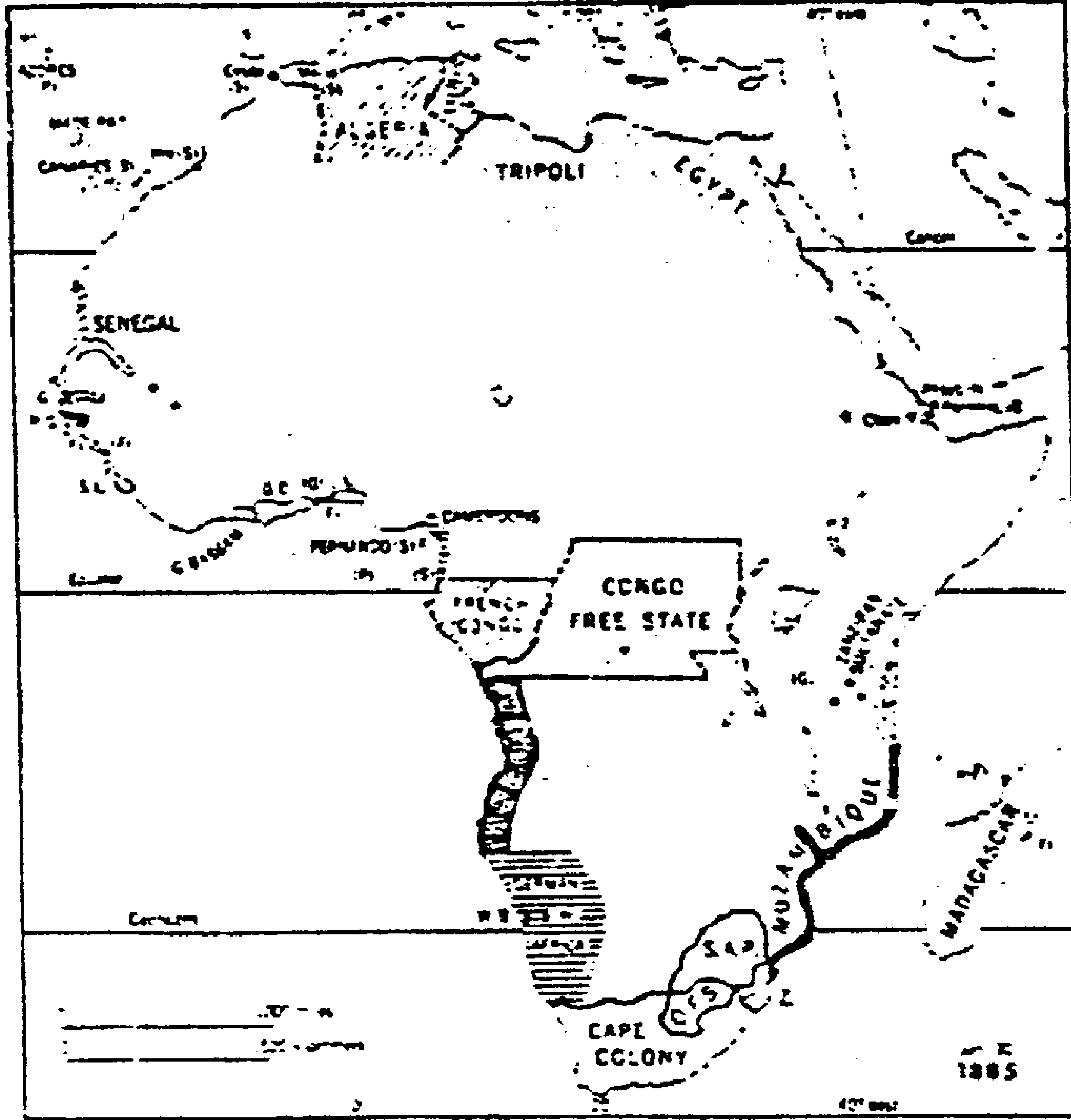


(عن فريماً نجرينفيل)



(عن ستامب)

خريطة ٥/١٢ - بداية السيطرة الاستعمارية على سواحل القارة
(١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٤)



(عن ستامب)

خريطة ٥/١٣- بداية توغل الاستعمار نحو الداخل (يناير ١٨٨٥)

حواشي الفصل الخامس

(1) West, Richared: The white tribes of Africa, London, jonathan Cape,1965,p.9.

(٢) محمد ابراهيم بكر: تاريخ السودان القديم، القاهرة، مكتبة الأنجلة المصرية، ١٩٧١، ص٤٠-١١٠

(3) Shewika,A.: Side Lights upon prehistoric Man and his civilization in North Eastern Africa, African studies Review, Vol,8,1979,p1-57.

(4) Portres, R,et Barrau, j.: "Debuts, developpement et expanision des techiques agricoles, "Dans: J,K Zerba: Historire generale de l' Methodlodogie et Prehistoire Africaine ,Paris, UNESCO, 1980, p725-744.

(5) Mahjoubi, A.:"la periode romaine et post- romaine en Afrique du Nord, I, La periode romaine. "Dans Mokhtar, G.Historire genral de l'Afrique. Tom, 11 Afrique ancienne. Paris, UNESCO, 1980, p501-538.

(٦) برودول فرنان: "دراسات فى النقود والحضارات" في: توفيق إسكندر مترجم): بحوث فى التاريخ الاقتصادى. القاهرة، مطابع دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٦١، ص٧٩-١٠٠

(7) Mekoura, T.T.: "Axoum chretienne": Dans: Mahtar, G.: Histoire General de l' Afrique ancienne, paris, UNESCO,1980, p429-252.

(٨) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ليدن، ١٩٢٠، ص٥٥ وما بعدها.

(٩) البقط تعنى سبى النوبة (متز آدم: الحضارة الاسلامية ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، ص٢٠).

(١٠) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس: القاهرة، ١٩٨٠، ص٣٥

(١١) هازارد، هارى:: أطلس التاريخ الإسلامى ترجمة ابراهيم زكى خورشيد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص١٤-١٥

(١٢) حسين إبراهيم: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى شرقى القارة الأفريقية وغربيها، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٧، ص١٥-١٧

(١٣) محمد محمد أمين: شمال أفريقيا والحركة الصليبية ١١٨٩-١٣٩٠، مجلة الدراسات الأفريقية، ع٣، ١٩٧٤، ص١٤٩-١٨٢

(14) Budge: History of Ethiopia, vol, I. London,1928,p128-129.

(15) Kammerer: la Mer Rouge, Iom,II,La cairo,1929,p 254-255.

(١٦) محمد محمد أمين: علاقات دولتى مالى وسنغاى بمصر فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م) مجلة الدراسات الأفريقية، ع٤، ١٩٧٥، ص٢٧٣-٣١٢

(١٧) ارنولد، توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨، ص٣٠٣

(18) Fisher, A.B.and H,J: Slavery and Muslim society in Africa, London,C.Hurst & Co., 1970, p33-39.

(١٩) فاروق عبد الجواد شويقة: الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا، ص٨٨-٨٩.

(٢٠) جمال حمدان: العالم الإسلامى المعاصر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧١، ص١٧.

(21) Vansina, jan: Kingdoms of th Savanna,Madison, univ of Wisconsin Press,1966, p64-69.

(22) Ibid,p152.

(٢٣) من المحزن بل من المخزى أن يشارك انثروبولوجيو ذلك القرن فى تدعيم ذلك (انظر إلى ما كتب فى دائرة المعارف البريطانية (ط١) فى سياق وصفها للزنوج "... إن الزنوج لا يعرفون الرحمة، وإنهم النموذج الحى لفوضى الإنسان عندما يترك لنفسه".

(24) Vansina, Jan:op,cit,p156-175.

(25) Fisher, H.: "The eastern Maghrib and the central sudan" In: Oliver, Roland (ed) : The Cambridge History of Africa, Vol,3 Cambridge, Cambridge Univ, Press,1977,p232-330.

(26) Parham, M and Simmons, J: African Discovery, London, Faber, 1942, p.34ff.

(27) Birmhgham,David: "The forest and savanna in Central Africa" In Flint, john E.(ed): The Cambridge history of Africa, vol.5 Cambridge, Cambeidge Univ,Press,1976,p222-269.

(28) Hallett, Robin: Africa to 1875; a modern history, Ann Arbor, The univ of Michigan Press,1970, p402.

(29) Bennett, Norman Robert: "David Livingstone" In: Rotberg Robert I,(ed): Africa its explorers, Cambridge Mass Fellow of Harvared College, 1970,p41ff.

(30) The Times Atlas of world History, p166.

(31) Ransford,Oliver: The Slave trade;the story of transstlantic slavery, London, john Murray,1971,p93.

(32) Ibid, p95.

(33) Peterson, W: Population, 3rd.ed New York, Macmillan, 1975, p288.

(34) Comer, james p.: "The sovial power of the Negro" In David, Kingsley(ind): Cities;their orgin, growth abd human impact, San Franscico, W.H Frrman and co., 1973,p282-288.

(٣٥) انظر: قصة جذور Root تأليف الأمريكى الأسود ألكسى هيلى .Hally, A؛ وأثرها منذ صدرت فى أمريكا عام ١٩٧٥ خاصة بعد إذاعتها كمسلسل فى التليفزيون هناك ثم هنا فى شرقنا العربى.

(٣٦) كان من أثر كفاحهم لإبراز شخصيتهم المتميزة، منذ أكثر من قرن؛ أن ظهرت فكرة الأفريقية Pan Africanism، ومن هناك انتقلت إلى القارة الأم أفريقيا.

(37) Mac million, W.M. : Africa zmergent. London, pelican Books, 1949, P.115.

(٣٨) جمال حمدان: استراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة، دار الهلال، ١٩٦٨، ص١٥٩-١٦٠.

(٣٩) باختصار يمكن القول أن كل ما ينتجه الإنسان ماديا أو فكريا يعتبر ثقافة Culure أما مجموع هذه المنتجات الثقافية وتواجدها الزمكانى، فيمثل درجة التقدم فى سلم التطور وهذه هى الحضارة Civilization

ببلوجرافية الفصل الخامس

(1) Ajala, Adekunle: Pam-Africanism; evolution, progress and prospects. London, Andre Deutch, 1973.

(2) Bandinel, James: Some account of the trade in slaves from Africa. New imp, London Franck Cass & Co, 1968.

(3) Curtin, Philip D.(ed.): Africa & the West; Intellectual responses to European Culture. Madison, Univ. of Wisconsin Press, 1972.

(4) Feder, Kemeth L. Human antiquity an international to physical anthropology and archuelogy edition-Montain View, Calif: May field, Co, 1996.

(5) Garlake, Peter: The Kingdoms of Africa. London, Elsevier Phaidon, 1978.

(6) Geen, M.S.: The making of South Africa. Cape Town, Maskew Miller Ltd., 1958.

(7) Gray, Richard: Pre-colonial African trade; essays on trade in Centeral and Eastern Africa before 1900. London, Oxford Univ. Press, 1970.

(8) Gutkind, Peter C.W. and Waterman, Peter(eds.): African social studies; a radical reader. London, Heinemann, 1977.

(٩) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨

(10) Perham, Margery Freda (ed.): African discovery, an anthology. of exploration. 2nd. ed. London, Faber and Faber, 1957.

(11) Roberts, Gail: Atlas of discovery. New York, Crown Publishers, 1973.

(12) Rotberg, Robert I. (ed.): Africa and its explorers; motives, methods, and impacts. Cambridge Mass., Fellows of Harvard College Mass., 1970.

(13) Thornton, john: Africa and Africans in the mathing of Atlantic world, 1400-1800, 2nd.ed, Cambridge, Umiv, Press, 1998.

(14) Yurco, Frank, j. he ancient Egyptions-Chicago: the author, 1992.

الفصل السادس

النشاط الاقتصادي (١)

النشاط الاقتصادى (١)

تختلط عناصر الانتاج (الطبيعة والعمل ورأس المال والتنظيم) لتكون المنتج الاقتصادى، الذى تتكالب عليه فى النهاية الدول والأفراد، فيظهر النشاط الاقتصادى وتتعدد صوره بتعدد نسب عناصر الانتاج وما قد يضاف إليها من عوامل ومؤثرات كوسائل النقل واختلاف القيمة الفعلية لتحويلات العملة وعمليات التنافس والإحتكار، وغير ذلك من عوامل اقتصادية ونقدية(١).

ولقد ارتبط الاقتصاد الأفريقى- ومازال- بحركة الاقتصاد العالمى(٢)، الذى تحركه سياسة ومطامع الدول الكبرى خارج أفريقيا، لذلك ارتبط اقتصادها بها، مما جعله اقتصادا تابعا للمستعمر الذى ترك آثاره واضحة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى لشعوب القارة(٣)، بل ستبقى لمدة طويلة.

هذا ولم يكن هدف الاستعمار بمختلف أشكاله ودوله وصوره، فى أفريقيا قديما وحديثا بل وفى المستقبل، إلا الحصول على المال وكل ما يمكن تقويمه بالمال من مواد خام وطاقة وأيدى عاملة، فقد كان المال والمال فقط ودائما وبكثرة متزايدة هو هدفه، وهدفه الوحيد والمستمر بل إنه لا يرى غيره، ويخطىء من يظن غير ذلك، فكل مظاهر الحضارة المادية التى دخلت أفريقيا لم تدخلها إلا لخدمة أهدافه تلك لا غير، بل إن كل المظاهر الحضارية الفكرية والفنية التى أدخلها كان الهدف منها التخفيف من إحساس الغربة (أو ما يعرف ب home sickness) الواقع عليه، حتى يستطيع التفرغ لهدفه بنشاط.

ونظرا لاتساع الجوانب التى يعالجها هذا الفصل، فإننا نجده يتطرق فى نطاق دراسته لموضوعات تدخل مجال علوم شتى كالآنثربولوجيا الاقتصادية، والجغرافيا الاقتصادية، والاقتصاد السياسى، والتخطيط الاقتصادى وغيرها من العلوم والدراسات الاقتصادية، كل هذا فى مجال تطبيقها الافريقى.

ولا شك أن أفريقيا تزخر بثروات وإمكانيات وموارد طبيعية طائلة، ولكنها فى نفس الوقت نجدها من قارات الفقر بكل معاييره الاقتصادية (شكل 1/6)، وما ذلك إلا بسبب وقوعها تحت سيطرة الدول المستغلة مدة طويلة مما جعلها لقمة سائغة لاقتصادها ولاقتصاد الدول الأخرى المتطلعة لنهب ثرواتها

الاقتصادية والبشرية مما يخلق لأهالى القارة حلقة مفرغة من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والصحية(شكل ٦/٢).

السكان وتوزيعهم:

يمثل سكان أفريقيا ٩% من سكان العالم (٥١٠ مليون نسمة من ٤١٥ مليون نسمة تقدير عام ١٩٨٠)[٤]، وتتميز ظروف السكان فى القارة الافريقية بسمات معينة من بينها معدل التزايد الملموس بالمقارنة بالقارات الأخرى (جدول ٦/١) حيث أن معدل المواليد مرتفعا[٥] ومع ذلك فقد ارتبطت عدة عوامل سكانية واقتصادية وسياسية وانمائية بل واستعمارية أساسا فى تعرض أهالى مناطق شاسعة من شمال وجنوب أفريقيا للمجاعة (خريطة ٦/١) بل لقد وصلت المجاعة إلى الحيوانات أيضًا، مما يزيد من مشكلة مجاعة الانسان فى النهاية[٦].

ومما يعزز هذا الرأى ما ذكره تقرير جامعة الأمم المتحدة من مقرها فى واشننجطون[٧] من أن قارة أفريقيا سوف تفشل فى إطعام ٦٠% من سكانها مما يهدد بتفشى للمجاعات فيها؛ ويحدد انتقرير الدول ال ٤٨ الواقعة جنوب الصحراء بأنها لن تستطيع اطعام أكثر من ٤٠% من شعوبها الذين سيبلغ اجمالى عددهم ألف مليون نسمة عام ٢٠٢٥.

والحقيقة أن القوة السياسية مازالت تتركز فى السكان [٨]، لذا يجب ملاحظة ذلك بعناية وأقصد بالسكان عددا وكيفا (مورفولوجيا وفسيولوجيا وثقافيا).

جدول ٦/١- تطور عدد سكان أفريقيا بالمقارنة ببعض القارات الأخرى (مليون نسمة)[٩] ومعدل الزيادة السنوى من متوسط المدة كلها(١٨٠٠-١٩٧٠)

	١٨٠٠	١٩٠٠	١٩٥٠	١٩٧٠	معدل الزيادة السنوية%
آسيا	٦٢٥	٩٧٥	١٢٥٠	٢٠١٠	٨,١٥
أوروبا	٢٠٠	٤٥٠	٦٠٠	٧٠٠	٢,٩٤
أفريقيا	١٧٥	٢٢٥	٢٤٥	٣٤٥	١,١٨
امريكا اللاتينية	٢٥	١٠٠	٢٢٥	٣٥٠	١,٩١
USA وكندا	٥٠	١٢٥	٢٥٠	٣٢٥	١,٦٢

ويبدو أن أفريقيا هى الأولى بين قارات العالم فى تزايد السكان (جدول١٩) تدل على ذلك مؤشرات الاحصاءات المختلفة رغم تباين التقديرات وهو أمر طبيعى[١٠].

جدول ٦/٢- تطور عدد سكان أفريقيا بالمقارنة بالقارات الأخرى خلال الربع الثالث من القرن العشرين الميلادى[١١].

	١٩٥٠		١٩٦٠		١٩٧٠		١٩٧٦[١٢]	
	منهون نسمة	%	منيون نسمة	%	ميون نسمة	%	مليون نسمة	%
أفريقيا	٢١٧	٨,٧٨	٢٧٠	٩,١٠	٣٤٤	٩,٥١	٤١٣	١٠,٣
آسيا	١٣٥٥	٥٤,٨١	١٦٤٥	٥٥,٤٦	٢٠٥٦	٥٦.٨٦	٢٢٨٧	٥٦.٩
أوربا سهاUSSR	٥٧٢	٢٣,١٤	٦٣٩	٢١,٥٤	٧٠٥	١٩,٥٠	٧٣٢	١٨,٢
أمريكا الشمالة	١٦٦	٦,٧٢	١٩٩	٦,٧١	٢٢٨	٦,٣١	٢٣٨	٥,٩
أمريكا اللاتيية	١٦٢	٦,٥٥	٢٣١	٧,١٨	٢٨٣	٧,٨٣	٣٢٦	٨,١
أسترالبشيا							٢٢	٠,٦
	٢٤٧٢	١٠٠	٢٩٦٦	٩٩,٩٩	٣٦١٦	١٠٠	٤٠١٩	١٠٠

هذا وقد تزايدت الفروقات والتباينات بين أعداد السكان فى أفريقيا بقسميها (شمال وجنوب الصحراء) وبين أجزاء ومناطق وقارات العالم الأخرى مع تقدم الزمان فى أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادى والعشرين (جدول ٦/٣).

جدول ٦/٣- تطور عدد سكان شمال وجنوب الصحراء الكبرى فى أفريقيا بالمقارنة بمناطق العالم الأخرى فى أوائل القرن الحادى والعشرين (مليون نسمة)[١٤]

	١٩٩٠	٢٠٠٣	٢٠١٥
شرق آسيا والباسفيك	١٥٩٧,١	٤١٨٥٤,٦	٢٠٣٩,٧
أوروبا ووسط آسيا	٤٦٦,٢	٤٧٢,٢	٤٧٧,٣
أمريكا اللاتينية والكاريبى	٣٤٣,٩	٥٣٢,٧	٦٢٠,٢
الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	٢٣٧,١	٣٠٠,٦	٣٨٢,٧
جنوب آسيا	١١٢٠,٤	١٤٢٤,٧	١٦٨٣,٣
أفريقيا وجنوب الصحراء	٥١٠,٤	٧٠٤,٥	٨٩٠,٨

ومما يزيد المشكلة تعقيدا، أن معدل تزايد السكان- وهو محصلة ناتج السكان الباقين على قيد الحياة من المواليد بعد استبعاد الوفيات- فى العقود الأخيرة من القرن العشرين كان كبيرا، حيث بلغ أكثر من ضعف معدل الزيادة فى أوروبا (جدول ٦/٤)، مما يحتم اللجوء إلى تطبيق خطط تنمية قومية شاملة نشطة فى معظم الدول الأفريقية.

جدول ٦/٤- زيادة معدل نمو السكان فى أفريقيا عنه فى أوروبا (١٩٦٠-١٩٦٦)[١٥]

	متوسط معدل المواليد السنوى %	متوسط معدل الوفيات السنوى %	معدل الزيادة %
أفريقيا	٤,٦	٢,٣	٢,٣
أوروبا	١,٨	١,٠	٠,٨

هذا وقد استرشد صندوق الأمم المتحدة للسكان UNFPA فى مؤتمره الثالث الذى عقد فى داركار (ديسمبر ١٩٩٢) بالتجربة المصرية وبالنجاحات التى تحققت، مما جعل ١٧٦ دولة توافق على عقد مؤتمر السكان الدولى الرابع فى مصر فى ٥ سبتمبر ١٩٩٤.

ويتصل هذا المعدل الكبير للمواليد بالأنماط الثقافية السائدة فى المجتمعات الأفريقية، وهى تلك التى مازالت تعتمد فى حياتها فى مناطق القارة غير الحضرية على وسائل الانتاج التقليدية غير المتقدمة، مما يرفع من معدل تزايد السكان إلى هذا المعدل الكبير رغم ارتفاع معدل الوفيات أيضًا نظرًا لتخلف المستوى الصحى، معنى هذا أن التخلف الثقافى والاقتصادى وأيضًا السياسى استتبع تفاقم مشكلة السكان فى معظم أنحاء القارة، لذلك أصبح من الواجب لعلاج هذه المشكلة السكانية البدء فى علاج هذه المشكلات أولا، وهى التى ستعمل تلقائيا على حل المشكلة السكانية بعد ذلك.

ويبدو أن هذا صحيحًا إذ تتبعنا فى مقارنة، معدل تزايد السكان فى بعض دول ومناطق القارة، وهو ما يعكس أثر التقدم الاقتصادى والثقافى والسياسى على معدل تزايد السكان وكثافتهم (جدول ٥/٦)، علما أنه لوحظ فى أفريقيا أنه يصاحب تزايد السكان عدديا تزايد ملحوظ ومعنوى فى مستويات الانتاج [١٦]، وفى هذا دليل على أن القارة لا تعانى من مشكلة تزايد فى سكانها.

جدول ٦/٥- تباين تزايد السكان واختلاف معدلات المواليد والوفيات وكثافة السكان بين أقسام القارة الأفريقية المختلفة (١٩٥٠-١٩٧٣) مقارنة بالعالم [١٧]

	المساحة ألف كم٢	تقدير عدد السكان فى منتصف العام (مليون نسمة)							معدل الزيادة السنوية %		معدل المواليد	معدل الوفيات	الكثافة ١/كم٢
		١٩٥٠	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٣	٦٥-٧٣	٧٠-٧٣	٦٥-٧٣	٦٥-٧٣	١٩٧٣
أفريقيا الشمالية	٨٥٢٥	٥١	٥٨	٦٥	٧٥	٨٧	٩٢	٩٥	٣,١	٣,٢	٤٧	١٧	١١
أفريقيا الغربية	٦١٤٢	٦٤	٧١	٨٠	٩٠	١٠١	١٠٧	١١٠	٢,٦	٢,٧	٤٩	٢٤	١٨
أفريقيا الشرقية	٦٣٣٨	٦٢	٦٩	٧٧	٨٦	٩٨	١٠٣	١٠٦	٢,٦	٢,٧	٤٦	٢٢	١٧
أفريقيا الوسطى	٦٦١٣	٢٥	٢٧	٢٩	٣٢	٣٦	٣٨	٣٨	٢,٢	٢,٣	٤٥	٢٤	٦
أفريقيا الجنوبية	٢٧٠١	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٣	٢٤	٢٥	٢,٤	٢,٥	٤١	١٧	٩
قارة أفريقيا	٣٠٣٢٠	٢١٧	٢١٤	٢٧٠	٣٠٣	٣٤٤	٣٦٤	٣٧٤	٢,٧	٢,٨	٤٧	٢١	١٢
العالم	١٣٥٨٩٧	٢٤٨٦	٢٧١٣	٢٩٨٢	٣٢٨٩	٣٦٣٢	٣٧٨٢	٣٨٦٠	٢,٠	٢,١	٣٤	١٤	٢٨

هذا ويلاحظ إذا تتبعنا الأساليب الديموجرافية فى تحليل أحوال سكان أفريقيا، أن القارة تحمل دلالات كبيرة على إمكانية مساهمة القوى البشرية المنتجة (جدول ٦/٦) فى عمليات التنمية الانتاجية فى المشروعات الجديدة، وتلك ميزة كبرى تفتقدها قارات أخرى.

جدول ٦/٦- نسبة توزيع فئات العمر الرئيسية الثلاث ومعامل العمرية ومعدل الاعاشة فى بعض دول أفريقيا[٧]

مراحل العمر	% الطفولة(حتى ١٤سنة) (١)	% النشاط(١٥- ٦٤ سنة) (٢)	% الشيخوخة (٦٥سنة فما فوق) (٣)	معامل العمرية[١٩] (٣)/(١) × ١٠٠	معدل الإعاشة[٢٠] (١)+(٣)/(٢) × ١٠٠
الجزائر(١٩٦٦)	٤٧,٢٥	٤٨,٣٦	٤,٣٩	٩,٢٩	١٠٦,٧٨
أوغندا(١٩٦٩)	٤٦,١٨	٤٩,٩٨	٣,٨٣	٨,٢٩	١٠٠,٠٦
ليبيريا(١٩٧١)	٤١,٦٣	٥٤,٩٣	٣,٤٣	٨,٢٩	٨٢,٠٣
جنوب أفريقيا (١٩٧٠)	٤٠,٧٦	٥٥,١٦	٤,٠٦	٩,٩٦	٨١,٢٥
مالاجاش (١٩٦٦)	٤٦,٥١	٤٩,٥٣	٣,٩٥	٨,٤٩	١٠١,٨٧

وتتباين الكثافة السكانية بمختلف أنواعها من دولة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى فى أفريقيا(جدول ٦/٧) (خريطة 2/6) ويرجع هذا فى الدرجة الأولى إلى بعض العناصر والعوامل الجغرافية والتاريخية سواء الطبيعية أو البشرية[٢١] حيث تغلب على الصحراء مثلا أنها خالية من السكان إلا فى الواحات الزراعية أو البترولية، كما أن الغابات ومناطق الحشائش الموبوءة بالأمراض أو بالآفات قليلة أو نادرة السكان حيث نجد المناطق المدارية (الحارة الرطبة) خاصة الاستوائية لا تتعدى كثافتها ٢٥ نسمة/ ميل٢ عام ١٩٥٨(قارن الأمازون ١٨، نيوجينيا٢,٥-٢,٥-٠,٥)[٢٢]، بينما تزداد الكثافة فى المناطق الزراعية خاصة ذات انتاج المحاصيل النقدية المجزية والمناطق الصناعية أو تلك التى تناسب الانتاج الاقتصادى المختلط الكثيف مثل المشاهد فى وادى النيل فى مصر وفى بعض مناطق شرق وغرب وجنوب وشمال القارة.

والملاحظ بعامة أن الكثافة السكانية المرتفعة توجد قرب السواحل إلا فى مناطق محدودة تتركز فى مصر وإثيوبيا وجنوب وغرب القارة وغالبا يرجع هذا ليس فقط لعوامل جغرافية بل أيضًا لاسباب تاريخية.

وتبدو أفريقيا بذلك أنها ليست فقط قارة الأحواض الفيزيوجرافية الداخلية بل قارة التخلخل الديموجرافى الداخل الشديد مما يفتح آفاقًا واسعة أمام المستقبل إذا ما أحسن استغلال الموارد الطبيعية وتحويلها إلى موارد اقتصادية.

جدول ٦/٧- معدل الكثافة السكانية والزيادة السنوية فى بعض من الدول الأفريقية(١٩٧٢)(٢٣)

الدولة	معدل الزيادة% ٦٣-١٩٧٣	الكثافة ١/كم٢ (١٩٧٢)	الدولة	معدل الزيادة% ٦٣-١٩٧٣	الكثافة ١/كم٢ (١٩٧٢)
السنغال	٢,٤	٢١	تنزانيا	٢,٦	١٥
غانا	٢,٩	٣٨	مصر	٢,٥	٣٥
نيجيريا	٢,٥	٦٣	ليبيا	٣,٧	١
أثيوبيا	.١	٢١	زائير	٢,٢	٣
زامبيا	٢,٦	٦	جنوب أفريقيا	٣,٢	١٩

والجدير بالاشارة أن دراسة الهرم السكانى (تكوين السكان حسب فئات السن) ونسبة الذكورة (النسبة الجنسية العامة أو حسب فئات السن) يمكن تكوينها بالنسبة لمناطق القارة أو لدولها أو حتى لها كلها اعتمادا على الأرقام المتاحة فى نشرات الأمم المتحدة المتخصصة(٢٤).

ولكن يمكن القول بعامة أن أكثر من ٤٣% من سكان أفريقيا المدارية تقل أعمارهم عن ١٥ سنة وهو رقم كبير إذا ما قورن بالرقم المماثل فى الولايات المتحدة وهو ٢٧%، هذا وقد لوحظ فى الفترة الأخيرة زيادة متوسط الأعمار فى معظم بلدان أفريقيا نتيجة لزيادة الرعاية الصحية والطبية، مما جعل المتخصصون فى الدراسات السكانية يرجحون أن عدد سكان الذين بلغوا ٦٠ سنة فأكثر سيزيد إلى خمسة أمثال العدد الحالى خلال الخمسين عاما القادمة.

هذا وتحظى الدراسات الخاصة بالخصوبة وبتنظيم الأسرة حاليا باهتمام عالمى كبير، حيث تعد من اهم الموضوعات التى تناقشها المؤتمرات السكانية خاصة ما يتصل بها بالدول النامية(٢٥). ولكن قد يظن البعض أن حل المشكلة السكانية – وهى التى قد تكون أحيانًا فى بعض البيئات سلبية أى نتيجة لغة السكان، إذ أن المشكلة ليست دائما كثرة السكان- يتركز فى العمل على إنقاص عدد السكان بكافة الوسائل ولعل أبسطها هو تنظيم النسل، كما يتبادر إلى الذهن، أو كما أريدت له الدعايات الهادفة أن تدخله فى أذهان أهالى وسكان دول العالم الثالث أو دول الجنوب (العالم الفقير).

والحقيقة التى لا شك فيها أن للنمط الحضارى السائد أكبر الأثر على معدلات المواليد والوفيات وأسبابها ومعدلات أمد الحياة، لوحظ ذلك فى أكثر الدول تقدما عند المقارنة الاحصائية للاحصاءات الحيوية(٢٦)، فإذا أضفنا إلى ذلك عوامل التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى يجب التركيز عليها فى حل المشكلة السكانية، بما فيها الهجرة من المناطق قليلة الموارد إلى المناطق كثيرة الموارد، لتضح أنه ليس هناك مشكلة زيادة سكان كما قد يظن (٢٧)، ويظهر جليا أن المشكلة تتركز فى سؤ توزيع السكان وفى نوعية الأنشطة الاقتصادية التى يزاولونها، وليس كما قد يظن من أسباب أخرى(٢٨)(لوحة ٦/١).

هذا وتشهد أفريقيا حركة هجرة سكانية كاملة فى المناطق التى تعتمد فيها الحياة على الرعى وهى مناطق شاسعة فى القارة تغطى أكثر من ثلثيها ، كما توجد الهجرة أيضًا فى بعض المناطق الزراعية (خريطة ٦/٣)، أما هجرة العمالة- وغالبيتها ذكرية التكوين- من مناطق الطرد إلى مناطق الجذب العمالى، فستأخذ هذه الهجرات العمالية أحد أنماط ثلاث : الهجرات الموسمية، والهجرات قصيرة الأجل، والهجرات الدائمة(٢٩)، وغالبا ما تشاهد مناطق القارة المختلفة جميع هذه الانماط بين فترة وأخرى تبعا للنشاط الاقتصادى السائد.

ومن أهم مميزات حركة السكان فى أفريقيا أنها تتميز بوجود ظاهرة اللاجئين refugees، التى تزايدت فى العقود الأخيرة لاسباب سياسية أضيفت للاسباب القبلية والحرفية والدينية والايكولوجية التى كانت سائدة من قبل لدرجة أنه يقال أن عدد اللاجئين حاليا (١٩٩٠) فى القارة يبلغ ١٥ مليون نسمة تستقبلهم دول كثيرة مثل السودان والكنغو والصومال وتنزانيا من الدول

المحيطة [٣٠]، كما يقدر أن عددهم سيتعدى الثلاثين مليون مع بداية القرن الحادى والعشرين، لذلك أنظر كيف تتشكل صورة حركة السكان فى أفريقيا.

جدول ٦/٨- حركة اللاجئين من وإلى بعض الدول الأفريقية فى سنتى ١٩٦٩و ١٩٧٠ (ألف نسمة)[٣١]

من	إلى	١٩٦٩	١٩٧٠
أثيوبيا	الصومال	١٨٩	١٨٩
جيبوتى	الصومال	١٢	١٢
كينيا	الصومال	٢١٨	٢١٨
زائير	السودان	٧,٥	٦,٥
أثيوبيا	السودان	٣٨	٤٨
تشادو الكنغو والسودان	افريقيا الوسطى	٢٤,٥	٢٧,٥
دول مختلفة	زائير	٥٨١,٥	٦٦٩
موزمبيق	مالاوى	١٥	١٥
زائيرورواندا والسودان	أوغندا	١٧٦	١٧٧
دول مختلفة	زامبيا	١٢,٢	١٤,٨
نيجيريا	فيها	٣٥٠٠	؟
نيجيريا	دول مختلفة	٤٢,٢	؟
فلسطين	مصر	٤٥	٣
شمال افريقيا	ايطاليا	٢,٥	٢,٥
تشيكوسلوفاكيا	جنوب افريقيا	٠,٦	٠,٦

والحقيقة أن الأوضاع السياسية فى و حول دول القارة، لن تهدأ ولن تسمح لها القوى الاستراتيجية الكبرى بالهدوء، وسينعكس هذا على المساكل التى تظهر بين حين وآخر هنا وهناك فى القارة مما يستتبع ظهور أعداد غفيرة من اللاجئين (جدول ٦/٨) تترك أوطانها وتهاجر هربا من الموت وطلبا للتشرد.

وقبل أن نعرض موضوع سكان المدن يجب الاشارة إلى أن تعريف كلا من الحضر ليس حاسما من عدة وجوه بعضها جغرافى ايكولوجى وبعضها انثربولوجى ثقافى حضارى اجتماعى، وعلى كل فإن المشكلة تتعقد غاية التعقد فى دول أفريقيا القديمة، التى تتضخم فيها الحلات الزراعية التقليدية تضخما كبيرا وكذا الحديث منها أيضًا، حيث تظهر ازدواجية نمط المعيشة بين التقليدى الوطنى والحديث الأوروبى الذى كان للمستعمرين وأعوانهم ومن أمثلة ذلك الخرطوم (خريطة 4/6) وداكار وغيرهما.

وتعتبر مشكلة تضخم المدن الكبرى فى أفريقيا، خاصة القديمة منها بمعدل متزايد عن المدن الحديثة (شكل ٦/٣)، وأيضًا تزايد عددها(جدول ٦/٩)، هى الطامة الكبرى التى تهدد توزيع السكان فى أفريقيا ومستقبلها

جدول ٦/٩- تزايد معدل الاستقرار فى المدن فى بعض دول أفريقيا قبل وبعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)[٣٢].

% من سكان	قبل الحرب	بعد الحرب	معدل الزيادة
الجزائر	٤,٩	٧,١	٢,٢
مصر	٢٤,١	٣٢,٩	٨,٧
ملاجاشى	٣,٩	٥,٦	١,٧
نيجيريا	٤,٣	٥,٠	٠,٧
ناميبيا	٥,٩	٩,٤	٣,٥
تونس	١,٨	٣,٧	١,٩
جنوب أفريقيا	٩,٣	٦,١	٣,٢-
المغرب	١٠,٨	١٥,٦	٤,٨

والمعتقد أن حل هذه المشكلة يتركز فى الاهتمام بالسياسات المنفذة لخلق البلدان الصغيرة والمتوسطة وتحديثها، حتى تستعيد سكانها من المدن الكبرى والمتروبوليتانية ولكى يستقروا فيها مرة أخرى، ليعيدوا تنمية الريف وتحويله إلى حضر متحضر منتج، مثل الحادث فى بريطانيا حاليا.

الاقتصاد المعيشي:

تنتمى أفريقيا بصفة عامة إلى عالم الريف غير الحضرى، ويتركز ذلك فى اعتماد غالبية أهلها العاملين، على الاقتصاد المعيشى أساسا وفقط (= from hand to mouth) مع ما يحمل ذلك من دلالة خطيرة تتبلور فى عدم وجود فائض من عناصر انتاج الحضارة لديهم، وللحق والحقيقة أن غالبية أسباب ذلك ترجع إلى عوامل وعناصر سياسية خارجية فرضت على الانسان الافريقى هذا الوضع الخطير والخاطىء، الذى له تأثيراته على الأوضاع الاجتماعية والنفسية للشعوب(٣٣).

هذا ويمكن تصنيف هذا النمط من الاقتصاد فى الزراعة والرعى وجمع وصيد البر والبحر وأنماط قد تجمع بين أكثر من واحد منها(٣٤) (خريطة ٦/٥) أما الزراعة فغالبا ما تعتمد على النمط السائد فى أفريقيا المدارية (خريطة ٦/٦)، وهى التى تناسب ظروف البيئة هناك التى غالبا ما تكون غير صحية، كما اتضح من وصف الحالة الصحية فى قرية كوانسا كروم وهى التى لا تبعد كثيرًا عن أكرا، فهى تقع فى أحضان غابة سويت لزراعة الكاكاو فهى بذلك قرية منتجة اقتصاديا، ومع ذلك فغذاء سكانها الذرة والمانيوك أساسا، وبعامة فالحياة فيها غير صحية لانتشار الملاريا وكان الطحال متضخم فى نحو ٤٥% من السكان، كما كانت تجرى الطفيليات فى دماء ٣٢% منهم(٣٥).

كما يظهر أثر البيئة أيضًا فى أنواع العمل التى يزاولها الرجال والنساء طوال العام فى الزراعة حيث يلاحظ التكامل بين نشاط الرجل والمرأة عند الايبو مثلا فى سبيل مواصلة الانتاج الزراعى على مدار العام(٣٦) (جدول ٦/١٠).

جدول ١٠/٦- النشاط الزراعى على مدار العام عند الإيبو (رجال – نساء)

	يناير	فبراير	مارس	إبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
الرجال	استكمال حصاد اليام أعمال التخزين زراعة اليام الأصفر تنظيف الأرض	زراعة الشجيرا ضروريًا زراعة على الأرض زراعة اليام المبكر	ت إذا كان اليام المبكر المشغولة عمل كوسات من محصول اليام المتأخر	زراعة اليام تحزيم اليام المبكر	المتـــأخر والكاسافا جمع الـذرة المبكرة بين الأرض المركبة	تشذيب جمع الذر زراعة تجهيز أعواد	اليـــــ ة الجافة الكاسافا اليـــام	ـــام تجهيز أعواد اليام	المبـكر	حصاد	اليـــام أعمال التخزين	تخزين اليام فى مخازن الحبوب زراعة الكاسافا
النساء	إزالة الأعشاب عن الكاسافا القديمة حصـــد زراعة الكاسافا الجديدة	زراعة الذرة الأرض المـ اليـــام	والقرع على ـشغولة	زراعة القرع – الكاسـ زراعة الـ وعمل كو المبكر	الذرة- البامية الشمام – اليام ـافا حصاد الذرة الجديدة فول السودانى مات من اليام	إزالـــــ حصــــاد جمع الذرة زراعـــة	ــة الفول الـ الجافة الكاسافا	الأعشـــا سودانى زراعة علـــى مشغـــو	 زرا الفلفل أرض لـــة	ب عـة	الضـ الكـا حـــصـــاد	ــارة سافيا اليام

وقد تكون الزراعة تقليدية من حيث أدوات ونظام الزراعة[٣٨]، معتمدة على الأمطار كالزراعة السائدة فى مرتفعات أفريقيا الصغرى (القمح، والموالح، والبقوليات) وهضبة إثيوبيا(الدخن، والموز، واليام)، أو قد تكون معتمدة على بعض نظم للرى كالزراعة فى وادى النيل الأوسط والأدنى ووادى النيجر (أرز، وفول سودانى، وكسافا) أو قد تكون معتمدة على المياه الباطنية كالزراعة فى الواحات(نخيل وشعير، فواكه)، وهى كلها حاصلات تزرع للاستهلاك الذاتى المباشر فى القرية (خريطة 7/6) والملاحظ بعامة أن إنتاجية أفريقيا من المنتجات الغذائية الأساسية من أقل معدلات العالم (جدول ٦/١١) رغم لجتهاد المزارعين الوطنيين للاستفادة من المعطيات الطبيعية (شكل 4/6) لأقصى درجة ممكنة.

جدول ٦/١١ – مقدار انتاجية الأرض فى بعض المنتجات فى أفريقيا بالمقارنة ببعض المناطق الأخرى(المعدل ١٠٠ كجم/ هكتار)[٣٩]

	القمح	الأرز	الانتاجية الحيوانية[٤٠]
اوروبا الغربية	١٧	٤٨	١,٦٥
أمريكا اللاتينية	١١	١٦	٠,٤١
الشرق الأقصى	٩	٢٢	٠,١٦
افريقيا	٦	١٠	٠,٢٤

والحقيقة أن الزراعة فى الجزائر على سبيل المثال، قد تأثرت كثيرًا بالأوضاع السياسية، فعندما كانت البلاد جزء من التراب الفرنسى كان نحو ٩٥% من أراضيها الخصبة على السهل الساحلى فى أيدى المستوطنيين الفرنسيين إما كملاك أى لهم حق التصرف المطلق فيها أو تحت اشراف الشركات التجارية أما بقية الأراضى الداخلية الصحراوية التى يشح فيها الماء فقد تركت للوطنيين من أهل البلاد يفعلون بها ما يستطيعون (لوحة 2/6) حيث يزرعون النخيل والكروم للاستغلال التجارى إذا نجح إنتاجه أحيانا.

والملاحظ أن الحياة الاقتصادية فى الصحراء تتأثر بالظروف الايكولوجية، حيث يظهر تأثيرها السريع والشديد على نمط استغلال الموارد الطبيعية بل وعلى حقوق الملكية وحركة القبائل وعلاقاتها الاجتماعية، يلاحظ

ذلك بوضوح فى المجتمعات المرتحلة(٤١)، كما لوحظ أيضًا- ولكن مع اختلافات كثيرة- فى المجتمعات المستقرة فى الواحات والحطيات(٤٢).

أما مجتمعات الرعى فهى تسود أساسا فى مناطق حشائش السافانا حيث ترعى الماشية ويقصد بها فى أفريقيا الأبقار وهى حالبة للألبان إلا فى غرب أفريقيا(خريطة 8/6)، هذا بينما ينتشر رعى الأبل والأغنام والماعز فى الصحارى.

والملاحظ بعامة على الرعاة أنهم يعتزون بحرفتهم ولا يقبلون بها بديلا حيث نجد أن الماساى فى كينيا – على سبيل المثال – يحتقرون الزراعة ويحجمون عن آكل كل ما تنتجه الأرض، التى يعتبرونها خبيثة لا ترقى إلى مستوى الماشية التى يقومون برعيها ويعيشون على ما تجود به فيأكلون لحمها ويشربون لبنها ويصنعون ثياب نسائهم من جلودها (لا يرتدى الرجال إلا العباءات الخشنة وليس غير).

أما حرفة الجمع والصيد التى تمثل أقدم الحرف وأبسطها فقد أصبحت لا توجد كحرفة حاليا فى أفريقيا إلا بين الجماعات التقليدية البسيطة كالبوشمن فى صحراء كلهارى(٤٣) وبين الأقزام فى غابات وسط القارة (٤٤).

الملاحظ أنه كثيرا ما تختلط وتتداخل الحرف البسيطة بما فى ذلك صيد البحر بحيث يحترف الشخص الواحد أكثر من حرفة فى الوقت الواحد حتى يستكمل مقومات حياته الاقتصادية(٤٥).

والوقاع أن الاختلاط الحرفى شائعًا فى معظم المجتمعات الأفريقية، فكثيرًا ما نجد الرعاة على أطراف الصحراء يزاولون نوعا من الزراعة البسيطة حيث يبذرون الحب ويتركونه قبل رحيلهم فى حركتهم الفصلية طلبا للمرعى، ثم يعودون إليه كى يحصدون الزرع بعد نضجه، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك فى شتى جهات القارة (٤٦).

والحقيقة أن التنمية الريفية التى تسعى كثير من الدول الأفريقية إلى تحقيقها بمعاونة المنظمات والهيئات الدولية، تهدف إلى محاولة تطوير هذه المجتمعات الاستهلاكية(التى تحيا لنفسها فقط) إلى جعلها مجتمعات ذات انتاج اقتصادى كبير يساهم بفائض انتاجه فى سد حاجات المجتمع القومى، بل وإن

أمكن فى التصدير إلى الخارج شوهد ذلك فى مشروعات كثيرة للتنمية الريفية مثل مشروع الازاندى فى جنوب السودان(٤٧).

ولكن من المحزن أن الأساليب التقليدية للتنمية الريفية فى أفريقيا لم تؤد إلى النتائج التى كانت مرجوة من ورائها، إذ أن هذه الأساليب كانت تعتمد على تقديم المعونات المالية الأجنبية إلى الحكومات التى كانت تتولى مركزيا الانفاق على عمليات تنمية الريف فى بلادها، فقد ذكر البنك الدولى فى تقرير نشره (١٩٨٢) أن مليارات الدولارات من المساعدات الأجنبية قد تدفقت على الريف الأفريقى خلال العشرين عاما الماضية، ومع ذلك فإن انتاج الغذاء فى البلدان الأفريقية جنوب الصحراء لم يزد خلال حقبة الستينات إلا بمعدل يلاحق بالكاد معدل الزيادة فى السكان، بل إن هذا المعدل المحدود للنمو فى إنتاج الغذاء قد انخفض خلال حقبة السبعينات نتيجة بعثرة الجهود والنقود بين الأجهزة البيروقراطية.

لذلك أصبحت الحاجة ماسة – كما يقول تقرير البنك الدولى المشار إليه- إلى استحداث نظام جديد يتبع فى تنمية الريف الأفريقى، أسلوب يقوم على المبادرة المحلية والاعتماد أكثر على موارد القرية، مع استخدام تكنولوجيا مناسبة للظروف الواقعية للريف الأفريقى، خاصة فى أساليب انتاج الغذاء من الأرض وتصنيعه، مع الاستفادة بكل فضلات الانتاج إلى أقصى درجة ممكنة خاصة فى إنتاج مصادر جديدة للطاقة (مثل البيوجاز).

فالأسلوب الجديد يعتمد مباشرة على مهارات الفلاحين وأدواتهم الزراعية بعد تطويرها، مغ الاستفادة بمدخراتهم المحدودة بالاضافة إلى قدر قليل نسبيا من المعونات المالية الأجنبية التى ينبغى أن توجه مباشرة إلى المجتمعات الريفية نفسها، إذ اتضح أن الأسلوب القديم الذى يعتمد على التنمية من أعلى (الحكومة) إلى أسفل، يولد الاتكالية بين الفلاحين، بينما سيؤدى الأسلوب الجديد وهو أسلوب التنمية من أسفل (القاعدة العريضة من المنتجين الزراعيين) إلى إثارة روح الاعتماد على النفس والنشاط والمنافسة.

ولكن يواجه هذا الأسلوب بعض المعوقات التى يجب التغلب عليها مثل انخفاض أسعار المحاصيل الزراعية التى تدفعها الحكومات للمنتجين الزراعيين، بالإضافة إلى ضعف طرق المواصلات وارتفاع أسعار الأسمدة ومستلزمات الانتاج، ورغم أن اتباع هذا الأسلوب المقترح لن يحل مشاكل

القارة الأفريقية الاقتصادية خاصة المتعلقة بانتاج المواد الغذائية إلا أنه يعد خطوة ناجحة للأمام خاصة بعد أن ثبت نجاحه عند التطبيق فى كل من آسيا وأمريكا اللاتينية بل وفى بعض أقطار افريقيا مثل تنزانيا وزيمبابوى ومالى وهى التى قد طبقته فى بعض قراها منذ عام ١٩٧٩ فأتت بنتائج طيبة مما يدفع إلى نشر تطبيقه فى كل أرجاء القارة.

والحقيقة أن البلدان العريقة فى أفريقيا مثل مصر يحتاج ريفها حاليا إلى إعادة بناء وتنمية مماثلة بعد أن تحول من الانتاج إلى الاستهلاك[٤٨] وهو وضع خطير يهدد الكيان الاقتصادى للدول النامية فى أفريقيا كلها، مما يفرض توجيه الجهود نحو إحداث التغيير المطلوب والمنشود للريف، وهو ما نادى به كثير من الباحثين من قبل[٤٩].

زراعة الانتاج الاقتصادى:

أفريقيا هى قارة الزراعة نشأة وتنوعا (خريطة ٦/٩) ومستقبلا وآمالا، بل وآلاما كذلك، لما صاحبها من عنف المستعمر، الذى سلطه على أهلها، كى يعملوا فى زيادة إنتاج الأرض الأفريقية، لصالح أوروبا وأهلها.

هذا وقد تركز الانتاج الاقتصادى الزراعى فى نمطين من أنماط الزراعة هما نمط الزراعة الكثيفة ونمط الزراعة الواسعة[٥٠]، حيث تم تطويع نظمها لانتاج الحاصلات النقدية ذات الطلب العالمى، والحقيقة أن التحالف- غير المقصود- بين المستعمر والافريقى، قد عاد بالنفع على كل منهما، وقد كانت هناك فرصة مناسبة لاستفادة الانسان الافريقى أكثر، إذا ما كان تحرره السياسى الواعى على نفس درجة طموحه فى مستوى اقتصادى واجتماعى أفضل.

وأمام أهمية الزراعة ولحاجة معظم المجتمعات الافريقية للمياه اللازمة للرى فقد كان لزاما على الانسان الافريقى أن يقيم السدود على الانهار حفاظا على أكبر كمية ممكنة من المياه لاستعمالها فى الانتاج الزراعى على مدار العام وربما لسنين قادمة، ومن أهم السدود التى اقيمت على نهر النيل سد أسوان والسد العالى (مصر) وجبل أولياء وسنار (السودان)، وعلى نهر الزمبيزى سد كاريبا وعلى نهر الفولتا سد أوكسمبو[٥١]، كما يُسعى لاقامة سد كانداجى على النيجر فى تشاد.

ومن حسن الحظ أن هناك تطابق بين التصنيفات الطبيعية الايكولوجية والانثروبولوجية والاقتصادية فى أفريقيا وقد انعكس هذا على الانتاج الزراعى فى الأقاليم والمجتمعات المختلفة، حيث أصبح كل منهما يتميز بانتاج غلة معينة أو أكثر لتسويقها فى أوروبا والعالم من بعد إدخالها فى مجال الصناعة(٥٢).

ففى افريقيا الصغرى يتركز انتاج الكروم والزيتون وإلى حد ما النخيل، هذا بينما تركزت فى وادى النيل زراعة القطن وقصب السكر والأرز، أما فى غرب افريقيا فقد زاد الاهتمام بانتاج الفول السودانى والكاكاو والمطاط، كما تركز انتاج البن والسيسل والقرنفل والشاى فى شرق أفريقيا(٥٣).

أما الكروم أو الأعناب (ثمرة الكرمة) فيتركز انتاجه فى دول افريقيا الصغرى الثلاث (جدول ٦/١٢) حيث تعتبر الجزائر أهمها، بل من أكبر المنتجين فى العالم، حيث ركز المستوطنين الفرنسيين أثناء فترة الاستعمار على زراعة الكروم(الحمراء والبيضاء) وعصيرها وتصديرها لأوروبا خاصة فرنسا.

جدول٦/١٢- انتاج النبيذ فى دول أفريقيا الصغرى (بالألف هيكتولتر)(٥٤)

	العالم	تونس	الجزائر	المغرب
٣٨/٣٤	٢٠٣ ألف	١٦٥٠	١٨	٥٤٠
٦٦/٦٤	٢٨٢ ألف	١٦٥٠	١٣	٢٤٠٠

ويعتبر الكروم- ايضًا- فى كل من تونس والمغرب (خريطة ٦/١٠)، غذاء شهيا يزداد عليه الطلب من الأهالى والسائحين لما يحويه من مواد غذائية قيمة (سكر جلوكوز وفركتوز وبعض المعادن والفيتامينات). هذا وهناك فرص كبيرة لزراعة الكروم والتوسع فيها فى كل من مصر وليبيا وجنوب أفريقيا وكذلك دول شرق افريقيا.

ويمثل الزيتون المحصول الوطنى الرئيسي فى أفريقيا، حيث تسهم أفريقيا العربية بنحو ١٢٠ ألف طن سنويا (١٠ % من الانتاج العالمى) وتعتبر تونس يونان أفريقيا حيث تساهم بأكثر من ٤% من الانتاج العالمى وأكثر من ١٠% من صادرات أفريقيا منه (عام ١٩٦٥/٦٤)، وتتركز زراعته فى مناطق: قابس، وسوس، وصفاقس، وزاروزيس.

أما فى الجزائر والمغرب فمع انتشار زراعته والاهتمام بها، إلا أنها أقل فى إنتاجها من إنتاج تونس بطبيعة الحال (ما بين ١٥٠-٢٠٠ ألف طن سنويا) حيث تساهم كل منهما بنحو ٣% من الانتاج [٥٥]، هذا ويعتبر الزيتون من المحاصيل الأساسية فى واحات الصحراء الكبرى فى كل من ليبيا ومصر أيضًا، بالإضافة إلى الإهتمام الواضح- حاليا بزراعته فى الساحل الشمالى الغربى فى مصر.

وهناك زيت النخيل الذى يعتبر محصولا أفريقيا، حيث تنتج القارة أكثر من ٧٠% من انتاجه العالمى وحيث يتركز إنتاجه فى المنطقة الاستوائية من وسط وغرب القارة (خريطة ٦/١١)، وتعتبر نيجيريا وزائير (الكنغو الديموقراطية) أكثر الدول إنتاجا له إذ تنتجان ٤٨% و١٨% من انتاج أفريقيا على التوالى منه.

ويعتبر القطن أو نبات ابنة الشمس كما كان يسميه القدماء من المحاصيل الزراعية الهامة فى أفريقيا فهو يساهم بنحو ١٠% من الانتاج العالى (١٠١٥ مليون طن متوسط ١٩٦٤-١٩٦٧) منها ٦٠% من طويل التيلة[٥٦]، وبرغم ظهور الخيوط والألياف الصناعية وما تحمله من مميزات صناعية كبيرة، ما زال للمنسوجات القطنية مكانة مميزة فى بعض مجالات الصناعة الأخرى كالسجاد والمفروشات المنزلية الأخرى وغيرها.

لذلك كان لزراعة القطن مكانة هامة فى الانتاج الزراعى الاقتصادى وفى التجارة الدولية، حيث عملت كثير من الدول الأفريقية على إنتاجه مع ملاحظة أن كل انتاج مصر والسودان كان حتى السنوات الأخيرة، من الأقطان طويلة التيلة[٥٧]، بينما كان انتاج باقى الدول الأفريقية من الأقطان متوسطة التيلة (جدول ٦/١٣).

جدول ٦/١٣- تطور الانتاج السنوى لدول أفريقيا من القطن ١٩٣٤- ١٩٦٠ (بالألف طن مترى)(٥٨)

الدولة	٣٤- ١٩٣٨	٤٧- ١٩٥١	١٩٥٧	١٩٥٩	١٩٦٠
مصر (طويل التيلة)	٤٤١	٣٦٦	٤٤٧	٥٠٤	٤٧٨
السودان(طويل التيلة	٦٢	٧٢	٥٥	١٣٥	١١٤
أوغندا	٦٥	٥٩	٧٠	٧٢	٦٨
تنجانيقا	١١	٩	٣٥	٣٨	٣٠
نيجيريا	١١	١٤	٤٨	٣٥	٥٣
روديسيا وزامبيا ومالاوى	٣	١	٢	٤	٤
كينيا	٣	١	٣	٤	٣
زائير	٣٨	٤٩	٦٠	٦٥	٣٣
موزمبيق	٦	٢٦	٣٣	٤٦	٣٨
أفريقيا الاستوائية الفرنسية (سابقا)	٨	٢٤	٤٦	٣٦	٤٤
انجولا	٢	٥	٨	٨	٥
جمهورية جنوب أفريقيا	١	١	٦	٦	٦
جملة (مصر والسودان)	٥٠٣	٤٣٨	٥٠٢	٦٣٩	٥١٢
جملة (متوسط التيلة)	١٤٨	١٨٩	٣١١	٣١٤	٢٨٤
جملة افريقيا	٦٥١	٦٢٧	٨١٣	٩٥٣	٨٧٦

هذا وقد اعتبرت كثير من الدول محصول القطن أكبر مصادر النقد الأجنبى لها، لتدعم بثمنه ميزان مدفوعاتها الخارجية، لذلك تهتم بزيادة وبتحسين انتاجه (جدول ٦/١٤)

جدول ٦/١٤- إنتاج القطن فى بعض دول حوض النيل ١٩٧٣-١٩٧٩ (بالألف طن مترى)(٥٩).

	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩
مصر	٤٩٠	٤٤١	٣٢٨	٣٩٦	٣٣٩	٤٣٨	٤٨٤
السودان	١٩٠	٢٧١	٢٢٩	١٢٣	١٣٦	٢٣٢	١٣١
أوغندا	٧٨	٣٦	٣٢	٢٥	١٤	٢٠	٧

ويجب أن نشير إلى أنه قد استتبع إدخال زراعة القطن فى الدول الأفريقية التى دخلها، أن ظهرت بها نظما زراعية واقتصادية بل وهندسية خاصة جديدة وجيدة، انعكس كل هذا على زيادة مستوى المعيشة لأعداد غفيرة من شعوب القارة، ولا شك أن عاداته سيستفيد بها أكثر، الإنسان الإفريقى، إذا ما صُنعت منتجات القطن من أتيال وبذور.

ويعتبر قصب السكر أيضًا من المحاصيل الهامة التى تنتجها افريقيا عامة والمدارية خاصة، حيث أنه وجد بيئة مناسبة له فى القارة بعد نقله لها من جنوب آسيا، ورغم أن التوسع فى زراعة بنجر السكر فى بعض المناطق المعتدلة من العالم قد تزايد، إلا أن قصب السكر مازال هو المصدر الرئيسى (ثلثين) للسكر فى العالم.

هذا ورغم انتشار زراعة قصب السكر فى مناطق واسعة وكثيرة من مصر وأوغندا وناتال وموزمبيق وأنجولا وموريتشس ومالاجاشى ورينيون، إلا أنه لا تكاد توجد دولة منها تصل إلى ٣% من الانتاج العالمى (٣٩٣ مليون طن- متوسط انتاج ٥٨/ ١٩٦٠) إلا موريتشس، والملاحظ أن كثير من دول افريقيا أصبحت تستهلك نسبة كبيرة من انتاجها فى الداخل مما أثر على الكميات المصدرة للخارج، يصدق هذا على مصر التى دخلت ميدان استيراد السكر بعد أن كانت من دوله المصدرة.

وبالمثل كان الأرز الذى دخل أفريقيا من جنوب شرق آسيا أيضًا فأصبح غذاء رئيسيا للأفعالى فى كثير من دولها مثل مصر

جدول ٦/١٥- تطور انتاج مصر من الأرز ١٩٦٦-١٩٨٠(بالألف طن)

١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
٨٤٣,٩	١٠٧٤,٧	١٢٠٤,٤	٢٥٦٦	٢٦٠٤	٢٤٢٣	٢٣٤٨

والجدير بالذكر أن الأرز يعتبر المحصول العالمى الأول الذى يفوق جميع المحاصيل الغذائية فى المساحة المنزرعة ولا يليه إلا القمح، هذا وتزرع فى أفريقيا أصنافا عديدة من الأرز منها الصينى واليابانى والأمريكى.

ونظرا لأن الاعتماد الكامل فى الغذاء على الأرز يسبب ظهور بعض الأمراض مثل البربرى (نقص مجموعة فيتامين ب) فقد نشرت هيئة الصحة العالمية الدعوى إلى الاستعانة بمواد غذائية أخرى معه، وكان لحسن حظ

الافريقيين أنهم يلجئون إلى ذلك بحكم عاداتهم المحلية، لذا يجب تكثيف الدعوة لذلك خاصة فى مصر التى يحتاج اقتصادها إلى استبقاء فائض مناسب للتصدير بعد ما يستهلك محليا، رغم أن رجال الاقتصاد الزراعى ولرجال الرى رأى آخر للحد من تصدير هذا المحصول شأنه شأن قصب السكر.

أما الفول السودانى فقد وجد بيئة مناسبة للغاية له فى غرب أفريقيا، بعد نقله لها من أمريكا الجنوبية، حيث تناسبه البيئة المدارية، هذا وتنتج افريقيا أكثر من ٥مليون طن تمثل نحو ثلث إنتاج العالم، هذا وتنتج نيجيريا بمفردها منه٨% وكذا السنغال ٦%، وهذا الإنتاج يمثل نحو ثلاث أرباع الصادرات العالمية[٦٠]، نظرا لان انتاج المنتج الأول والثانى (الهند والصين)، يستهلك محليا فى الداخل، مما يزيد من الفرص أمام الدول الأفريقية المنتجة للفول السودانى (جدول ٦/١٥) لتصدير كميات كبيرة من انتاجها.

ويستعمل زيت الفول السودانى فى عمل الزبد الصناعى وفى عمل الصابون وبعض المنتجات الغذائية والصناعية الأخرى، هذا وتساهم افريقيا بنصيب كبير (الثلثين) فى صادرات هذا الزيت.

جدول ٦/١٠٦- مركز افريقيا وبعض دولها فى انتاج الفول السودانى ١٩٦٤-١٩٦٧(ألف طن)[٦١]

الدولة	الكمية	%	الدولة	الكمية	%	الدولة	الكمية	%
العالم	١٦٣٢٥	ـــــ	السودان	٣٠٤	٦,٠١	مالاوى	١٨٠	٣,٥٦
أفريقيا	٥٠٥٥	١٠	أوغندا	٢٦٣	٥,٢٠	كاميرون	١٢٤	٢,٤٥
نيجيريا	١٤٨٦	٢٩,٣٩	النيجر	٢٦١	٥,١٦	غينيا	١١٦	٢,٢٩
السنغال	١٠٢٩	٢٠,٣٥	جنوب إفريقيا	٢٦٠	٥,١٤	دول لخرى	١٠٣٢	٢٠,٤١

ويعتبر الكاكاو من أهم حاصلات غرب أفريقيا حيث تنتج غانا نحو ٤٥% من انتاج القارة الذى يمثل نحو ٦٦% من إنتاج العالم (عام١٩٧٠)، هذا وقد تطور انتاج الكاكاو فى غانا بحيث أصبح صناعة ريفية صغيرة منتشرة بين الأهالى المحليين (خريطة ٦/١٢) بحيث تعتبر نموذجا طيبا لحل مشاكل الزراعة فى المجتمعات المماثلة (مصر= التزاحم على الأرض عمالا ومحاصيلا × تفتيت للحيازة مستمر+ (ضعف انتاج× رخص أسعار المحاصيل التقليدية).

وتهتم قبائل الأشانتى والأكيم Akim بزراعة أشجار الكاكاو (لوحة ٦/٣) حيث توائم الظروف الايكولوجية عوامل الانتاج، إذ تكثر الأمطار (١٥٠٠- ألفين مم سنويا مع فصل جاف ٣ شهور) وتزداد الرطوبة (أكثر من ٥٠% باستمرار) مع درجة حرارة ما بين ٢١-٣٢ ْم، هذا بالإضافة إلى التربة الخصبة الرطبة، وكان لهذا، مع حرص العمل الزراعى الدؤوب الكثيف على العناية بالزراعة أثره على زيادة الانتاج وتبوء غانا مكانتها المرموقة وتزايد انتاجها(جدول ٦/١٧).

جدول ٦/١٧- تزايد انتاج غانا من الكاكاو ١٨٩١-١٩٧٦ (ألف طن)[٦٢]

١٨٩١	١٩٣٨	١٩٥٤	١٩٦٦	١٩٧١	١٩٧٦
٨٠رطلا	٢٩٨	٢٢٩	٤١٠	٣٨٥	٣٩٤

ومع ذلك فإنه يواجه انتاج الكاكاو فى غانا مشكلة انخفاض الشراء من المنتج، مما دفعه إلى الهجرة إلى خارج البلاد (توجو- أوفورى لوست- وربما الكاميرون) حيث يمكنهم إنتاج الكاكاو هناك وبيعه بأسعار مجزية (يحدث شىء مشابه لهذا فى مصر حاليا فى محاصيل أخرى).

ومازال المطاط المنتج فى غرب أفريقيا يمثل ٧٠% من صادرات القارة حيث نجد مزرعة شركة فايرستون Firestone فى ليبيريا تمثل أعظم مشروعات الانتاج الزراعى فى البلاد، إذ أنشأت عام ١٩٢٩ على أساس زراعة مليون فدان بأشجار المطاط (لوحة ٦/٤) ولتستغلها فى صناعة إطارات المركبات وغيرها من المصنوعات وذلك لمدة ٩٩ سنة، وتتركز هذه المزرعة فى منطقتى هايل وكافالو، وقد توالت بعد ذلك إقامة مشروعات مماثلة، منها مشروع مؤسسة جودريش goodrich(١٩٦٣) ولذلك تزايد إنتاج ليبيريا من المطاط (جدول ٦/١٨) ليصل إلى نحو ٣٥% من انتاج افريقيا.

جدول ٦/١٨- التوسع فى انتاج المطاط فى ليبيريا ١٩٤١-١٩٦٠[٦٣]

السنة	الانتاج بالألف رطل	عدد المزارع
١٩٤١	٣٧٥	١٥٠
١٩٥٠	٢٧١٦	٤٧٧
١٩٥٥	٧٨٠٥	٩٩١
١٩٦٠	١٣٩٢٦	٢٣١٢

ويزيد انتاج نيجيريا عن ذلك قليلا (نحو ٤٠%) ورغم ذلك فإنه لا يمثل إلا ٤% من قيمة صادراتها نظرا لتعدد صادراتها[٦٤]، علما أن معظم صادرات ليبيريا من المطاط تتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بينما تتجه معظم صادرات نيجيريا إلى غرب أوروبا.

هذا علما أن المطاط الصناعى (البوليدين) أصبح يهدد الطلب على المطاط الطبيعى خاصة فى أسواقه التقليدية ذات الطلب الكبير، مثل الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان.

ويعتبر البن من أهم المحاصيل التجارية فى أفريقيا المدارية بل إنه افريقى الموطن، وله مكانة خاصة فى القارة (جدول ٦/١٩) حيث تزرع أنواعا عديدة منه، منها البن القوى ويزرع فى الكنغو وهو أرخص الأنواع الذى يجد له اسواقا واسعة تنافس أسواق البن البرازيلى مرتفع الثمن.

جدول ٦/١٩- مركز أفريقيا فى انتاج البن بين القارات الأخرى (١٩٧٥-١٩٨٠)[٦٥]

القارة(%)	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
العالم	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠
أفريقيا	٢٨,٣٧	٣٣,٨٩	٢٥,٦٦	٢٢,٩٠	٢٤,٠٤	٢٣,٨٨
أمريكا الشمالية	١٨,٧٥	٣٣,٢٣	١٨,٩٠	١٩,٦٠	١٧,٢٢	١٩,٢٦
أمريكا الجنوبية	٤٣,٣٦	٣٠,٢٤	٤١,٢٧	٤٥,٧٢	٤٧,٤٤	٤٣,٩٢
آسيا	٨,٦٦	١١,٤٦	١٠,٢٤	١٠,٧٨	١٠,٣٧	١١,٨٧
استراليشيا	٠,٨٣	١,١٥	٠,٩١	٠,٩٨	٠,٩٠	١,٠٤

ويحتل الشاى المركز الثانى بعد البن من حيث القيمة الاقتصادية بين المنبهات، ورغم أنه آسيوى الموطن إلا أنه وجد بيئة مناسبة للزراعة أيضًا فى كثير من جهات افريقيا التى اهتمت بزراعته، لما وجدته من تزايد الطلب عليه من الدول النامية فى أوروبا وأمريكا، مما يجعله مصدرًا جيدًا للنقد الأجنبى لها.

هذا ولا يكاد يصل انتاج أفريقيا من الشاى إلى ٧% من الانتاج العالمى، ويُنتج معظمه من أوغندا وكينيا وتنزانيا ومالاوى وموزمبيق، كما تجرى تجارب لزراعته فى مصر حول بحيرة السد العالى حيث تلائم الظروف الطبيعية زراعته هو والبن وغيرهما من المحاصيل المدارية.

ورغم أن الدول الآسيوية (الهند- سيريلانكا- الصين.... إلخ) تنتج نحو ٩٠% من انتاج الشاى العالمى، إلا أن الملاحظ هو أن إنتاج الأسيوى آخذ فى النقصان التدريجى (٩١,٢% عام١٩٥٨، ٥,٢% عام ١٩٦٣، ٦,٨% عام ١٩٦٧)[٦٦]، مما يدل على أن مستقبله فى أفريقيا يبشر بخير متزايد ، خاصة وأنها أكثر قربا لأسواق استهلاكه فى أوروبا وأمريكا من دول آسيا.

ويمثل القرنفلCLOVE(Eugina Aromatica) أهم المحاصيل الزراعية فى جزيرتى بمبا وزنجبار (خريطة 12/6) حيث ينتج أكثر من ٩٥% من الانتاج العالمى الذى يستعمل زيته كمطهر قوى ومخدر خاصة فى طب الاسنان، كما يستعمل كعطر فى الصناعات الغذائية وفى السجائر، وتعد أفريقيا أهم منتج له حيث يزرع أيضًا فى موريشيوس بالإضافة إلى المناطق الأخرى التى تنتجه وهى ملقا والبرازيل وجنوب الفلبين.

هذا وكان للعرب دور واضح فى نقل زراعة القرنفل منذ عام ١٨١٨ من جنوب شرق آسيا إلى شرق أفريقيا حيث شجع سلاطين آل بوسعيد (العمانيون) الأهالى هناك على زراعته، وبذلك يظهر الأثر الاقتصادى للعرب فى أفريقيا[٦٧].

ويعتبر السيسل من أهم مزروعات الألياف الأفريقية (القطن ليس أفريقى فقط) حيث تسهم أفريقيا بنحو ثلثى الانتاج العالمى، إذ يمثل انتاج تنزانيا منه، نحو ٥٥% (=٣١,٧% من إنتاج العالم متوسط ٦٤-١٩٦٧)، حيث تناسب الظروف الايكولوجية هناك، إنتاجه [٦٨]، أكثر من دول شرق أفريقيا الأخرى، لذلك كان إنتاجها منه أكثرها جميعا (جدول ٦/٢٠).

جدول ٦/٢٠ - إنتاج السيسل من دول شرق أفريقيا(متوسط ١٩٦٤-١٩٦٧ بالألف طن)[٦٩]

الدولة	الانتاج	%	الدولة	الانتاج	%
العالم	٦٨٧	١٠٠	ملاجاشى	٢٨,٢	٤,١
أفريقيا	٣٩٥,٦	٥٧,٦	أنجولا	٥٠,٣	٧,٣
تنزانيا	٢١٧,٦	٣١,٧	موزمبيق	٣١,٢	٤,٥
كينيا	٦٤	٩,٣			

هذا ويستخدم السيسل فى جميع الصناعات التى تحتاج إلى ألياف نباتية، بالإضافة إلى أنه يستخرج منه الكحول وبعض المواد الطبية كالكرتيزون، كما تصنع من نفاياته أعلاف للحيوان لما تحويه من مواد كربوهيدارتية.

أما عن الانتاج الحيوانى والأسماك، فيلاحظ (خريطة 13/6) أن أفريقيا هى قارة الأبقار حيث تسود فيها حرفة رعيها فيما عدا المناطق التى تحول الظروف الطبيعية عن حياتها فيها، كما تنتشر حرفة رعى الابل فى الصحارى، ولكنها على مستوى قليل، هذا ولا تساهم هذه الثروة فى التجارة الدولية بالكثير، نظرًا لعدم العناية بها حتى الآن، رغم ما تدخره من إمكانيات هائلة خاصة إذا صنعت منتجاتها.

ولكن رغم هذه الامكانيات الكبيرة المتاحة، إلا أن القارة مازالت متخلفة فى انتاج أهم المواد الغذائية الأساسية البروتينية مثل اللبن والبيض (جدول ٦/٢١).

جدول ٦/٢١ـ نسبة انتاج افريقيا من اللبن والبيض (١٩٧٠ـ١٩٨٠)[٧٠]

	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
اللبن (كل المصادر)	٣,١٥	٢,٩٦	٢,٩٩
البيض (دجاج)	٢,٧٣	٣,٠١	٣,٣٠

وبالمثل يمكن القول عن صيد الأسماك من أنهاروبحيرات وعلى شواطىء القارة رغم الفرص الواسعة والأكيدة التى تحملها المؤشرات، على غنى قارة أفريقيا بها، ويكفى القول أنه يوجد على شواطئها الغربية والشرقية مناطق صيد عالمية تفد إليها سفن الصيد الدولية من دول شهيرة فى الصيد ولها مصايدها (كوريا مثلا).

هذا وستظل الزراعة فى أفريقيا هى عماد الاقتصاد الافريقى لذا يحرص زعماء القارة دائما على توجيه كل عنايتهم إليها، ومع هذا تعانى السياسات الزراعية الآن كثير من الاضطراب لعدم بنائها على أسس علمية ثابتة طويلة المدى (انظر إلى سياسة مصر طوال الخمسة والعشرين سنة الأخيرة فى زراعة القمح).

ويظهر الأثر الكبير والخطير فى التباين الواضح بين الأغنياء والفقراء على مستوى الدول والمجتمعات أى الماكرو، وأيضًا على مستوى الأفراد أى الميكرو، فالتناقض شديد والفرص المضيعة كثيرة للغاية فهناك أراضى صالحة للزراعة واسعة فى أفريقيا عامة وفى السودان خاصة مع توافر المياه، وهناك مصايد للأسماك غزيرة العطاء على طول السواحل الغربية للقارة (خاصة أمام السنغال وموريتانيا) وكذا السواحل الشرقية و(خاصة أمام أريتريا والصومال).

وهكذا نجد فرصا مضيعة كثيرة أيضًا فى مجالات التعدين والطاقة كما سيأتى بيانه فى الفصل التالى.

أشكال الفصل السادس

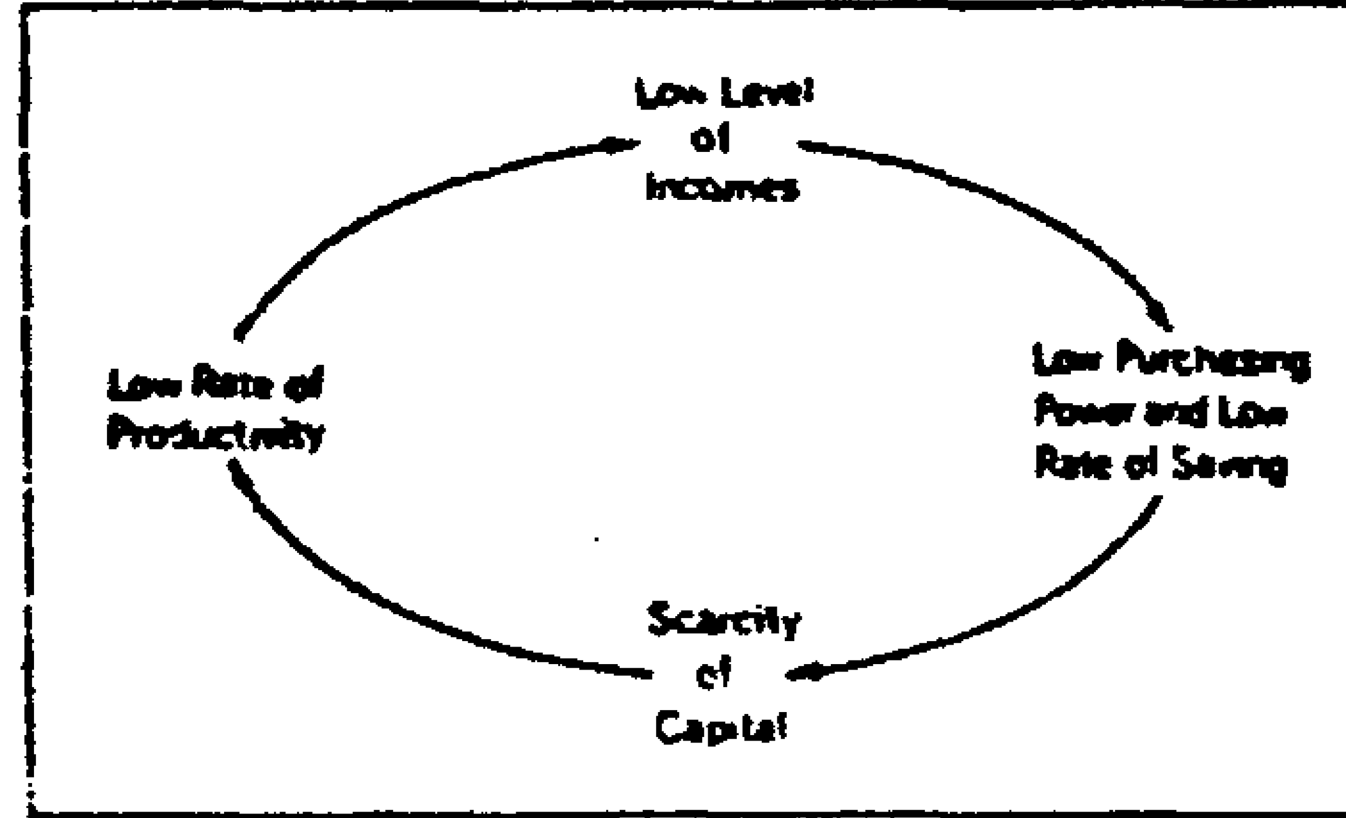
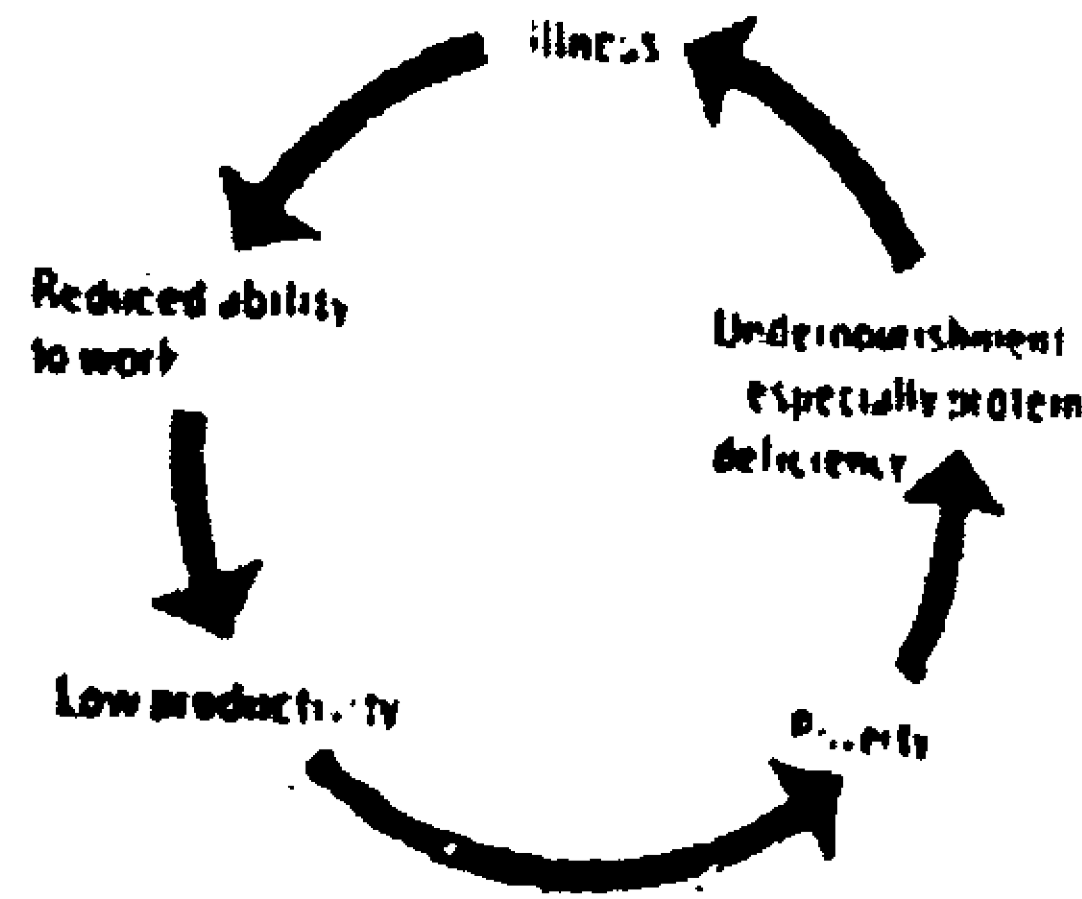
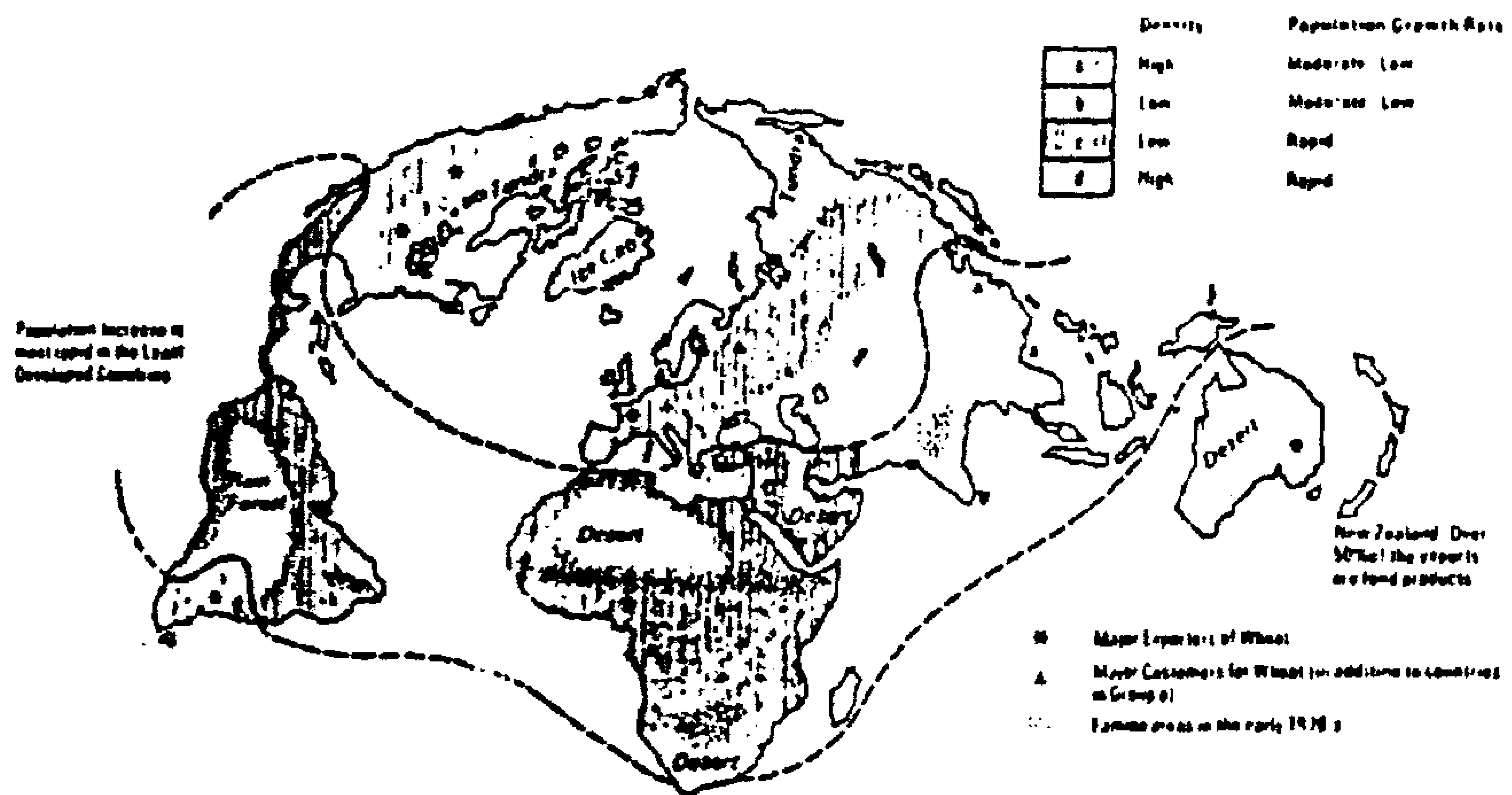


Fig.1/6-The circle of poverty



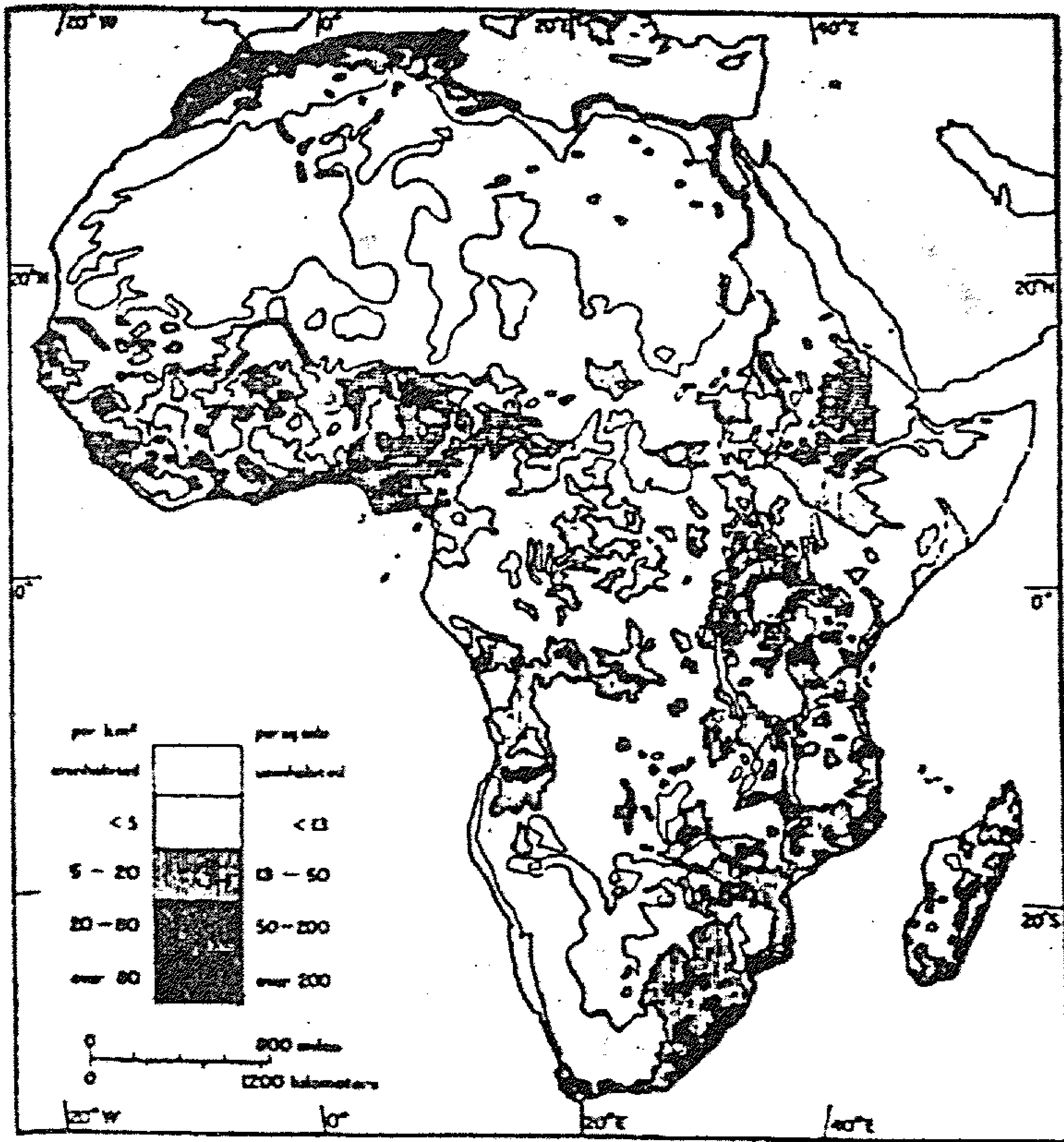
(عن ماكلين وتومسون)

شكل ٦/٢- حلقة مشاكل الصحة، وأثرها على الإنتاج



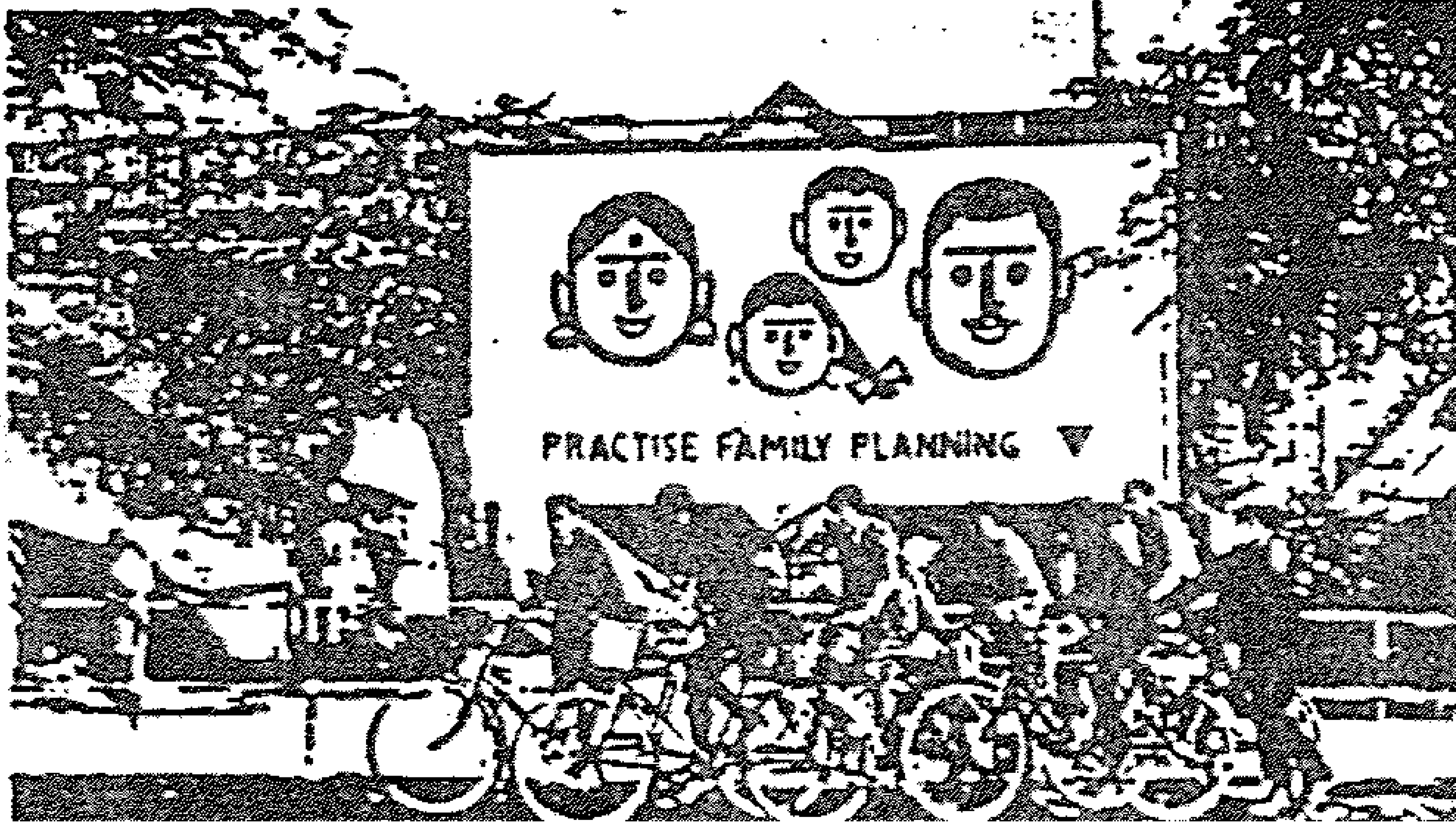
(عن ماكلين وتوماس)

خريطة ٦/١ـ سكان دول العالم الثالث ومشاكلها

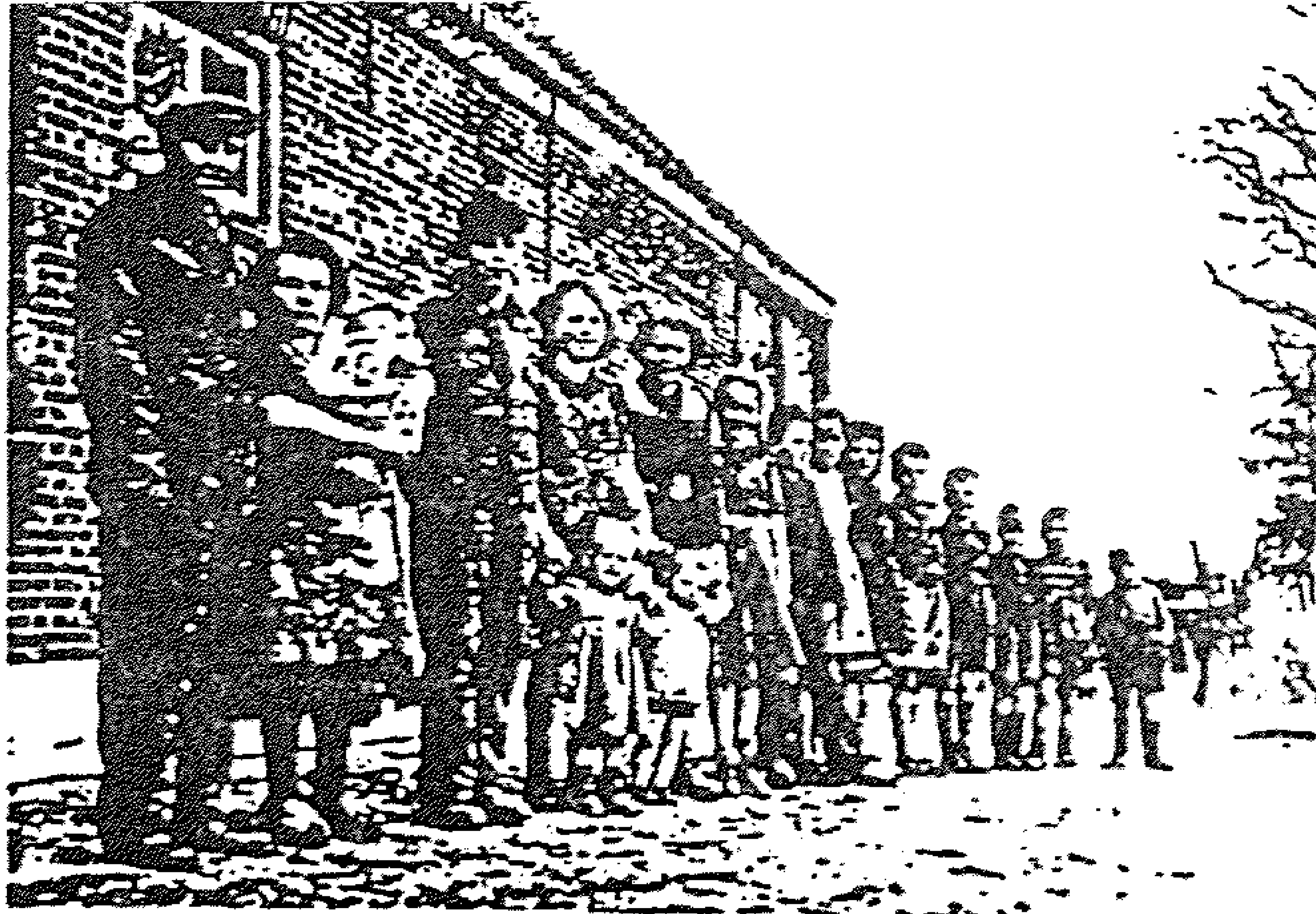


(عن ستامب)

Map.2/6- The density of population around 1960.(After ele Schmidr and Paul.1966)



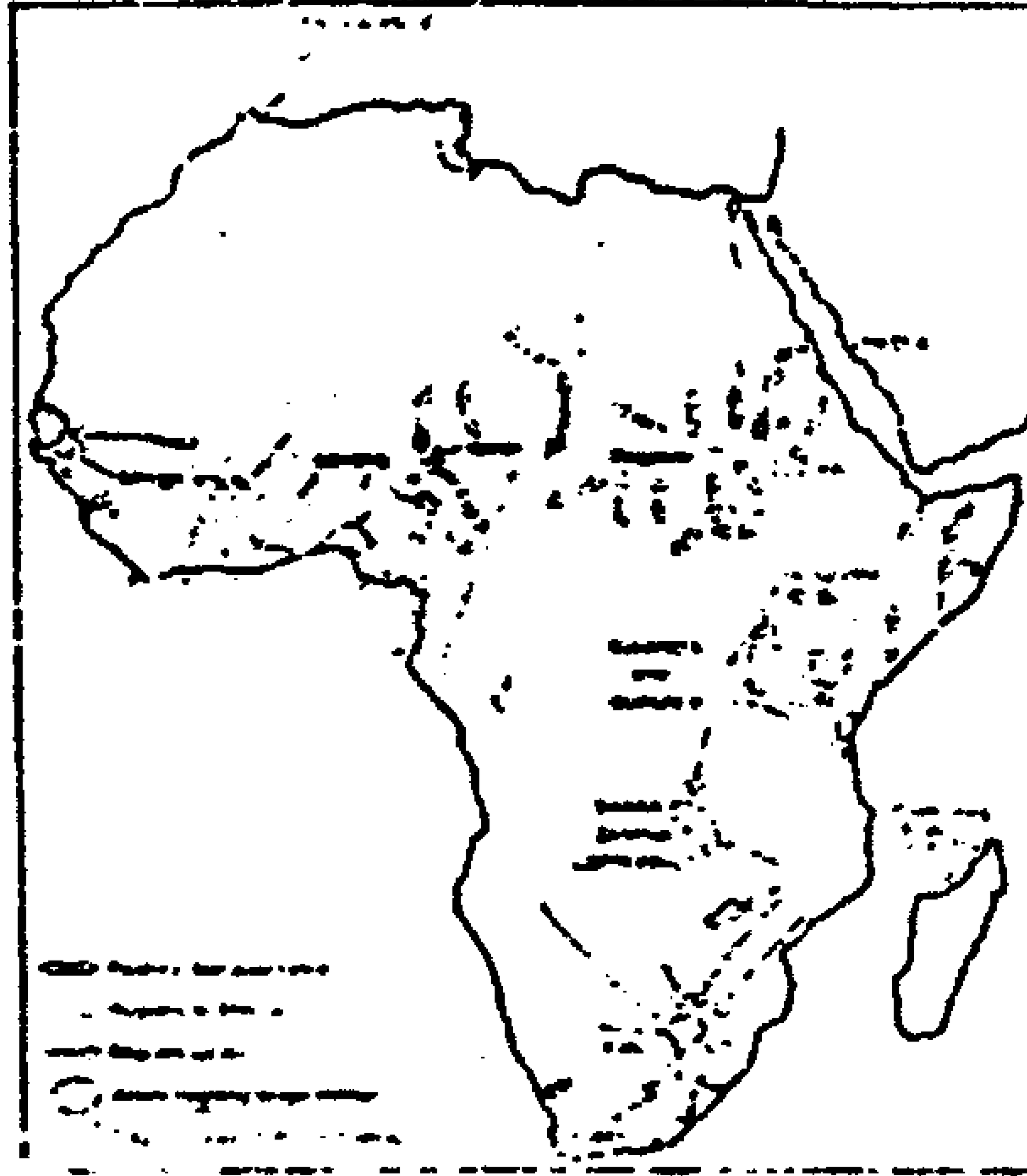
A street scene in India (*Baldev—PIX*).



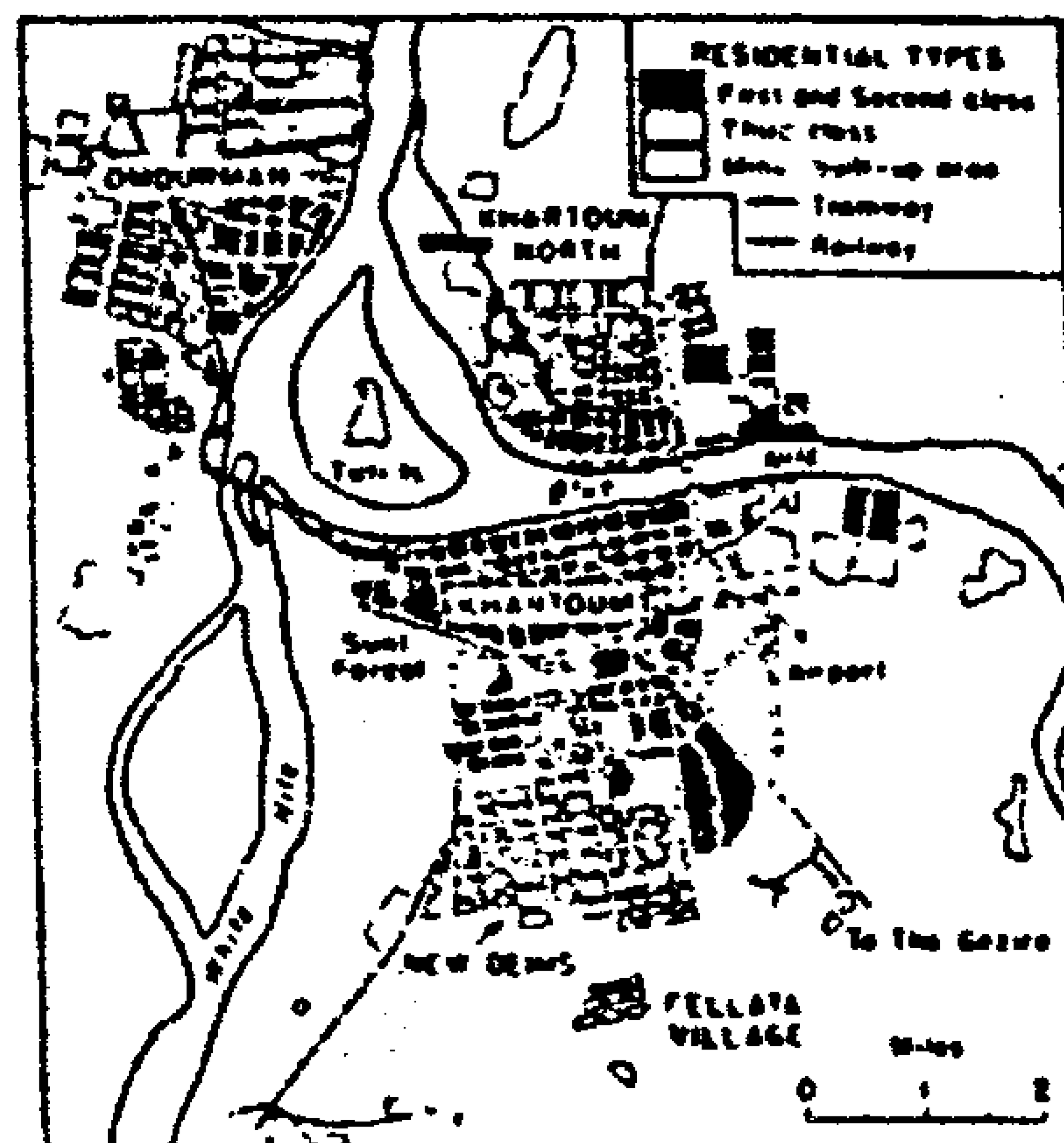
A Dutch couple and their children (*Copyright Anefo, Amsterdam*).

(عن بتيرسن)

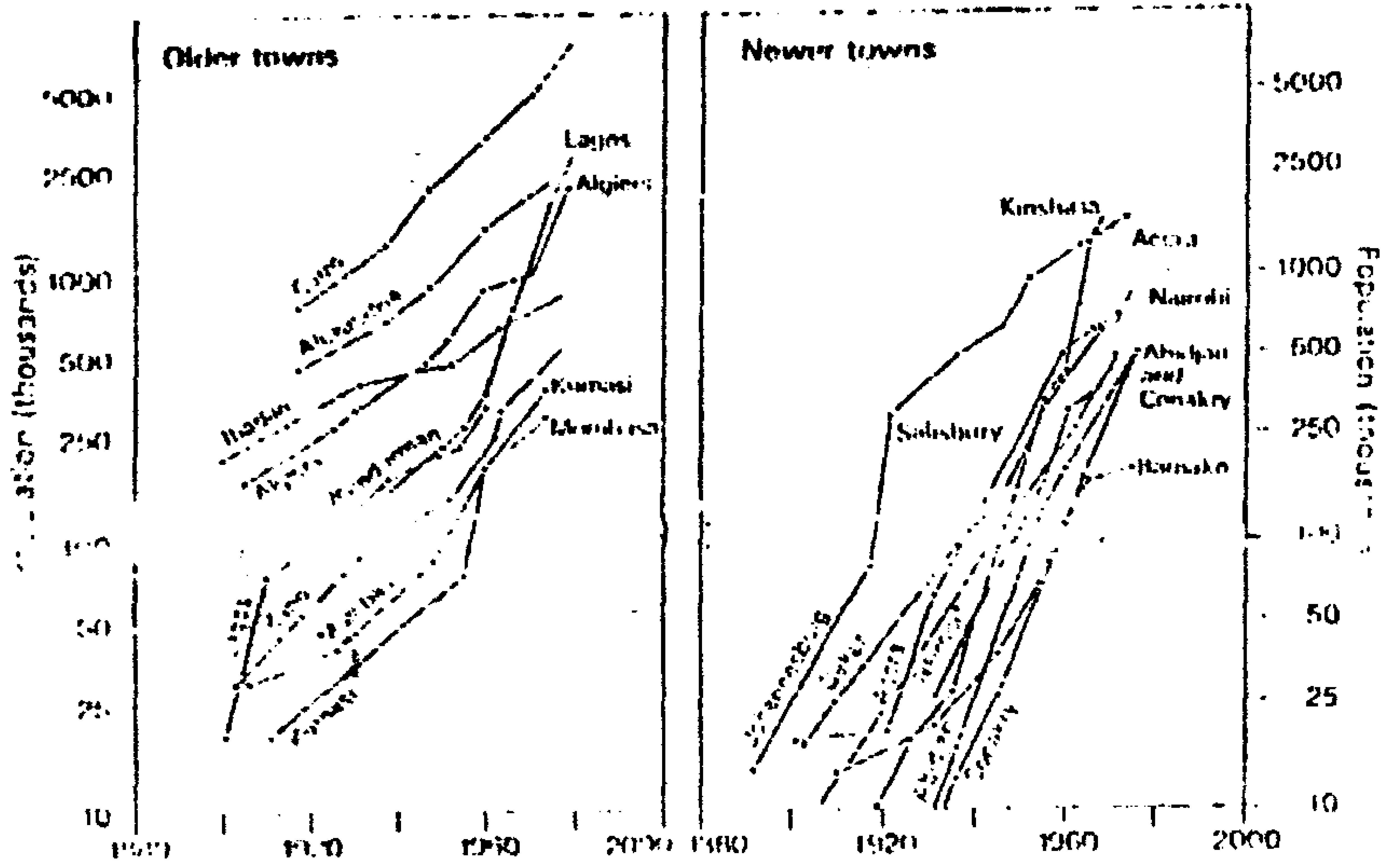
لوحة ٦/١- مفهوم تنظيم الأسرة بين الشرق والغرب



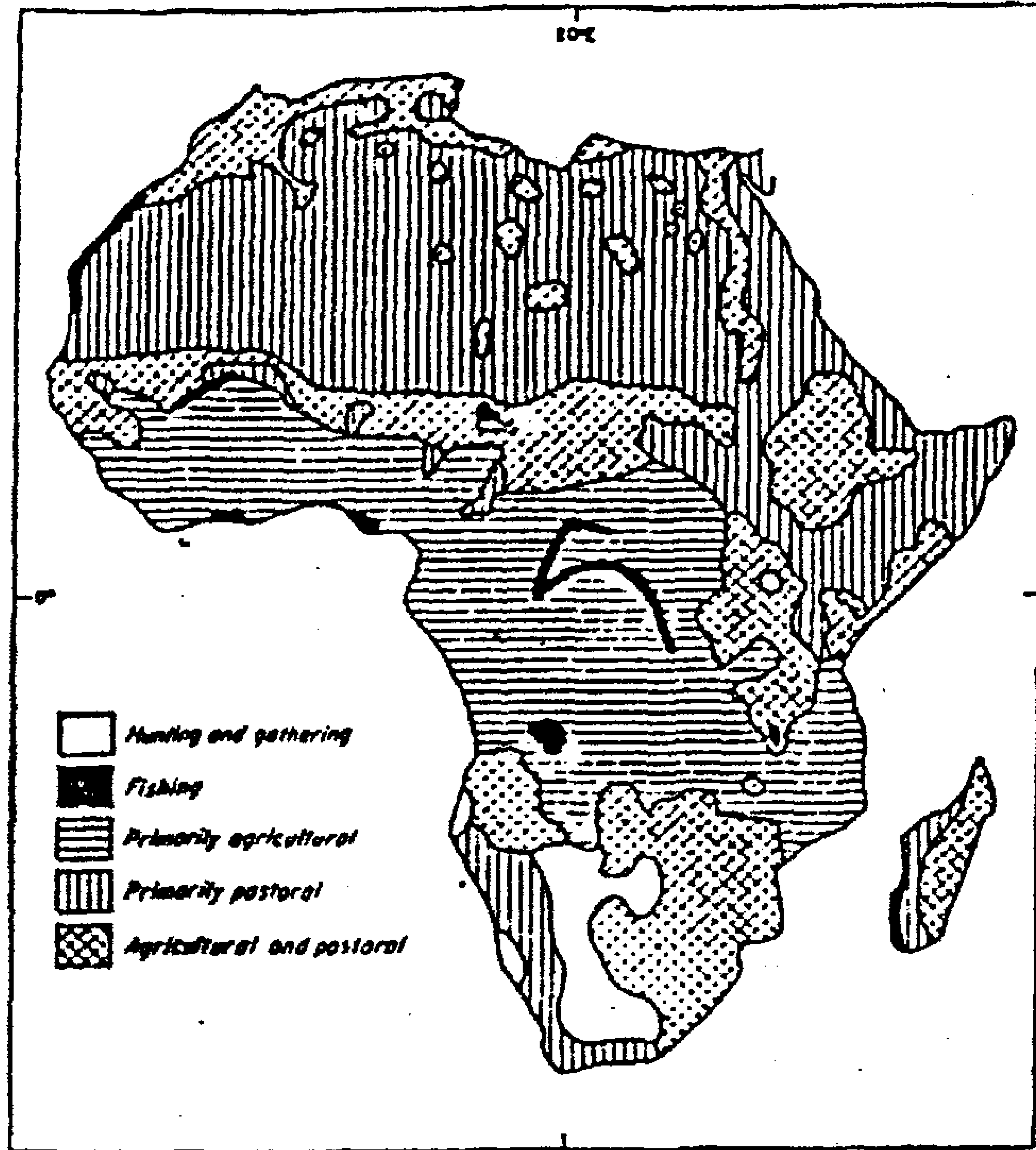
خريطة ٦/٣- اتجاه أهم هجرات السكان فى إفريقيا



Map.4/6-Khartoum. Omdurman, and Kharioum North.The three The three ton'ns at the confluence of the blue and White niles.(After Hamdan, 1960)

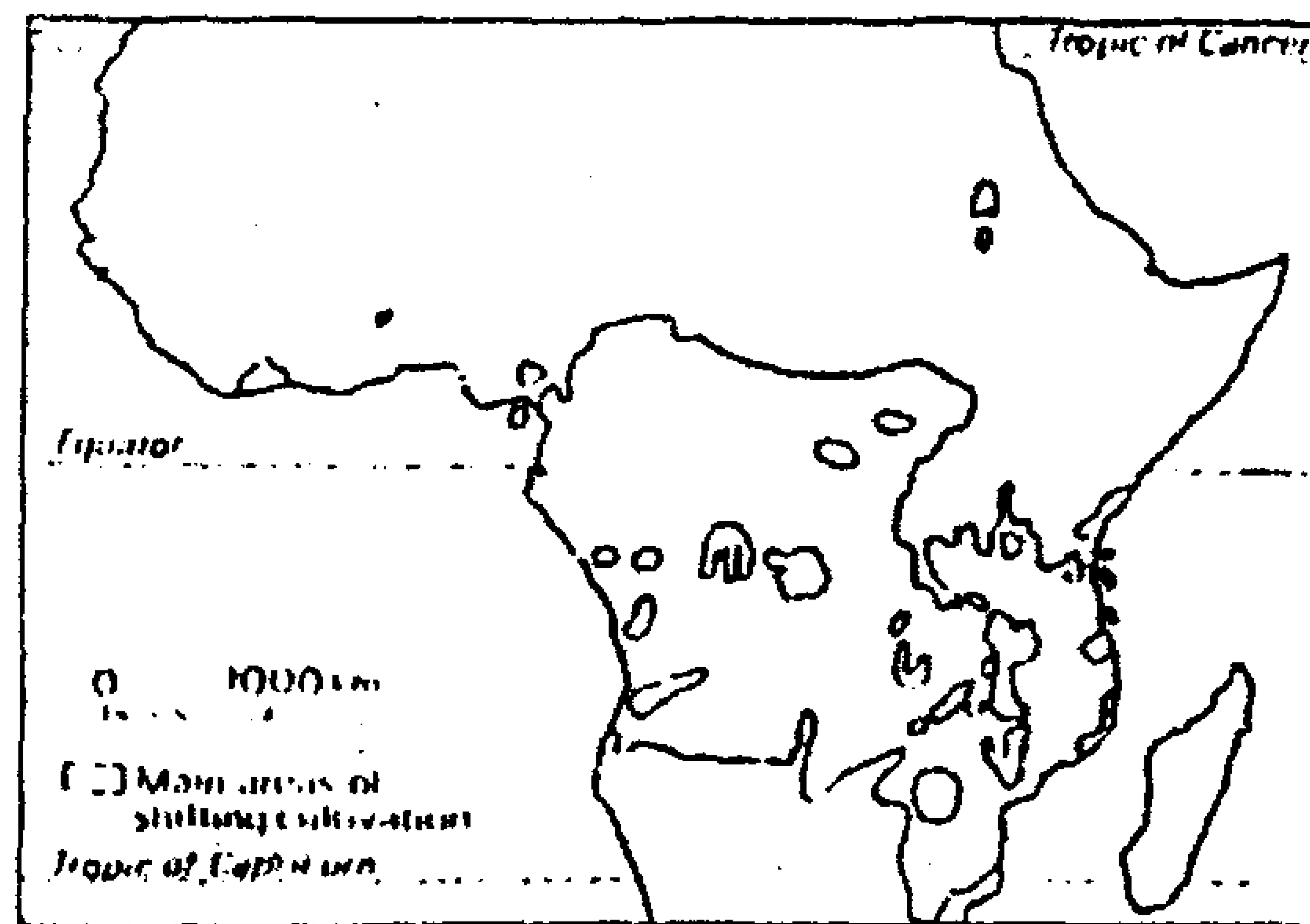


شكل ٦/٣- اتجاه نمو السكان إلى بعض المدن القديمة و الجديدة

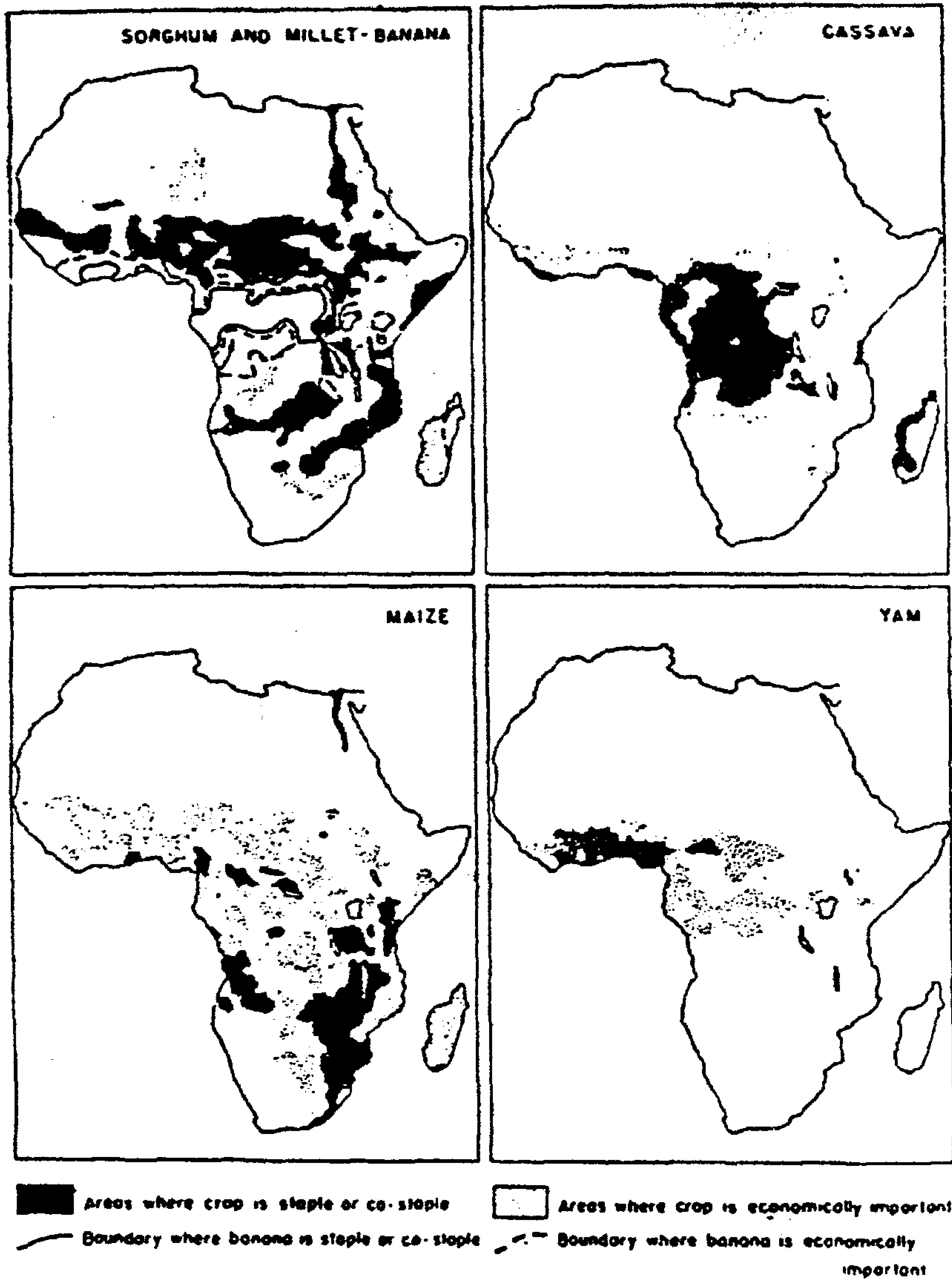


Map.5/6- Distribution of Types of Subsistence Economy

(عن مردوك)



خريطة ٦/٦- الزراعةالمتنقلة فى أفريقيا المدارية



Map.7/9- Distribution of some important crops

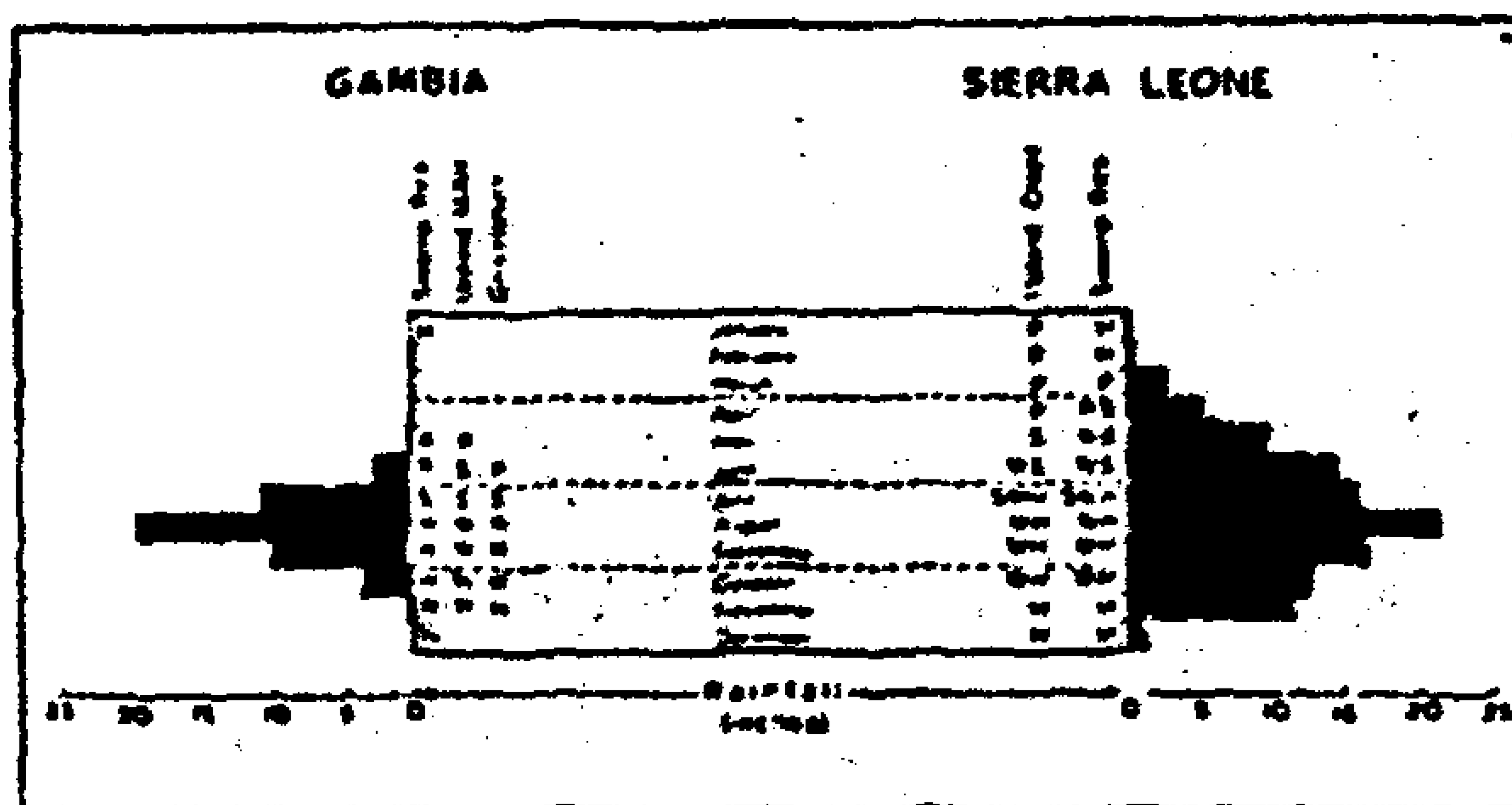
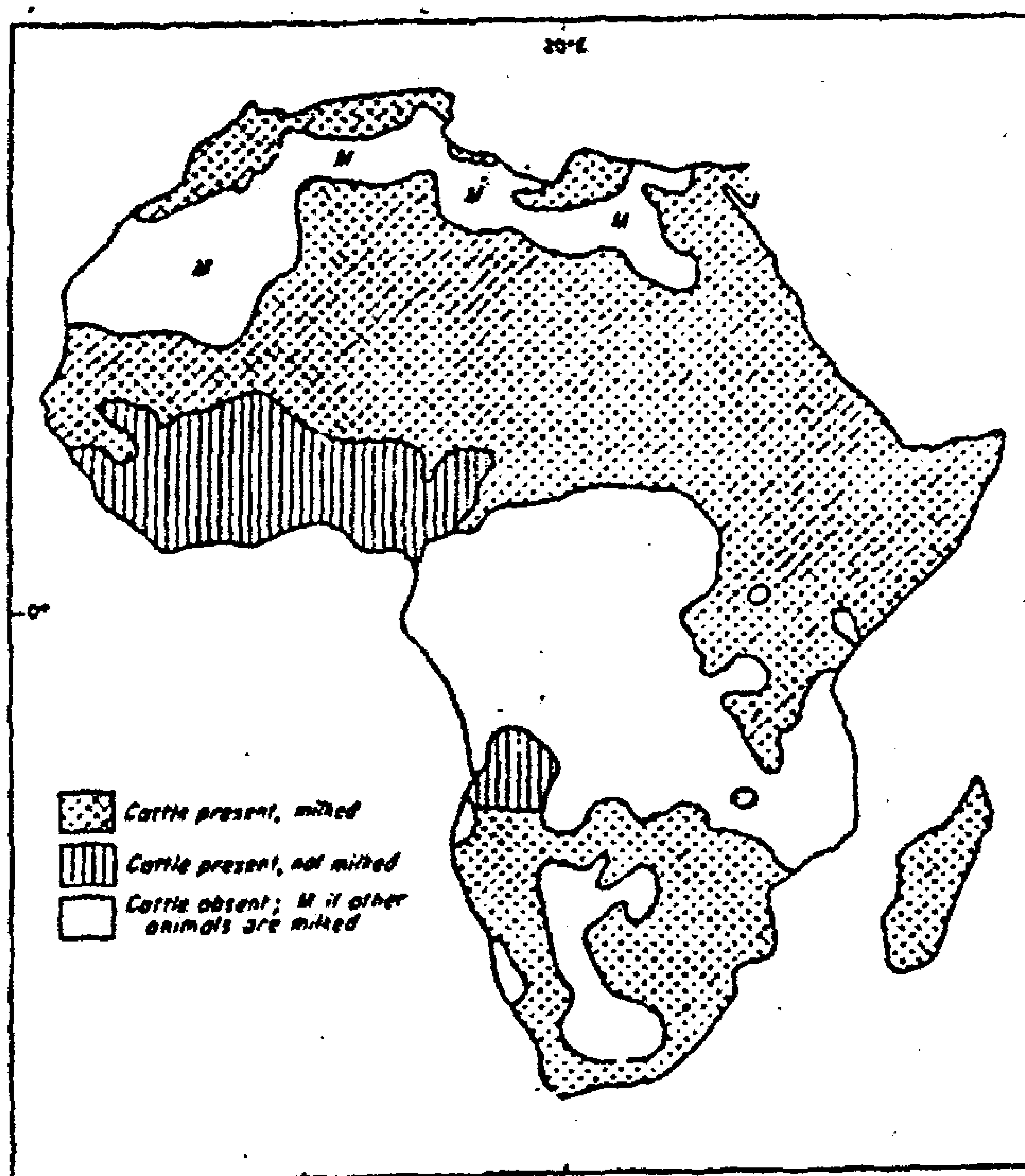


Fig 4/6- Farming calendars in Gambia andsierra leone. P=preparing farms; S= Sowing; W= weeding and minding growing crops: H= harvesting. The rain fall graphs are based on figures for Bathurst (Gambia) and Njaia(sierra Leone)



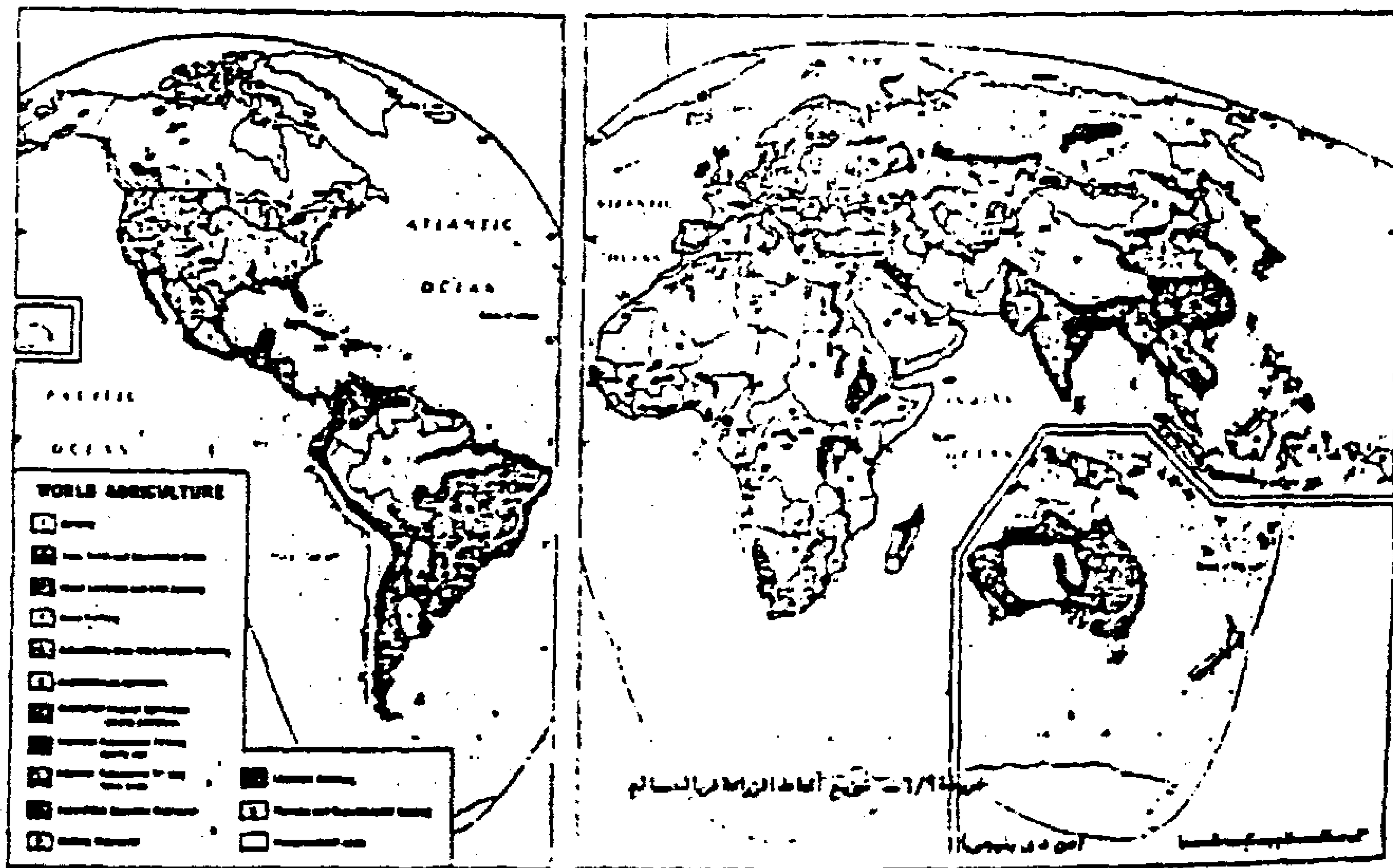
Map- 8/6 Distribution of Cattle and of milking

(عن مردوك)



(عن سبنسر وتوماس)

Plat 2/6- in The Algerian sahara, settlements occupy the dry localities in Compact clusters Areas with underground water are reserved for date palm groves



أفريقية
توزيع بعض الغلات النقدية (١)

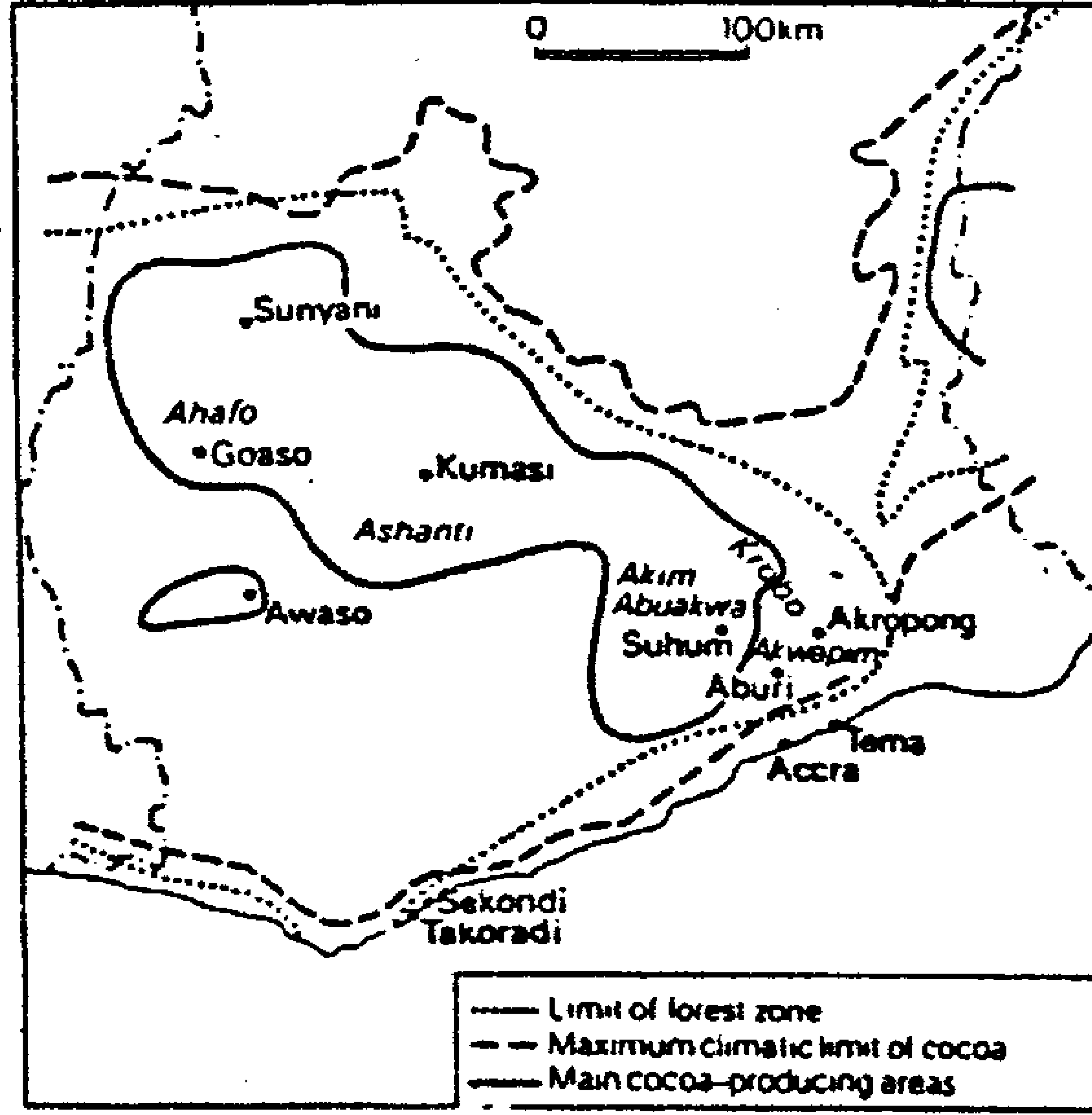
المغرب
الجزائر
ليبيا
مالى
النيجر
تشاد
السودان
أثيوبيا
الكنغو
كينيا
تنزانيا
أنجولا

بن
كاكاو
فول سودانى
مناطق رئيسية للفول السودانى
كروم
خريطة ٦/١٠

(عن محمودى)



إفريقية
توزيع بعض الغلات النقدية (٢)
الجزائر
مالى
النيجر
تشاد
السودان
نيجيريا
الكنغو
كينيا
تنزانيا
زامبيا
روديسيا
قطن
حمضيات
سيسال
نخيل الزيت
حدود نطاق نخيل الزيت
خريطة ٦/١١
(عن سعودى)



(عن جروف وكلين)

خريطة ٦/١٢- مناطق زراعة الكاكاو فى جنوب غانا



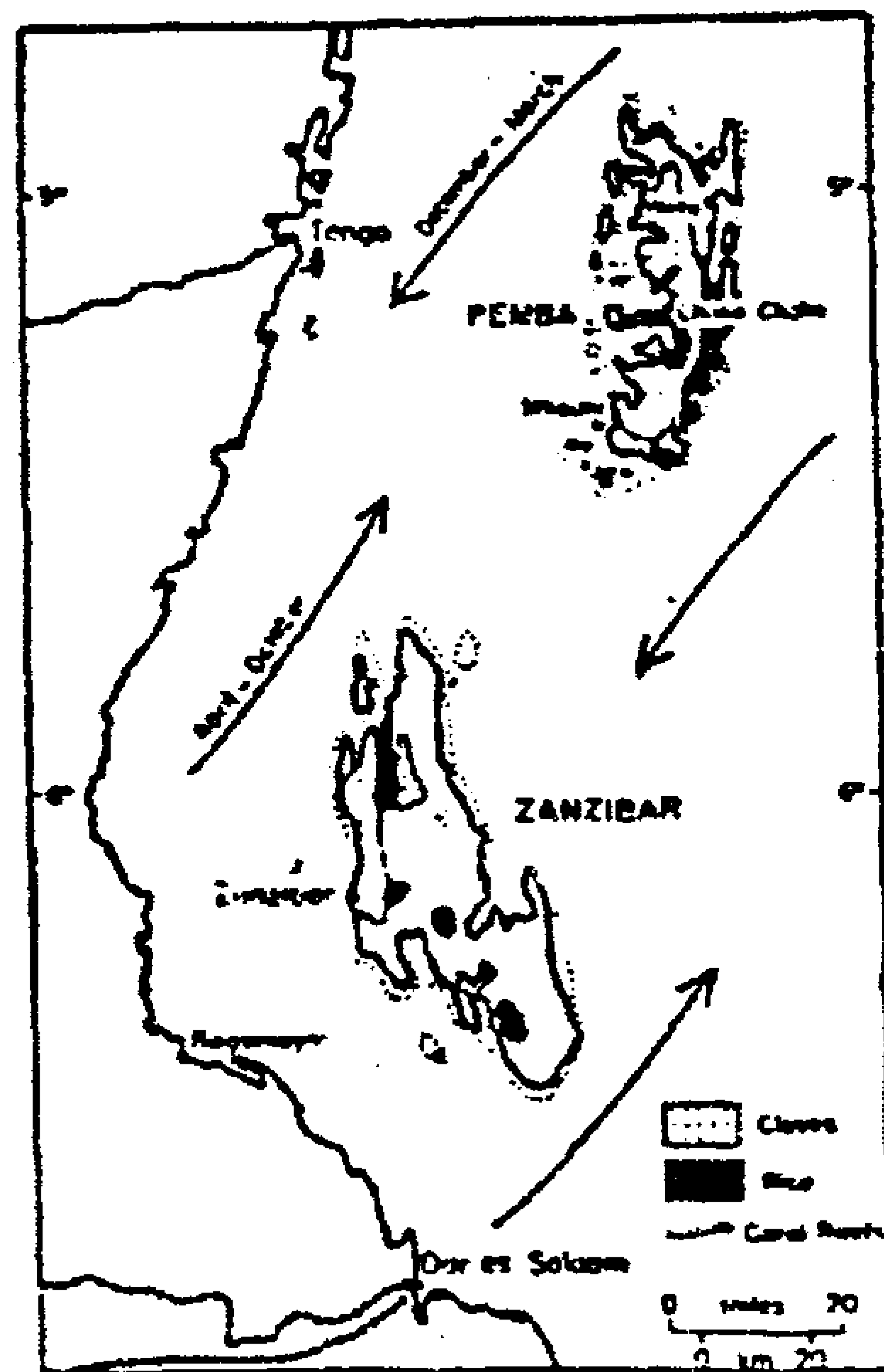
(عن جروف)

لوحة ٦/٣- أشجار الكاكاو



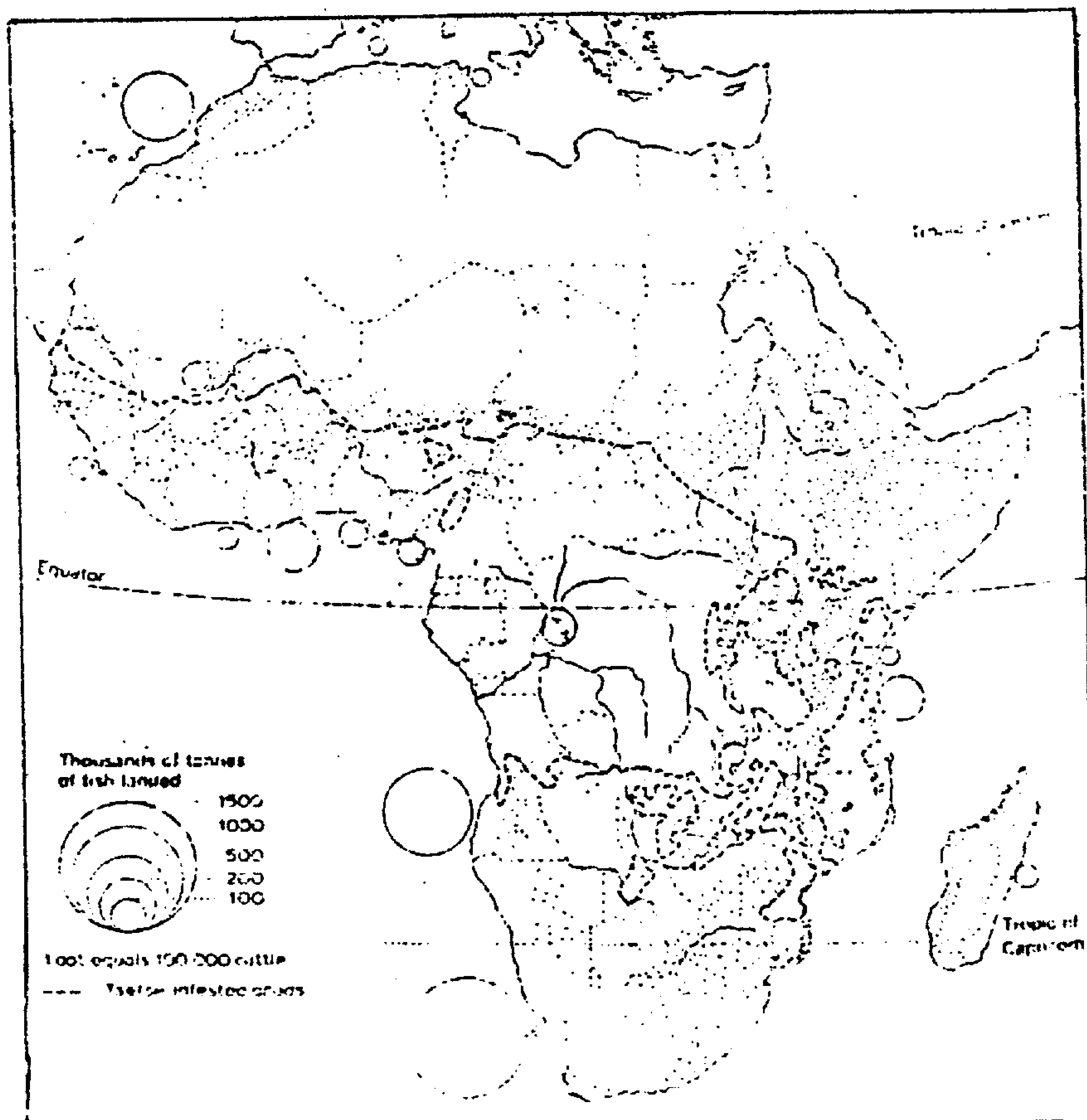
(عن جروف)

لوحة ٤/٦- جمع المطاط فى الكنغو



Map13/6-Zancibar and pemba lying off the

Coast of mainland Tanezania


Equator
Thousands of tonnes
of fish landed
1500
1000
500
200
100
1 dot equals 100-200 cattle
Tsetse infested areas
Tropic of
Capricorn

حواشي الفصل السادس

(١) صلاح الدين نامق وحسين عمر: أسس علم الاقتصاد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤، ص٥٠-٨٦.

(2) Seidman, Ann: An economic textbook for Africa, London, Methuen, 1969,p9-10

(3) Konczanki, Z.A and J.M(eds): An economic history of tropical Africa, vol.1 ,London, Frank cass,1977,p55-76.

(4) Monthly Bulletin of Statisics: United Nations, Jan,1982, p Xii.

(5) Young, J.Z: An Introduction to the Study of Man, Oxfored, At the Calredon Press, 1971,p347.

(٦) راجع ما نشره اليونسكو والفاو والهو عن هذا الموضوع، وما ذكر في الجزء الأخير من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٧) التقرير الذى صدر فى ١٨ من أكتوبر ١٩٩٩.

(8) Maddwn, K.: The Powers of population Quincy , Nass., The Christopher Pub, House,1979,p30..

(9) Maclean, K. et.al.(eds.): Problems of our plant. Edinburgh, Bartholomew, 1977. p.20.

(١٠) راجع أيضًا الأرقام الواردة فى: محمد رياض وكوثر عبد الرسول: أفريقيا، ص ٢٢٨.

(11) Demographic Yearbook 1971, New York, U.N, 1972, p.111.

(12) Spencer, J.E. and Thomas, W.L.: Introducing Cultural geogdaphy. 2nd. ed. New York, johan Wiley, 1978, p.263.

(13) Memally, Rand: Goode's world Atlan.17th.ed Chicago, 1986, p.2-3.

(14) The World Bank: World Development Indicatoro. Washington DC, 2005, p.50.

(15)Meclan, K.and Thomson, N.(eds):op.cit,.p20.

(١٦) صوفى ، الفرد: مشكلة السكان فى العالم، ترجمة جلال صادق القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت، ص٥٧.

(17) Demographic Yearbook 1973. New York, United Nations, 1974, p.82.

(١٨) المصدر المنهجى: Peterson, W:Population,3rd.ed. New york, Macmillan, publ., 1969,p73

ومرجع المادة الاحصائية Demographic yearbook1973, Newyprk,U.N.,1974,p130-141.

(19) Index of aging

(20) Dependency ratio

(٢١) أحمد على إسماعيل: أسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية، مطابع دار الشعب، ١٩٧٦، ص١٢٩.

(22) Gourou, Pierre: The tropical world; its Social and economic conditions and ite future status. Translated by S.H.Beavar and E.D.Laborde, 4th.pr.London, Longman, 1976,p.2(Geographies for advanced study).

(٢٣) محمد السيد غلاب ومحمد صبحى عبد الحكيم: السكان ديموجرافيا وجغرافيا، طـ٣، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤، ص٦٧١-٦٧٣

(٢٤) مثل النشرات السنوية التى تصدر بعنوان Demographic Yearbook19....

(25) Campbell, A: "The decline in awrange age of fertility in developed countries" In: Introductional population, cofernce, Liegs,1973, vol., 2,p113-124.

(26) Thompson, Warren S.and Lewis, David T.: population problems, 5th.ed, New york, EMcGrow-Hill Book Co., 1965.p310-352.

(27) Myrdal,A and Vincent, P.: Are we too many? London UNESCO.1949., p45-46.

(28) Ferjka, Tomas: The future of Population groeth, New York, John Wiley &Sons,1963, p157.

(٢٩) محمد عبد الغنى سعودى: هجرة العمالة فى شرق أفريقيا: المجلة الجغرافية العربية، ع٥، ١٩٧٢، ص٣٧-٧٣

(30) Clarke, John Innes: Some problemes of African city growth and refugesin Africa, Lecture held in Cairo Demographic center, at 17 pm.Sunday;April 20,1982.
(31)Peterson, W.:Population, p310.314.
(32) U.N.: Ecomic survey of Africa Since 1950,p14(Table 1-11).
(٣٣) جمال حمدان: أنماط من البيئات القاهرة، عالم الكتب، د.ت، ص٥٢-٥٦
(٣٤) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: الأقتصاد الأفريقى. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٣، ص١٢٠-١٢٦
(35) Colbourne, M,J; Edington, G.W; Hughes, M,H and Ward-Brew,A.: A medical survey in A gold coast village, Trans, R.Soc.Trop, Med, and Hyg,vol,44,1950,p271-291.
(36) Ibid,p26
(37) Grove, A.T. and Klein, P.M.G: op.cit.p.39.
(38) Crone, G,R.:Background to geography, London, Museum Press Ltd., 1964,p190.
(٣٩) محمد رياض : العبابدة، دراسة فى الاقتصاد الصحراوى الجمعية الجغرافية المصرية المحاضرات العامة، الموسم الثقافى لسنة ١٩٦١، ص٩٩-١٣٤
(٤٠) يدمج إنتاج الألبان مع اللحون بالنسبة لعدد الرؤوس (ذات المصدر السابق)
(٤١) فاروق عبد الجواد شويقة: الفرافرة؛ دراسة ميدانية فى الأنثربولوجيا العلمة، مجلة الآداب جامعة القاهرة، مج٣٨و٣٩، جـ ١٩٧٤،٢،١، ١٩٧٥، ص١-٥٥
(٤٢) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية، دراسة فى الأنثربولوجيا الجغرافية، مجلة الدراسات الأفريقية، ع٦، ١٩٧٧، ص١١-٢٠٨
(٤٣) فاروق عبد الجواد شويقة، ذات المصدر السابق.
(٤٤) فاروق عبد الجواد شويقة: الأقزام الأفريقيون، مجلة الدراسات الأفريقية، ع٥، ١٩٧٦، ص١-١٠١
(45) Turnbull, Colin M.: Man In Africa,London , David & Charles, 1976, 126.
(٤٦) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغنى سعودى: السودان. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٤٧) على أحمد عيسى: نتائج بعثة جامعة الاسكندرية إلى مجتمع الأزاندى"نيلم نيلم" محاضرة ألقيت يوم ١٦ أبريل ١٩٥٦، جامعة الاسكندرية.
(٤٨) فاروق عبد الجواد شويقة وعادل على مصطفى: "قرية الرملة" دراسة فى التغير الاجتماعى: " فى محمد محمود الجوهرى(محرر): الكتاب السنوى لعلم الاجتماع، ع٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢
(٤٩) محمد عاطف غيث: دراسات فى علم الاجتماع القروى، الاسكندرية، دار المعارف، ١٩٦٧، ص٢٨٢
(٥٠) ياسين محمد مراد وطه عبد العليم رضوان: دراسات فى الموارد الاقتصادية، القاهرة، دار الاتحاد العربى للطباعة، ١٩٧١، ص١٠٢
(٥١) محمد عبد الغنى سعودى: سد فولتا أو أوكسمبو: مجلة الدراسات الأفريقية، مج٢، ١٩٧٣، ص١-٣٠
(٥٢) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: أفريقيا مصدر سابق، ص٢٦٢
(٥٣) ذات المصدر، ص٢٦٣-٢٦٤
(54) FAO:The world wine and productes economy Rome,1969,p4.
(٥٥) محمد صبحى عبد الحكيم وآخرين: الموارد الاقتصادية فى الوطن العربى، القاهرة، دار العلم، ١٩٦٦، ص١٦٨
(٥٦) محمد عبد الغنى سعودى: الاقتصاد الأفريقى والتجارة الدولية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢، ص٤٦
(٥٧) محمد محمود الصياد: اقتصاديات السودان، القاهرة، معهد الدراسات العربية، ١٩٥٧
(58) Ady,P.H.: Africa; oxfored regional,economic atlas, oxfored, Clarendon Press, 1967,p,30.
(59) U.N: Statistical Yearbook 1979:1980,New York, UN., 1981, p111.
(60) Masefield, G.B.: A handbook of tropical agriculture, oxfored, up, 1965, p33.
(61) The shorter oxfored Economic Atlas of the world,3rd. ed. London, oxfored Univ,Press,1965,p45.
(٦٢) محمد عبد الغنى سعودى: الاقتصاد الأفريقى، مصدر سابق، ص١٠٦
(63) Grove, A.Tand Klein, F.M.G.:op.,p45.

(64) Dalton, G.and Walters, A.A.: The economic of Liberia" In: "Robson, p,and Lury, D.A.(eds.) :The economies of Africa, London,George Allan,1969,p287-315.

(٦٥) محمد عبد الغني: الاقتصاد الأفريقي والتجارة الدولية، ص١٥١

(66) U.N.: Statistical Yearbook 1979,1980, p109.

(٦٧) ياسين محمد مراد: موضوعات في الجغرافيا الاقتصادية(القاهرة)، د.ن، د.ت، ص٢٠٤-٢١٣

(٦٨) فاروق عبد الجواد متولي شويقة: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ص١٤٥.

(69) Arkadia, B.V and Ghai,D: "The economy of Centeral Africa In: Robson, P, and Lury, D.A(eds):op,cit.,p316-435.

(٧٠) محمد عبد الغني سعودي: الأقتصاد الأفريقي والتجارة الدولية، مصدر سابق، ص١٤٠

ببلوجرافية الفصل السادس

(1) Africa: Oxford Regional Economic Atlas. Repr. Oxford, Clarendon Press, 1967.

(2) Carr-Saunders, A.M: The population problem; a study in human evolution. Oxford, Clarendon, 1922.

(3) Clarke, J.I.: Population geography. London, Pengamon, 1968.

(4) ————: Population geography of the developing countries. Oxford, Pergamon, 1971.

(5) Hauser, Philip M.(ed.): World population and development. Syracuse N.Y., Syracuse Univ. Press, 1979.

(6) Herskovits, M.: Economic anthropology. New York, Knopf, 1940-1952.

(7) Hla Myint, V.: The economics of thr developing Countries. London, Hutchinson, 1980.

(8) Hoselitz, Berthold Frank: Sociological aspects of economic growth. Glencoe Illinois, Free Press, 1960.

(9) ———————— et. al.: Therios of economic growth. Glencoe Illinois, Free Press, 1960.

(10) Petersen, W.: Population. 3 rd. ed. New York, Macmillan, 1975.

الفصل السابع

النشاط الاقتصادي (٢)

النشاط الاقتصادي (٢)

نواصل فى هذا الفصل دراسة النشاط الاقتصادى الأفريقى

المعادن والطاقة

تعتبر أفريقيا من أولى القارات فى إنتاج المعادن الخام (جدول ٧/١) (خريطة 1/7) التى تعد أساسا لكثير من الصناعات الهامة والاستراتيجية، مما يزيد من الأهتمام بها والتكالب عليها.

جدول ٧/١- مكانة أفريقيا فى انتاج بعض المعادن الهامة

المعادن	أهم دول الانتاج	المعادن	أهم دول الانتاج
فوسفات	المغرب (أولى دول العالم) – تونس	البترول	ليبيا- نيجيريا- الجزائر
الحديد	الجزائر (رابعة دول التصدير)- مصر	الكوبالت	زائير (٧٤% من العالمى)- المغرب (٦%)
الذهب	جنوب أفريقيا (٤٨% من العالمى)	الرصاص	ناميبيا- جنوب أفريقيا- المغرب
الماس	جنوب أفريقيا- غانا	الكروم	جنوب أفريقيا (٢٥% من العالمى) زامبيا
النحاس	زامبيا (٢٠% من العالمى)- زائير	المنجنيز	غانا (٦% من العالمى)- مصر

ويمثل **الفوسفات** أحد أهم الثروات المعدنية التى تستخرج من دول الصحراء، حيث نجد أن انتاج أفريقيا منه كان عام ١٩٥٠ يمثل ٣١% من الانتاج العالمى، وكان انتاج المغرب وحده يمثل ١٩% منه، وتونس ٧%، والجزائر ٣% ومصر ٢%[1] وقد تزايد الانتاج بعد ذلك زيادة مضطردة، نظرا لما تحتويه أراضى القارة من رصيد ضخم من الاحتياطى العالمى، خاصة فى المغرب (أكبر احتياطى العالم)، ومصر وتونس وجنوب أفريقيا والسنغال.

هذا وقد كان لحرب الصحراء المغربية أثر على الانتاج، إلا أن استقرار الأحوال أخيرا هناك- إلى حد ما- قد أدى إلى إعادة فتح منجم بولكراع، وقد أثر

ذلك على زيادة إنتاج المغرب منذ عام ١٩٨١ إلى أن بلغ نحو ٥ ملايين طن، مما جعلها أولى دول إنتاجه في العالم.

أما الماس فقد بلغ الانتاج العالمى منه عام ١٩٥٢ نحو ١٨,٥ مليون قيراطا كان نصيب أفريقيا نحو ٩٨,٥%، استخرج ٦٠% منها من زائير، ولكنه ذا قيمة ضئيلة لذا يستخدم فى الصناعة، بينما يستخرج معظم ماس الزينة من جنوب أفريقيا التى تنتج ١٣% من الانتاج العالمى، وتأتى بعدها غانا (١٢%) ثم أنجولا (٤%) وناميبيا (٣%) وسيراليون (٢,٥%)[٢]. ومن أهم مناجم الماس فى جنوب أفريقيا مناجم De Beers التى تمتلكها شركة أنجلو أمريكان (ممتلكاتها ٨٦٥ مليون استرلينى ١٩٦٥) وتتم معظم عمليات الفرز (تبعا للقيمة، والحجم ، واللون) فى جنوب أفريقيا، ما عدا بعض عمليات أخرى خاصة تجرى معظمها فى أوروبا وأمريكا وبعضها فى اسرائيل.

هذا وتحوى أفريقيا نحو ٦٠% من الاحتياطى العالمى من النحاس العالمى، كما أنها تنتج نحو ٢٢% من انتاج العالم منه، حيث يستخرج من زامبيا وزائير [٣] وبكميات أقل من الكنغو وناميبيا.

ويعتبر نطاق النحاس فى منطقة كاتانجا وهى الممتدة من زامبيا إلى زائير أكبر منطقة لانتاج النحاس فى العالم، إذ بدا انتاج النحاس منه عام ١٩١١ بنحو ألف طن ثم تزايد بسرعة حيث وصل فى عام ١٩٤٠ إلى ١٥٠ ألف طن وفى عام ١٩٥٣ وصل إلى ٢١٤ ألف طن، أم فى عام ١٩٥٧ فقد بلغ ٢٥٠ ألف طن وهو يمثل ٧% من الانتاج العالمى[٤]، بل لقد أصبح النحاس سلعة تصديرية أفريقية هامة فيما بين الحربين العالميتين وتزايد أكثر بعد ذلك حيث صدر عام ١٩٧٠ نحو ٨٠٠ ألف طن وفى عام ١٩٧٤ نحو ٨٦٠ ألف طن[٥].

ويحتكر نطاق النحاس فى كاتانجا(زائير) وزامبيا نحو ٢٠% من انتاج العالم من النحاس، ويعتبر اقليم كاتنجا Katanga من أغنى نطاقات التعدين ليس فقط فى افريقيا بل فى العالم أجمع، ويمثل هذا الاقليم الجزئ الشمالى من حزام النحاس العظيم من كاتنجا حيث يستخرج النحاس من عدة مواضع أهمها: كامبوف Kambove، وكيبوشى Kipushi، وكولويزى Kolwezi.

بينما ينتج من بتسوانا من: موفوليرا Mufulira، ونشانجا Nchanga، ونكانا (Rhokana)Nkana، روان انتيلوب Roan Antelope، كما ينتج الكوبالت Cobalt أيضا من كولويزى فى كاتنجا ومن نكانا فى بتسوانا، أما

اليورانيوم Uranium فينتج من شينكولوبوى Shinkolobwe فى كاتنجا، ومن نكانا أيضًا فى بتسوانا[٦].

أما الذهب فهو معدن أفريقى الانتاج منذ مدة طويلة إذ بلغ انتاج العالم من الذهب فى عام ١٩٤٠ نحو ١٢٥٠ طنا، بينما بلغ عام ١٩٥٢ نحو ٩٤٧ طنا، كان انتاج افريقيا منها هو ٥٠٠ طنا (٤٥%)، و٤٥٠ طنا (٤٣%) على الترتيب، ومعنى هذا أن أفريقيا كانت تتحكم فى سوق الذهب العالمية، إذا أن أكبر منتج للذهب فى أفريقيا بل وفى العالم كله هو جمهورية جنوب أفريقيا فقد أنتجت ٣٨٠ طنا فى عام ١٩٥٢ أى نحو ٣٩% من الانتاج العالمى ويليها فى ذلك كل من زمبابوى وغانا إذ بلغ إنتاج كل منهما ٢٧ طنا[٧] ثم تزايد انتاجها عام بعد عام (جدول ٧/٢).

جدول ٧/٢- انتاج الذهب العالمى للدول التى يزيد انتاجها عن خمسة طن سنويا

	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
جنوب أفريقيا	٧٥٩	٧١٣	٧١٣	٧٠٠	٧٠٦
الاتحاد السوفيتى	٤٢٠	٤١٠	٤٢٠	٤٥٠	
كندا	٥٣	٥٠	٥٢	٥٣	٥٢
الولايات المتحدة	٣٢	٣٢	٣٢	٣٤	٣٠
غينيا الجديدة	٢٣	٢٠	١٨	٢٥	٢٤
زامبيا	١٩	١٩	١٩	٢٠	١٨
استراليا	١٦	١٦	١٧	١٩	٢٠

ولما كان للذهب وضع خاص فى اعتباره مرجع عام للعملات فى مختلف دول ومجتمعات العالم، رغم فك الولايات المتحدة لارتباطه بدولارها منذ عام ١٩٧١، إلا أنه قيمته السوقية فى البورصات العالمية تعد مؤشرًا ذا اعتبار على قوة أو ضعف الاقتصاد محل الاعتبار. ولكن مما يهدد الاقتصاد الأفريقى عدم استقرار اسعار العملة الوطنية فى كثير من دولها، وكذا التذبذب السريع غير المنطقى وغير الحقيقى وغير المبرر لأسعار الذهب والسلع والخدمات بين يوم وآخر[٨] فى بعض المجتمعات (جدول ٧/٣).

جدول ٧/٣- زيادة مفاجئة فى سعر الذهب فى مصر خلال ساعات معدودة من شهر نوفمبر عام ٢٠٠٥[٩]

	يوم الخميس ٤ نوفمبر	يوم الجمعة ٢٥ نوفمبر
الجنيه	٦٢٤	٦٢٨
جرام ٢٤	٨٩,١٥	٨٩,٧٠
جرام ٢١	٧٨,٠٠	٧٨,٥٠
جرام ١٨	٦٦,٨٥	٦٧,٣٠
	يضاف إلى ذلك أيضًا رسوم المصنعية وضريبة المبيعات	

وإلى جانب هذه المعادن فإن هناك معادن أخرى تساهم أفريقيا فى انتاجها بنصيب كبير فيها، منها، البلاتين الذى تنتج أفريقيا ٢٤% من الانتاج العالمى منه من جنوب أفريقيا، والقصدير الذى تنتج أفريقيا منه ١٣% من الانتاج العالمى (٨% من الكنغو ٥% من نيجيريا).

هذا ويوجد فى غانا وغينيا نحو ٢٠% من الاحتياطى العالمى من البوكسيت، الذى تنتج منه غينيا بمفردها ٢٥% من الانتاج العالمى وأيضًا هناك المنجنيز أفريقيا ٢٨% من الانتاج العالمى، والكروم الذى يستخرج ٢٥% من الانتاج العالمى من جنوب أفريقيا و١٦% من زامبيا، وأخيرا الكوبالت الذى تنتج أفريقيا منه نحو ٩٠% من الانتاج العالمى ويستخرج من المغرب وزائير وزامبيا وأوغندا بالاضافة إلى الحديد الذى تنتج منه أفريقيا كميات ملموسة (نحو ٩% من الانتاج العالمى) من دول كثيرة منها ليبيريا والمغرب وموريتانيا والجزائر ومصر.

أما عن الطاقة فإننا نجد أن البترول الذى يعتبر إحدى الثروات المعدنية، وأحد المواد الخام الصناعية، نجده أيضًا المصدر الرئيسى للطاقة، لذلك تتضاعف أهميته الاقتصادية والاستراتيجية، هذا وتعتبر أفريقيا الآن من المنتجين البارزين له فى العالم، رغم حداثة دخولها مجال استخراجه وتصديره (بعد ١٩٥٠)، حيث أصبح إنتاجها عام ١٩٧٠- يمثل ١١,٦% من الانتاج العالمى، مع تزايد إضطراد تنميته سنة بعد أخرى (جدول ٧/٤).

جدول ٧/٤- تزايد إنتاج البترول الأفريقى ١٩٦٥-١٩٧٠ (مليون طن)[١٠]

١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠
١٠٦,٩٨	١٣٦,٧٩	١٥٠,٢٤	١٩٣,٤٧	٢٠١	٢٧٥

والحقيقة أن أهمية البترول تتزايد حاليا، على أساس اعتباره ترمومتر التقلبات النقدية الدولية، فإذا ما تتبعنا أسعاره نجد سعر البرميل لم يكن يتعدى ١,٢ دولار فى بداية القرن العشرين وبعد سبعين سنة لم يتجاوز ١,٨ دولارا، بل خفض سعره عام ١٩٥٩ من ٢ دولار إلى ١,٨ حيث بدأت زيادة طفيفة منذ نهاية ١٩٧٠، إذ بلغ ٣ دولارات عشية قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣، ومنذ ١٦ أكتوبر وحتى أول يناير ١٩٧٤ ارتفع السعر حتى ١٠,٥ ثم وصل ١٢,٨ فى عام ١٩٧٨ من خلال زيادات متلاحقة، ولكن مع قيام ثورة الخومينى فى إيران وسقوط الشاه بدأت سلسلة ارتفاعات وصل بسببها السعر إلى ٢٩ دولارا فى بداية ١٩٨٠، ومع نشوب الحرب العراقية الايرانية زاد السعر من ٣٢ فى بداية سبتمبر ١٩٨٠ ليصل إلى ٤٠ فى نفس الشهر.

وقد صاحب هذه الزيادات تضخم أرصدة ومدخرات الدول البترولية بشكل سريع حيث ارتفعت الفوائض المالية لدول الأوبك من أقل من ٥ بلايين دولار عام ١٩٧٢ إلى أكثر من ٦٥ بليون دولار عام ١٩٧٤، ورغم التآكل المستمر فى مدخراتها حيث انخفضت إلى أقل من ١٠ بلايين دولار عام ١٩٧٨، فقد إستمر الدخل فى الارتفاع. وقد زادت هذه الأرصدة بشكل واضح فى الجولة الثانية حيث بلغت ١١٠ مليون دولار وهى المتبقية من دخل بلغ ٥٦٠ بليونا.

جدول ٧/٥- زيادة إنتاج نيجيريا من البترول ١٩٥٨-١٩٧٩ (بالألف طن)[١١]

١٩٥٨	١٩٦٠	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٨	١٩٧٩
٢٤٥	٨٦٦	٣٣٦٨	٥٧٨٣	١٨٩٤٨	٧٠٠	٥٣٤٢٠	٩٣٩٩٥	١١٤٠٠٠

وقد صاحب كل حرب تعرضت لها منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص مثل حرب غزو الولايات المتحدة ودول تحالفها لأفغانستان ثم للعراق وتهديداتها لإيران صاحب كل ذلك تزايد سعر البترول العالمى حتى وصل البرميل إلى نحو مئة دولار بل وزيادة.

فإذا تأملنا الوضع نجد الأرصدة أو الفوائض الناجمة من انتاج البترول بدأت فى التآكل السريع نتيجة للخطط الاقتصادية التى يتبعها العالم الغربى المستهلك الرئيسي والوحيد للبترول، والمصدر الرئيسى والوحيد أيضًا، لكل السلع إلى هذا العالم العربى ولكافة دول أفريقيا.

والحقيقة أن انتاج أفريقيا من البترول والغاز الطبيعى قد تأثر من هذه السياسة لدرجة عظيمة رغم إنتاجه الكبير الذى نجده مثلا فى نيجيريا (خريطة 2/7) الذى زادت كمياتها التصديرية زيادة سريعة نتيجة زيادة إنتاجها (جدول ٧/٤) خاصة وأن بترولها من النوع الذى يتميز بالخفة وقلة الكبريت به، وهى صفات تجعله ممتازا كالبترول الليبى والجزائرى والبريطانى (بحر الشمال)، لذا يزداد عليه الطلب من الدول التى تهتم بنقاء البيئة كالسويد والولايات المتحدة والمانيا الغربية.

هذا وقد بلغ إنتاج نيجيريا من البترول عام ١٩٨٠ مليونى برميل حيث بلغ دخلها منه ٢٣ ألف مليون دولار، ولكن أمام زيادة الفائض العالمى من البترول قل إنتاجه بعد ذلك إلى أن وصل إلى الثلث تقريبا (نحو ٦٠٠ ألف برميل يوميا) مما هدد اقتصاد البلاد ومشروعاتها الإنمائية التى تعتمد على دخل البترول فى بلد يصل عدد سكانه إلى نحو ٩٠ مليون نسمة، ولكن أمام الحظر الذى فرضته الولايات المتحدة على شراء البترول الليبى أخيرا(١٩٨٢) فقد توجهت شركاتها إلى البترول النيجيرى مما أيقظ الأمل مرة أخرى فى تسويق البترول النيجيرى فى الولايات المتحدة.

والحقيقة لقد ساهم البترول فى رفع مستوى كثير من الجماعات الوطنية الأفريقيا مثل قبائل الايجبو النيجيرية وغيرها فى كل بلاد ومجتمعات القارة[١٢].

وبالمثل يمكن القول عن البترول الليبى (خريطة 3/7) والجزائرى الذى زاد إنتاجه فى الفترة الأخيرة، كما زاد عليه الطلب فى العالم العربى خاصة بعد حرب ١٩٧٦ وما صحبها من غلق قناة السويس أمام نقل بترول الخليج، وكان هذا سببا مباشرا فى زيادة دخل هذه الدول وشعوبها.

ويبدو أن أصحاب التكنولوجيا الغربية وهم المسيطرون على إستخراج وإنتاج البترول فى العالم، يفضلون منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣، أن يستخرجوا البترول من دول جديدة خارج الأوبك- التى تحكمت فى رفع أسعار البترول المستخرج منها من نحو ثلاث دولارات قبل حرب أكتوبر إلى نحو ٣٦ دولارا

عام ١٩٨٠ـ حتى تفقد دول الأوبك هذه السيطرة، فكان أن دخلت دولا أخرى جديدة مجال الإنتاج الاقتصادى للبترول بغرض التصدير، مثل: بريطانيا وكندا والنرويج والمكسيك، ومصر التى أصبحت على أبواب المليون برميل يوميا.

ولقد اصبح البترول منذ عام ١٩٦٠ أهم مصادر الطاقة فى أفريقيا بل وفى العالم، حيث طغت أهميته على أهمية الفحم، خاصة فى الدول التى تنتجه مثل الجزائر ونيجيريا، بل وفى جنوب أفريقيا التى تنتج ٩١,٧% من فحم أفريقيا كله[١٣].

جدول ٦/٧ـ التطور السنوى لانتاج الطاقة الكهربائية فى بعض الدول الأفريقية ١٩٤٨ـ١٩٥٧(مليون ك ٠,٠/ساعة)[١٤]

الدولة	١٩٤٨	١٩٥٢ـ٥٠	١٩٥٧ـ٥٥
الجزائر	٤٦١	٦٥٣	٩٥٢
أنجولا	٢٣	٢٧	٧٥
زائير	٤٩٧	٦٨٤	١٨٩٢
كاميرون	٢	٦	٩٦
مصر	٦٣٠	٨٨١	١٥٥٠
كينيا	٥٩	١٠٧	٢٣٩
المغرب	٤١٠	٦٣٢	٩٨٥
نيجيريا	١٠٨	١٣٤	٢٧٤
تنجانيقا	٣٠	٦٤	١٢٣
تونس	١٢٧	١٥٨	٢٥٠
أوغندا	٨	٢٨	١٠٨
السودان	١٧	٢٣	٥١
جنوب أفريقيا	٩٢٥٩	١٢٣٢٧	١٨٥٨٠

ولا تكاد تصل الكهرباء فى أفريقيا إلى ٦٢,١٨% من السكان جل هؤلاء ٩٨,٧% يعيشون جنوب الصحراء.

هذا وقد زاد نصيب الفرد من الكهرباء فى مصر فى السنين الأخيرة بصورة ملموسة (جدول ٧/٧)

جدول ٧/٧- تطور نصيب الفرد من الكهرباء فى مصر

العام	نصيب الفرد ك و /سنة
١٩٨٠	٤٣٣
٢٠٠٣	١٣٤٠
٢٠٠٧	١٤٥٠

ورغم هذه الزيادة المطردة إلا أن نصيب الفرد فى مصر مازال أقل من المتوسط العالمى (حسب احصاء ٢٠٠٣) وهو مقدر ب ٢٤٩٠ كو.

ويتفاوت استهلاك الكهرباء بين شرائح المجتمع فى مصر حيث قسمت إلى عدة شرائح وذلك بالنسبة للاستهلاك المنزلى الذى يتضمن ٢٥ مليون مستهلك (سنة ٢٠٠٧) وهى تمثل جزء من استهلاك المجتمع كله (جدول ٧/٨).

جدول ٧/٨- توزيع استهلاك الطاقة الكهربائية فى مصر(٢٠٠٧) على القطاعات الاقتصادية المختلفة(١٥)

القطاع	نسبة % للاستهلاك
المنزلى	٣٦,٧
الصناعى	٣٥,٥
المرافق العامة	٤,٠
التجارى	٦,٧

ولكن مع تزايد الطلب على الطاقة بمعدلات كبيرة، وللارتفاع السريع والكبير فى أسعار البترول ولزيادة الطلب عليه كمادة خام لازمة للصناعات البتروكيميائية، فقد توجهت الدول الأفريقية نحو زيادة استغلال الطاقة الكهربائية (تنتج أفريقيا حاليا نحو ٢٠% من كهرباء العالم)) من مصادرها التقليدية (المحطات الحرارية العاملة بالبترول أو الفحم) إلى تلك المولدة من المساقط المائية، بل ومن مصادر الطاقة المتجددة حيث إتضح أن أفريقيا تمتلك

نحو ٤٠% من مصادر الطاقة الكامنة [١٦] (نووية، وشمسية ورياح وأمواج...) الخ.

هذا وتعتبر **المساقط المائية** فى أفريقيا (الطبيعية والصناعية) من أهم مصادر الطاقة الكهربائية حاليا حيث تولد الآن الكهرباء من العديد من الخزانات المائية الكبرى مثل السد العالى (١٠ آلاف مليون كيلو وات) فى مصر، وجوسى، وكاينجى فى نيجيريا، وأكوسوميو فى غانا وجنجا فى أوغندا، تسالتا فى كينيا، وكولويزى وانجا فى زائير، وكاريبا وكافو فى زامبيا، وايديا فى الكاميرون(خريطة 4/7)، هذا بالإضافة إلى المشروعات الجارى تنفيذها للمستقبل مثل سد كونكور فى غينيا، وسد جيبا فى نيجيريا، وسد جيفا على السنغال الأعلى فى مالى، وتانا فى إثيوبيا ومروى فى شمال السودان.

هذا ويعتبر **اليورانيون** الذى يستخرج من جنوب أفريقيا والجابون والنيجر وأفريقيا الوسطى مصدرًا للطاقة الكامنة التى يمكن استغلالها فى توليد الطاقة الكهربائية، عندما تشرع الدولة الافريقية فى توليد الكهرباء النووية.

وأخيرا هناك **الطاقة الشمسية**، التى يمكن أن تكون مصدرًا رخيصا للغاية، بل وآمنا ونظيفا- للطاقة الكهربائية، حيث يسود سطوع الشمس طوال العام فى معظم أفريقيا وهى لحسن الحظ كلها تقريبا مدارية، مما يسمح بتوليد الطاقة اللازمة لكثير من دول القارة على مدار السنة طوال أربع وعشرين ساعة يوميا[١٧].

الصناعة:

هذا عن مجال التعدين والطاقة فى أفريقيا، أما عن مجال الصناعة، فنجد أن القارة تحت ظروف الاستغلال الاستعمارى السابق، والاستراتيجى الحالى، لا تكاد تتقدم فيها المشروعات الصناعية إلا بخطوات ضيقة وبسرعة بطيئة، وتتركز معظم الصناعات على المواد الخام الزراعية والتعدينية ولخدمة الاستهلاك المحلى الضيق، لذلك كانت من أهم الصناعات، الصناعات الغذائية المختلفة وصناعة تكرير البترول والسجاير والمنسوجات بالإضافة إلى صناعة الاسمنت والمواد اللازمة للبناء[١٨] وأخيرا بعض الصناعات الحربية (فى جنوب أفريقيا ومصر).

هذاوتتركز أهم مراكز أفريقيا الصناعية أساسا، فى دول جنوب القارة وشمالها وغربها حيث تتوافر مقومات الصناعة من مواد خام وأيدى عاملة (رخيصة وقابلة للتدريب) وأسواق كبيرة ومع ذلك فإن الصناعة- حتى الآن- لا تقوم إلا بدور محدود (١٠-١٥%) فى الاقتصاد الافريقى، كما أنها لا تستوعب إلا ٢% فقط من الأيدى العاملة رغم أنها شهدت نهضة كبيرة بعد منتصف القرن الحالى(جدول ٧/٩).

جدول ٧/٩- تطور نمو المشروعات الصناعية فى بعض الدول الأفريقية قبل وبعد الحرب العالمية الثانية(١٩)

الدول	عدد المشروعات		عدد العاملين (بالألف)	
	١٩٣٨/٣٧	١٩٥٤/٥٣	١٩٣٨/٣٧	١٩٥٤/٥٣
مصر	٢٤٠٤	٣٦٥١	١٥١	٢٥١
زمبابوى	٢٩٩	٧١٤	١٨	٧٠
جنوب أفريقيا	٨٧١٣	١٤٢٥٧	٢٦٩	٧٠٤

ومازالت الصناعة الافريقية تعتمد على الشركات العالمية الكبرى أو فى أحسن الأحوال على الشركات المختلطة (أجنبية+ بعض الممولين المحليين)، ولكن يواجه ذلك كثير من المشاكل، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى قصور المدخرات الوطنية عن تلبية الطلب على رأس المال الكبير اللازم للصناعة، ومع ذلك فإن مؤشرات التنمية الاقتصادية تبشر بالتوسع فى إقامة المشروعات الصناعية فى أفريقيا.

والملاحظ أن معظم الاهتمام منصب حاليا على الصناعات ذات الطلب الداخلى الكبير، وهى تلك التى تسد السوق المحلية من المواد الإستهلاكية (جدول ٧/١٠) غالبا.

جدول ٧/١٠- التركيز على الصناعات الاستهلاكية فى أفريقيا ١٩٥٦[٢٠]

الصناعات	اتحاد روديسيا ونياسالاند			مصر			كينيا		
	عدد المشروعات	العمال بالألف	رأسمال ألف	عدد المشروعات	العمال بالألف	رأسمال ألف جنيه	عدد الشروعات	العمال بالألف	رأسمال ألف
المواد الغذائية	٢٠٥	٢١,٤	١٠٤٢٩	١٤٤٣	٤٣,٨	١٣٠١١	١٩٦	١١,٩	٥٤٣٨
الدخان	٥٠	١٤,٥	٣٦٢٥	٢٦	٦,٠	٣١٤٢	١	١,١	؟
الملابس	٨٨	١٤,٣	٤٦٦٢	٨٠٩	١١٠,٧	٤٩٧٥	١٨٣	٣,٣	٣٢٨٥
الأثاث	٨٧	١٠,٥	٢٥٦٩	١٨٣	٦,٢	١٣٩٤	١٧٠	٢,٤	٢٣٨٩
جملة الصناعات	١٠٣٤	١٠٦,٢	٤٤٧٥٤	٣٤١١	٢٣٢,٨	٨٩٨٩٢	١٠٦٠	٤٩,٦	١٤٥١٤

هذا بينما لا يكاد يهتم كثيرا بالصناعات الأساسية إلا بقدر محدود، أو فى بلاد معينة بالتحديد (جدول ٥٢) مثل جنوب أفريقيا ذات التقدم الكبير والتى يجب أن تدرج ضمن دول الحضارة والتكنولوجيا الغربية المعاصرة وليس ضمن غيرها.

جدول ٧/١١- إنتاج بعض الدول من بعض الصناعات الأساسية فى أفريقيا ١٩٦٠ (ألف طن مترى)[٢٨]

الحديد والصلب (١٩٥٧)		المعادن غير الحديدية		الكيماويات الأساسية (١٩٥٩)		الأسمنت	
جنوب أفريقيا	٣١٥٦	زامبيا	٦١٢	جنوب أفريقيا	٦٦٤	جنوب أفريقيا	٢٧٠٥
زامبيا	١٣٧	زائير	٣٥٧	مصر	٣٠٠,٧	مصر	١٨٥٢
مصر	١٢٤	كاميرون	٤٣,٩	تونس	١٥٦	الجزائر	١٠٦٢

ومن هنا يمكن القول أن الصناعة فى أفريقيا مازالت فى حاجة ماسة إلى دفعات قوية، وإلى خطط قومية توضع مستهدفة سد احتياجات الداخل واستبقاء فائض للتصدير .

طرق النقل والمواصلات

تعتمد التجارة بصفة أساسية على كفاءة استخدام وسائل النقل والمواصلات، فقد كان اختراع العجلة واستعمالها كأساس لوسائل النقل من أعظم أحداث التاريخ الإنسانى، إذ سهلت حركة انتقال الانسان ونقل البضائع من مكان إلى آخر، ولعل ما يوازى ذلك فى هذا المجال، أكتشاف الطفو على الماء الذى كان أساس النقل المائى، وركوب الهواء خاصة استعمال المحركات النفاثة التى اصبحت المتحكمة حاليا فى النقل الجوى.

أما عن أفريقيا فقد شهدت تطورًا كبيرًا فى جميع وسائل النقل ابتداء من الحمل فوق الرؤوس حتى ركوب الهواء، وكان لها دور بارز فى تنميتها الاقتصادية [٢٢] (خريطة 5/7) ورغم دخول السكك الحديد- وهى مازالت أهم المواصلات البرية- إليها (مصر ١٨٥٢) مع أوروبا تقريبا(١٨٣٢)، إلا أن دولها وشعوبها مازالت تعانى العذاب المرير من المواصلات(لوحة ٧/١)، مما ينعكس على الحركة التجارية بل وعلى الحياة العامة للإنسان الأفريقى بجميع

مستوياته، لذلك كان الحرص على الدعوى لتحسين طرق وخطوط النقل والمواصلات فى أفريقيا وزيادة كفاءتها لها أهميتها الاقتصادية (جدول ٧/٩) بل والسياسية والاستراتيجية.

جدول ٧/١٢ تسهيلات النقل الداخلى فى بعض الدول الإفريقية (١٩٦٨)[٢٣]

الدولة	السكك الحديدية			الطرق البرية				
	كم	١/ألف كم٢	حمولة مليون طن/ ساعة	كم	١/ألف كم٢	سيارة نقل	سيارة نقل/ ألف كم٢	سيارة نقل لكل ألف نسمة
إثيوبيا	١١٨٥	١,١	١٩٨	٤٧٦٤	٦٤٣٤	٦٤٣٤	٥	٠,٣
كينيا	١٦٠٠	٢,٧	ـ	١٥١٢٩	٢٦	١١١٨٠	١٩	١,٤
أوغندا	١٣١٠	٥,٤	٢٧٤٥	٤٨٢٧	٢٠	٤٤٨٠	١٨	٠,٧
تنزانيا	٢٥٥٧	٢,٧	ـ	٤٦٨٥	٥	٩٠٠٠	١٠	١,٠
زائير	٨٥٢٢	٢,٥	١٧١٥	٢٧٠٦٢	١٢	٢٣٠٠٠	١٠	١,٦
غانا	١١٩٨	٥,١	٣٨٥	٧٢٠٠	٣٠	١٤٤٣٤	٦١	٢,٢
نيجيريا	٣١٤٥	٣,٦	٢٣٥٣	٢١١١٤	٢٤	٢٣٠٠٠	٢٦	٠,٤

ولما كان – لأسباب اقتصادية – النقل المائى هو صاحب السبق بين وسائل النقل[٢٤] قد اصبح للمنافذ البحرية عددا وحجما وإمكانيات وكيفية الوصول إليها، أهمية اقتصادية خاصة لذلك كان حرص الاستعمار على ربط الداخل المنتج الإفريقى، بأقرب الموانى المناسبة، كل وسائل النقل المتاحة، من خطوط حديدية، إلى نقل نهرى، إلى تعبيد الطرق.

من هنا ظهرت مشكلة المناطق والدول الداخلية، التى ليس لها واجهات بحرية- وبالتالى منافذ على البحار، ومن هنا، أيضًا، كان الحرص على ربطها- بطرق المواصلات وبالاتفاقات الاقتصادية السياسية مع الدول المجاورة ذات المنافذ البحرية.

ظهر هذا فى غرب أفريقيا حيث ارتبطت مالى بالسنغال، وبوركينا فاسو (فولتا العليا) بافورى كوست (بساحل العاج)، كما ظهر أيضًا فى جنوب أفريقيا عندما ارتبطت مستعمرتى روديسيا (دولتى زامبيا وزمبابوى) مع

نياسالاند(مالاوى حاليا) وموزمبيق، وبوانسوانا وسوازى وليسوتو مع جنوب أفريقيا وأيضًا فى ارتباط أوغندا مع كينيا، ورواندا وبوروندى مع تنزانيا، فى شرق أفريقيا ومع الكنغو الديمقراطية فى غرب وسط القارة.

والملاحظ أنه رغم هذه الجهود المبذولة مازالت أفريقيا فقيرة فى خدمات السكك الحديدية إذ لا تتعدى النسبة ٤٠٠:١كم٢، وبذلك لا تكاد نسبة خطوطها ال ٦% من خطوط العالم، وهو معدل منخفض للغاية بالمقارنة بالقارات الأخرى (٣٠% فى أوروبا، و٤٠% فى أمريكا الشمالية، و١٢%فى آسيا، و٩% فى أمريكا الجنوبية).

ويزيد من صعوبة المشكلة أن توزيع الخطوط غير متوازن على القارة حيث نجد أنه من بين ٧٥ ألف كم هى أطوال خطوط السكك الحديدية فى القارة، نجد فى جمهورية جنوب أفريقيا بمفردها ٢٢ ألف كم[٢٥].

كما تظهر مشكلة أخرى وهى أن الخطوط الحديدية ذات السعة gauge العادية (١,٤٤) لا تتعدى أطوالها ١٠,٥ ألف كم فقط، بينما تسود (نحو ٥٠ ألف كم) الخطوط ذات السعة المترية (الضيفة)، وقد كان هذا سببا- أحيانا أو غالبا مقصودا فى عدم إتمام ربط بعض أجزاء القارة بعضها ببعض(مصر والسودان مثلا).

هذا ويبدو أن نمو وانتشار الخطوط الحديدية فى أفريقيا بدأ فى النمو السريع منذ الحرب العالمية الأولى(جدول ٧/١٠) ومع ذلك فمازال معامل كثافة السكك الحديدية [٢٦] فى القارة الأفريقية لا يكاد يتعدى ربع المتوسط العالمى (وهو ٢٢) فى كل أجزاء القارة فيما عدا جنوب أفريقيا وناميبيا، الذى يصل فيهما إلى ٤٩و ٥٢ على الترتيب[٢٧]

جدول ٧/١٣- تطور نمو أطوال الخطوط الحديدية فى أفريقيا ١٨٩٠-١٩٥٠[٢٨]

	١٨٩٠	١٩١٠	١٩٣٠	١٩٥٠
الطول بالألف ميل	٥,٩	٢٣,٠	٤٢,٤	٤٢,١
% لطول الخطوط فى العالم	٢,٠	٤,٠	٥,٠	٥,٠

ومع هذا فإن معدل النقل فى أفريقيا، معدل آخذ فى التزايد عاما بعد آخر كما أنه فى حدود المعدل العالمى (جدول ٧/١٤).

جدول ٧/١٤- معدل النقل على الخطوط الحديدية فى أفريقيا بالمقارنة بالعالم ١٩٣٨-١٩٦٠ (طن/ ميل)[٢٩]

١٩٥٣=١٠٠	١٩٣٨	١٩٥٠	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠
أفريقيا	٤٤	٨٥	١١٨	١٢٣	١٢٣	١٢٧	١٣٨
العالم	٥٠	٨٦	١٢١	١٢٥	١٢٦	١٣٨	١٤٢

هذا وتكاد تتصل الخطوط الحديدية العابرة للقارة من الشمال إلى الجنوب(خد القاهرة- الكيب حلم الامبراطورية البريطانية القديم) إذا ما نفذت بعض الثغرات الباقية خاصة بين أسوان (مصر)-حلفا (السودان)، وبين (واو) (السودان) – نماساجالى (أوغندا)، و دودوما (تنزانيا)- ندولا (زلامبيا)، مع إقامة محطات تغيير سعة لعجلات القطارات عند الضرورة، نظرا لاختلاف سعة الخطوط كما سب ذكره، وتلك هى أفضل وأسهل طرق حل مشكلة الاتصال فى مثل هذه الحالات، وهو المتبع حاليا فى القطارات التى تربط برلين مع موسكو عابرة لبولندة حيث توجد محطات مماثلة.

هذا وتقوم السكك الحديدية بدور رئيسى بارز فى نقل المحاصيل المنتجة فى داخل دول القارة خاصة دول غرب أفريقيا إلى الموانى الخارجية، حيث تعتبر داكار الميناء الرئيسى للسنغال ومالى، وأبيدجان ميناء لساحل العاج ولفولتا العليا، وبورت هاركورت ميناء لنيجيريا وللنيجر. وبالمثل تقوم شبكة سكك حديد كل دولة من دول أفريقيا الصغرى بخدمة اقتصادها القومى. ولا شك أن الدافع الاقتصادى كان خلف مد الخطوط الحديدية فى أفريقيا، يتجلى ذلك بوضوح من مدها فى المناطق الصحراوية فى موريتانيا (نواديبو- ف دريك) فى ناميبيا (ولفس باى- تسوميه) رابطة مناطق التعدين الداخلية بموانى التصدير الخارجى، هذا بينما هناك مناطق كثيرة مزدحمة بالسكان تشكو قلة الخطوط الحديدية.

أما عن دور الطرق البرية التى تمر عليها السيارات المختلفة، فيظهر بأجلى صوره فى ربطها غرب أفريقيا بموانىء الجزائر على البحر المتوسط،

حيث حرصت فرنسا أبان حكمها الاستعمارى على ربط مستعمراتها فى أفريقيا الغربية وأفريقيا الاستوائية باراضيها (كما كان يقال) الجزائرية، عبر خطوط مواصلات (للركاب- والنقل) تسير بانتظام على طرق كثير منها معبد، تخترق الصحراء الكبرى على أكثر من محور، وهذا يفسر أن ٤٠% من الطرق الممهدة فى القارة توجد فى شمال أفريقيا و ٢٥% غى غربها، وفى هذا أيضًا دليل حضارى على استمرار تأثير الفكر اللاتينى (كل الطرق تؤدى إلى روما) ودخوله إلى أفريقيا.

ومع هذا، فإن القارة الافريقية مازالت تعانى من قصر الطرق البرية إذ نجد أن معدلها هو ٠,٤ كم لكل ١٠٠ كم٢ من مساحتها وهو معدل ضئيل للغاية، إذا ما قورن بغيره بالقارات الأخرى(فرنسا ١٣٥كم، والهند ٧كم، وUSA ٦٩كم)، ورغم هذا فإن عدد وسائل النقل البرى (المركبات بأنواعها المختلفة) قد تضاعف مرة على الأقل خلال العشرين سنة الأخيرة[٣٠]، وإن كان تزاحم السيارات يتفاوت من دولة إلى أخرى (جدول ٧/١٥).

جدول ٧/١٥- تفاوت تزاحم السيارات من دولة إلى أخرى
فى أفريقيا(١٩٧٠)[٣٠]

الدولة	سيارة لكل .... نسمة	الدولة	سيارة لكل ... نسمة
توجو	ألفين	الجزائر	٣٦
موريتانيا	١٨٠٠	تونس	٥٣
نيجيريا	٩٠٥	ليبيا	٢٩
السنغال	٥٧	المغرب	٥٩
ساحل العاج	٧٦		

ويمكن القول أن أفريقيا، من القارات الرئيسية فى استعمال النقل النهرى، رغم مرونة استعمال الطرق البرية والسكك الحديدة، ذلك لأن النقل النهرى يستعمل فى نقل البضائع ذات الأحجام الكبيرة والثقيلة الوزن والرخيصة الثمن.

تلك القاعدة تظهر بوضوح أكثر فى غرب أفريقيا حيث المنتجات الاقتصادية فى أغلبها زراعية وحيوانية ويعتبر نهر غمبيا Gambia River أكثر أنهار غرب أفريقيا مساهمة فى النقل يليه فى ذلك نهر النيجر الذى توجد

بع بعض العوائق الطبيعية مثل مندفعات بوسا والمخاضات والمستنقعات المجاورة لمدينة تمبكتو، مما يعوق الملاحة فى هذا النهر[٢٨]. وبالمثل يقال عن باقى الأنهار كالكنغو والنيل، لذلك مدت الخطوط الحديدية فى الأجزاء التى توجد فيها العقبات.

هذا وتقوم البحيرات الداخلية خاصة فى شرق أفريقيا- حيث توجد بكثرة- بدور بارز فى النقل والمواصلات، يلاحظ ذلك فى بحيرات فيكتوريا وتنجانيقا وملاوى وألبرت[٣٣].

أما **النقل الجوى** فقد تبوأ مكانا عليا فى القارة، خاصة فيما يخص نقل الركاب، يظهر ذلك بوضوح فى نصف القارة الشمالى وفى جنوب أفريقيا وغربها وفيما بينها كلها وأوروبا والعالم العربى الأسيوى، ورغم أن معظم شركات الطيران العالمية لها خطوط مع القارة لربطها بهذه المناطق، إلا أن لمعظم دول القارة شركات طيران خاصة بها.

ومما لا شك فيه أنه كان لموقع القارة فى وسط العالم، أثره فى أن معظم حركات الطيران العالمية لا تجد مفرا من أن تسلك ممرات المجال الجوى الإفريقى، وكان نتيجة ذلك أن حركة الطيران أخذت تتضاعف خلال السنين بشكل ملحوظ[٣٤]، مما دعى كثير من الدول إلى مضاعفة حجم مطاراتها كل عشر سنوات وربما اقل (القاهرة وداكار مثلا) ومع ذلك فإن الملاحظ أن حركة الطيران خاصة فى أفريقيا مازالت حتى الآن تشكو ضعف حجم التشغيل- إلا فى فترات موسمية معينة- ويرجع هذا إلى أسباب عديدة[٣٥].

ولكن للحق والحقيقة أقول أن أفريقيا ينتظرها مستقبل كبير ومشرق للمساهمة فى التقدم المنتظر فى وسائل النقل والمواصلات التى سيشهدها العالم خلال السنين القليلة القادمة[٣٦].

وهناك أخيرا **وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية فى أفريقيا**، التى أخذت تستقل أخيرا عن الارتباط التقليدى بإحدى عواصم أوروبا، حيث بدأت بعض الدول الأفريقية فى تطير اتصالاتها فيما بينها داخل القارة، بحيث تكون مباشرة(مصر والسودان، وأديس أبابا وابيدجان... إلخ) كما ساهمت بعض الدول الأفريقية فى إقامة وتقوية محطات الاستقبال والإرسال اللاسلكية بها مثل المغرب وكينيا، مما كان له أثره على تحسين أداء الخدمات.

أما طرق النقل البحرية فقد اتضح فى الملتقى الاقتصادية العربى- الأفريقى الأول الذى عقد فى طرابلس(عاصمة ليبيا) (أكتوبر ٢٠٠٢) أن جملة الأساطيل العالمية[٣٧]، وهذا يفرض ضرورة الأهتمام بالنقل البحرى الأفريقى من خلال زيادة وتنوع وحدات الأساطيل البحرية مع الاهتمام بتطوير الموانىء الكبرى – ميناء أو أكثر فى كل دولة- بحيث يمكنها استقبال وخدمة كافة أنواع السفن.

ولا تكاد صورة طرق النقل البرى أن تكون أفضل من هذه الصورة كثيرا- كما سبق القول – مما يفرض ضرورة الاهتمام بها وبصيانتها الجيدة المستمرة، حيث أن كل وسائل النقل والمواصلات هى عصب وأساس التنمية الاقتصادية.

المشكلة الاقتصادية وأفريقيا

تعتبر المشكلة الاقتصادية ودراساتها، أهم الموضوعات التى يدرسها علم الاقتصاد، الذى يدرس- أساسا - الدور الذى تلعبه النقود فى مضمار النشاط الانسانى[٣٨]، وتعد النقود- بأشكالها المختلفة[٣٩]- وعاء ومقياسا للقيمة ووسيطا فى المبادلات ومعيارا للمدفوعات المؤجلة، كل هذه الوظائف تتولاها النقود، ويقوم على دراستها – ضمن ما يدرس – علم الاقتصاد.

ولما كانت النقود فى حقيقة الأمر وعاء للقيمة الاقتصادية للمجتمع وللدولة التى تصدرها، لذلك كانت الصلة مباشرة بين الحالة الاقتصادية والنقود، أو بمعنى آخر، أن هناك زواجا كاثوليكيا لا تنفصم عراه بين قيمة النقود وبين المشكلات الاقتصادية التى يتعرض لها المجتمع، لذلك نجد أن البلدان ذات المركز الاقتصادى القوى عملتها قوية(قيمتها التبادلية أى سعر صرفها مرتفع)، بينما الدول الأخرى، التى تكثر فيها المشكلات الاقتصادية، نجد أن عملتها ضعيفة بالمقارنة بالعملات ذات الطلب العالمى كالدولار الأمريكى ، أو بالنسبة للذهب(جدول ٧/١٦).

جدول ٧/١٦- سعر صرف الذهب(الاسترلينى ذهب) بالجنيه المصرى فى سوق القاهرة خلال نصف (١٩٣٩-٢٠٠٧)

منتصف عام	السعر بالجنيه المصرى	منتصف العالم	السعر بالجنيه المصرى
١٩٣٩	٠,٩٧٥	١٩٩٠	٣٥,٢٠
١٩٧٨	٣٤,٥٠٠	١٩٩٥	٣١٤
١٩٧٩	٥٣,٧٥٠	١٩٩٧	٢٥٧
١٩٨٠	١٠٣	ألفين	٢٣٢
١٩٨١	٩٢	٢٠٠١	٢٥٦
١٩٨٢	٩١	٢٠٠٧	٤٩٥
١٩٨٦	١٥٤,٤٠	٢٠٠٨	٩٣٢

والحقيقة أن المشكلة الاقتصادية أو مشكلة الندرة هى السبب المباشر فى تغير قيمة النقود بين القوة والضعف[٤٠]، ذلك لأن مشكلة ندرة الموارد بالنسبة للحاجات المراد اشباعها هى أولى خطوات المشكلة الاقتصادية، لذلك كان الواجب سرعة معالجة أى ندرة قد تظهر فى إحدى عناصر الانتاج الاقتصادى فى أى زمان أو فى أى مكان، حتى لا يُفتح الباب على مصراعيه أمامه لتظهر المشاكل الاقتصادية، ثم لا تستطيع الدول أو المجتمعات التى تقع بها أن تحل مشكلاتها الاقتصادية بسهولة وعقلانية.

دعنا أولا نسلم بارتباط المشكلة الاقتصادية بندرة أحد أو بعض أو كل عناصر الانتاج[٤١]، ثم تسليم بأن مظهر وجود المشكلة الاقتصادية هو اتجاه سعر صرف النقود المحلية إلى الانخفاض بمرور الزمن، أى أن أسعار السلع المنتجة تتجه باستمرار إلى الارتفاع السريع (جدول ٧/١٧).

الحقيقة الاقتصادية تقول أن ارتفاع أسعار السلع والخدمات[٤٢]، يرجع إذا ما حدث؛ إلى ندرتها، ففى وقت الحرب مثلا يصعب الحصول على الأيدى العاملة أو بعض المواد الخام أو مصادر الطاقة لتوظيفها فى الأعمال العادية فى مختلف ميادين الصناعة، لذلك تكون النتيجة الطبيعية لندرة السلع والموارد ارتفاعًا عامًا فى الأسعار، وزيادة تكاليف المعيشة[٤٣] ويصاحب ذلك من

تضهور فى قيمة النقود، مع وبسبب التخلف فى الانتاج من سلع وخدمات، أى تخلف فى الأستثمار.

جدول ٧/١٧- تغير سعر السرف الرسمى لوحدة عملة بعض الدول الأفريقية ١٩٧٠-١٩٧٧ (دولار أمريكى) [٤٤]

$ =	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧
مصر (جنيه)	٠,٤٣٥	٠,٤٣٥	٠,٣٩١	٠,٣٩١	٠,٣٩٠	٠,٣٩١	٠,٣٩١
السودان (جنيه)	٠,٣٤٨	٠,٣٤٨	٠,٣٤٨	٠,٣٤٨	٠,٣٤٨	٠,٣٤٨	٠,٣٤٨
ليبيا (دينار)	٠,٣٥٧	٠,٣٢٩	٠,٢٩٦	٠,٢٩٦	٠,٢٩٦	٠,٢٩٦	٠,٢٩٦
الجزائر (دينار)	٤,٩٣٧	٤,٥٥٦	٤,١٨٥	٣,٩٩٧	٤,١٢٥	٤,٣٥٩	٤,٠٣٥
المغرب (دينار)	٥,٠٣٠	٤,٦٧٠	٤,٢٩٠	٤,١٥٠	٤,١٨٠	٤,٤٨٠	٤,٣٣٠
غانا (سيدى)	١,٠٢٠	١,٢٨٠	١,١٥٠	١,١٥٠	١,١٥٠	١,١٥٠	١,١٥٠
نيجيريا (نيارا)	٠,٣٥٧	٠,٣٢٩	٠,٦٥٨	٠,٦١٦	٠,٦٢٧	٠,٦٣١	٠,٦٥١
الصومال (شلن)	٧,١٤٣	٦,٩٩٥	٦,٢٩٥	٦,٢٩٥	٦,٢٩٥	٦,٢٩٥	٦,٢٩٥
كينيا (شلن)	٧,١٤٣	٧,١٣٤	٦,٩٠٠	٧,١٤٣	٨,٢٦٠	٨,٣١٠	٧,٩٤٧
جنوب أفريقيا (راند)	٠,٧١٧	٠,٧٨٣	٠,٦٧١	٠,٦٩٠	٠,٦٩٠	٠,٦٩٠	٠,٦٩٠

والجدير بالاشارة هنا أن مفهوم المشكلة الاقتصادية قد يتغير من فترة إلى أخرى تبعا للحالة السياسية والاجتماعية التى يحياها المجتمع، ففى فترة الحروب تظهر مشكلات معينة كتلك التى ذكرنا بعضها، كما يصاحبها الكثير من مشكلات متداعية اقتصادية واجتماعية خاصة بالقيم.

أما فى أوقات السلم، التى يفترض فيها، أن تكون عناصر الانتاج متوافرة، فإن هذا التفسير لا يعتبر كافيا، إذ أنه إذا أمكن القول بأن الأسعار تميل إلى الارتفاع لأن ثمة القليل من السلع التى يمكن إنفاق النقود عليها، فإنه يمكن القول أيضًا بأن الأسعار تميل إلى الارتفاع، لأن هناك المزيد من النقود تتوقف على الكمية الموجودة منها. هذه الحقيقة لا يجب أن نغفل عنها كلما ذكرنا مصطلح "التضخم"، لأن الكثيرين قد يخامرهم الشك فى المقصود من المصطلح، أهو الارتفاع فى الأسعار أم الزيادة فى كمية النقود؟ ولن ينأى عنهم الشك ، ما لم يدركوا أنه من الميسور إيجاد العلاقة بينَ الارتفاه فى الأسعار والزيادة فى كمية النقود أو بين الانخفاض فى الأسعار والنقص فى كمية النفقود.

اتخذت العلاقة بين مستوى الأسعار وكمية النقود شكلا معينا، تعارف عليه الاقتصاديون وأطلقوا عليه اسم نظرية كمية النقود ، وهى- فى أبسط صورها – أن ثمة تيارين متدفقين يحكمان مستوى الأسعار : التيار المتدفق من النقود إلى السوق لشراء السلع والخدمات، والتيار المتدفق من السلع والخدمات للبيع فى مقابل النقود المتاحة.

وفى حالة حدوث خلل فى الأستقرار النسبى لمستوى الأسعار، ثمة ثلاثة احتمالات لاسباب هذا الخلل، الأول هو التغير فى كمية النقود التى فى حوزة المجتمع، والثانى هو تداول كمية النقود، والثالث هو التغير فى حجم الانتاج المتاح من السلع والخدمات، هذه الاحتمالات وما يتصل بها، تدرس فى موضوع هام هو نظرية كمية النقود، التى وضع لها المعادلة الجبرية التالية: (معادلة فيشر) م ع= س ق، باعتبار أن م= كمية النقود، ع= سرعة تداول النقود (متوسط عدد المرات التى تتداول فيها كل وحدة من النقود، وأن ق= حجم المعاملات (السلع والخدمات المتاحة)، س= مستوى الأسعار.

وعليه، فإذا كان الانفاق النقدى (وهو كمية النقود المخصصة للانفاق على الاستهلاك(م) × عدد مرات تداول هذا النوع من النقود(ع) لفرد خلال سنة واحدة مثلا هومائتى جنيه (٢٠٠ جنيه كمية نقوده× ١٠ دورات تدورها

النقود)، مطابقا لقيمة المبيعات أو المشتريات[٤٥] (وهى المكونة من السلع والخدمات تامة الصنع (ق) × مستوى الأسعار(س))الجارية.

ولكن يجب التنويه إلى أن الأمر ليس بالسهولة المفترضة، إذ أنه من الصعب أن نقف على مقدار ذلك الجزء من النقود المتاحة، الموجه والمخصص للانفاق على أغراض الاستهلاك فحسب، كما أنه لا يمكن أن نفترض بأى حال أن أية زيادة فى الكمية الاجمالية للنقود سوف تؤدى إلى زيادة مماثلة فى ذلك الجزئ من النقود، المخصص والموجه للانفاق على أغراض الاستهلاك، إذ أنه فى أوقات الكساد مثلا لا تؤدى الزيادة الكبيرة فى الكمية الاجمالية للنقود إلا إلى زيادة طفيفة فى كمية النقود المتداولة لغرض الانفاق الاستهلاكى على السلع والخدمات، إذ يفضل الناس أبان هذه الفترة إلى اكتناز النقود، على إنفاقها، لذلك يمكن القول إجمالا، بأن التغير فى مستوى الأسعار لا يتناسب مع التغير فى الكمية الاجمالية من النقود، وعليه فإن الصور الجبرية الأخرى المستخرجة من معادلة أرفنج فيشر ليست كلها بنفس درجة التأكد، حيث أن هناك عوامل أخرى لا تظهر فى المعادلة، مثل تأثيرات الحكومة والجهاز المصرفى، وكلها لها تأثير على الكمية الاجمالية من النقود. لذلك يمكن القول أن العوامل الحقيقية التى تحكم كمية النقود لا تظهر فى معادلة فيشر على وجه الاطلاق[٤٦].

ولكن باختصار شديد يمكن القول، أن المجتمعات المتوازنة اقتصاديًا، تشبه – غالبا- تغيرا فى العادات النقدية للمستهلكين، تظهر فى فترات الرخاء والكساد على مدار الدورة التجارية (٧-٩ سنين)، هذا وتتداخل عوامل اقتصادية نقدية وانتاجية كثيرة، فى إظهار حدة مظاهر هذه الفترات من الرخاء والكساد.

هذا ولما كان الدخل الأهلى (الناتج القومى) يمثل مجموع دخول أو تكاليف عوامل الانتاج، لذلك نجد أنه تعد مقياسًا طيبًا للتقدم الاقتصادى لأى مجتمع، كما يمكن اعتباره مقياسًا مناسبًا لقياس حجم الرفاهية العامة، لذلك كان تقويم السلع (كاملة الصنع) والخدمات التى تدخل فى تكوين الدخل الأهلى أو بعبارة أخرى قياس الناتج القومى لها مغزى إقتصادى بالغ الأهمية.

هذا وهناك مبدأ اقتصادى هام يقول بأن الناتج القومى يساوى الدخل الأهلى أى يساوى دخول الأفراد الذين ساهموا فى هذه السلع والخدمات(شكل ٧/١) ويمكن عرض هذه العلاقة بين الناتج القومى والدخل الأهلى فى المعادلتين التاليتين:-

١- معادلة طريقة كسب الدخل: الناتج القومى= (أجور العمال+ أرباح رأس المال)= الدخل الأهلى.

٢- معادلة طريقة الإنفاق: الدخل الأهلى= (الإستهلاك+ صافى الأستثمار)= الناتج القومى.

ولا شك أن هناك علاقة وطيدة ولكنها عكسية بين الاستهلاك والاستثمار، حيث أن الاستثمار (الإدخار)= الناتج القومى (الدخل الأهلى)- الناتج من السلع والخدمات (والإنفاق عليها).

فتلك المعادلة توضح أساس فكرة ونظرية كينز فى التوظيف، والتى تدرس، اثار الدخل وأساليب انفاقه على الاستثمار، ووصف الدورات التجارية ومراحلها الأربع وهى: التوسع والانتكاس والانكماش والانتعاش، وما يتصل بها من دراسة الفجوة الانكماشية (شكل ٧/٢) والفجوة التضخمية(شكل ٧/٣)، وأساليب العلاج الحكومى التى تحول دون حدوث تغيرات عنيفة فى الدخل الأهلى، ممثلة فى ارتفاع الأسعار فى حالة التضخم.وتفشى البطالة فى حالة الانكماش(شكل ٧/٤).

كل هذه المظاهر النقدية والاقتصادية وغيرها، تعبر عن الحالة الاقتصادية السائدة فى المجتمع، وهى المرادفة للنظام الاقتصادى بمقوماته الثلاث الأساسية وهى: العلاقات الاجتماعية والقانونية المنظمة للنشاط الاقتصادى، ثم المؤسسات الاقتصادية وأدوات وطرق الانتاج بما فى ذلك أنماط تقسيم العمل، وأخيرا فلسفة أو هدف النشاط الاقتصادى [٤٧]، وهى التى تعكس فى النهاية وتحدد أركان المشكلة الاقتصادية التى يعانى منها المجتمع أو الدولة، وقلما يوجد مجتمع أو دولة لا تعانى من مشكلة ندرة أحد عناصر الانتاج.

وتعتبر مشكلة الديون حاليا فى أفريقيا من أهم المشكلات الاقتصادية التى تؤرق حكامها وشعوبها خاصة وأنها تتزايد باستمرار بفعل الفوائد المربوطة عليها وهى كبيرة إذ أن الديون كانت فى عام ١٩٩٠ نحو ٢٥٠ مليار دولار ارتفع هذا الرقم عام ١٩٩٥ إلى ٣١٣ مليار دولار، ومع حلول عام ألفين بلغت تلك الديون نحو ٦٠٠ مليار دولار، حيث لم يوجد لها حل.

ولقد كان السبب فى اللجوء إلى الاقتراض هو الأحوال الاقتصادية المتدهورة التى شهدتها القارة منذ نهاية السبعينات، فبعد أن كانت سنوات

الستينات وأوائل السبعينات، تمثل للقارة الأفريقية الأمل فى تحقيق النمو الاقتصادى والاجتماعى فقد إنهيار تمامًا هذا الحلم أمام عدة مشكلات بعضها طبيعى كالجفاف والتصحر وبعضها بسبب قصور السياسات المحلية والفساد، وأغلبها بسبب أنها شروط التبادل التجارى منذ عام ١٩٧٩ وهو الذى أدى إلى التبعية وذلك بسبب أنهيار حصيلة الصادرات الأفريقية وعوائدها من العملات الحرة.

ولمواجهة هذا التردى وللمحافظة على مستويات المعيشة القائمة لجأت الدول الأفريقية إلى الأقتراض والاستدانة على أمل تحسن شروط التبادل التجارى فى الأجل القريب، إلا أن تردى أسعار المواد الخام والأولية تزايد وارتفعت أسعار الواردات المصنعة وارتفعت كذلك شروط الاقراض لهذه الأسباب كلها وقعت القارة الأفريقية فى براثن مشكلات الديون.

هذا وإن كان الاقتصاد الأفريقى يأن تحت ضغط الديون الخارجية وفوائدها ومهما حاولت دولة الهروب منها إلا أنها مضطرة إلى الاستعانة بالخبرات والتكنولوجيات والأموال الخارجية حتى تدفع عجلة اقتصادها إلى الأمام، وهى ليس أمامها إلا تنشأة وتدريب أجيال وطنية لتؤهلها لحمل وتحمل أمانة النهضة الاقتصادية.

لذا اتجهت الدول والمجتمعات الأفريقية إلى الاستعانة بالخبرات والأموال الأفريقية وإلى الدول التى لا تفرض نسبة عالية من خدمات الديون على القروض الممنوحة.

وقد بدأ يعود إلى أفريقيا والشرق العربى ومصر خاصة ما كان منتشرا من المشاركة الاقتصادية محدودة المدة وهو النظام الذى انتشر أخيرا باسم بوت bot أو بووت boot (وهى اختصار لكلمات Build-Operate- Own-Transfer) ولعل أشهر نموذج له كان مشروع قناة السويس الذى نفذته الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية، وشركة ليبون للكهرباء والغاز وغيرهما، وهو أحد الأنظمة الاقتصادية الذى يعمل على إتاحة مزيد من السلع والخدمات للمجتمع بما يحقق مصلحة المستثمرين والمستهلكين إلى حين ثم يعود المشروع إلى ملكية المجتمع (الحكومة) القومية أو المحلية الوطنية.

وحبذا لو تسير أفريقيا- وهى فعلا تسير- على نهج أوروبا من وحدة ثم اتحاد (وهو الأقوى) الاقتصادى قبل السياسى ثم النقدى حيث يمكن وضع عملة أفريقية موحدة مثلما حدث مع اليورو الذى بدأ العمل به من يناير ١٩٩٩.

وهناك عملة توفيقية بين عملات الدول الخمس الأكثر ثراء فى العالم أطلق عليها بالانجليزية SDR حقوق السحب الخاصة وقيمتها وسط بين الدولار الامريكى والجنيه الاسترلينى فهى أعلى من الدولار بنسبة ٣٣% وأقل من الاسترلينى بنسبة حوالى ٢٢% أى أنها الوسط الحسابى لهاتين العملتين(٤٨).

هذا وهناك أكثر من أسلوب لمواجهة المشكلة الاقتصادية، فهناك الأسلوب الرأسمالى الذى يعتمد على خصائصه المميزة وهى: الملكية، والإنتاج من أجل الربح، وسيادة المستهلك والاعتماد على جهاز الاسعاروالثمن لمواجهة المشكلة. أما أسلوب النظام الاشتراكى فيعتمد فى حل المسكلة الاقتصادية على خصائصه وأهمها: ملكية المجتمع للموارد، والأعتماد على التخطيط لاستخدام الموارد، هذا ولا يبعد النظام الشيوعى كثيرا عن النظام الاشتراكى فيما عدا عنفه الادارى وربما العسكرى فى التنفيذ.

ومن المحزن أن كل الدول الأفريقية وجل صادراتها إن لم تكن كلها من الموارد الخام إما الزراعية أو التعدينية وقليل جدا منها تدخل على بعضها بعض مراحل التصنيع الأساسية الأولية مثل مصر التى تصدر غزول القطن مع القطن الخام الذى قل انتاجه خاصة طويل التيلة التى كانت مصر مشهورة به على مستوى العالم.

وقد وجدنا منذ استقلال الدول الأفريقية، أن بعضها قد مارس الأسلوب الاشتراكى فى حل مشاكله الاقتصادية مثل: مصر، والصومال، والسودان، وليبيا، والجزائر، وتنزانيا وغيرها، ومنها من تركه وعاد للأسلوب الرأسمالى مثل مصر والصومال والسودان ومنها من أوغل فى الأشتراكية مثل ليبيا والجزائر، بل ومنها من يحاول الارتباط بالشيوعية الستالينية مثل تنزانيا، كما أن هناك ايضًا حاليا فى أفريقيا دولتان هما موزمبيق وأنجولا تنتهجان نهج الاقتصاد الموجه الاشتراكى المشابهة للمطبق فى فيتنام ولاوس(٤٩).

والحقيقة أن كلتا المجموعتين من الدول: تلك التى زاولت التطبيق الاشتراكى أو تلك التى زاولت التطبيق الرأسمالى لحل مشكلاتها الاقتصادية، قد جانبها الصواب حتى الآن بدليل المشاكل التى مازالت تواجهها، ربما يرجع

هذا لأكثر من سبب اقتصادى وسياسى، داخلى وخارجى، ولكن ما نحب أن نركز عليه هو أن المخرج اوحيد المضمون للخروج من المشكلة الاقتصادية، هو فى التنمية الاقتصادية (= زيادة عناصر الانتاج) وعندى أنه يمكن اتباع أسلوب الرأسمالية الرشيدة (المطعمة بأسس الاشتراكية الفابية)، وهو المتبع فى بريطانيا حاليا، والذى مازال إلى – حد ما- مطبقا فى معظم دول الكومنولث، والتى تحاول به الخروج من مشاكلها (استكفت الهند أخيرا بانتاجها من القمح عن استراد الدقيق من الخارج)، وحتى يرتفع معدل الانتاج القومى فيزداد مستوى معيشة أفراد المجتمع الأفريقى، حيث أن متوسط دخل الفرد فى أفريقيا ١٦٠ دولار سنويا فقط بينما هو فى أوروبا ٢٠٧١ دولار، وفى أمريكا الشمالية ٤٢٤٦ دولار.

جدول ٧/١٨- مستوى معيشة بعض شعوب أفريقيا قياسا على متوسط الدخل الفردى(١٩٧٥)

متوسط الدخل الفردى فى السنة دولار أمريكى	بعض الدول الأفريقية كنماذج
٣٠٠١-٥٠٠٠	ليبيا
١٥٠١-٣٠٠٠	جابون
٥٠١-١٥٠٠	جنوب أفريقيا- الجزائر- تونس- أنجولا
٢٠١-٥٠١	مصر- نيجيريا- المغرب- زامبيا- زمبابوى- الكونغو
٢٠٠ وأقل	الصومال- أثيوبيا- زائير- تنزانيا-تشاد- النيجر.

وإذا ما تتبعنا متوسط الدخل الفردى كمؤشر لمستوى المعيشة (جدول ٧/١٨) نجد أنه فى أفريقيا يجتمع أيضًا التناقض بين دخل مرتفع للغاية(ليبيا أكثر من ٤ آلاف دولار سنويا) وبين أقل الدخول(الصومال، السودان، مالى، زائير... إلخ، أقل من ٢٠٠).

والملاحظ أنه فى حالة توقيع هذه البيانات على خريطة للقارة، نلاحظ أن أغنى الدول بهذا المعيار وغيره تقع على أطراف القارة الشمالية (ليبيا والجزائر) والجنوبية (جنوب أفريقيا) والغربية الجابون بينما أفقرها تقع فى المنطقة الوسطى (الغابات والسافانا غالب).

وفى الحقيقة أن هذا الفقر ليس أصيلا وليس متوطنا، ولكنه مرض اقتصادى، نتيجة ضعف خطط التنمية الاقتصادية وأيضًا قلة الوعى اللازم، وهى سمات الاستعمار الاقتصادى الذى يخلق القلاقل وليس غريبا أن هذا الحزام الأوسط قد شهد سلسلة من القلاقل خلال العشرين سنة الأخيرة تدخلت بسببها كل القوى الدولية، وغنمت الكثير، بينما لم يخسر إلا الإنسان الإفريقى ويتعس ومازال، حتى يتم وعيه، ولكن متى وكيف؟ إنه بيده وعقله كل شيء، وما عليه إلا أن يبدأ التنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية.

التنمية الاقتصادية فى أفريقيا:

يعمل الاقتصاد كما يجب أن يكون على تحقيق الكفاية للأفراد والأمم والشعوب والدول، ومن أجل ذلك تعمل جاهدة الدول الغنية من خلال منظمات الأمم المتحدة خاصة الاقتصادية والمالية منها مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى.

وضع مؤتمر بريتون وودز عام ١٩٤٤ النظام النقدى العالمى الذى مازال يعمل به حاليا ويشرف على تنفيذه صندوق النقد الدولى أحد أهم المنظمات الاقتصادية التى تضمها هيئة الأمم المتحدة.

ونظرًا لما يعانيه الاقتصاد العالمى من خلل واضح تعانى خلاله شعوب عالم الجنوب ومعظمها وكثير منها فى أفريقيا(جدول ٧/١٩) إذا ما قورنت بمعظم قارات العالم الأخرى، لذا فإنه ينظر حاليا فى تعديل نظامه بل والنظام الاقتصادى العالمى كله.

جدول ٧/١٩- بعض دول ومجتمعات أفريقيا مقارنة ببعض القارات طبقًا لتقسيم البنك الدولى (عام ٢٠٠٥)(٥٠)

دخل الفرد السنوى $	أفريقيا	أوربا	آسيا	أمريكا الشمالية واللاتينية
عالى (٩٣٨٦ فأكثر)	رينيون	معظم دول القارة	الكويت- البحرين الإمارات (وأربع دول أخرى)	USA- كندا (وتسع دول أخرى)
مرتفع (٣٠٣٦- ٩٣٨٥)	بوتسوانا - جابون ليبيا (وثلاث أخرى)	بولاندة- تشيك سلوفاك -المجر	السعودية - عمان ماليزيا	المكسيك فنزويلا الأرجنتين (و١٣ دولة أخرى)
متوسط (٧٦٦- ٣٠٣٥)	تونس مصر الجزائر (و٤أخرى)	أوركرانيا رومانيا (و٦ دول أخرى)	سيريلانكا تركيا - الأردن (و ١٤ دولة أخرى)	البرازيل بوليفيا كولومبيا (و٩ دولة أخرى)
منخفض (٧٦٥ فأقل)	٤٢ دولة أخرى	مولدوفيا	اليمن فيتنام (و١٢ دولة أخرى)	نيكاراجوا
غير موضح	الصحراء الغربية	الفاتيكان جبل طارق		

هذا ويرتبط تقدم ونجاح الاقتصاد بالإدارة أكبر ارتباط ، فالاقتصاد الأفريقى ومعه الاقتصاد العربى لم تتعد قيمة انتاج أى منهما ٦٢٠ مليار دولار فى السنة (١٩٩٠) وهى قيمة هزيلة إذا ما قورنت بإنتاج اقتصاد الولايات المتحدة الذى بلغ ٧٨٠٠ مليار دولار، مما يقطع بأن الاقتصاد الأفريقى والاقتصاد العربى لا يقوم كل منهما على أساس الانتاج الحقيقى بل على أساس تذبذبات الأسعار العالمية، خاصة سعر النفط وهو الذى تتحكم فيها عوامل ومؤثرات عديدة غير اقتصادية.

ظهر أن المخرج الاقتصادى الوحيد أمام دول وشعوب القارة الأفريقية يكمن فى التنمية الاقتصادية، وايضًا فى إتباع أسلوب سياسى وطنى قومى، يعتمد على محاسن كل من النظامين الرأسمالى والاشتراكى ويتحاشى سواءتهما، وقد رشحت لذلك الأسلوب البريطانى الذى هو ببساطة لا يختلف

كثيرا عن أسلوب الدولة الاسلامية الأولى حيث كانت حرفة التجارة هى الأساس مع وجود الزكاة والصدقات(= الضرائب التصاعدية)، فهذا النظام إذا أحسن تطبيقه، ووجد من ينفذه من المتخصصين الوطنيين فى كل دولة وفى كل مجتمع لأمكن رؤية إشراقة عهد اقتصادى جديد على أفريقيا، يحمل الخير والرفاهية إلى أهلها.

تهدف عملية التنمية الاقتصادية إلى تحقيق التقدم الاقتصادى والعدل الاجتماعى، وهو الذى يبغى فى النهاية رفع مستوى المعيشة معيشة أفراد كل المجتمع وهذا يؤدى فى النهاية إلى إحداث تغييرات أساسية فى صالح الانسان فى متغيرات الايكولوجيا البشرية(شكل 5/7)، هذا ولا يتحقق التقدم الاقتصادى إلاّ إذا تم أدخار جزء من الدخل القومى وتخصيصه لمشروعات التنمية الاقتصادية التى تتوقف بالتالى على المجهود المبذول وفاعليته.

أما المجهود فهو حجم الاستثمارات الاقتصادية المخصصة للتنمية وتقاس بنسبتها إلى الدخل القومى (مثلا ٥% أو ١٠% من الدخل القومى يخصص سنويا لمشروعات التنمية)، أما فاعلية هذه الاستثمارات، فهى المحصلة الايجابية النهائية التى تحقق، نتيجة تنفيذ مشروعات التنمية، وهى تقدر بنسبة زيادة الدخل القومى التى تتحقق، وبالتالى مقدار زيادة الدخل الفردى وارتفاع مستوى المعيشة.

والحقيقة أن التنمية الاقتصادية بلا جدال أصبحت ضرورة بقاء شرطية للغاية فى عالم يلهث بالعلم والتكنولوجيا، كما قال حمدان، فإذا حاولنا استعراض مشروعات تنمية عناصر الانتاج فى بعض البلدان الأفريقية، نجد أنه إذا بدأنا بالموارد الطبيعية، وقد سبق استعراض بعضا من موارد القارة الزراعية والحيوانية والمعدنية والصناعية، نجد أن أفريقيا تزخر بالموارد الطبيعية التى يزداد عليها الطلب فى الأسواق العالمية، ولكن ينقصها فى بعض البلدان بعض الأهتمام والتخطيط، وتنفيذ مشروعات التنمية، التى توضع موضع التنفيذ.

ويعد التعامل مع المعلومات حاليا من أهم مقومات اقتصاد المستقبل، يلاحظ ذلك من يتأمل حركة قيمة الأسهم فى البورصات المالية العالمية حيث انتقل ثقل أعلى أسعار الأسهم من شركات مثل جنرال موتورز وجنرال اليكتريك إلى ميكرسوفت ونوكيا.

لقد أصبح مصدر الثروة حاليا ليس فى الصناعة ولكن فى المعلومات؛ ليس من تصنيع أو من هندسة المعلومات Hard Ware ولكن من استخدام المعلومات أى من Soft ware واستعمالاتها.

لذلك يجب أن تنتبه أفريقيا إلى ذلك وأن تدخل هذا المجال بسرعة وبعمق وباتقان حتى تتواجد فى السوق مع النمور الأسيوية والهند واسرائيل وغيرها.

هذا ومن حسن الطالع أن اتجهت بعض الدول الأفريقية إلى الدخول فى تكتلات اقتصادية وذلك بهدف أن تكتسب القوة فيما بينها، هذا وتمثل الكوميسا إحدى هذه التكتلات الاقتصادية الأفريقية حيث تكتل اقتصادى أفريقى ظهر إلى الوجود عام ١٩٩٣ ليضم معظم دول شرق القارة حيث انضمت إليه ٢١ دولة مما أهله ليحتل المركز الثانى بعد منظمة الاتحاد (الوحدة) الافريقى، وكان انضمام مصر إليه عام ١٩٩٨ والكوميسا تعد أكبر سوق أفريقى إذ يبلغ عدد سكانها ٣٨٠ مليون نسمة (عام ألفين) وتتجاوز تجارتها الخارجية ٦٢٠ مليار دولار سنويا

ومن المؤتمرات الهامة ذات الدلالة مؤتمر الكوميسا ألفين الذى عقد بالقاهرة فى ٢٨-٢٩ فبراير عام ألفين(لوحة ٧/٢) والذى أسفر عن قرارات اقتصادية بالغة الأهمية تغطى قرابة نصف دول القارة الأفريقية فى شمال وشرق ووسط وجنوب أفريقيا، وقريبا ستشهد دول هذه المناطق مزيد من الدعم والتبادل التجارى والسلعى ولعل ما يدفع إلى تنفيذ هذه القرارات والاتفاقيات مد خطوط مواصلات ونقل بحرى وجوى وبرى بين دول هذه الأقاليم الافريقية وليس خط القاهرة- الكيب ببعيد التنفيذ.

هذا وقد كثرت تصريحات الزعماء الذين حضروا هذا المؤتمر الهام بالقاهرة (لوحة ٧/٣) حيث قال الرئيس الكينى آراب موى "الكوميسا مرحلة جديدة فى التوحيد الأفريقى"، كما ذكر ملك سوازيلاند مسوانى الثالث: "القطاع الخاص... آلة النمو الاقتصادى".

فالتعاون الاقتصادى هو الحل الوحيد أما أفريقيا للوصول إلى التنمية والتقدم الاقتصادى والاجتماعى، وحتى تقاوم عهود الاحتكار والدمار المعروضة عليها لاستغلال معاونها وثرواتها الثمينة مقابل أسلحة وتدريبات تعرضها اسرائيل وغيرها.

وقد حاولت الدول الأفريقية السير على درب الدول الأوربية حيث عقدت القمة الأفريقيا الأوربية يوم الاثنين الثالث من أبريل عام ألفين بالقاهرة بعد حوالى خمسة أسابيع من المؤتمر الاقتصادى الأول للسوق المشتركة للشرق والجنوب الأفريقى (الكوميسا) والذى عقد بالقاهرة أيضًا خلال الفترة من ٢٨-٢٩ من فبراير عام ألفين.

وقد كان هدف القمة الأفريقية الأوربية المذكورة تقليل الفجوة بين مواقف الدول فى القارتين خاصة فيما يتعلق بموضوع المديونية التى بلغت ٣٥٠ مليار دولار بالإضافة إلى القضايا السياسية المتعلقة بتحقيق الأمن والاستقرار.

هذا ولما كانت التنمية الاقتصادية تعتمد على عناصر وعوامل طبيعية ايكولوجية وأخرى انثربولوجية، فإننا نجد التربة الأفريقية قليلة الخصوبة، لقدمها وكثرة تعريتها وغسيلها، إلا أن أودية أنهارها تتميز بتربات منقولة عظيمة الخصوبة، لذلك نجد أن أعظم الأراضى الزرعية خصوبة وانتاجا تتركز فى دالات الانهار، أو حول فتحات المصبات حتى وان كانت خليجية Estuaries، نجد هذا الحال مع أهم الأنهار: النيل، والكونغو، والنيجر، والزمبيزى وفروع كل منها، حيث تظهر البيئة المناسبة لزراعة أرز المستنقعات وكان طبيعيا أن يزداد عدد السكان فى هذه المناطق لدرجة كثيفة، مما يخلق مشكلات كان من أهمها إنخفاض نصيب الفرد من الدخل ومن مستوى المعيشة وبالتالى من الغذاء، خاصة إذا كان يعتمد على ما تنتجه الأرض فقط[٥١].

وأمام هذه الظروف تتركز الآمال فى هذه المناطق، فى إدخال أنماط جديدة وحديثة من أساليب الزراعة الكثيفة والبستانية(التخصص، والميكنة، وبذور مهجنة، وحاصلات جديدة، واعادة جدولة الدورات الزراعية، ومخصبات مركزة) مع العناية بالثروة الحيوانية ومنتجاتها ومشتقاتها، ثم تشجيع العمالة الزائدة إلى التوجه إلى حرف انتاجية جديدة كصيد الأسماك، وإلى التصنيع الريفى القائم على الوحدات الانتاجية الصغيرة والهادف إلى تصنيع المنتجات الزراعية والحيوانية والسمكية للاستهلاك المحلى والقومى ثم الاقليمى والدولى فى المستقبل.

وفى مصر يزداد الطلب على المواد الغذائية الضرورية التى كانت تنتج من أرضها الخصبة، ولكننا نجد أنه لم يتم التوسع خلال الثلاثين عاما (١٩٥٢-

١٩٨٢) إلا على ٩٠٠ ألف فدان فقط بينما ابتلع الزحف العمرانى نحو ٧٠٠ ألف فدان من أجود الأراضى مما أحدث خللا فى العلاقة بين الأرض الزراعية الانتاجية وبين الانسان(شكل 6/7).

فكان هذا مدعاة إلى تحرك الجميع نحو طلب تنفيذ مشروعات ضخمة لاستزراع الصحراء الغربية اعتمادا على مياه النيل من السد العالى بعد نقلها خلال أنابيب قناة مبطنة تنتهى إلى منخفض القطارة حيث تسقط المياه فيه، مولدة طاقة كهربائية ومكونة بحيرة عذبة(خريطة ٧/٦) تزيد من منسوب المياه الجوفية أيضًا فى الواحات القديمة، ولكن مازال هذا المشروع محل دراسة، ولكن حل محله مشروع توشكى فى جنوب الصحراء الغربية حيث الفرصة أكبر وأكثر نفعا وعطاء.

والحقيقة أن المشروعات الزراعية فى مصر بأفكارها التقليدية وبأفكارها الحديثة، كثيرة ولا تنتظر إلا التنفيذ الثورى الجرىء، مثل ذلك الذى نفذ السد العالى، حيث اصبح واجبا على المصريين حسن الاستفادة من الفرص التى أتاحها ، مع علاج آثاره الجانبية الكثيرة والمتغيرة والخطيرة، والمثل يمكن قوله عن تنمية الثروة المعدنية خاصة البترول والحديد والفوسفات والذهب وغيرها.

هذا ولا تختلف بقية دول القارة كثيرا عن مصر فهى تزخر كذلك بالثروات الطبيعية، نجد ذلك فى كل أرجاء القارة ودولها مثلا فى زائير والكاميرون(خريطة 7/7)، وفى نيجيريا (خريطة 8/7)، وفى كينيا(خريطة 9/7) وفى تنزانيا(خريطة 10/7) وغيرها.

والحقيقة أن هناك عمليات كشف وتنمية لحقول البترول فى شرق أفريقيا إذ قدمت الجزائر لتنزانيا (١٩٨٢) برنامج معونة مقداره ١٠ ملايين دولار للكشف عن البترول على طول سواحلها، ورغم ضآلة الاحتمالات إلا أن الأمل مازال يحدو دول شرق أفريقيا(أوغندا وكينيا وتنزانيا وموزمبيق) فى الكشف عن آبار اقتصادية للبترول.

هذا وسيكون للثروة المعدنية مثل البترول (نيجيريا- مصر- السودان... إلخ) والنحاس (زامبيا) واليورانيوم(زائير، تشاد... إلخ) والذهب والماس (جنوب أفريقيا) دور واضح فى التنمية الاقتصادية فى أفريقيا[٥٣]، مثل ذلك الذى يمكن أن يقوم به الانتاج الزراعى والحيوانى والسمكى كالحبوب الغذائية(السودان، ومصر والمغرب... إلخ) والكاكاو (غانا)، والسيسل (تنزانيا

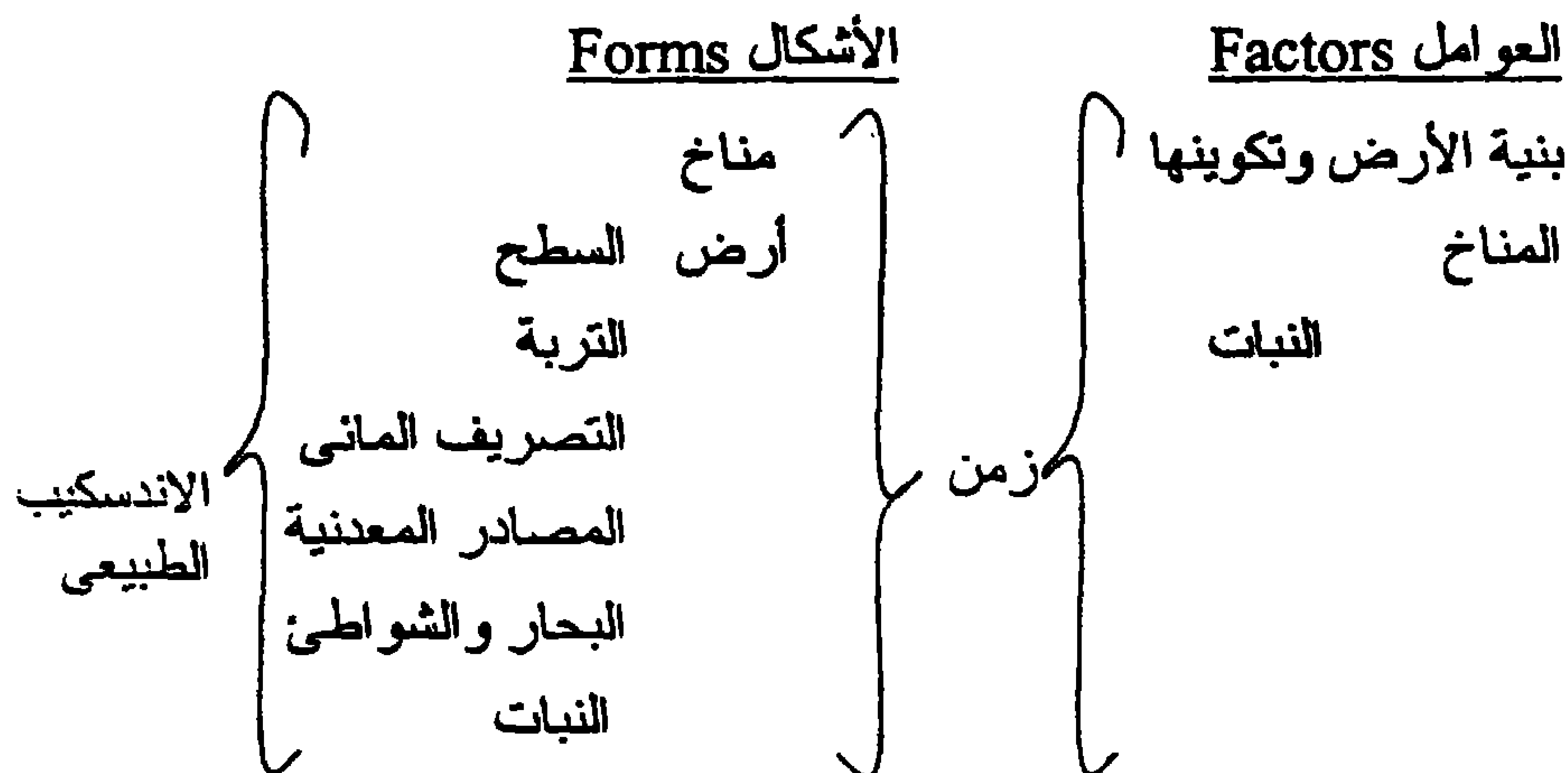
ومصر فى سيناء)، واللحوم والألبان (إثيوبيا، والمغرب، والسودان... إلخ) والأسماك (المغرب وناميبيا والصومال).

وتعد السياحة مصدرا حقيقيا آخر من مصادر الدخل ، فهى مصدرا هاما يمكن أن يضاف إلى الناتج القومى، ولحسن حظ أفريقيا أنها أكثر قارات الدنيا إمكانيات سياحية فمن ترويحية (أثرية) بأنواعها وعصورها المختلفة، وترفيهية (Safari) فى كل فصول السنة وفى كل البيئات الرطبة والجافة، وللمتعة بصيد البر والبحر وتسلق الجبال... إلخ) إلى علاجية (بالمياه المعدنية وبأشعة الشمس وبالرمال... إلخ) إلى علمية (دراسات مخلفات الإنسان على الطبيعة والمتاحف الفريدة كمتاحف القاهرة والخرطوم ونيروبى وجوهانسبرج ... إلخ) فكل هذه مصادر إنتاجية للتنمية الاقتصادية يمكن توجيهها للاستفادة منها.

وهناك أيضًا مصدرا جديدا للدخل، لكنه مغاير لكل المصادر السابقة، حيث يعتمد على تنمية الموقع- وليس الموضع- الجغرافى ذلك لأن كل دولة لها موقع خاص على خريطة الدنيا بين اليابس والماء هذا الموقع هبة طبيعية ولكنه تحول فى كل بقاع الأرض إلى مورد اقتصادى تتفاوت الاستفادة منه بدرجة تنميته، فهناك الموانىء البحرية والجوية بما تقدمه من تسهيلات ملاحية وتجارية وهناك القنوات ودوائر الاتصال السلكية واللاسلكية، كل هذه ساهم فى وجودها وتنميتها الموقع، لذلك كان واجبا العناية به غاية الأهمية والإهتمام.

والحقيقة أن الأمر يحتاج أيضًا لتنفيذ مشروعات التنمية أن يساهم الفكر الانثربولوجى الايكولوجى ضمن مجلس تنفيذى تنمية المجتمع[٥٢]، بحيث يكون لكل مربع سكنى فى المجتمعات الحضرية أو فى كل قرية فى المجتمعات الريفية، مثل هذا المجلس ليعمل على الاستفادة القصوى من تركيب اللاندسكيب الطبيعى واللاندسكيب الحضارى لتحقيق أكبر استفادة ممكنة من خطة التنمية، ويمكن لهذا المجلس أن يستعين بمن يحتاج إليه من المتخصصين، للاشتراك معه فى دراسة البيئة طبقا للبرنامج التالى الذى هو أحد نماذج دراسة اللاندسكيب، تمهيدا لوضع خطة التنمية، وتولى تنفيذها.

ويتكون اللاندسكيب الطبيعى **Physical Landscape** من العوامل والأشكال التالية:



أما عند تركيب الأرض من حيث المقاومة لعوامل التغير، فيلاحظ أنها تنقسم إلى الأقسام التالية:

التكوينات الأرضية من حيث المقاومة الطبيعية

لينة قابلة التشكيل

صخور متوسطة المقاومة

سهلة وكثيرة التفتت

متوسطة التفتت

صخور شديدة المقاومة

(كالأعلى)

التكوينات الأرضية من حيث التركيب الكيميائى وقابليتها للذوبان:

سهولة الذوبان

عالية النفاذية

متوسطة النفاذية

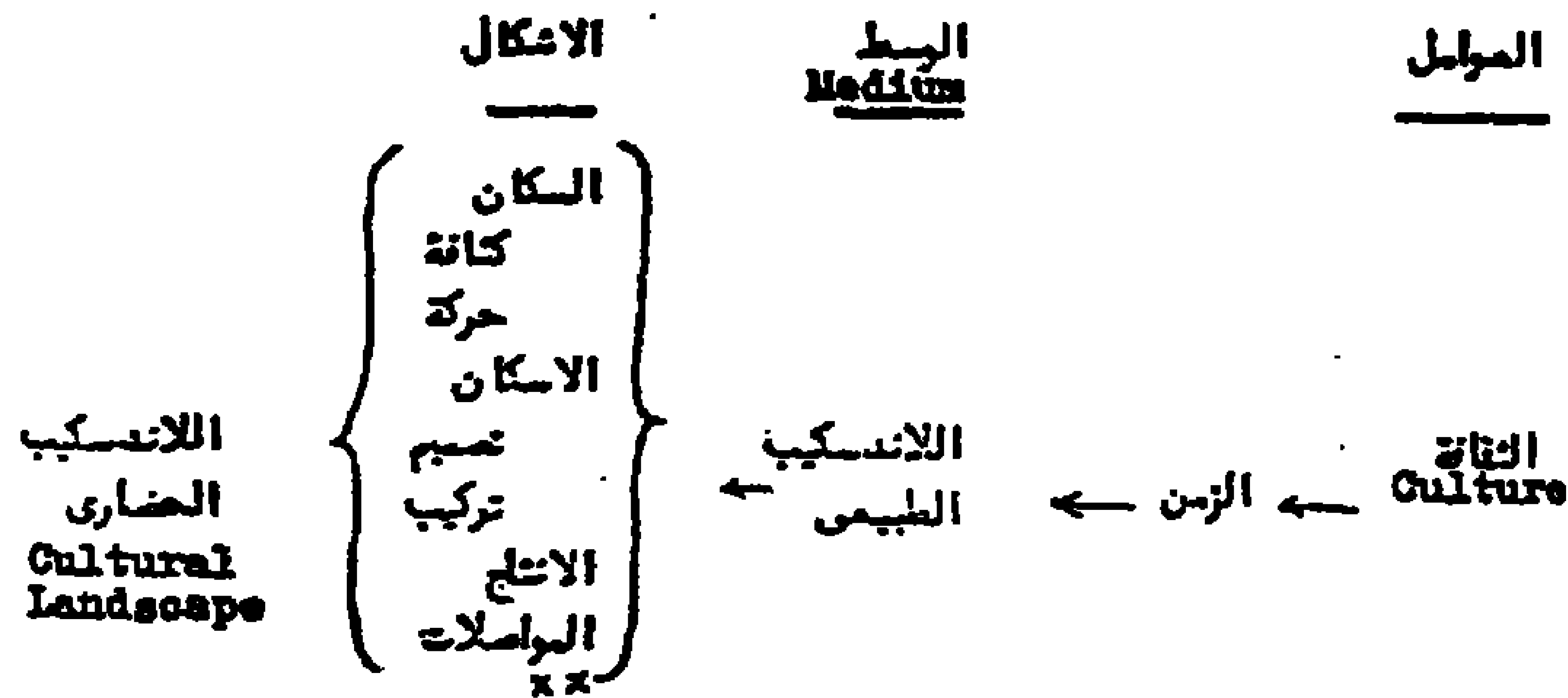
عديمة النفاذية نسبيًا

متوسطة القابلية للذوبان

(كالأعلى)

غير قابلة للذوبان

كما أن هناك اللاندسكيب الثقافى **Culture Landscape** وهو ما يقصد به كل ما أضافه الإنسان بعمله وفكرة إلى البيئة الطبيعية، ويتكون اللاندسكيب الثقافى من:



هذا وتتفاوت البيئة البشرية التى يحيا فيها الانسان ، ويمارس نشاطه فى مجالها المتصل من اللاندسكيب الطبيعى واللاندسكيب الثقافى، بل وتتفاوت مسبة كلا منهما من مكان إلى آخر طبقا لدرجة التقدم ونوعية ونمط الحياة.

وعندما تستكمل دراسة مكونات البيئة طبقا لهذا البرنامج يمكن بعد ذلك الشروع فى وضع مشروعات الخطة موضع التنفيذ مع دوام متابعة التنفيذ بمراحله للتأكد من حسن التنفيذ والمطابقة للخطة.

فإذا ما طبق هذا البرنامج فى الدول الأفريقية فلا شك أنه سرعان ما ستحقق خطط التنمية الاقتصادية فى كل مجتمع صغير وكبير ريفى وحضرى، وفى النهاية فى كل أرجاء القارة، ويمكن تشجيع الشباب على المساهمة فى هذا البرنامج عن طريق رصد جوائز وإجراء مسابقات تشجيعا لهم (أشبه بدورى كرة القدم).

أما إذا انتقلنا إلى عنصر الأيدى العاملة- من عناصر الانتاج- فإننا نجد أن كثير من دول أفريقيا، حافلة بالسكان ممن فى فترة النشاط العمرى الذى يمكن إذا نفذت برامج التدريب والتأهيل المناسبة لهم، أن يسدوا الفراغ الكبير الذى تعانى منه كثير من مجالات الانتاج حاليا فى القارة، بعد خروج الكثيرين منهم للعمل فى دول البترول خارج القارة غالبا، والمعتقد أيضًا أن فى هذا خير السبل لمواجهة ما يقال عنها "مشكلة السكان" وهى فى الحقيقة مشكلة توزيع وتنمية السكان"، إذ ليست المشكلة فى كثرة العدد ولكن فى توزيع وإقامة السكان، وفى

تدريبهم على الحرف الانتاجية المطلوبة والمناسبة والذى يمكن به زيادة عدد الحرفيين الزراعيين والصناعيين بين السكان وإنتاجية الأرض بدلا من الخلل الواضح عليها حاليا فى كثير من دول القارة(جدول ٢٠/٧).

جدول ٢٠/٧- تفاوت نسبة العمال (الذكور) على الأنشطة الاقتصادية المتباينة فى بعض الدول الأفريقية [٥٣]

% الحرفيون	الزراعة وغابات	التعدين	الصناعة	البناء	كهرباء وغاز	تجارة	نقل ومواصلات	خدمات	غير موضح	جملة العاملين من الذكور بالألف
المغرب (١٩٥٢)	٤٢,٠	٢,١	٥٦,٩	٨,٩	٠٠	١٦,٣	٤٦,٧	٢٥,٥	١,٥	٨٣٦,٨
غانا (١٩٥٦)	١٦,١	١٢,٠	٦,٦	١٧,٦	٠٠	١٠,٦	٨,٧	٢٨,٤	٠٠	٢٦١,٦
كينيا (١٩٥٧)	٣٦,٧	١,٧	٩,٨	٤,٥	٠,٤	٥,٠	٩,٣	٣٤,٧	٠٠	٤٤١,٠
زامبيا (١٩٥٦)	١٤,١	١٥,٢	٩,٨	٢٥,٨	١,٢	٥,٧	٣,١	٢٥,٠	٠٠	٢٤٥,٠
ملاجاشى (١٩٥٥)	٣٩,١	٣,٢	٨,٧	٧,٩	٠٠	٩,٢	٣,٨	٢٨,٠	٠٠	٢٤٧,٦

والجدير بالذكر هنا أن فى ذلك، الحل الجذرى لما أطلقوا عليه مشكلة السكان إذ إتضح أن العامل الاقتصادى(وربما العامل الثقافى أيضًا) له تأثير أكثر من تأثير الوازع الدينى فى الاختيار المنظم لحجم الأسرة (جدول ٧/٢١) وربما كان هذا هو الذى دعى منظمات الأمم المتحدة المتخصصة وغيرها من المنظمات المماثلة فى العالم الغربى إلى مداومة الدعوة إلى تنظيم الأسرة فى الدول غير النامية، رغم أنه كان من المفضل ومن الواجب الدعوة إلى تحقيق التنمية الشاملة(الاقتصادية والاجتماعية) وهى التى يمكنها أن تحقق فى النهاية- إذا احتاج الأمر- اللجوء إلى منظمات تنظيم الأسرة، وأظن أن هذا يتفق مع فكر المتمسكين والفاهمين لدينهم الحنيف.

ولا شك أن تداخل العلاقات الاجتماعية والقرابية مع معاملات تركيب وكثافة السكان له انعكاسه على العمليات الانتاجية ومشروعاتها وتكاملها مما يؤكد ضرورة الإهتمام بتنمية وتكثيف هذه العلاقات.

جدول ٧/٢١- نسبة المرأة الكاثوليكية المتزوجة المستعملة لموانع الحمل المحرمة من الكنيسة فى ثلاث مدن فى أمريكا اللاتينية(١٩٦٠)[٥٤]

معدل التردد على الكنيسة	مدينة باناما	ريودجانيرو	سان جوزيه(كوستاريكا)
مرة أسبوعيا أو أكثر	٥٩	٥٨	٦٥
مرة أو مرتان شهريا	٦٤	٤٧	٥٤
عدة مرات سنويا	-	٥١	٥٣
مرة فى السنة	٥٨	٦٠	٦٢
مرة كل عدة سنين	-	٦٤	٧٨
أبدا	٥٠	٥٨	٧٢

هذا، ولما كان العمل (الإنسان) يعتبر أهم عوامل الانتاج، لذا يجب الاهتمام بحل مشكلاته كلها جذريا وفوريا ودون تباطوء قبل أن تستفحل فيصعب ويتعقد حلها فبعد مشكلة السكان(زيادة أو نقصا) عن العدد الأمثل وهو يشمل قوة العمل المطلوبة للانتاج، وبعد حل المشكلة التأهل المهنى والتدريب اللازم لأنشطة ولمراحل الانتاج المختلفة، نجد أن هناك مشكلة اقتصادية هامة لصيقة بالانسان (العمل) ألا وهى الأجر، حيث أنه- كما هو معروف- يجب أن

يحقق الأجر مستوى معيشى معقول بالإضافة إلى أن يكون حافزا مناسبا للانتاج فإذا لم يكن كذلك فلا ينتظر من العامل كفاءة انتاجية طيبة وتكون النتيجة كارثة فى وحدات الانتاج الأساسية (المزارع والمناجم والمصانع.. إلخ)

. لذلك يجب ربط الأجر بالعنصرين المشار إليهما، كما يجب توجه العمالة خاصة الزائدة عن الحاجة الحقيقية للانتاج، توجيهها إلى أنشطة الانتاج الحقيقية التى تضيف جديدا إلى الانتاج القومى، وبذلك لا تخلق فرص عمل إلا فى المشروعات ذات الأعمال المنتجة، وهى التى يمكن أن يوجه إليها الشباب للعمل بها حيث يحصلون على الأجر المناسب بل والمجز وهو فى هذه الحالة لن يؤدى إلى أى تضخم.

هذا مع ملاحظة أيضًا أن توجيه رأس المال نحو المشروعات الانتاجية التى تحقق إنتاجا فعليا يضاف إلى رصيد الانتاج القومى، هو خير ضمان اتحاشى ولتلاشى تضخمه قد تظهر فى المجتمع نتيجة زيادة النقود المتداولة فى السوق من التوسع فى صرف الأجور للعاملين نتيجة للعمالة الجديدة أو نتيجة لزيادة أجور العاملين القدامى.

ويجب التوسع فى تجديد المصانع القائمة ووضع خطة سنوية لمتابعة ذلك حتى يمكن المحافظة على جودة الانتاج، الذى إن لم يكن جيدا فلكن يجد سوقا يستهلكه حتى ولا فى الداخل فيكون مآله المخازن، كما أن فى تجديد الآلآت خير الضمانات للحصول على الكميات المناسبة من السنتجات الصناعية المطلوبة.

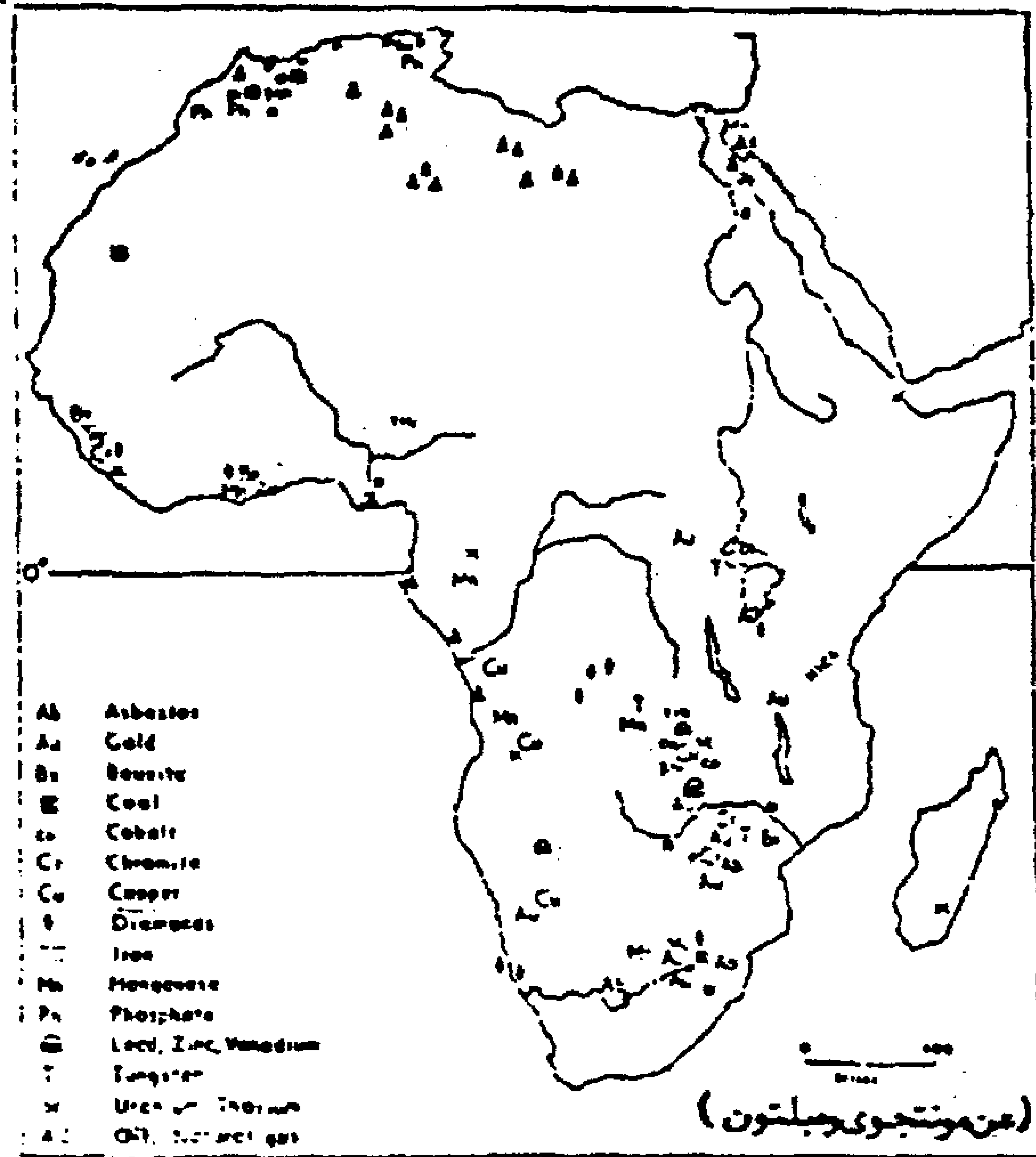
وأخيرا هناك الأساليب والنظم الحديثة (الميكانيكية والكهربائية والأليكترونية والكمبيوترية... إلخ) التى يجب أن تتغلغل- ولكن بحكمة- فى كافة مجالات الأنشطة الاقتصادية ومعيار الحكمة المطلوبة هنا هو مدى فاعلية إدخال هذه النظم على الأنتاج من واقع ميزانية التكلفة، إذ ليس هناك من داع لأن يكون فى دولة نامية جهاز كمبيوتر بتجهيزاتها كاملة، منها أكثر من نصفها من أحدث الطرز وكلها تعمل بكفاءة اقل من ٤٠%!، لذلك كان ترشيد إستخدام أساليب النظم العلمية الحديثة فى العملية الانتاجية مطلب اقتصادى وقومى وسياسى ووطنى وأخلاقى.

ويبدو أنه ليس أمام أفريقيا والإفريقيين إلا العمل بالمنهج اليابانى فى التنمية، وهو الذى مكنها من تحقيق معجزتين فى قرن واحد، وكان هذا من

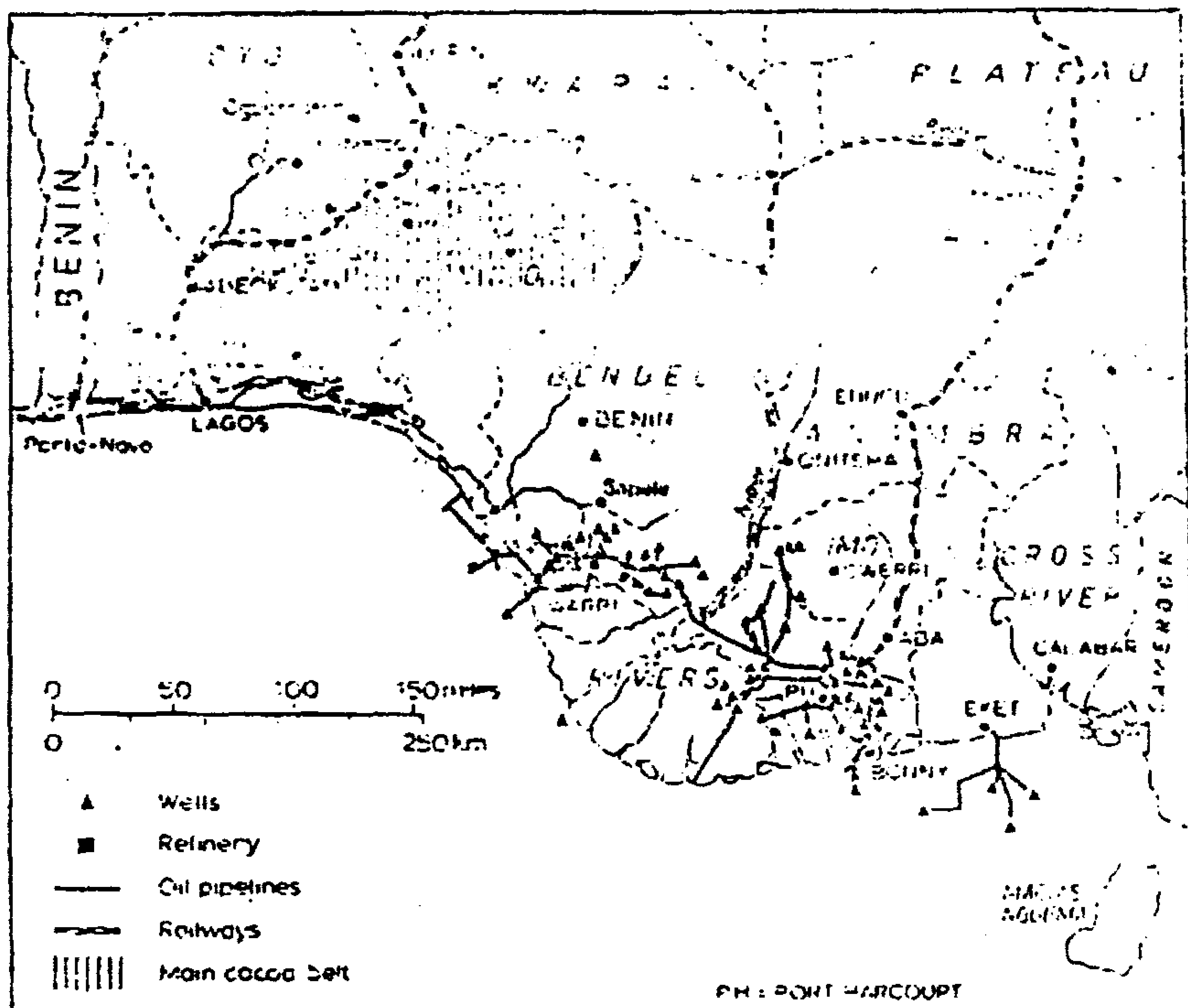
الأحداث العظام الايجابية التى شهدها القرن العشرين، أقول أن هذا لم يتحقق لها إلا بتحقيق منهج بسيط للغاية، وهو معيشة شعبية فى مستوى شرقى مع إنتاج قومى فى مستوى غربى وهذا ببساطة هو الذى يخلق الفائض الكبير المتقن للتصدير، فكيف يحدث هذا؟ يحدث بخلق الانتماء فى نفوس الشباب.وخلق القدوة الصالحة أمامهم وتشجيعهم على حب الوطن الذى هو فوق كل حب مادى آخر.

وأعتقد أن هذا لن يتم إلا بأن تكون قيادات الحكم وكافة الرياسات على مستوى المسئولية الأخلاقية والوطنية.

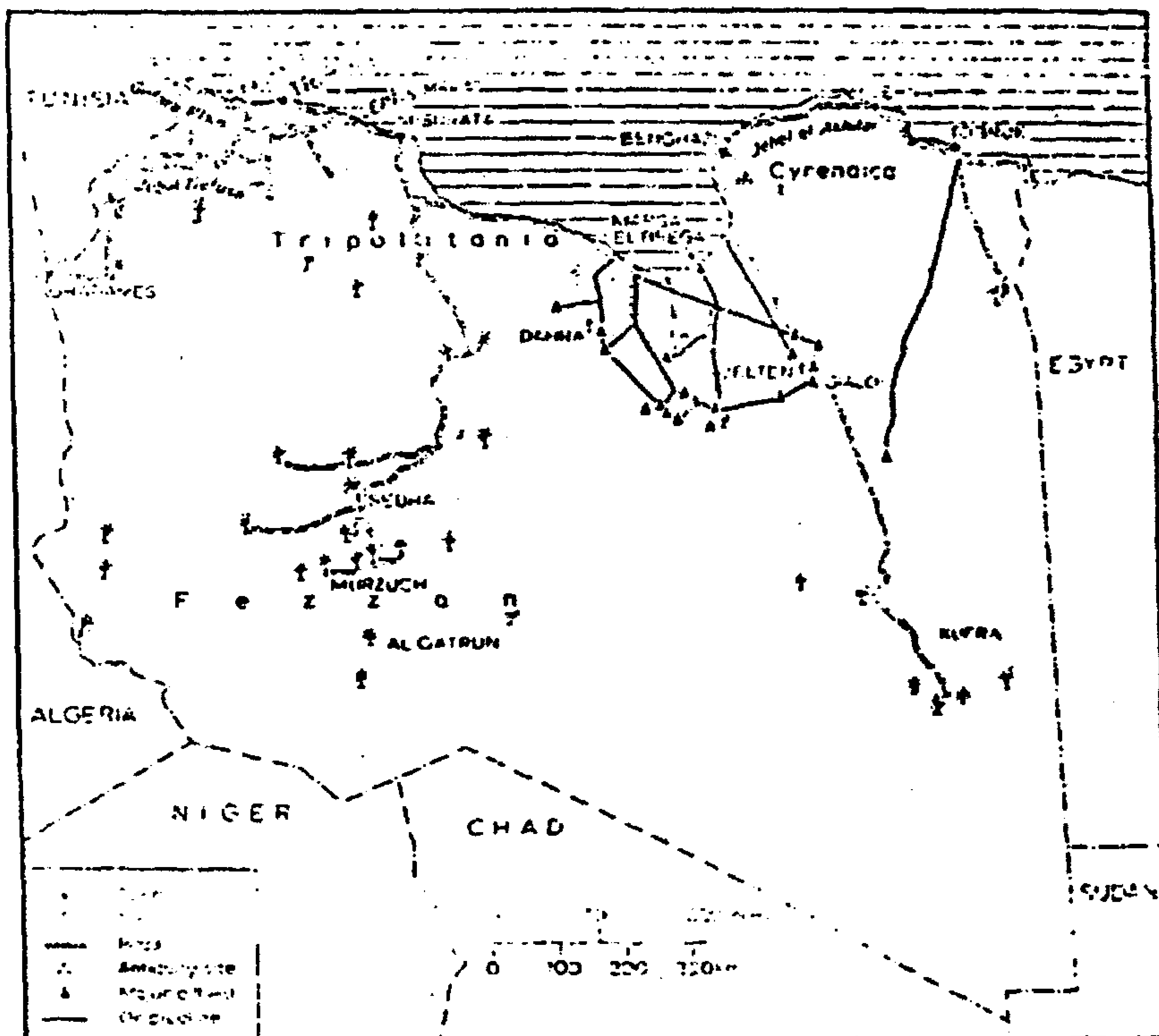
خرائط وأشكال ولوحات
الفصل السابع



Map1/7- Mining in Africa in the early 1960's

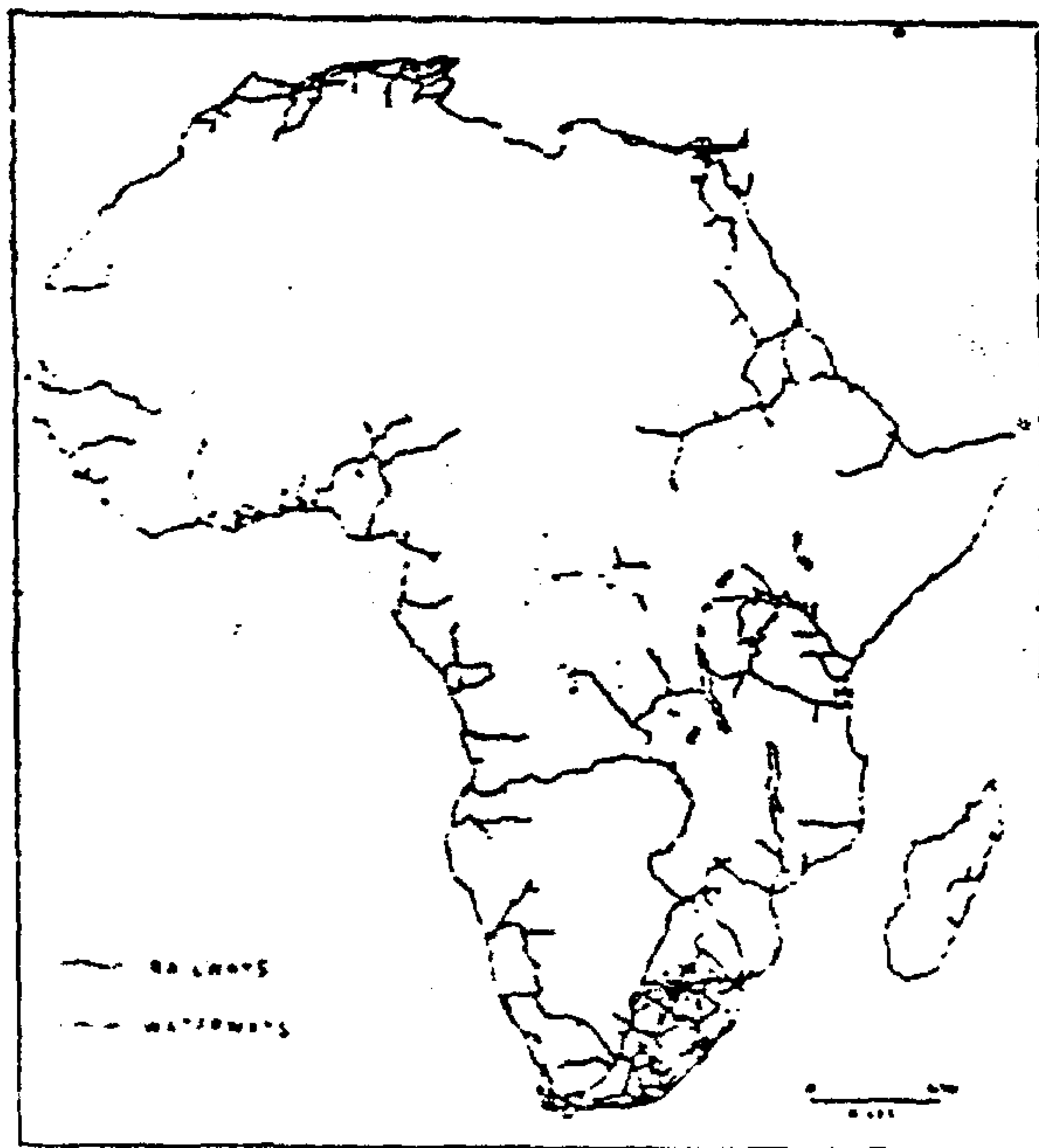


Map2/7- oil mells and pipelinesin southern nigeria



Map3/7- The mifields and pipelines of Libeya

Map 4/7

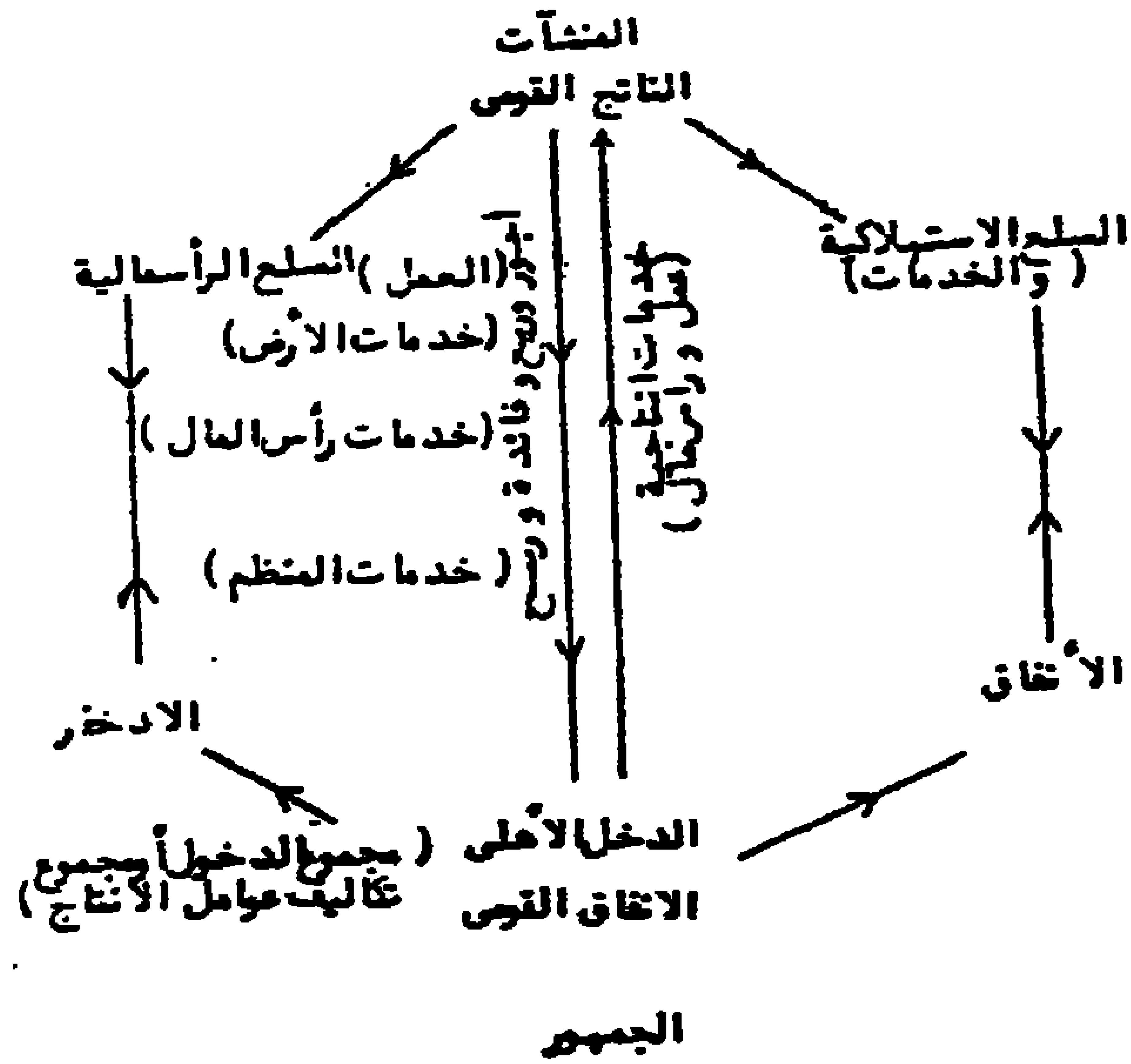


Map 5/7-Railway and navigate waterways in Africa



(عن دى وليجى)

لوحة ٧/١- معاناة الإفريقى المريرة فى تحركاته اليومية



الجمهور

١ ـ الأسهم الرأسية تعبر عن كسب الدخل .

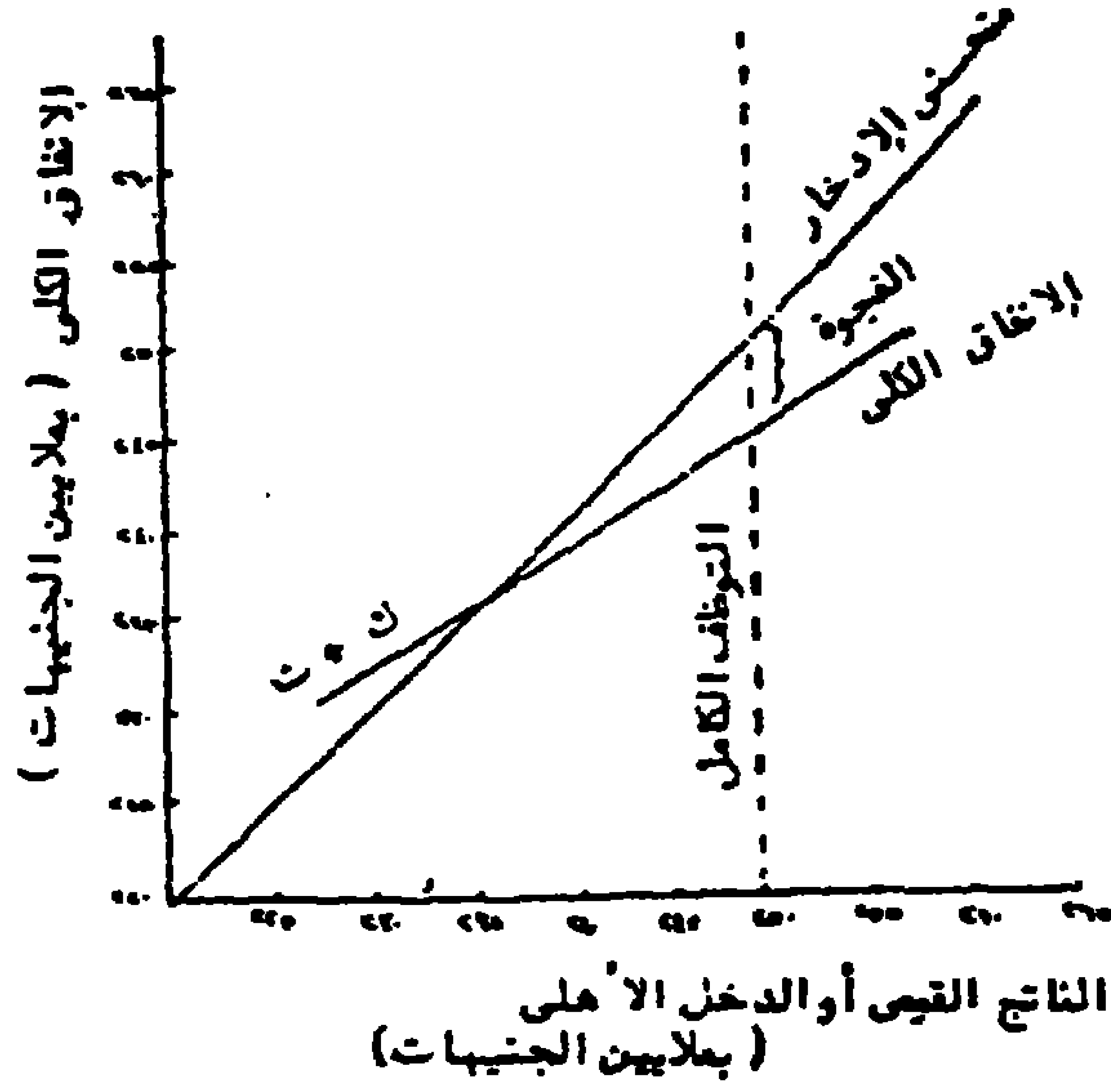
٢ ـ الأسهم الجانبية تعبر عن أنفاق الدخل .

(عن صلاح نامق وحسين عمر)

شكل ٧/١ ـ الدخل القومى ، من وجهه نظر كسب الدخل ، وانفاق الدخل

١ـ الناتج القومى = الاجور + الارباح = الدخل الاهلى

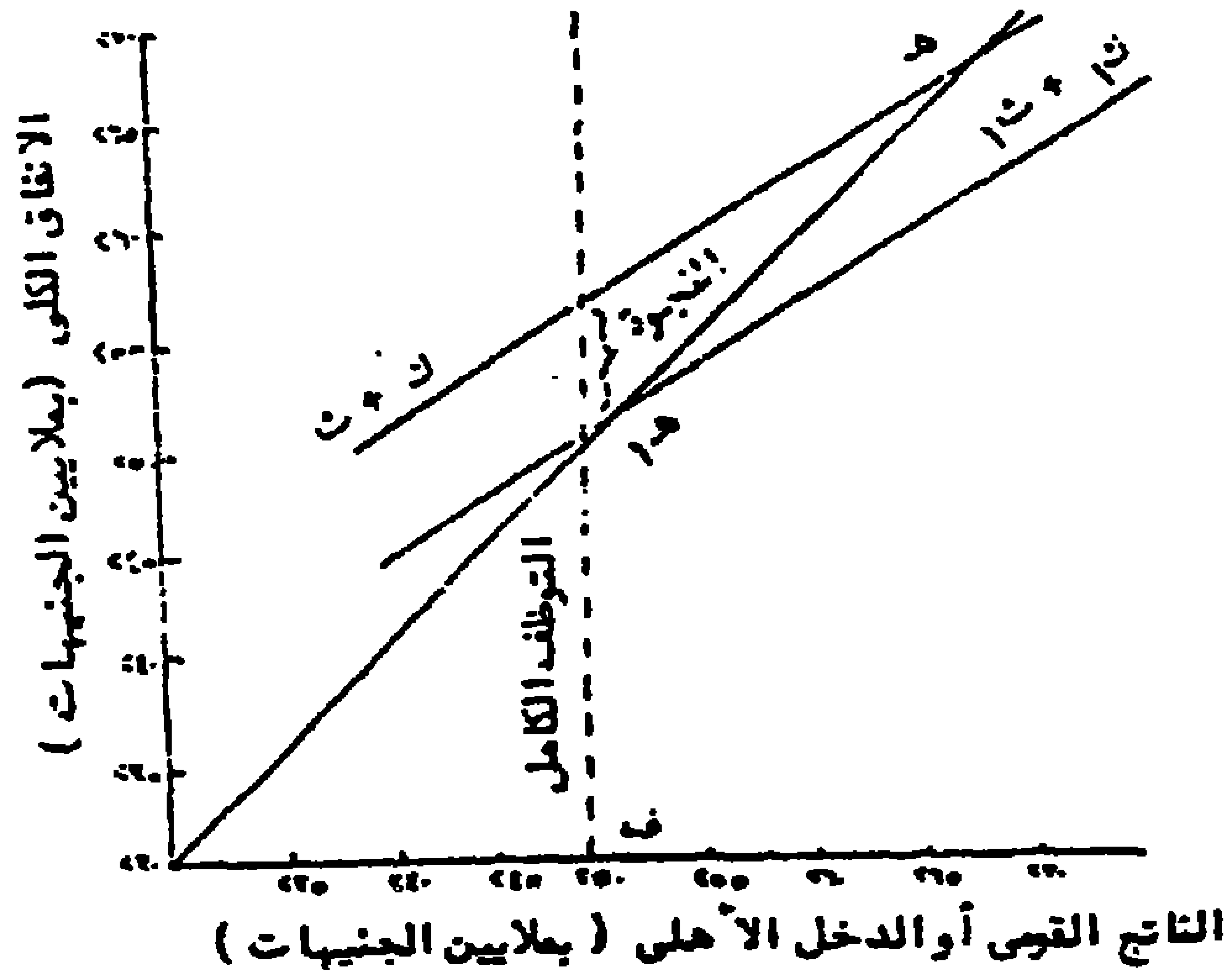
٢ـ الدخل الأهلى = الاستهلاك + الادخار = (سلع+ خدمات) + صافى الاستثمار = الناتج القومى



(عن صلاح نامق وحسين عمر)

شكل ٧/٢ـ الفجوة الانكماشية

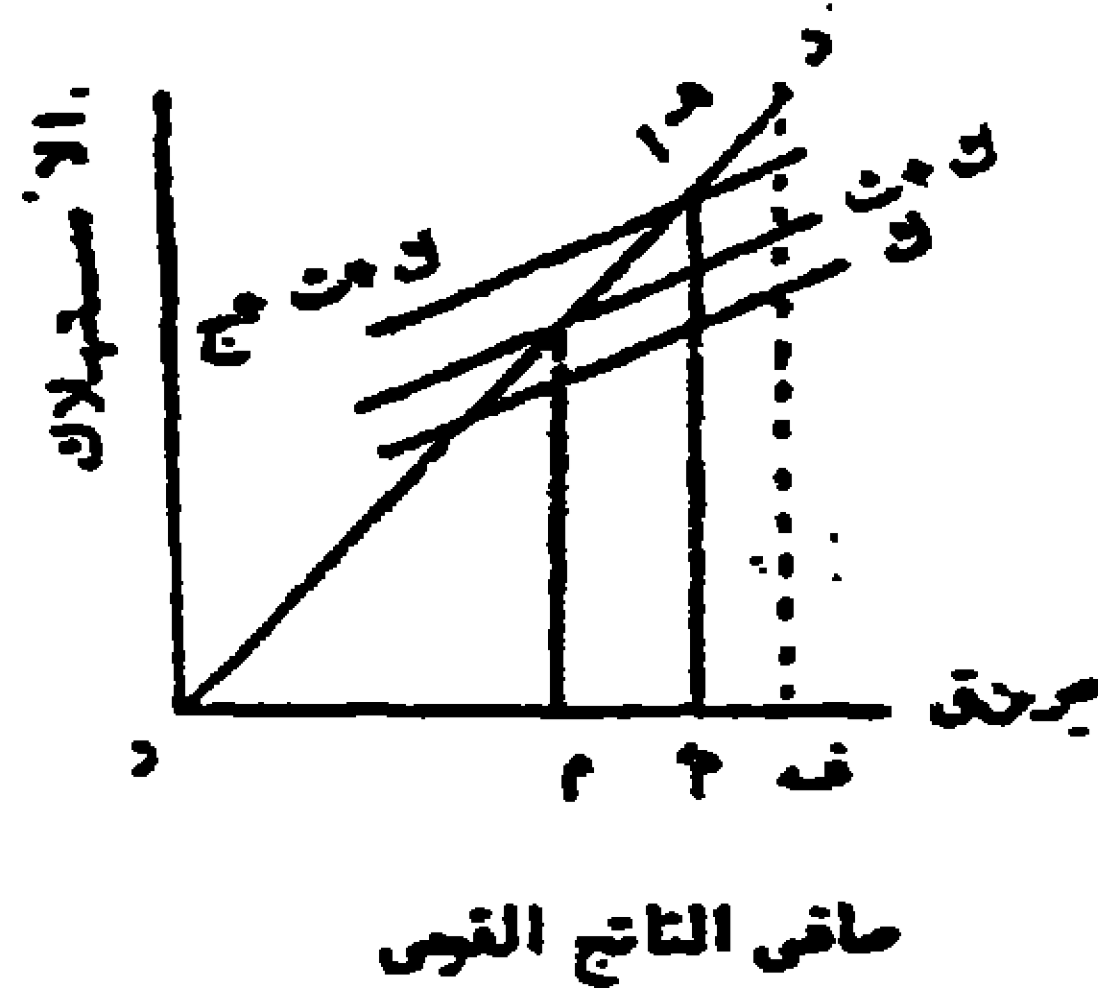
الفجوة الإنكماشية = المسافة الرأسية بين منحنى الإدخار ومنحنى الاستثمار عند مستوى الدخل فى ظل التوظف الكامل



(عن صلاح نامق وحسن عمر)

شكل ٧/٣- الفجوة التضخمية

تلجأ الحكومات لعلاج الفجوة التضخمية إلى زيادة الضرائب، وذلك للمحافظة على مستوى الأسعار والحيلولة دون ميله لى الارتفاع، وبذلك تزول الفجوة التضخمية من النظام الاقتصادى، إذ يهبط الطلب على الاستهلاك أو الاستثمار من وضعه الأعلى ك + ث إلى وضعه الجديد ك ١ + ث١، حيث تصبح النقطة هـ١ هى نقطة التوازن الجديد التى تتم عن مستوى التوظف الكامل لعناصر الإنتاج.



(عن صلاح نامق وحسين عمر)

شكل ٧/٤ ــ أساليب العلاج الحكومى للمشكلة الاقتصادية

ك + ث + ج = الإنفاق الكلى عند كل مستوى من صافى الناتج القومى
(إستهلاك وإستثمار وإنفاق حكومى)

هـ١ = مستوى التوازن للناتج القومى
د د = مستوى الدخل
ك ث = الاستهلاك والاستثمار
ك = الاستهلاك

صافى الناتج القومى = الانفاق على الاستهلاك + صافى الاستثمار الخاص
+ الانفاق الحكومى على السلع والخدمات

أى ص ن هـ = ك + ث + ح

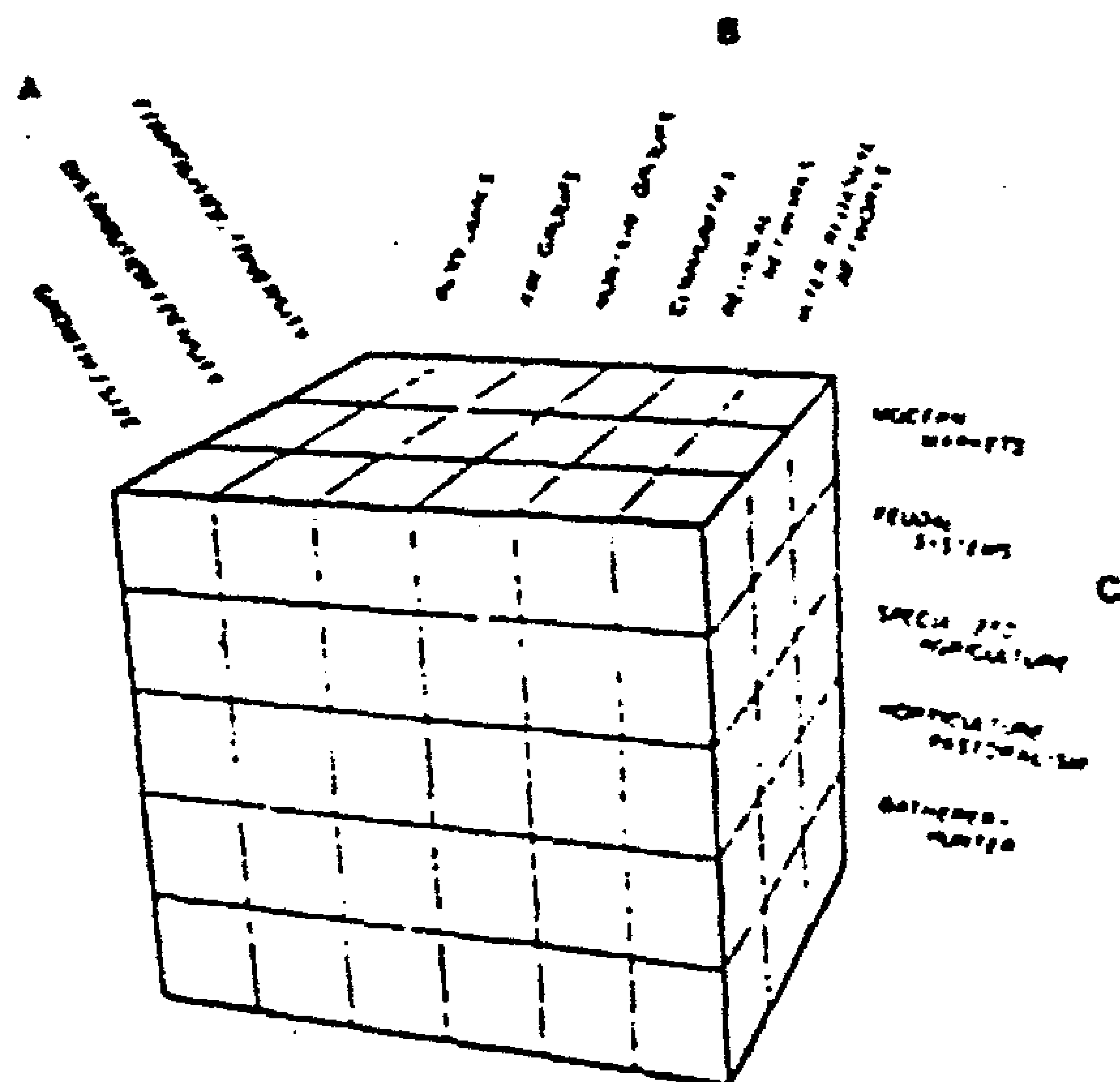
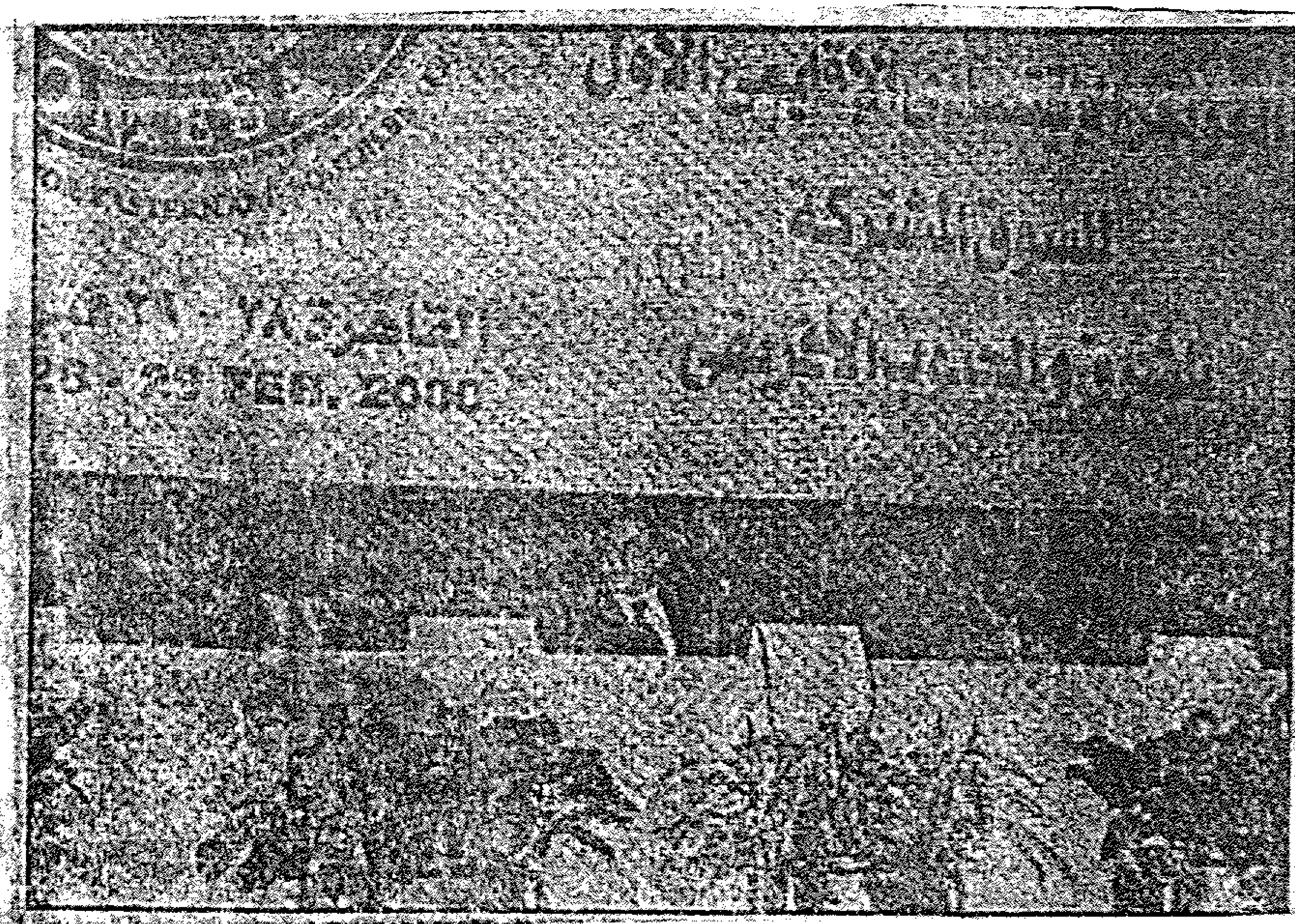
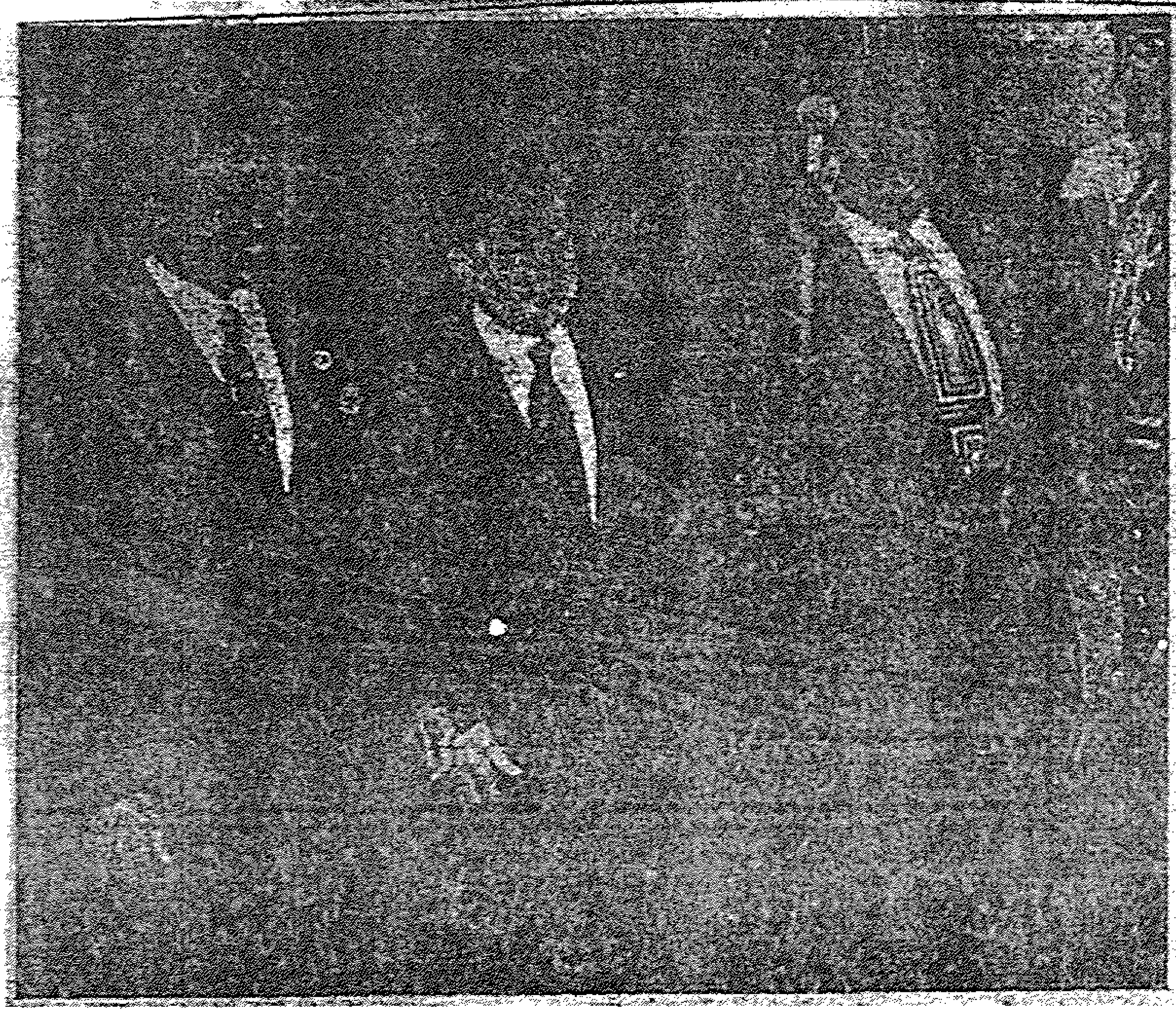


Fig 5/7



لوحدة ٧/٢- قادة إفريقيا يتابعون أعمال مؤتمر الكوميسا بالقاهرة (فبراير ألفين)



لوحة ٧/٣- الرئيس مبارك يصطحب الرئيس الكينى آراب موى وملك سوازيلاند مسواتى الثالث فى الطريق إلى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الكوميسا

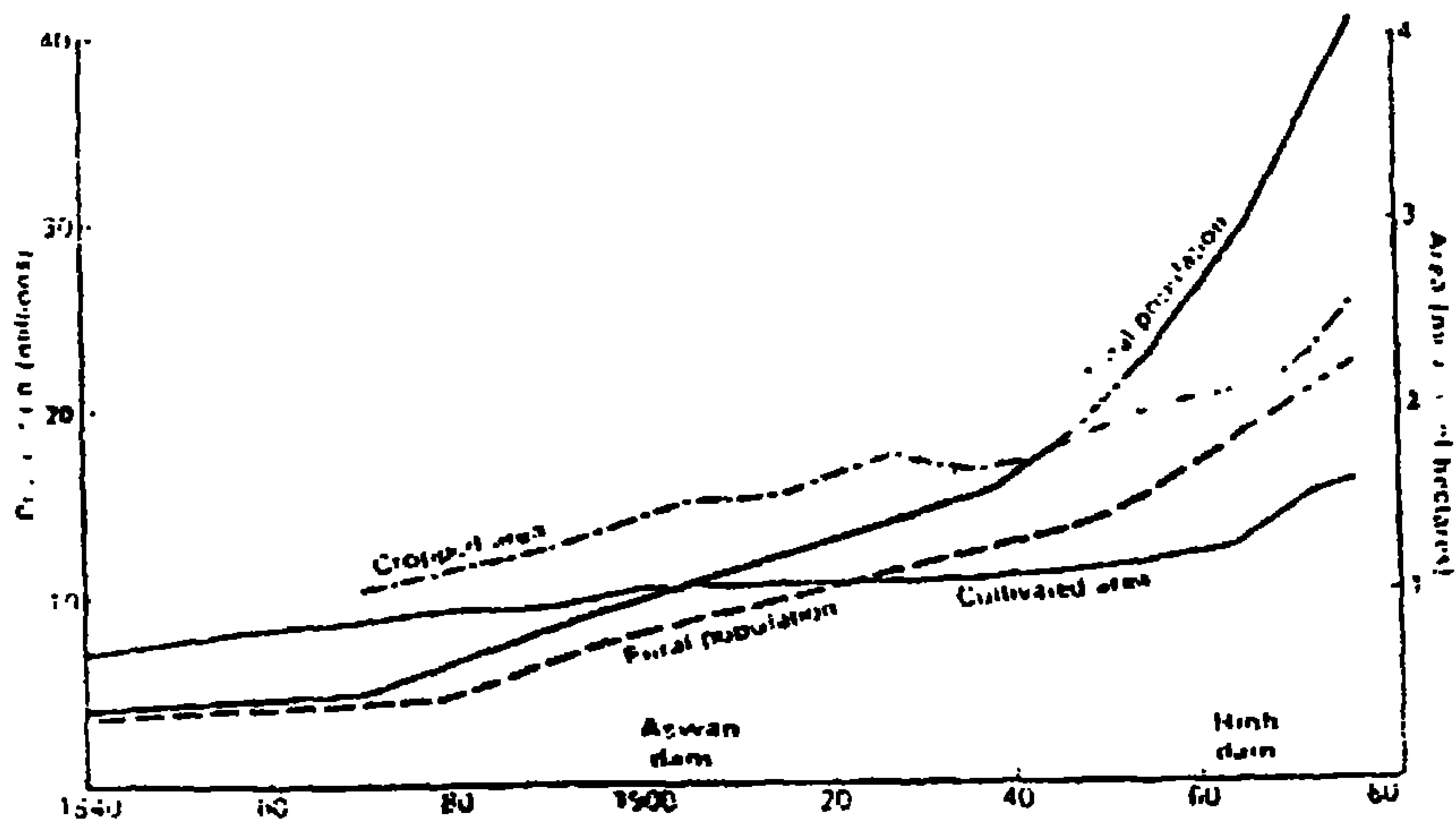


Fig 6/7

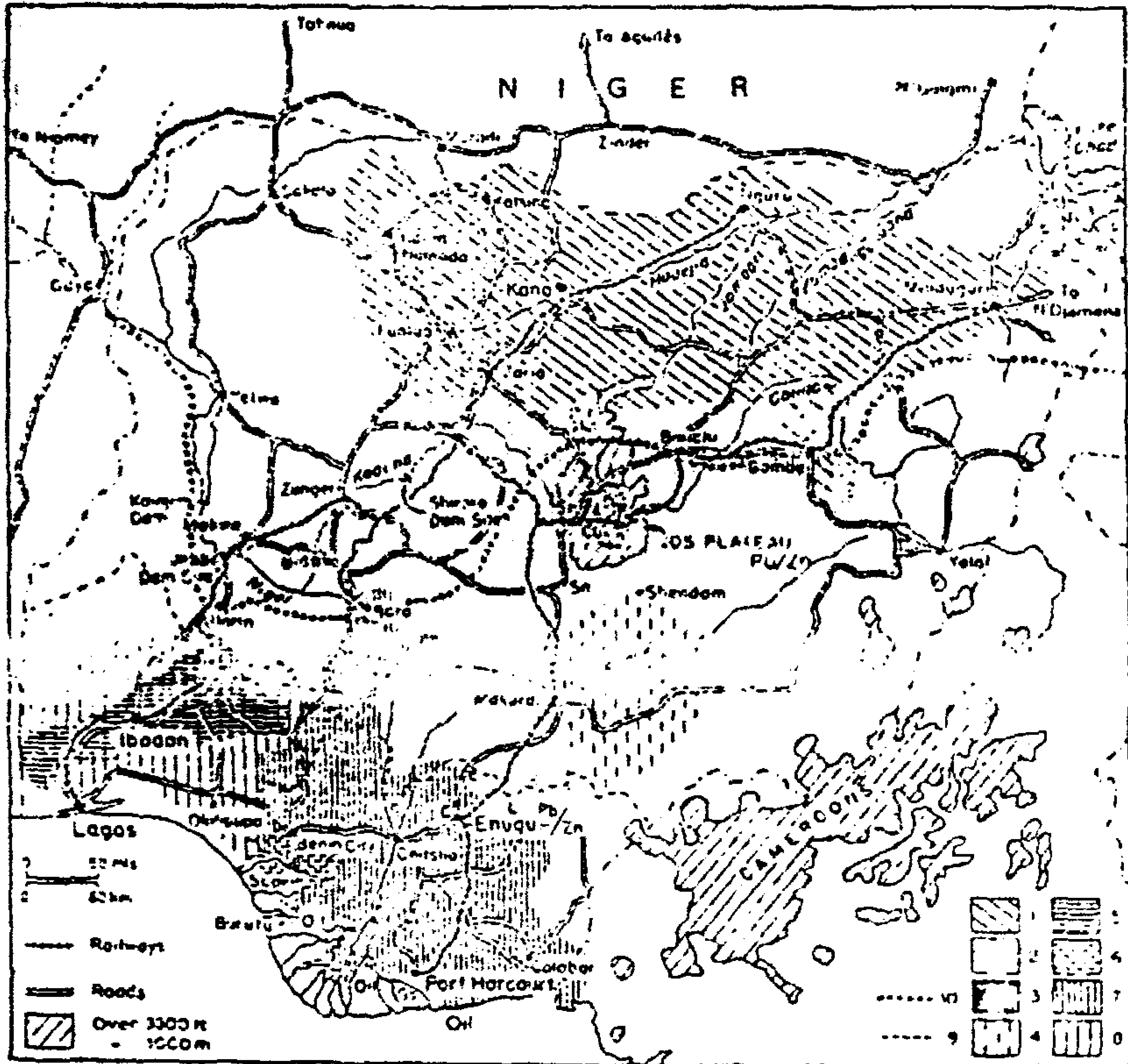
خريطة ٧/٦

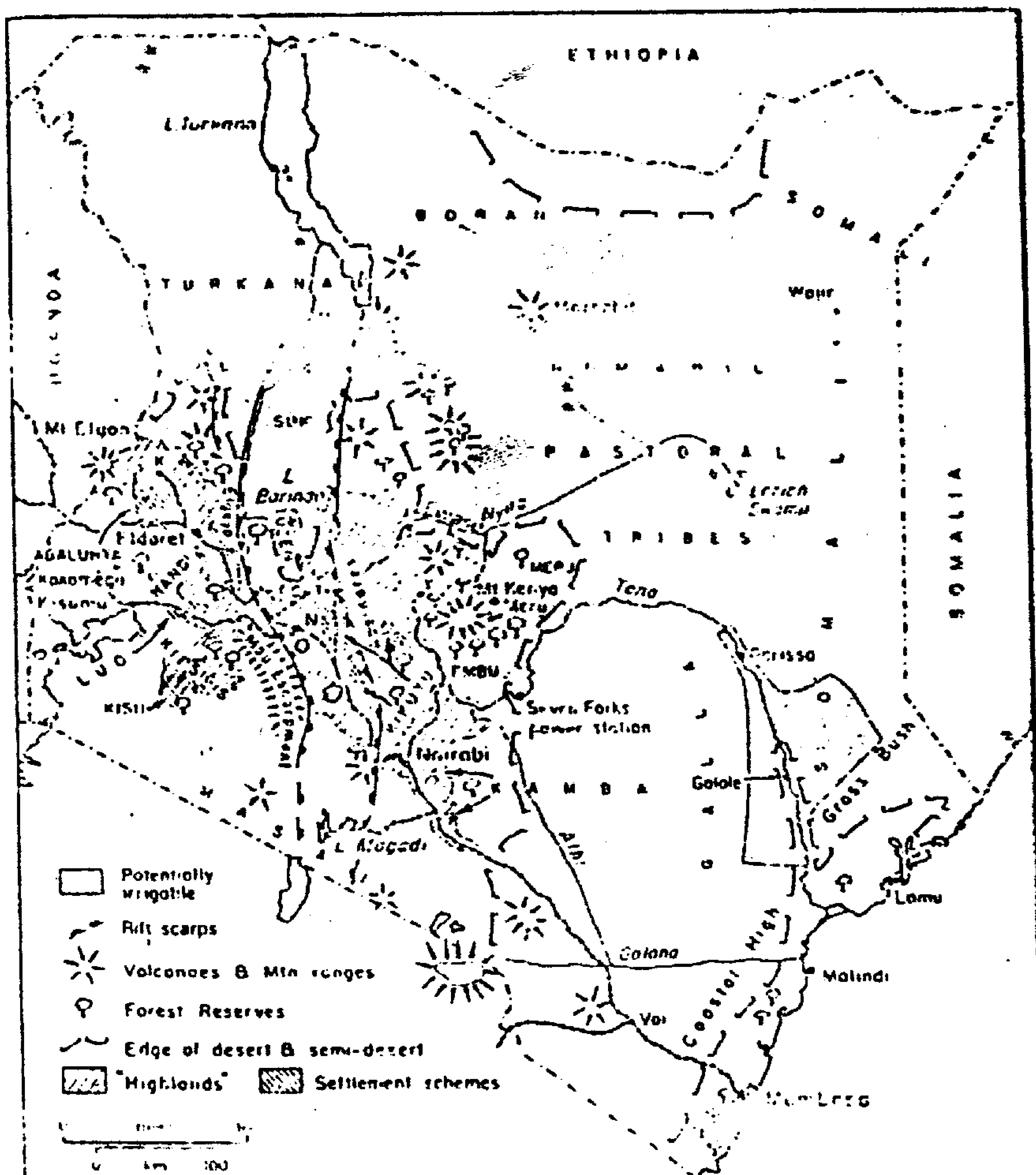
(عن الأهرام)



Map. 7/7 West Equatorial Africa. Ag—silver, Au—gold, Bx—bauxite, Co—cobalt, Cu—copper, D—diamonds, Fe—iron, K—potash, Mn—manganese, O—oil, P—phosphates, Pb—lead, Sn—tin, Ur—uranium, Zn—zinc.

Map. 9/7— Nigeria: [illegible] [illegible] mineral [illegible]
cocoa, 6—rubber, 7—palm-oil, 8—palm kernels, 9—regional frontiers before 1967, 10—southern limit of predominantly Muslim region; Muslims are also in a majority within about 100 km of Ibadan. (The area between 10 and the northern boundary of 9 is sometimes called the middle belt) C—coal, Cb—columbite, Fe—iron, G—natural gas, L—limestone, Pb/Zn—lead zinc, Sn—tin.





Map 9/7 — Kenya. The south-west is the productive part of the country, most of the rest is desert or semi-desert. On the highlands, farms formerly owned by Europeans have been largely taken over by Africans. People from many different tribes are being permitted to move into particular areas set aside for them under settlement schemes. The arrows indicate the direction in which different tribes have been able to expand. N—Nakuru, with the lake of that name and Lake Naivasha to the south; K—Kitale, S—Solai, TF—Thomson's Falls, Y—Nanyuki. Seven Forks is the site of a power station on the Tana river which provides much of Kenya's electricity needs.



107—*Tanzania. The productive areas are distributed round the periphery of the country. Au—gold, C—coal, D—diamonds, Fe—iron, Ls—limestone, Na—salt, P—phosphates, Pb—lead.*

حواشي الفصل السابع

(١) محمد رياض، وكوثر عبد الرسول: الأقتصاد الافريقي، مصدر سابق، ص٣٣٩.

(2) UN.: Statistical Yearbook 1978,New York,UN,1979,p188.

(3) Kamarack, Andrew M.: The economics of African development, Rev, ed. New York, Praeger puble,1971, p94.

(٤) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: الأقتصاد الأفريقي، مصدر سابق، ص٣٣٧.

(5) Kamarch, A. M.: op.cit.,p.179.

(6) Boyd, Andrew; van Rensburg, Patrick; An Atlas of American Affairs, London, Methuen Co.1962,p111.

(٧) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: الأقتصاد الأفريقي، مصدر سابق، ص٣٣٦

(٨) مجلة المستقبل، باريس، س، ع، ٢٩ مارس ١٩٨٠، ص٤٣.

(٩) الأهرام، السبت ٢٦ من نوفمبر ٢٠٠٥، ص ١٧.

(10) U N.: Statistical yearbook 1978,Newyork, U.N, 1979.p188.

(11) Pexton, J.(ed.): The Statesman's Yearbooks 1980:1981. London, The Macmillan Press, 1980, p. xxii.

(12) Gallaway, Barbara: " The political economy of Nigeria. "In: New York, John Wiley, 1975, p.95-135.

(13) Chi-Bonnardel, R.V.: The atlas of Africa, p55-57.

(14) Ady, p.H.: op.cit.,p48.

(١٥) ندوة عن الكهرباء فى مصر (الأهرام، الأربعاء ١٦ من مايو ٢٠٠٧، ص ٣١).

(١٦) يقال أن التكلفة توليد ك و/ ساعة من الكهرباء ٥٠ مليما إذا كان المصدر مازوتا و٣٥ مليما إذا كان المصدر مسقط مائى و٢٢ مليما إذا كان المصدر الطاقة النووية، وأقل مليمات إذا كان من الطاقة الشمسية أو مصادر الطاقة الطبيعية الأخرى.

(17) Kenneth,F,W.: The Search for tomorrow's power's, National Geogr., Vol,142,No5Nov,1972,p650-681.

(18) Wolstenholme,G and Oconnor, M,(eds): Man and Africa London, J.& A. Churchill,1965,p299-328.

(19) Ady,p,H.: op,cit,p40.

(20) Oxfor Regional Economic Atlas, p.42-43.

(21) Ibid,p45-46

(22) Neumark,S.D.: "Transportation in sub- saharan Africa" In: Konczacki, Z.A and J.M(eds): Aneconomic history of tropical Africa vol.11,London, Frank,cass,1977,p39-50.

(٢٣) محمد عبد الغنى سعودى: النقل فى أفريقيا المدارية، سمات ومشكلات. المجلة الجغرافية العربية، ع٣، ١٩٧٠،ص١١-١٥٢.

(٢٤) محمد سيد نصر: جغرافية النقل، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩، ص٤٧.

(25) Chi-Booardel, R.V.: op.cit ., p68-70.

(٢٦) وهو معامل طول السكة الحديد إلى الفرد الواحد من السكان منسبًا إلى كثافة السكان ويحسب طبقًا للمعادلة التالية = $\frac{B/P}{d}$، حيث أن :R= طول السكة الحديد بالكيلو متر و P= عدد السكان، d = تباين السكان، وحيث أن $d = \frac{A}{P} - \frac{I}{D}$

(27) Ginburge, Norton: Atlas of economic development,Chicago. Univ.of Chicago Press,1961, p64.

(28) Ady,P.H.: Africa,op.cit. p50.

(29) U.N.: Monthy Bulletion of Statistics, jan.1960,p, viii.

(30) Chi-Bonnardel,r.v.:op.cit.,p.68-70.

(31) Loc,cit.

(32) Church, H.R.J.: West Africa.6th.ed.London,Longmans, 1968, p213.

(33) Hailey,Lord: An African Survey Revised 1956, London, oxfored Univ, press,1958,p1540.

(٣٤) فاروق كامل محمد عز الدين: ميناء القاهرة الجوى، دراسة فى جغرافية النقل والمواصلات (رسالة ماجستير غير منشورة)جامعة القاهة ١٩٧٠، ص٢١٤.

(٣٥) محمود عزت عبد الحميد: اقتصاديات تشغيل النقل الجوى العربى، القاهرة، د.ن ، ١٩٧٤، ص٢٣٤.

(36) Appel, Fredric: The coming reolution in transportation vol,136,No,3 sept,1969,p301-341.

(٣٧) الأهرام: الأحد ٣ من نوفمبر ٢٠٠٢، ص ٣٥.

(٣٨) صلاح نامق وحسين عمر: أسس علم الاقتصاد، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤، ص٢

(٣٩) يأخذ مفهوم النقود أكثر من صورة.

(٤٠) مصطفى رشدى : النظرية النقدية؛ من خلال التحليل الاقتصادى الكلى، الاسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٦،ص٨٨

(٤١) عناصر الانتاج هى: الموارد الطبيعية(الأرض)، والأيدى العاملة، ورأسمال، والتنظيم هناك عدة أنواع للسلع والخدمات منها : السلع والخدمات الحرة(كالهواء والشمس)، والاستهلاكية (كالطعام والكساء)، والمتنافسة (كالشاى والقهوة أو المسلى الطبيعى والصناعى)، والمتكاملة (كالشاى أو السكر والبنزين أو كالسيارة)، والضرورية والكمالية (وأسس تحديدها غالبا نسبية)، (مصطفى كامل السعيد إبراهيم: مبادىء الاقتصاد ، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٩، ص٥٣-٥٨)

(٤٢) إما عن طريق قياس أسعار السلع الاستهلاكية الأساسية أو عن طريق ميزانية أسرة متوسطة العدد والمستوى.

(٤٣) عدلى رجب: الأقتصاد السياسى: بيروت دار العلم للملايين، ١٩٧٣، ص٤٢٤.
عبد المنعم راضى: اقتصاديات النقود والبنوك، القاهرة ، مكتبة عين شمس، ١٩٧١، ص١٦-١٨.

(44) U.N.: Statistical. Yearbook 1978. NewYork, U.N., 1979, p.757-758.

(٤٥) المبيعات هى المشتريات، لأن كل عملية بيع من وجهة نظر البائع هى عملية شراء من وجهة نظر المشترى.

(٤٦) صلاح الدين نامق، وحسين عمر، أسس علم الأقتصاد، ص١٧٣.

(٤٧) مصطفى كامل السعيد إبراهيم: مصدر سابق، ص ١٧.

(٤٨) حسن فؤاد: عبد الشكور شعلان الفلاح الفصيح. الأهرام ١٧ مايو ١٩٩١، ص ٤.

(49) Hamilton,F. E. Lan :The Planned economices, London, Mscmillan, 1979, p.9.

(50) The World Bank: 2005 World Development Indicatons.

(51) Crone,G,R.: Back ground to geography. London, Museum, Press Lit, 1964 ,p. 186.

(٥٢) والذى اقترح أن يؤلف من المتخصصين الآتيين من أهالى المنطقة: طبيب وزراعى ومهندس واجتماعى وجغرافى ورجل دين وضابط شرطة وأخيرا الأنثربولوجى؛ وعلى أن تتصاعد مستويات هذه المجالس حتى مستوى الدولة بحيث يكون للمستوى الأدنى التنفيذ وللمستوى الأعلى التخطيط والرقابة الفعلية وليحاسب الجميع الشعب المختار طبقا "للماجناكارتا" الوطنية الشعبية.

(53) Ady, P.H.: op.cit., p.13.

(54) Leighly,J(ed): Land and Life.Berkeley, Univ,of California, Press, 1963, p334.

ببلوجرافية الفصل السابع

(1) Fitzgerald, W.: Africa; a social and political geography of its major regions. 8th. rav.ed. London, Methuen, 1955.

(2) Hance, W.A.: African economic development. London, Oxford Umiv. Press, 1958.

(3) Hoyle, B.S.(ed.): Transport and development. London, Macmillan, 1973.

(4) James, Preston E.: A geography of Man. 3rd. ed. Walthan Mass., Blaisdell Pub. Co., 1966.

(5) Kaldor, Nicholas: Essays on economics Policy. New York, Norton, 1965.

(6) Kamarck, Andrew M.: The economics of African development. Rev.ed. New York, Praeger Publ, 1971.

(7) Leontief Wessiby W.: The future of the World economy; a united nations study. New York, Ocford, Oxford Univ. Press, 1977.

(8) McKinnon, Roneld I.: Money end ceoital in economic development. W shington, Brookings, Institution, 1973.

(9) Sillery, W.: Africa; a social geography. London, G. Duckworth, 1961.

الفصل الثامن

الأحوال السياسية

الأحوال السياسية

لكى تتضح صورة الأحوال السياسية يجب أن نبدأ بدراسة تاريخ التطور السياسى ثم نتبع ذلك دراسة عن باقى الأوضاع السياسية للقارة.

تاريخ التطور السياسى لدول القارة وبعض مشكلاتها:

كانت القبائل الأفريقية منذ مائة سنة تقريبا، تحيا متنقلة داخل أوطانها (ممالكها) دون ما حذر على حركتها، إذ لم تكن الفواصل التى تحملها الحدود السياسية قد ظهرت بعد فى حياتهم، ولكنها بعد ذلك ظهرت (مؤتمر برلين ١٨٨٤/٨٣) عندما تكالب المستعمرون على القصعة الأفريقية يقسمونها، وكان لهذا، الأثر الكبير من الناحية الأنثروبولوجية، على مختلف الشعوب الأفريقية التى بدأت تشعر، وتدرك معنى الحذر والقيد على حركتها، وعلى استعمالها للمصادر الطبيعية المتاحة، وكان هذا سببا فى ظهور الحركات التحررية الوطنية بعد ذلك.

مرحلة الاستعمار الساحلى:

ولقد مر الاستعمار الأوروبى فى أفريقيا بثلاث مراحل هى: المرحلة الساحلية، ومرحلة التوغل للداخل، ومرحلة الاستيطان. والملاحظ أنه فى المرحلة الساحلية (خريطة ٨/١) كان الاستعمار مركزا على الجزر والمناطق الساحلية الواقعة على طول طريق التجارة للشرق، والغريب أن أفريقيا شهدت فى هذه المرحلة سيطرة جميع الدول والقوى الكبرى التى كانت معروفة فى ذلك الوقت، رغم أن معظم مناطق القارة الداخلية كانت تحت سيطرة القوى الوطنية، وكان هذا مدعاة إلى قول حمدان بان الحضارات الأفريقية تتميز بكونها ذات تصريف داخلى[١].

وقد كان مؤتمر برلين بداية الباب لدخول الاستعمار الأوروبى للتوغل نحو الداخل حيث نجد بلجيكا وفرنسا والبرتغال تسارع إلى فرض سيطرتها على مناطق داخلية جديدة[٢](خريطة ٨/٢) كانت هى أيضًا مفاتيح الاستعمار التى فتح بها مغاليق القارة إذ خلال عشرة أعوام أخرى – بعد ذلك - تم سيطرة المستعمر على القارة الأفريقية كلها تقريبا (خريطة ٨/٣).

وخلال العقدين التاليين تم تكوين اتحاد جنوب افريقيا من مقاطعة الكيب والأورانج والترانسفال وناتال، بعد صراع مرير كان من بينه حرب البوير (١٨٩٩-١٩٠٢)، كما استقر الحكم الثنائى المصرى البريطانى فى سودان وادى النيل(باتفاقية ١٨٩٩)، وما كادت تبدأ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) حتى كانت كل أفريقيا مقسمة بين الدول الأوربية فيما عدا أثيوبيا وليبريا (خريطة ٨/٤).

ولم يتغير الوضع كثيرًا بعد الحرب العالمية الأولى، إلا من خلال انتقال تبعية بعض المناطق من دولة أوربية إلى أخرى، خاصة تلك التى كانت تابعة لألمانيا التى هزمت فى هذه الحرب، حيث تبعت تنجانيقا لبريطانيا[٣]، كما قسمت الكاميرون بين بريطانيا وفرنسا، وغيرهما (خريطة ٨/٥) مثل توجو التى قسمت أيضًا بين فرنسا وبريطانيا، وجنوب غرب أفريقيا التى تبعت إلى اتحاد جنوب أفريقيا[٤]، فكان فى هذا تحقيقًا لمصلحة أكيدة لهما خاصة بريطانيا التى أصبحت مناطق نفوذها متصلة بطول القارة من الإسكندرية إلى الكيب، مما حقق لها إمبراطورية داخلية ومنافذ بحرية[٥] تغطى معظم أرجاء وأركان القارة الأفريقية.

مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها:

وقد شهدت فترة بداية الحرب العالمية الثانية (٣٩-١٩٤٧) تزايدا لنفوذ إيطاليا فى شرق أفريقيا(خريطة ٨/٦) ولكن مع نهاية هذه الحرب تزايدت الدول المستقلة فى القارة فبعد أن كانت أربع دول فقط هى: مصر، وليبريا، وأثيوبيا، وجنوب أفريقيا(خريطة ٨/٧) أخذت تتزايد أعدادها حتى وصلت مع نهاية عام ١٩٦٠ إلى ٢٧ دولة[٦].

ولقد تأكد استقلال بعض الدول فى سنوات لاحقة مباشرة على عام ١٩٦٠ مثل ما حدث مع جنوب أفريقيا التى أصبحت جمهورية عام ١٩٦١، كما استقلت كل من سيراليون (١٩٦١) وتنجانيقا (١٩٦١) وأوغندا (١٩٦٢) والجزائر (١٩٦٢) وكل من كينيا وزنجبار ومالاوى عام ١٩٦٣.

والحقيقة أن فترة الستينات التى أطلق عليها البعض سنوات الحسم؛ كانت فترة استقلال معظم الدول التى كانت واقعة تحت النفوذ الاستعمارى فى أفريقيا، بل إن عام ستين بالتحديد شهد أكبر حركة استقلال دولى فى تاريخ الانسان فى العالم كله(جدول ٨/١).

جدول ٨/١- مقارنة تاريخ استقلال الدول الأفريقية منسوبة إلى عام ١٩٦٠(مرتبة أبجديا):

دول كانت مستقلة قبل عام ١٩٤٥	دول استقلت ما بين ١٩٥٠-١٩٥٩	دول استقلت عام ١٩٦٠	دول استقلت ما بين ٦١-١٩٧٠	دول استقلت بعد عام ١٩٧٠
إثيوبيا	تونس	افريقيا الوسطى	أوغندا	جزر الرأس الأخضر
جنوب أفريقيا	السودان	بنين(داهومى)	بوتسوانا	جزر القمر
ليبريا	ليبيا	تشاد- توجو	تنجانيقا	جيبوتى
مصر	غانا	جابون- جامبيا	الجزائر	زمبابوى
	غينيا	ساحل العاج-	سوازى	موزمبيق
	المغرب	السنغال	سيراليون	
		الصومال- زائير	زامبيا- زنجبار	
		فولتا العليا	كينيا- ليسوتو	
		كاميرون	غينيا الاستوائية	
		كونجو- مالى	مالاوى	
		مالاجشى		
		موريتانيا		
		النيجر- نيجيريا		

أفريقيا المستقلة:

الحق أقول، أن تاريخ التطور السياسى الذى شهدته الوحدات السياسية الأفريقية كان حافلا بالحركات الوطنية النابعة من الشعور بالقومية، لوحظ ذلك منذ دخول الاستعمار ورجاله إلى القارة. وتزايد بعد ذلك مع حركة تصعيد استنزاف خبرات البلاد والعباد منذ قيام الحرب العالمية الأولى فالثانية (خريطة ٨/٨)، وربما أخذت هذه الحركات أحيانا صورة الانقلابات العسكرية (٧)، التى لم تكن معظمها بعيدة عن أيدى عملاء مخابرات بعض الدول الأجنبية.

هذا- ويبدو أن القيمة الحالية لدول أفريقيا قد تحددت حول عام ١٩٧٥(خريطة ٨/٩) من حيث الاستقلال وعدد السكان، وعلاقاتها بالقوى العالمية الكبرى، خاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وما تلتها من أحداث وانعكاسات فى العالم عامة، وفى الشرق الأوسط والقارة الأفريقية بوجه خاص.

والملاحظ أنه وإن كانت معظم الوحدات السياسية فى أفريقيا حاليا مستقلة، إلا أنها فى وقاع الأمر مرتبطة بصورة أو بأخرى، بإحدى القوى الكبرى، خاصة تلك التى كانت تفرض سيطرتها عليها أثناء فترة الاستعمار، يلاحظ ذلك بوضوح إذا تتبعنا توزيع دول الكومنولث فى العالم (جدول ٨/٢)، حيث نجد ثلث دولها كلها فى أفريقيا بمفردها.

جدول رقم ٨/٢

توزيع دول الكومنولث Commonwealth على قارات العالم

أفريقيا

م	الدولة	السكان بالألف	العاصمة	سنة الإنضمام
١	بوتسوانا	٢٧٩	جابورون	٦٦
٢	جامبيا	٥٣١	بانجول	٦٥
٣	غانا	١٠٣١	أكرا	٥٧
٤	كينيا	١٣٨٥	نيروبى	٦٣
٥	ليسوتو	١٢٤٠	ماسيرو	٦٦
٦	مالاوى	٥٤٢٠	ليلونجوى	٦٤
٧	موريشيوس	٨٩٤	بورت لويس	٦٨
٨	نيجيريا	٧٧٠٦	لاجوس	٦٠
٩	سيشيل	٦٠	فيكتوريا	٧٦
١٠	سيراليون	٣٠٥٣	فريتون	٦١
١١	سوازيلاند	٥١٠	مبابان	٦٨
١٢	تنزانيا	١٥١٤	دار السلام	٦١
١٣	أوغندا	١١٩٤	كمبالا	٦٢
١٤	زامبيا	٥٠٦٣	لوساكا	٦٤

أسيا

م	الدولة	السكان بالألف	العاصمة	سنة الإنضمام
١	بانجلاديش	٨٠٤٠٠	داكا	٧٢
٢	بريطانيا	٥٥٨٨٦	لندن	
٣	قبرص	٦٤٠	نيقوسيا	٦١
٤	الهند	٦٢٠٤٤٠	نيودلهى	٤٧
٥	ماليزيا	١٢٦٥٣	كوالالمبور	٥٧
٦	مالطا	٣٣٢	فاليتا	٦٤
٧	سينجابور	٢٢٧٨	سنجابور	٦٥
٨	سرى لانكا	١٣٨١٩	كولومبو	٤٨

أمريكا

م	الدولة	السكان بالألف	العاصمة	سنة الإنضمام
١	باهاما	٢١١	ناساو	٧٣
٢	بار بادوس	٢٤٧	بريدجتاون	٦٦
٣	كندا	٢٣٠٢٥	أوتاوا	٣١
٤	دومنيكا	٢٧	روسو	٧٨
٥	جرينادا	١١٠	سنت جورج	٧٤
٦	جويانا	٧٩٣	جورج تاون	٦٦
٧	جامبكا	٢٠٧٢	كيجزتون	٦٢
٨	سنت لوشيا	١١٢	كاستريز	٧٩
٩	سنت فينست	١١٠	كيجزتاون	٧٩
١٠	ترينداد وتوباجو	١٠٩٨	بورت اوف اسبان	٦٢

أستراليا

م	الدولة	السكان بالألف	العاصمة	سنة الإنضمام
١	استراليا	١٣٩١٦	كانبرا	٢١
٢	فيجى	٥٨٠	سوفا	٧٠
٣	كيرباتى	٥٢	تاراوا	٧٩
٤	ناورو	٢	ناورو	٦٨
٥	نيوزيلاند	٣١١٦	ويلنجتون	٣١
٦	بابوانيوجينيا	٢٨٢٩	بورت مورسبى	٧٥
٧	جزر سولومون	١٩٧	هونيارا	٦٨
٨	تونجا	١٠١	نيوكيو الوفا	٧٠
٩	توفالو	١٠	فوتافوتى	٢٨
١٠	وسترن ساموا	١٥٣	أبيا	٢٠

٣٣,٣٪ من دول الكومنولث فى أفريقيا ... ٩,٧٤٪ من سكان الكومنولث فى أفريقيا

وقد صاحب عملية استقلال أفريقيا، أخيرا بعد طول استعمار، ان اتجهت نحو الأخذ بالنظام السياسى الغربى (بريطانى- فرنسى- أمريكى.. إلخ) كمماثل لها أو كموازى لها من حيث الرئيس ورئيس الوزراء والوزراء والعدالة والمجلس التشريعى... إلخ، وقد لوحظ أن هذا النظام قد تأثر بالأفكار الأفريقية المحمولة فى التراث الأفريقى، وأيضًا بالأفكار التقليدية عن النظم السياسية التى مازالت تعيش لدى أهالى المناطق الريفية بين الحضريين، حيث يقطن أكثر من ٩٠% من السكان رغم التسليم بحدوث بعض التغيير نتيجة الاحتكاك الثقافى وحدوث عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية خاصة فى العقود الأخيرة(٧).

هذا ويختلف النظام السياسى التقليدى فى أفريقيا عن ذلك الذى تعرفه شعوب العالم المتقدم، وذلك لأنه نمى فى مناطق ذات ثقافات مختلفة ولها تاريخها وحضاراتها خاصة، لذلك فإن الاختلاف ليس وظيفيا ولكنه فى البناء، فبينما لا يوجد فى أوروبا إلا ثلاث أمم فقط يوجد فى أفريقيا أكثر من اثنى عشر، وكما تشيع بعض المفاهيم كالحرية الفردية والاشتراكية والمساواة والديمقراطية وتمارس فى أوروبا، نجدها أيضًا فى أفريقيا التقليدية تعرف أيضًا.

وعند شابيرا الوحدة السياسية هى "جماعة صغيرة، نظمت أعمالها بشكل مستقل داخليا دون أى تأثير خارجى "وهو التعريف الذى يختلف عن ذلك الذى قال به كل من رادكليف - براون وكون: "هى جزء من النظام الإجمالى، المرتبط بالأمر الاجتماعى، وله علاقة بمكان محدد بممارسة أو حتى إمكانية ممارسة سلطة معينة للقوة المادية وهو التعريف الذى أخذ به فورتس وإيفانز بريتشارد، وعلى كل فإن السياسة – مثل القرابة- نوع من العلاقة الإنسانية، ولكن مستوى آخر، تلك هى النظرة الأوروبية إليها، وهى أيضًا نظرة الأفريقيون.

فالقانون العام الذى يطلق عليه الاجتماعيون "الضبط الاجتماعى" هو فى حقيقته نوع من الحكومة، وفى الحقيقة لم يدرس هذا الموضوع فى أفريقيا كما يجب بعد(١٠).

هذا ويبدو أن أفريقيا كانت أكثر القارات معاناة من الاستعمار، وآثاره، حتى استقلال جل دولها سياسيا، ذلك أنه عند تقسيم القارة بين القوى الأوربية الكبرى وضعت (الحدود) فى عواصم رجالهم أوروبا، فى مكاتب وزارات

الخارجية والحرب والمستعمرات فى كل من لندن وباريس وبروكسيل وغيرها قبل أن يمارسوا تثقيف وتعليم رجالها حب العلم والبحث العلمى، فكان من نتيجة ذلك أن جاءت تلك الفواصل أما متفقة مع إحدى المظاهر الجغرافية الصماء، أو تجرى مع خطوط وهمية فى أغلبها مستقيمة وتلك هى المشكلة).

ولكن فى كل الأحوال، يكاد يكون قد إتفق جميع مخططى الحدود -دون ما سابق إتفاق- على مخالفة جميع المظاهر البشرية خاصة تلك التى تتصل من قريب أو من بعيد بأصل الأهالى أو لغاتهم أو انتماءاتهم القبلية أو حتى حركاتهم الفصلية طلبا للماء و الكلأ؛ فكان هذا بداية المشاكل التى مازالت تعاني منها القارة حتى الآن.

فكان من نتيجة ذلك أن كثرة مشكلات الحدود، منذ بدايات عهد الاستعمار (راجع تطور تغيير الحدود الصومالية الاثيوبية، والسودانية المصرية الليبية... إلخ) واستمر حتى زواله، وما تلاه من سنين وحتى اليوم، وغالبا أيضًا فى المستقبل.

إننا لن نقول بحلول أكاديمية غير عملية (ككثير من الرسائل والكتب التى دعت إلى ذلك)، ولكننا ننادى بإعادة تشكيل أنماط حياة الأهالى فى مناطق الحدود التى تحمل المشاكل، بأن تنفذ هناك مشروعات إنتاجية زراعية وصناعية تساعد على تركيز السكان واستقرارهم فى مواطن ثابتة، مما يقلل من الحركة التى تسبب كثير من الاحتكاك والصراع، ويجب أن يصاحب ذلك، إعادة تشكيل فكر وثقافة هذه الجماعات، وحبذا لو تولى ذلك تخطيطًا وتنفيذًا رجالات الايكولوجيا البشرية من الجغرافيين والأنثروبولوجيين.

والحقيقة أن الأمل ضعيف للغاية فى إنقاذ أفريقيا بل والعالم من طمع وجهل وحقد أصحاب القوى النووية التى يتزايد عددهم مع الأيام، حتى ولو وقعت جميع معاهدات سولت(تحديد الأسلحة الاستراتيجية العابرة للقارات) ال ٢٠، وليس الثانية التى مازالت ومازال تطبيقها متعثر بسبب غزو الاتحاد السوفيتى لأفغانستان دون ما تفاهم مع شريكه القوة الكبيرة الأخرى حتى يقتسم معه الغنيمة من أرض وإرادة شعوب العالم الثالث التى أغلبها أفريقية التواجد.

هذا وكان نتيجة طبيعية للسياسة الاستعمارية، أن تخلفت ورائها بعض المشكلات التى يصعب حلها، أو علي الأقل تحتاج إلى جهود مضنية ومكثفة سياسية ودبلوماسية وربما حربية، وتأتى على قمة هذه المشكلات، مشكلة

الحدود السياسية التى تعد بؤرة المشكلات الأخرى إذ بها تبدأ باقى المشكلات كاستغلال الثروات الطبيعية أو حتى مشكلة التفرقة العنصرية، لذلك فقد نشرت الدراسات والبحوث العلمية الكثيرة عنها، بل لقد وضعت دائرة معارف خاصة بها[١١].

وقد شهدت أفريقيا خلال خمسة عشر عاما (١٩٥٦-١٩٧٢) أكثر من ٢٧ مشكلة صراع سياسى على مناطق الحدود (خريطة ٨/١٠) الفاصلة بين الدول، والتى تركها الاستعمار للقارة. كانت أولها الصراع الجزائرى الفرنسى (١٩٥٦) ولن تكون آخرها المشكلة التى ثارت بين زامبيا وشعب اللوزى سكان مقاطعة باروتسى (١٩٧٢)، مروراً بالعديد من المشكلات مثل الصراع السودانى الأثيوبى (١٩٦٥)، والصراع المغربى الموريتانى الذى بدأ عام ١٩٥٦[١٢]، ومازالت آثاره باقية للآن فى مشكلة الصحراء الغربية التى لم تحل بعد.

مشكلة الصحراء الغربية:

تعد مشكلة الصحراء الغربية أكبر المشكلات التى خلفها الاستعمار الإسبانى فى أفريقيا إذ أنه منذ معاهدة مدريد الثلاثية عام ١٩٧٥ بين أسبانيا والمغرب وموريتانيا التى قسمت بها منطقة الصحراء مناصفة بين المغرب وموريتانيا، نجد أن المشكلة تتفاقم مع ظهور البوليساريو وتورطت عدة دول عربية فى المشكلة مدفوعة بتيارات متباينة تحركها أطماع عالمية مختلفة لا تبغى مصلحة أفريقيا، من تلك الدول العربية، موريتانيا التى رغم توقيعها اتفاقية الجزائر (٥ أغسطس ١٩٧٩) وخروجها من حلبة الصراع.

وذلك بسبب القلاقل الداخلية فيها التى كان اولها الاطاحة بنظام المختار ولد داده (١٠ يوليو ١٩٧٨) وتفشى داء القبلية مرة أخرى، فى بلاد تتكالب الأكلة عليها لما فيها من ثروات مدفونة (الفوسفات وربما البترول)[١٣]، كل هذا رغم ما تحاوله موريتانيا من تقارب مع جيرانها خاصة فى الجنوب للاستفادة من خطط تنمية مصادر نهر السنغال.

كان هذا الإقليم (وادى الذهب والساقية الحمراء، أو ريودورو سابقا)، يمثل أحد أقاليم المغرب العربى الصحراوية التى كانت تحت السيطرة الاسبانية، وشهدت الكثير من الصراع العسكرى والتفاوض[١٤]، والذى لم تسلم بحقوق

المغرب فى وحدة أراضيه إلا على مراحل (إقليم طرفاية ١٩٥٨، وايفنى ١٩٦٩) بينما تمسكت بالباقى لما فيها من ثروات طائلة (فوسفات احتياطيه نحو مليار وسبعمائة مليون طن)، فأخذت تماطل، ولكن أمام كفاح الداخل ولعوامل دولية، تركت أسبانيا البلاد بعد أن وضعت بذور الصراع والفتن خاصة بعد أن فشلت فى خطتها لخلق وطن أسبانى (اسرائيل أخرى) فى الصحراء (٦٠ ألف نسمة بينما لم يكن يتعدى ٢٥ ألف نسمة عام ١٩٥٨بمعدل زيادة ١٤٠%) ثم تتباعت الأحداث المعاصرة من حيث اقتسام الصحراء بعد خروج اسبانيا، بين المغرب وموريتانيا(قرار محكمة العدل الدولية فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٥) والمسيرة الخضراء المغربية ثم قيام حركة البوليساريو بتشجيع من الجزائر وليبيا دفعا من الاتحاد السوفيتى، لخلق مناطق للقلاقل والنزاع المصطنع الداخلى لحاجة فى نفس يعقوب، فإلى أين المسير؟ والطريق واضحة معالمه وأهدافه.

لعل فى تطبيق مبدأ حق تقرير المصير بإشراف لجنة محايدة من جامعة الدول العربية ومجلس الوحدة الأفريقية يحمل خير السبل لحل هذه المشكلة التى تركت بصماتها الدامية فى مناطق كثيرة فى الصحراء الأفريقية (فى تونس- تشاد ١٩٨٠).

هذا ولا ننسى أنه كان لظروف القتال الذى نشب فى السنين الأخيرة فى إقليم الصحراء بين فدائى البوليساريو من أهالى الصحراء بتشجيع وبمعونة الجزائر ضد امتداد سلطان المغرب على هذه المناطق، أن عمل على إحداث تغيير اجتماعى وثقافى كامل فى هذه المجتمعات الصحراوية البدوية فكان هذا هو التغيير الثانى الذى طرأ على حياتهم(١٥)، بعد التغيير الأول نتيجة الانتفاع بمصادر ثروات الأرض التعدينية(١٦).

هذا ومازالت هذه المشكلة تعكر صفو العلاقات الأفريقية بل تهدد الوحدة الأفريقية ذاتها، حيث كانت السبب المباشر فى عدم انعقاد مؤتمر القمة الإفريقى فى طرابلس (أغسطس ١٩٨٢)، حيث وجدت الدول الكبرى الفرصة مهيئة للقيام بحركات التفرقة والزعزعة بين الأفارقة.

ومازالت المشكلة معلقة حتى الآن، بحيث أنها وصلت إلى طريق شبه مغلق.

مشكلة حدود الصومال:

ترجع هذه المشكلة إلى فترة التكالب الاستعماري الذى شهدته القارة منذ القرن التاسع عشر، ذلك التكالب السريع الذى لم يجد أمامه من أسلوب آخر للتقسيم القارة واتخاذ أسلوب الحدود المستقيمة وأغلبها فلكية، فالحدود بين الصومال وأثيوبيا والتى كانت تبلغ ٥٠٠ ميلا غير مخططة[١٧]، ويتضح ذلك من تتبع الحدود السياسية وتوزيع قبائل الصومالية حيث نجد أن القبائل الصومالية تشغل النصف الجنوبى من البلاد تاركة النصف الشمالى للدناكل(الأفار).

هذه المناصفة تظهر أيضًا فى جيبوتى حيث تبلغ نسبة الوطنيين (الصومال والأفار) ٨٠% من السكان (والباقى عرب وأوربيون) مع ملاحظة أن عدد الصومال يزيد قليلا على الدناكل[١٨].

ومن الناحية السياسية يلاحظ أنه عندما هزمت ايطاليا فى شرق أفريقيا عام ١٩٤١ وضعت بريطانيا يدها على الصومال الايطالى ومنطقة الأوجادين الإثيوبية (التى كانت ايطاليا قد سبق أن ضمتها إلى حوزتها) كمناطق تحت الحماية وفى هذه الفترة كانت لأول مرة تخضع نسبة كبيرة من الصوماليين لإدارة واحدة[١٩].

وبعد الحرب العالمية الثانية عرضت بريطانيا تكوين دولة الصومال الكبير ولكن هذه الفكرة عورضت من روسيا ودول أخرى وفى عام ١٩٥٠ وضع الصومال الإيطالى تحت الوصاية وندبت ايطاليا لحكمة من قبل الأمم المتحدة وذلك بقرار من مجالس الوصاية[٢٠] إلى أن استقلت فى ديسمبر ١٩٦٠.

هذا وقد حددت حدود الصومال الايطالى مع الصومال البريطانى بموجب اتفاقيتى أبرمتا فى ٥ مايو ١٨٩٤ وأول يونيو ١٩٣١ بين ايطاليا وبريطانيا، أما الحدود مع كينيا فقد كانت سبق أن حددت بموجب اتفاقية مماثلة أبرمت فى ١٥ يوليو ١٩٢٤.

أما الحدود مع إثيوبيا فلم تحدد نهائيا حيث استولى الايطاليون على الموانى الجنوبية وبدأوا فى التوسع نحو الداخل حتى وصلوا إلى لوج Lugh على الشاطئ الأيمن لنهر جوبا حيث بنوا حصنا فى ديسمبر ١٨٩٥، ولكن

أمام انتصار الجيش الاثيوبى فى معركة عدوة فى عام ١٨٩٦ سعت ايطاليا لتعيين الحدود بين الصومال وأثيوبيا فى سبتمبر ١٨٩٧ وبموجبها أصبحت إيطاليا تتملك مساحة من الأرض تمتد على امتداد ساحل المحيط الهندى بعمق ١٨٠ ميلا نحو الداخل.

ولقد شهد القرن الإفريقى ذبذبات متعددة طرأت على حدوده السياسية والإدارية تفوق الحصر (خريطة ٨/١١) ويلاحظ على كل هذه الحدود أنها لا تتفق مع توزيع القبائل، فيما عدا الحدود الغربية للإقليم الشمالى فى كينيا، حيث تعتبر نهاية امتداد الوطن الصومالى فى شمال كينيا[٢١].

وبعد إدماج الصومال البريطانى والصومال الإيطالى فى جمهورية الصومال عام ١٩٦١، لم تعد هناك مشكلة إلا فى الصومال الاثيوبى والكينى، فالصومال الاثيوبى يتكون من جزئين الاول منطقة الحوض فى الشمال على امتداد الصومال البريطانى (السابق) فى مساحة ٣٥ ألف ميل مربع تجذب مراعيها فى الفصل الممطر (الصيف) أكثر من ٣٠٠ ألف من الرعاة من الصومال الكبير (البريطانى والايطالى سابقًا)[٢٢]. والجزء الثانى من الصومال الاثيوبى هو منطقة الأوجادين الواقعة جنوب شرق أثيوبيا وهى منطقة منابع أنهار ولى- - شيلى وجوبا.

وقد بذلك أثيوبيا جهودا كبيرة للاحتفاظ بصومالها حيث طالبت بريطانيا بالانسحاب من الحوض، التى كانت تحتفظ به حماية لحقوق قبائل الصومال البريطانى على وجه الخصوص وبمجرد تسليم بريطانيا منطقة الحوض لإثيوبيا فى منتصف الخمسينات حتى اعتبرت اثيوبيا الصوماليين مجرد أقلية.

وتتركز مشكلة الصومال الكينى فى وجود بعض بطون من الصوماليين فى أقليم جوبا لاند فى كينيا بل وفى الإقليم الشمالى الشرقى من كينيا أيضًا، وقد تم إدماج اقليم جوبا لاند (٣٣ ألف ميل٢) عام ١٩٢٥ إلى الصومال الايطالى تنفيذا لاتفاق بين دولتى الاستعمار بريطانيا وإيطاليا. أما المنطقة الشمالية الشرقية من كينيا حيث يمثل الصوماليون ٨٧% من السكان عام ١٩٦٢ (٢٤٠ ألف من ٣٨٨ ألف) فتمثل المشكلة الكبرى، حيث ينفصل هذا العدد الضخم من الصوماليين عن إخوانهم فى الصومال وقد تم كل ذلك بتشجيع الاستعمار ممثلا فى بريطانيا، التى أوحت إلى كينيا قبل عام ١٩٢٥ وذلك حتى تقفل الباب أمام

جمهورية الصومال للمطالبة بالإقليم الشمالى الشرقى من كينيا الذى تسكنه غالبية صومالية.

ولا تقتصر مشكلة جيبوتى (الصومال الفرنسى سابقا) فى انقسام السكان مناصفة تقريبا بين الصومال وبين الدناكل كما سبق القول، بل تظهر فى اعتماد اثيوبيا إلى حد كبير على جيبوتى كمنفذ بحرى لها للعالم الخارجى. وأكبر ما يهدد المشكلة هو أن تستغل القوى العالمية مثل هذا التناقض العرفى الاثنولوجى الجغرافى فتعمل على تعميق الخلافات وتطويرها فى غير صالح شعوب هذه المنطقة وفى غير صالح السلام العالمى.

نظرة مستقبلية

المعتقد أن أفضل طريقة لحل هذه التناقضات، هو إعادة تحديد الحدود السياسية بما يتفق مع توزيع القبائل، وبما يحقق المصالح المشروعة والمكتسبة لكل دولة من دول المنطقة، وأعتقد أن هذا يصعب إتمامه إلا من خلال الاتفاق الثنائى بين الدول أصحاب المصلحة المتبادلة.

ونتيجة للأزمات الاقتصادية التى تعانى منها الكثير من الشعوب الأفريقية ونتيجة للخلافات العرقية التى كثيرا ما تعتريها بين حين وآخر، فكان فى عام ١٩٩٨ نحوا من اثنى عشر دولة تعيش فى حالة الحرب، وغالبا ما يكون وراء هذه الحروب تنافس دولى من شركات أو حكومات غربية تسعى وراء إستغلال الموارد الطبيعية المتوافرة فى القارة[٢٣].

ومن العوامل الداخلية التى تزيد هذه المشكلات الافريقية حدة، التنافر العرقى الاثنولوجى السائد فى المناطق الحضرية الجديدة التى يفد إليها العمال الوطنيون للعمل أو للإقامة فى مناطق ودول فى مجتمعات عدة فى القارة، وما تقابل به الحكومات العنصرية ذلك من قمع وعنف وصل إلى أن أصبح المواطن معتقلا فى وطنه (معازل الوطنيين فى جنوب أفريقيا)[٢٤].

والحق أقول وإن كان العالم العربى اليوم هو عاصمة العالم البترولية[٢٥]، فإن أفريقيا بظروف موقعها الاستراتيجى وموضعها بموارده الطبيعية والاقتصادية، يجعل منها بارزة الاهتمام ومحط الصراع الدولى بل وميدان الحروب العالمية المنتظرة.

هذا وخلف الاقتصاد دائما السياسة فكل الأحداث السياسية لها جذور اقتصادية وتاريخية، يظهر ذلك ويتجسم فى أفريقيا.

فالسياسة الأمريكية تستهدف عدة دول فى أفريقيا اختيرت بعناية كبيرة هى: السودان- تشاد- أنجولا- موريتانيا- نيجيريا- غينيا الاستوائية- الجزائر وطبعًا مصر وذلك لعدة أسباب:-

- وجود إمكانيات بترولية كبيرة لديها.

- موقعها المتميز من الناحية الجغرافية كمخرج للبترول إلى أسواق العالم.

- مركزها الاستراتيجى على صعيد الصراع الدولى حول الموارد الطبيعية.

- وجود النفط المستخرج لديها وارتفاع نقاء نسبة الخام.

لذلك نجد أن لكل دولة من هذه الدول قصة وصراع مع الولايات المتحدة الأمريكية خاصة السودان التى ما كادت تهدأ مشكلة الجنوب فيه إلا وجسمت مشكلة دارفور وأخذت أطوار كثيرة وكبيرة وما هذا إلا بسبب سماح السودان لشركات صينية وليست أمريكية باستخراج النفط والبترول فى أراضه خاصة فى مناطق ومنها دارفور.

هذا ولما كان فى تعدد القوميات والعرقيات تتبع قوة الدولة السياسية، وفى ذات الوقت تظهر احتمالات النزاعات ففى أثيوبيا مثلا توجد ٨٠ قومية مما يجعل الكبيرة منها مثل الأرومو (٤٠% من السكان) والصوماليون الغربيون(٥% من سكان إثيوبيا) يكونون خلف الكثير من النزاعات التى ظهرت فى السنين الأخيرة فى داخل إثيوبيا أو فى الصومال.

والحقيقة أن المستقبل لا يحمل إلا الكثير من المشكلات للقارة، كما أن المستقبل البعيد- إذا لم تتكاتف الدول والشعوب الأفريقية على حل مشكلاتها بتفاهم سلمى- لا يعطى صورة أكثر إشراقا بل يعطى صورة مظلمة.

ذلك أن القارة تحفل بنقاط ساخنة عديدة، ففى الشرق نجد الصراع المستعمر بين الصومال وإثيوبيا بل وفى داخل أثيوبيا ذاتها، حيث مشكلة ارتيريا المستديمة رغم تغير الانتماء الولائى للحكومة فى أديس أبابا خلال العقدين الأخيرين(٢٦).

وفى الجنوب الأفريقى أيضًا نجد أن حسن الجوار مفقود بين دول الاستعمار البريطانى السابق، وبينها وبين دول الاستعمار البرتغالى المنهار، كل ذلك تتزايد حرارته بالتدخلات الخارجية من قبل القوى العالمية الاستراتيجية خاصة الولايات المتحدة الامريكية.

ليس هذا وحسب، بل أن الاستعمار قد خلف بعده مناطق صراع دفينة دائمة، تتمثل فى الحدود المتنازع عليها وهى فى الغالب مناطق أسئ وضع حدودها فى فترة التكالب، فكانت النتيجة أن ورثتها شعوب أفريقيا، أنها مثل الأمراض الوراثية التى لا علاج لها والتى يبتلى بها الأبناء من الأسلاف وليس أمامهم مخرج منها إلا الموت (صراعا بأسلحة الاستعمار، أو علاجا بالتجارب العلاجية الاستعمارية) بأدوية وعلاجات غير مناسبة.

لذلك فمازال الاستعمار الأوروبى ونظمه وسياساته تلعب بأفريقيا كيف تشاء، بل إنها تتآمر لتلغى استقلال دول بعد اعتراف الأمم المتحدة بها، هذا مع ما حدث مع مملكة زنجبار التى استقلت فى ١٠ ديسمبر ١٩٦٣ ولكن لا يكاد يمضى طويل زمن حتى يظهر عميل خائن (عبيد كرومى) فيقوم فى ١٢ يناير ١٩٦٤ بانقلاب عسكرى ويسلم وطنه بعد ٣ شعور فقط من الاستقلال إلى جوليوس نيريرى ليعمل اتحاد تنزانيا، أى اتحاد تحرص عليه تنجانيقا فى الوقت الذى تحطم فيه الاتحاد الاقتصادى لشرق أفريقيا، وأيضًا مع النفوذ الأصغر المتغلغل فيها.

كل هذه نماذج على الحركات الخفية القذرة التى ظهرت نتائجها بسرعة والتى تقوم بها دول الاستعمار الجديد والقديم من الشرق والغرب على السواء فى أفريقيا، رغم أن أفريقيا حاليا سائرة نحو تصفية التعصب الذى شهدت كثيرا من مظاهره فى مناطق شتى منها، بل ومازالت تشهده فى جنوب أفريقيا، ولعل من أخطر مظاهر التعصب الميل إلى العدوان والتخريب، خاصة بين المضغوط عليهم ضد حضارة ساهموا فى بنائها بعملهم ولم ينالوا من مواردها إلا القليل(٢٧).

ومازالت أساليب الاستعمار كما هى منذ وعى الإنسان فهم دروس التاريخ، يسعى دائما إلى تفتيت تماسك المجتمعات التى يطمع فيها، من الداخل، حتى تتحطم فتنتقل إليه مقدرات الشعوب والأمم وبالتالى السياسة العالمية. هذا ما حدث فعلا عندما تحالف خلال العصور الوسطى على تفتيت الدولة

الإسلامية العربية التى قاربت فى امتدادها إلى الوصول فى أوروبا إلى وسط فرنسا من الغرب، وإلى فيينا من الشرق، كما وصل نفوذها فى أفريقيا إلى أواسط موزنبيق الحالية من الجنوب بالإضافة إلى الامتداد الكبير الآسيوى فى الشرق.

الذى حدث هو أن الاستعمار عندما فشل فى هدم ركن من صرح عدوه، لجأ إلى تحريض عضو آخر عليه، حتى يضعف الطرفين معا فيسهل عليه التهامها معا إن لم يسلم كل منهما أمره إليه طواعية. حدث هذا عندما فشل الاستعمار الأوروبى البرتغالى الكاثوليكى فى هدم دولة المماليك فى مصر والشام، فكان الاندفاع الغاشم العثمانى التركى عليها كى تستسلم فكانت موقعة ديو البحرية (١٥١٧م)، ولينتقل الثقل الجيوبوليتكى من القاهرة إلى القسطنطينية[٢٨]، أى أن العالم الاسلامى أكل بعضه بعضا لصالح الغير، فهل تم ذلك دون تخطيط من المستفيد النهائى؟ خاصة وأنه أكل الجميع بعد ذلك، جغرافيا وأنثروبولوجيا، أى أرضا وناسا، خيرات وحضارات.

ويبدو أن هدف الاستعمار من زرع أسباب الشاق بكافة الطرق والتى منها البعثات التبشيرية الدينية التى دفع بها إلى داخل القارة منذ بداية عصر الاستعمار وحتى الآن، (خريطة 12/8) لها تأثير سام فى تفتيت المجتمعات الأفريقية خاصة فى الدول التى يتطلع إلى خيراتها الاستعمار مثل نيجيريا(خريطة 13/8) عندما تفجرت مشكلة بيافرا(١٩٦٧-١٩٧٠) فيها.

هذا ولقد سبقت افريقيا الغرب – مقلدة أوربا- فى تحقيق مشروع الاتحاد السياسى والاقتصادى من خلال منظمته ومقرها أديس أبابا من خلال منظماتها الاقليمية مثل الكوميسا وغيرها.

ولا شك أن الإدارة السياسية الرشيدة تعتمد على مثلث من الهيئات المكونة والفاعلة بشفافية تلك هى:

١- الهيئة التشريعية المكونة من مجلس واحد أو مجلسين وهى التى تعمل على سن القوانين والقرارات.

٢-الحكومة وهى التى تعمل على تطبيق القوانين والقرارات الرسمية التى تنظم سير الحياة فى المجتمع.

٣- القضاء بهيئاته المختلفة وهو الذى يراقب تنفيذ القوانين والقرارات بهدف تحقيق العدالة واستقرار المجتمع.

وفى الحقيقة أن الاستعمار عرف كيف يتصيد دول وشعوب العالم الثالث، فمع احتياج دول ومجتمعات كثيرة فى أفريقيا إلى معونات اقتصادية، بل وغذائية مستمرة، وبكميات تزداد سنويا بمعدلات كبيرة، ظهر مدى تحكم وسيطرة الدول الموردة للغذاء المطلوب فى سياسات هذه الدول، ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل إحدى سلال غذاء العالم إذ أنها الأولى بين الدول الخمس ذا الفائض الغذائى فى العالم(٢٩)، سياستها فى استقرار مصلحتها وأهدافها الاستراتيجية من خلال علاقاتها مع الدول الأفريقية، ولعل هذا يفرض ضرورة يقظة الدول الأفريقية ذات الإمكانيات المناسبة من الموارد الطبيعية لتوجيهها إلى إنتاج الغذاء، حتى تسد حاجات شعوبها بل إن أمامها فرصة كى تعمل مع دول الفائض الغذائى فى نجدة دول العالم الأخرى، وذلك هو ما تعمل فى اتجاهه مصر والسودان حاليا فى إطار التكامل فيما بينهما، وهو ما يجب أن تتوسع فيه الجزائر والمغرب ونيجيريا وتنزانيا.

ولقد توغلت اسرائيل فى أفريقيا كثيرًا وعميقًا بحيث وصل تواجدها عام ٢٠٠٠ فى ٤٢ دولة أى بنسبة ٧٩,٢٥%(٣٠) وكان بهدف استغلال موارد الطبيعة فى القارة خاصة الماس وهو أعلى وأغلى استثمار مما جعلها من المراكز العالمية لتصنيع وتجارة الماس العالمية.

وقد تزايد اهتمام مصر بالقارة الأفريقية فى صدور القرار الجمهورى رقم ٦٢٠ الصادر فى ديسمبر ١٩٨٠ والمعدل بالقرار ٤٩ فى يناير ١٩٨٨ بغرض إنشاء الصندوق الأفريقى بوزارة الخارجية وذلك لتقديم المعونة الفنية للدول الأفريقية وهى المتمثلة فى إرسال خبراء ومعونات وأيضًا استقبال طلاب ودارسين من مختلف التخصصات.

ويتم هذا التعاون والدعم من الصندوق من خلال أكثر من ٦٠ اتفاقا ثنائيا وأكثر من ٣٢ اتفاقا مع منظمات ودول مانحة بهدف التعاون الثلاثى والمشاركة فى التكاليف للمشروعات المقترحة سواء فى الدول والمجتمعات الأفريقية أو من خلال الدورات التعليمية والتدريبية فى دلخل مصر.

هذا والحقيقة أن هذا الذى يحدث يعد صورة من صور التعاون والتكافل، وفى تعاليم وتراث الإسلام الكثير ما يحقق التنمية الاقتصادية والسياسية والتعاون والتكافل وقد كتب الكثير فى هذا المجال[٣١].

يتكرر هذا حاليا (منتصف عام ١٩٨٢) فى معظم بقاع العالم الإسلامى حيث تتداعى الأكلة على القصعة[٣٢]، القصعة الغنية العيية، فهل تتعظ الدول والشعوب الأفريقية وتتحدد تحت شعار الوحدة الأفريقية، وتحافظ على ذلك فى مواجهة أسلحة الاستعمار القذرة، المبنية على الترغيب والترهيب، ألا فلتكن تقاليد وتراث الشعوب الأفريقية [٣٣] العريقة، خير مرشد لها فى سبيل تدعيم التماسك المنشود.

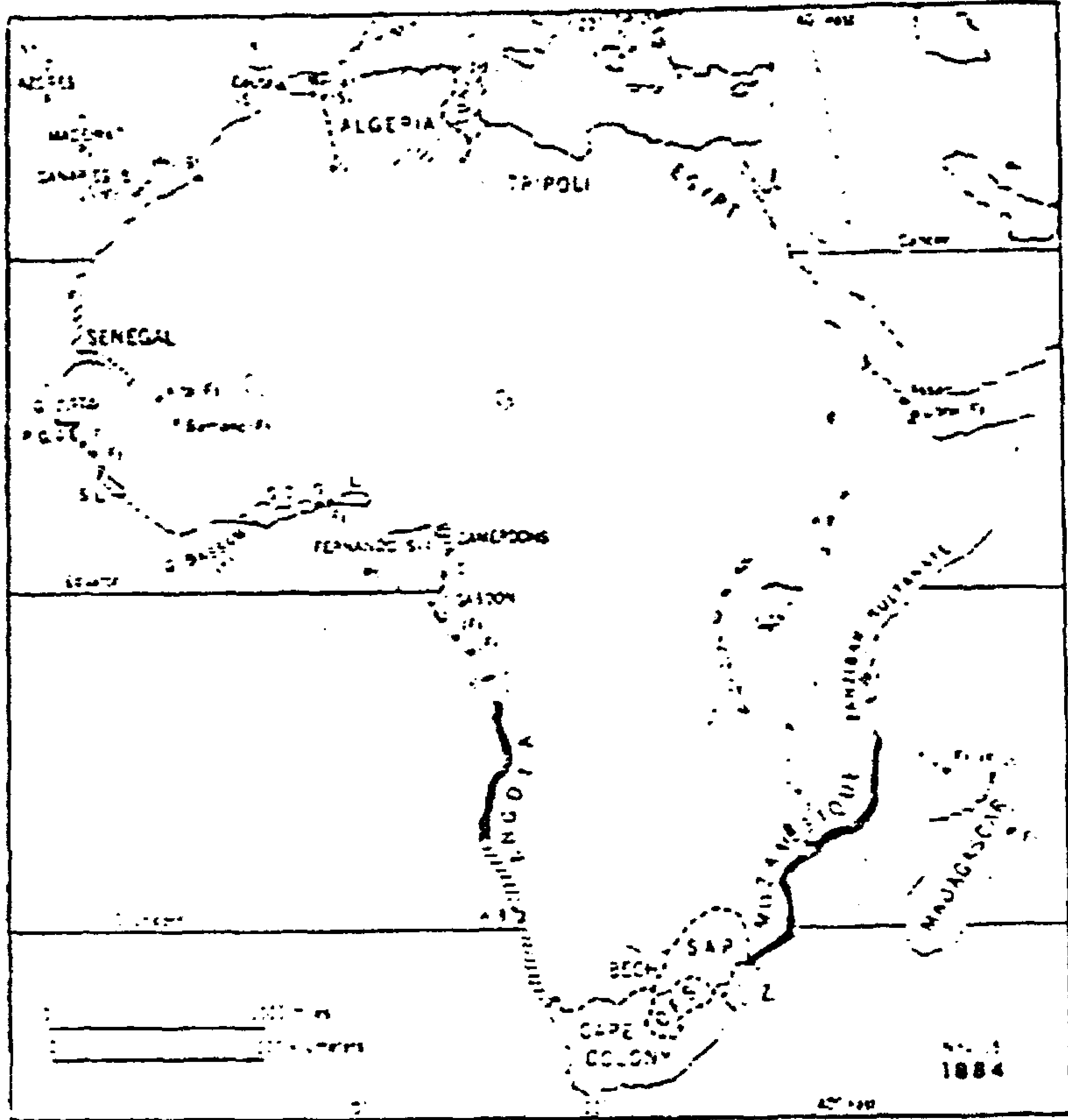
ألا فليسارع بعض عمالقة أفريقيا من الزعماء بعقد اجتماعى يشبه ما تم فى ١٨ ابريل ١٩٥٥فى باندونج عندما بدا الميلاد الرسمى لفكرة عدم الانحياز التى كان قد بدأها قبل ذلك بسنوات تيتو ثم انضم إليه نهرو وعبد الناصر، فلتبدأ مصر والسودان ونيجيريا والسنغال والمغرب وبعض من دول شرق ووسط القارة وجنوبها، وليعقدوا اجتماعات يؤكد الوحدة الأفريقية بإعلان انضمام كل القارة إلى عالم عدم الانحياز الايجابى، الذى يعمل على تحرير الإرادة والإدارة الوطنية من كل سيطرة شرقية أو غربية، متضامنين فى ذلك مع الدول العربية والإسلامية.

ربما يكون فى هذا مخرجا ليس فى حل المشاكل السياسية التى تواجه القارة ولكن أيضًا فى حل الكثير من المشكلات الثقافية والتخلف الحضارى التى تعانى منه شعوبها (توزيع الصحف أقل من ٢٠ ألف نسمة فى معظم دول القارة بل إن هناك ٩ دول حتى منتصف عام ١٩٨٠ لم تعرف الصحف اليومية بعد، كما أن نسبة التليفزيون لا تتعدى ١٠ لكل ألف نسمة فى معظم القارة).

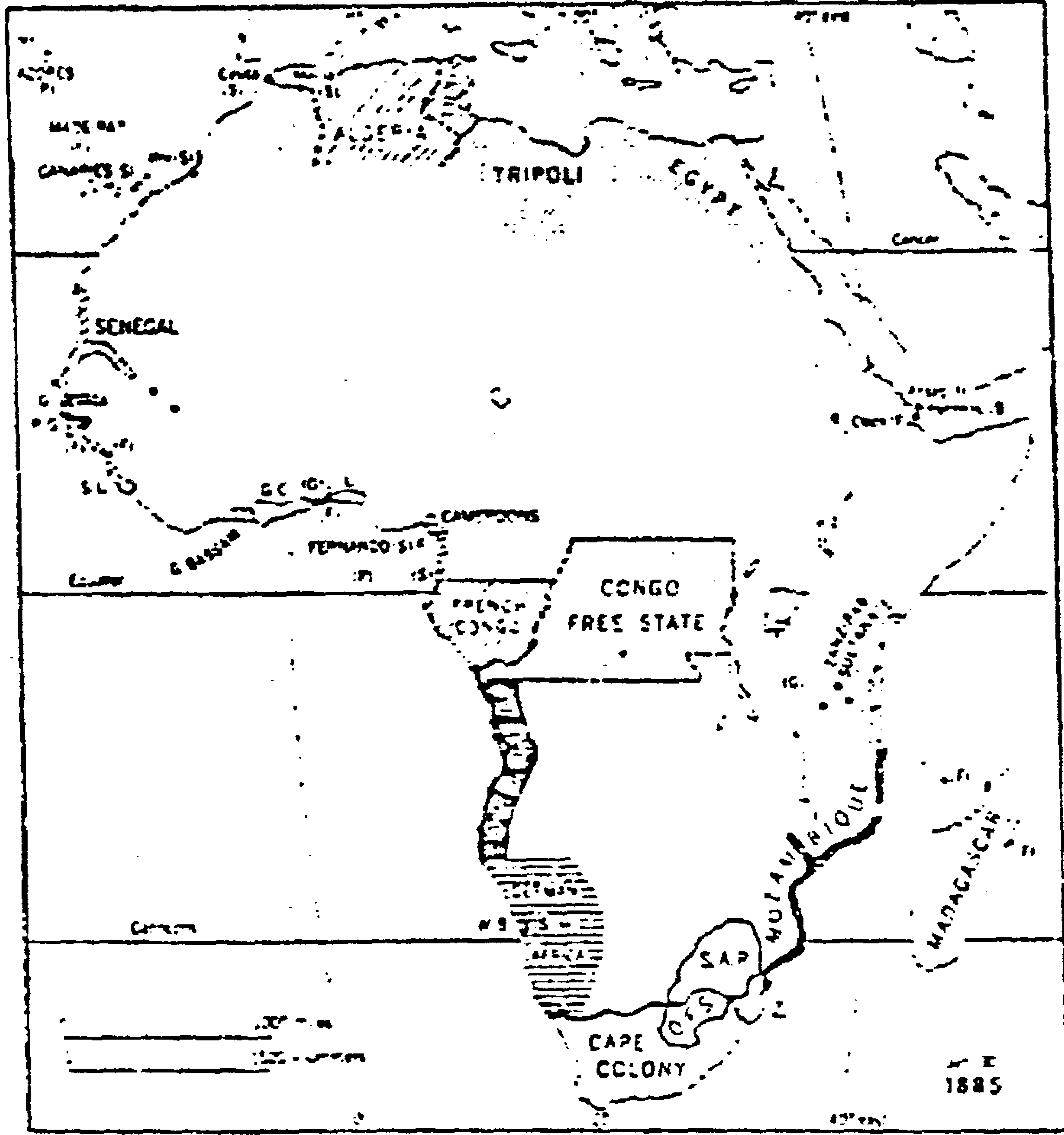
ولا شك أن فى ذلك وسيلة من وسائل نشر الثقافة والتعليم وتوحيدها، مما يقلل من الإحساس بالانعزالية أو بالعصبية، وبالتالى يخلق روح من الإحساس بالولاء الكبير الواسع العام للوطن وللقارة والإنسانية، وتلك بداية لإيقاف سلسلة المشكلات السياسية والحدودية والطاقية والقبلية التى شهدتها القارة ومازالت تخلقها لشعوبها قوى خفية لا تريد للقارة الاستقرار والتفرغ لحل مشكلات التنمية الاقتصادية وهى التى تهم الإنسان بالدرجة الأولى.

لقد بدأت UAO تهتم أخيرا بالإنسان، حيث أصدر مؤتمر القمة فى مونروفيا (يوليو ١٩٧٩) قرارًا بوضع ميثاق لحقوق الإنسان الأفريقى، فاجتمعت لجنة لذلك فى أديس أبابا لمدة ثمانية أيام لدراسة الموضوع (مارس ١٩٨٠)، ولوضع نصوصا حول حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

ويبدو أن الدول الأفريقية وشعوبها تفضل اليوم أن تمارس نظاما سياسيا واقتصاديا مستقلا، مستنيرًا بالتجارب والممارسات الإنسانية الأخرى سواء كانت أوروبية أو أمريكية أو سوفيتية أو حتى صينية، ولكن عندى أنه يجب أن تحافظ على شخصيتها المتميزة الأفريقية، فهى صمام الأمن والأمان ومفتاح المستقبل، الذى أتمنى أن يكون مشرقا للإنسان الأفريقى المكافح وليس لغيره.



خريطة ١/٨- بداية السيطرة الاستعمارية على سواحل القارة
(١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٤)



(عن ستامب)

خريطة ٨/٢ـ بداية توغل الاستعمار نحو الداخل (يناير ١٨٨٥)

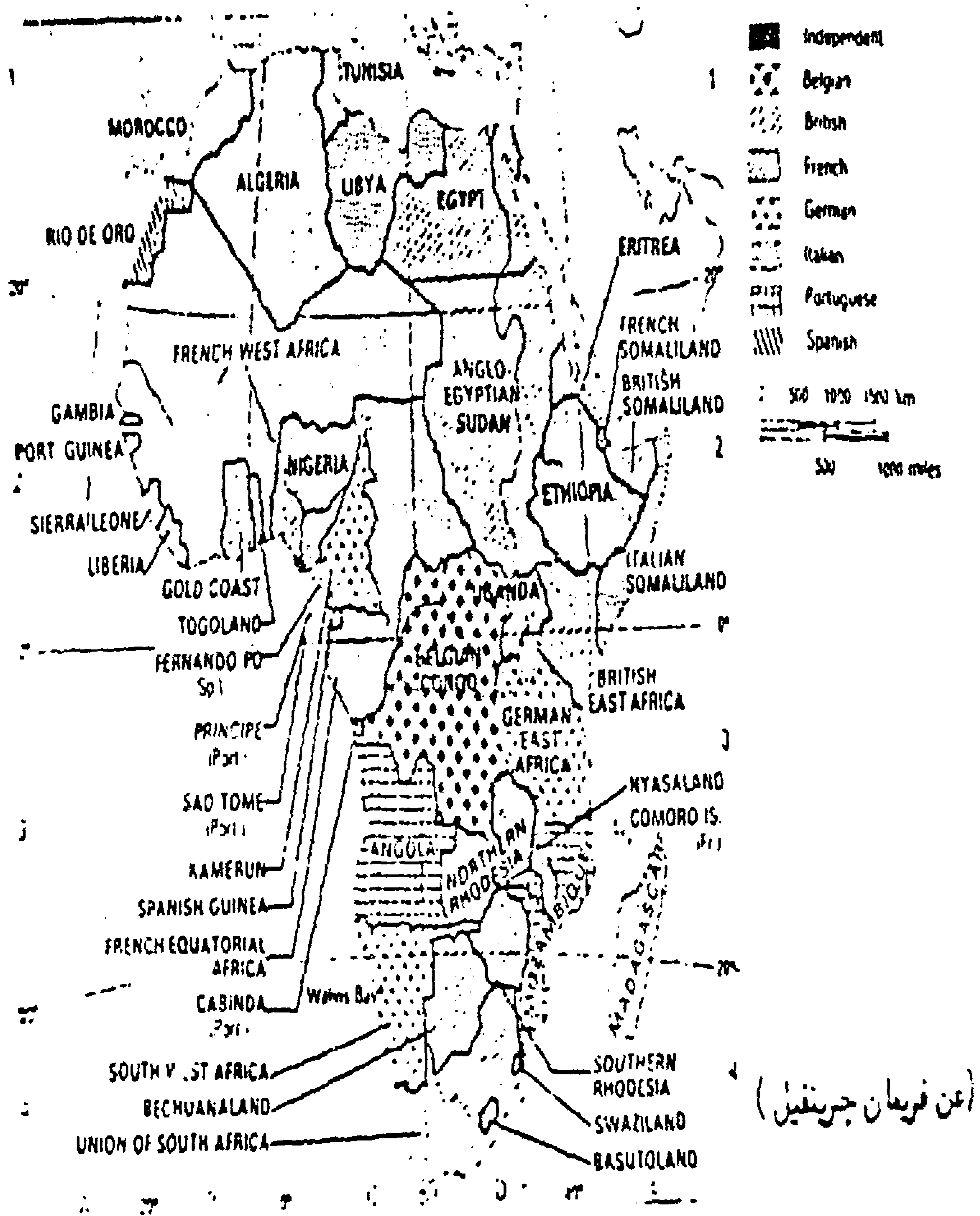
Independent
British
French
Portuguese
Spanish
Date of colonial occupation
Limit of R. Niger Co.

MOROCCO
ALGERIA 1830
TUNIS 1881
TRIPOLI 1551
EGYPT British occupied 1882
RIO DE ORO Spanish Sahara 1885
SENEGAL
THE GAMBIA
PORTUGUESE GUINEA
FRENCH GUINEA
SIERRA LEONE
LIBERIA 1847
IVORY COAST
GOLD COAST
TOGOLAND
DAHOMEY
KAMERUN 1884
FERNANDO PO
SPANISH GUINEA
FRENCH CONGO 1885
ANGOLA 1576
SOUTH WEST AFRICA 1884
WALVIS BAY 1878
BECHUANALAND 1885
BRITISH SOUTH AFRICA CO. 1889
TRANSVAAL
ORANGE FREE STATE 1854
CAPE COLONY 1814
NIGERIA
SUDAN
Ruled by Mahdi, then by Khalifa 1884-98
ETHIOPIA
Italian Protectorate
FRENCH SOMALILAND 1884
ADEN
BRITISH SOMALILAND 1884
IMPERIAL BRITISH EAST AFRICA CO.
ITALIAN SOMALILAND
ZANZIBAR
GERMAN EAST AFRICA 1885
COMORO IS
MOZAMBIQUE
MADAGASCAR
1890 SWAZILAND
1887 ZULULAND
1855 NATAL
1871 BASUTOLAND
1885 PONDOLAND

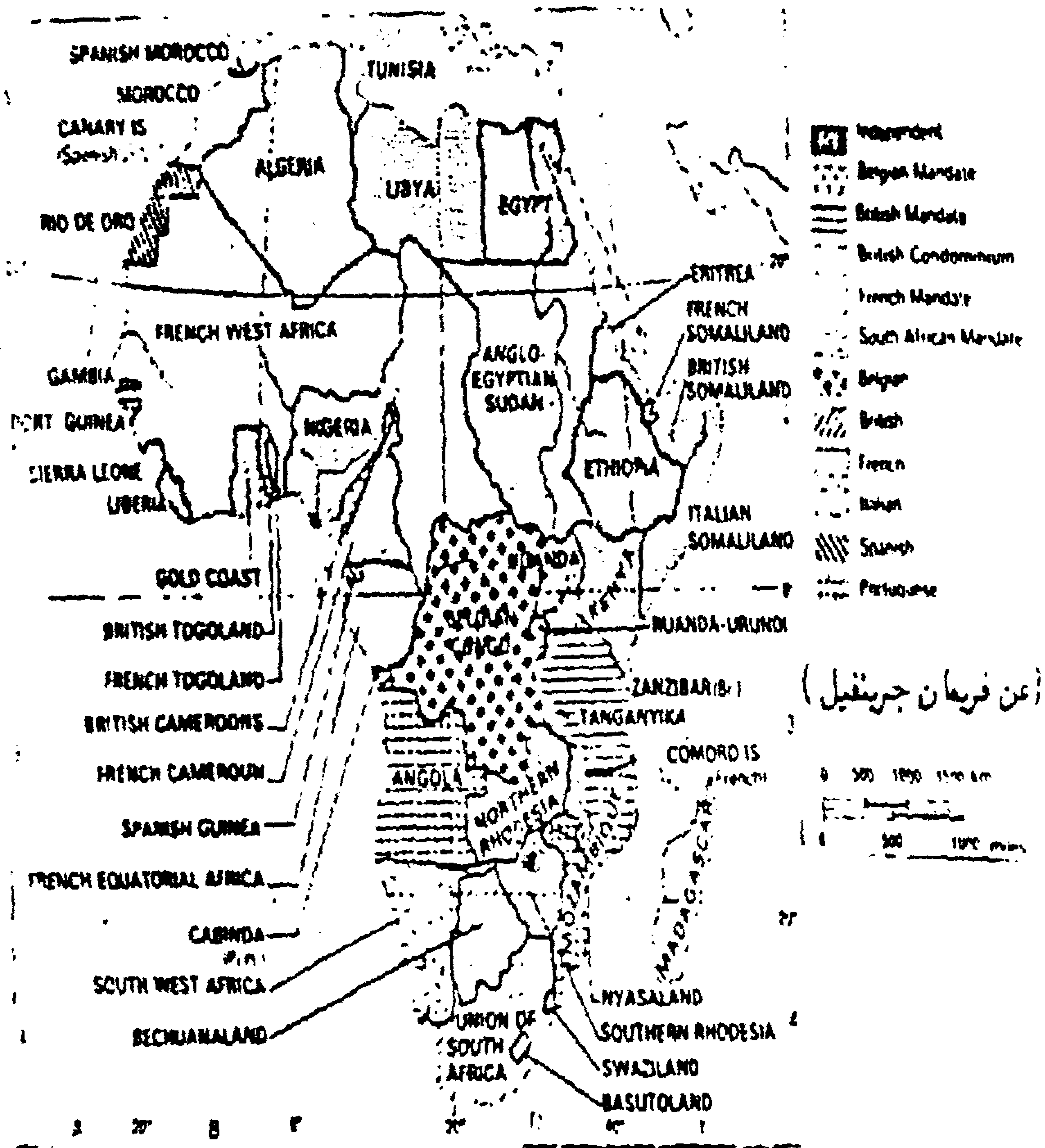
(عن فريمان جرينفيل)

0 500 1000 miles

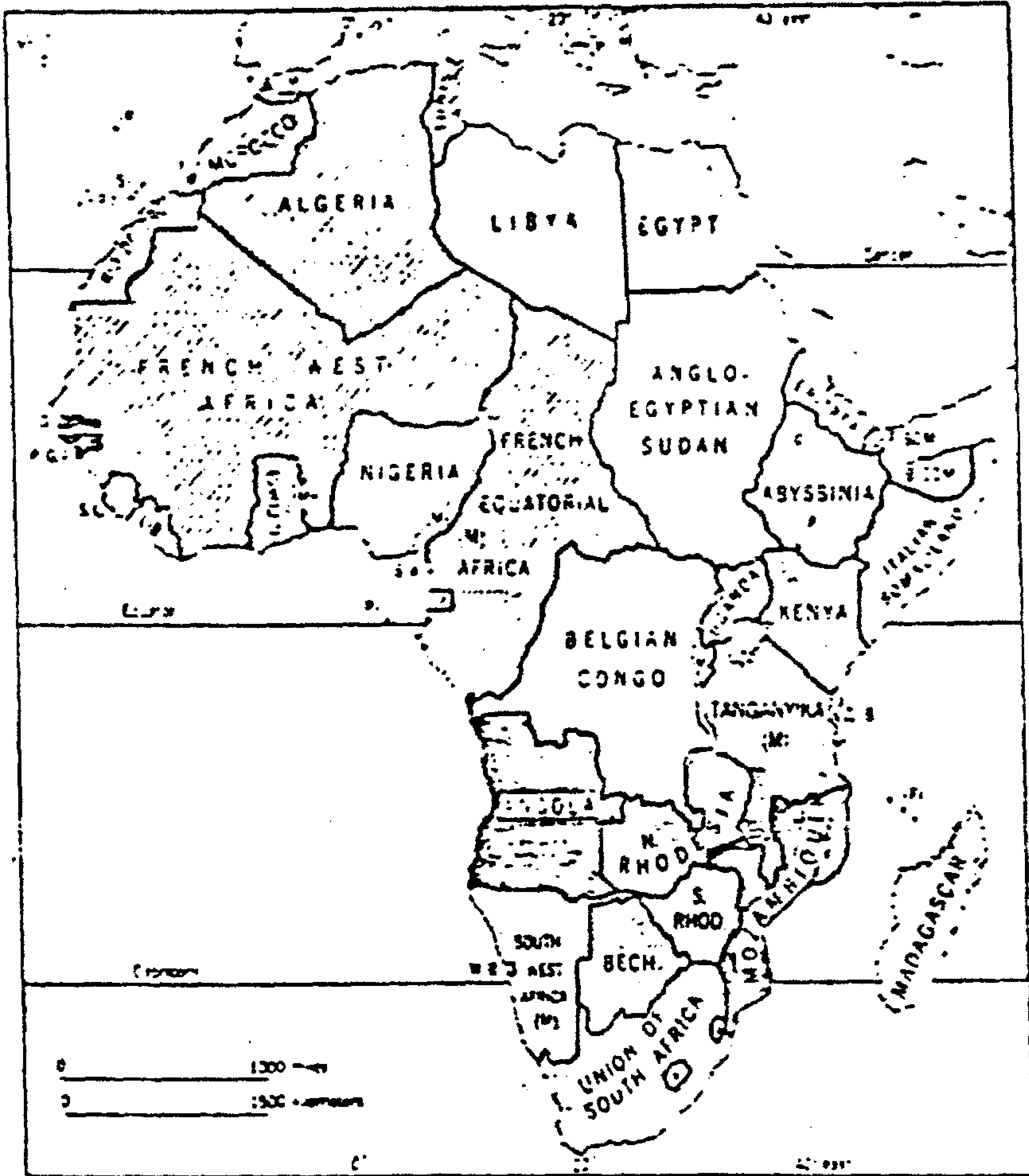
خريطة ٨/٣- سيطرة المستعمر الأوربى على أفريقيا (١٨٩٠)



خريطة ٨/٤- السيطرة الأوربية فى إفريقيا عام ١٩١٤

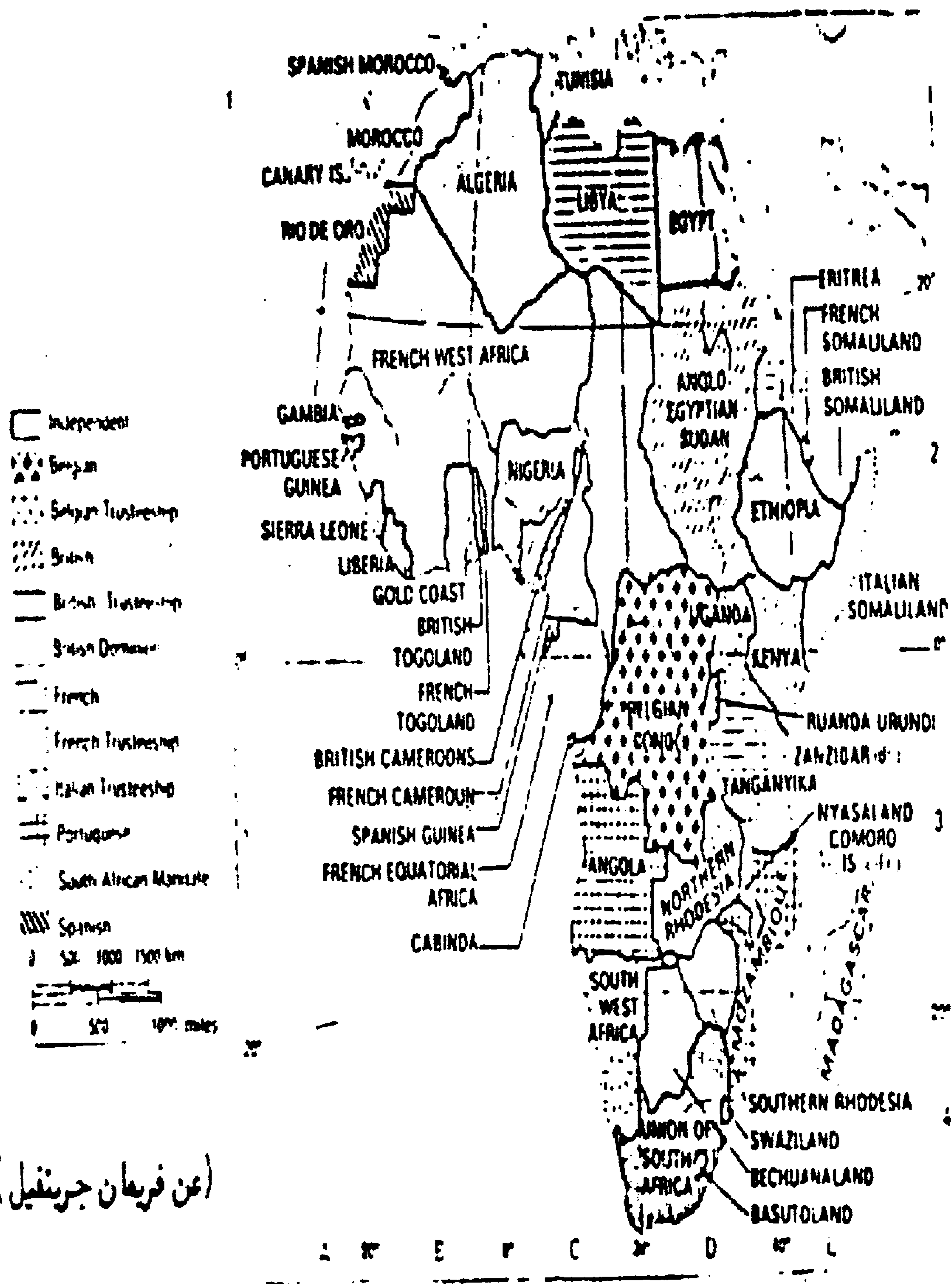


خريطة ٨/٥- السيطرة الأوروبية فى أفريقيا عام ١٩٢٤

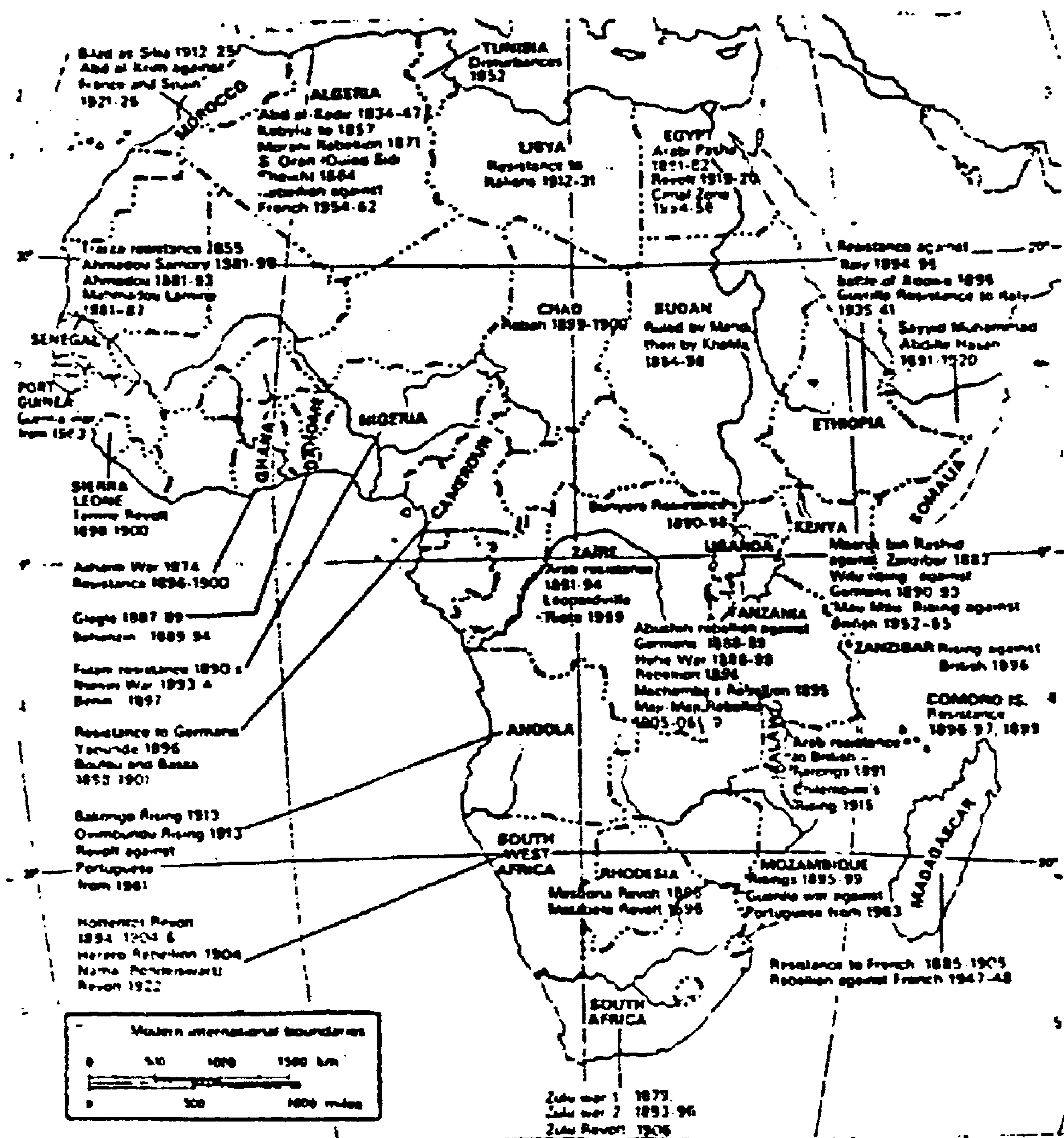


(عن ستامب)

خريطة ٨/٦- أفريقيا فى بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)

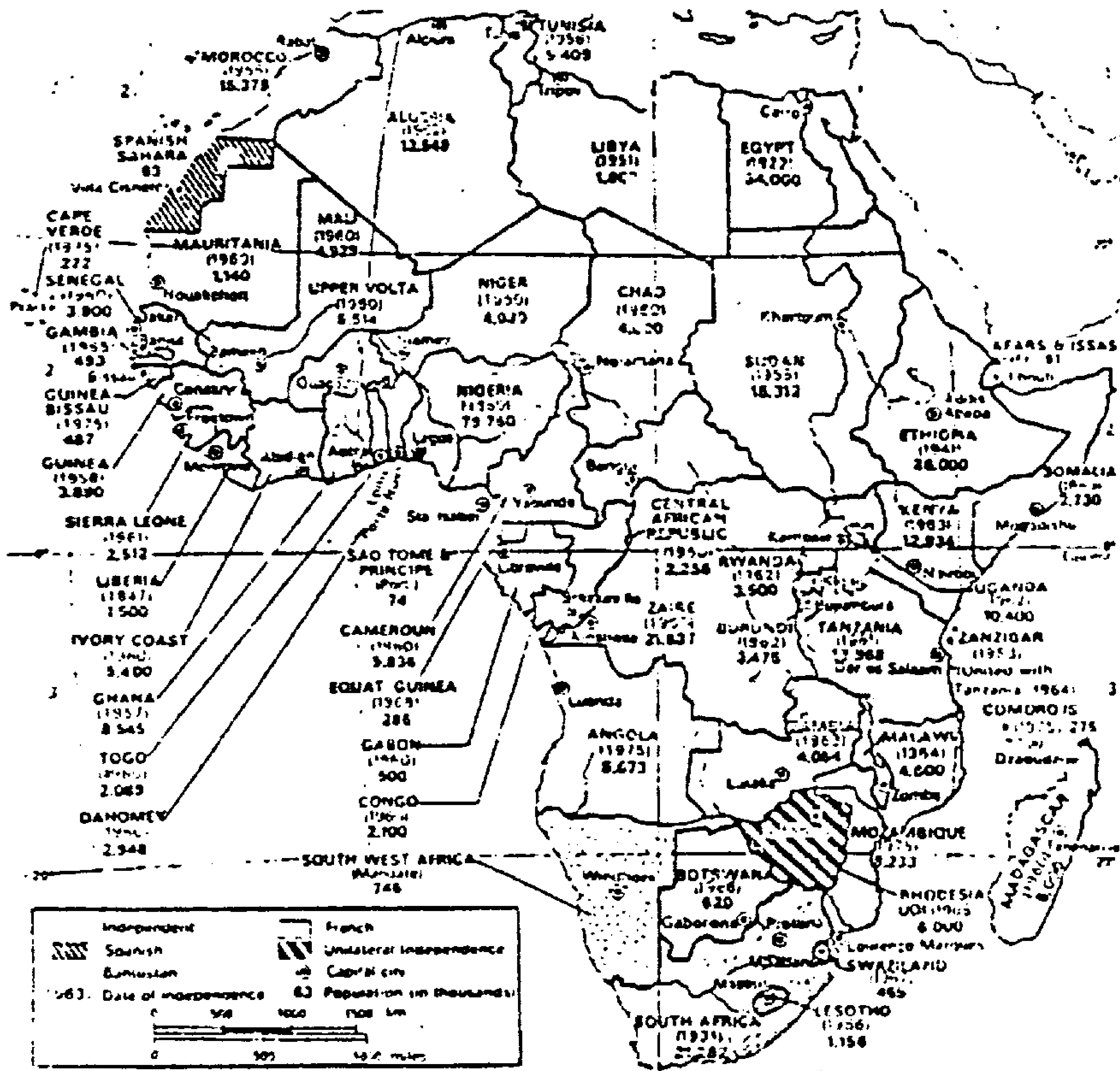


خريطة ٨/٧- أفريقيا سياسيًا عام ١٩٥٠



(عن فريمان جرينفيل)

خريطة ٨/٨- توزيع الحركات الوطنية الأفريقية



(عن فريما ن جرينفيل)

خريطة ٨/٩- الوضع السياسى المعاصر (١٩٧٥) لدول أفريقيا

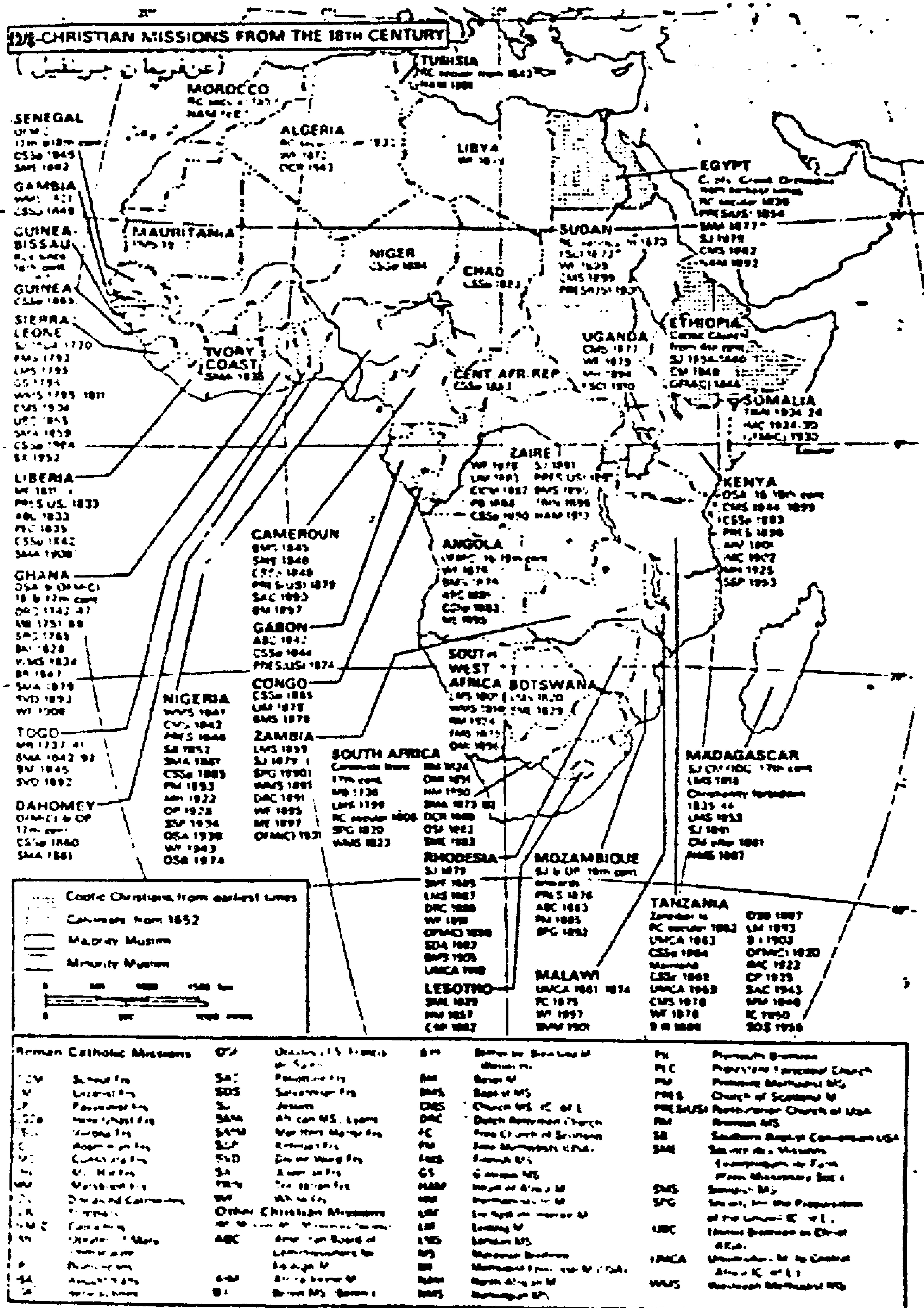


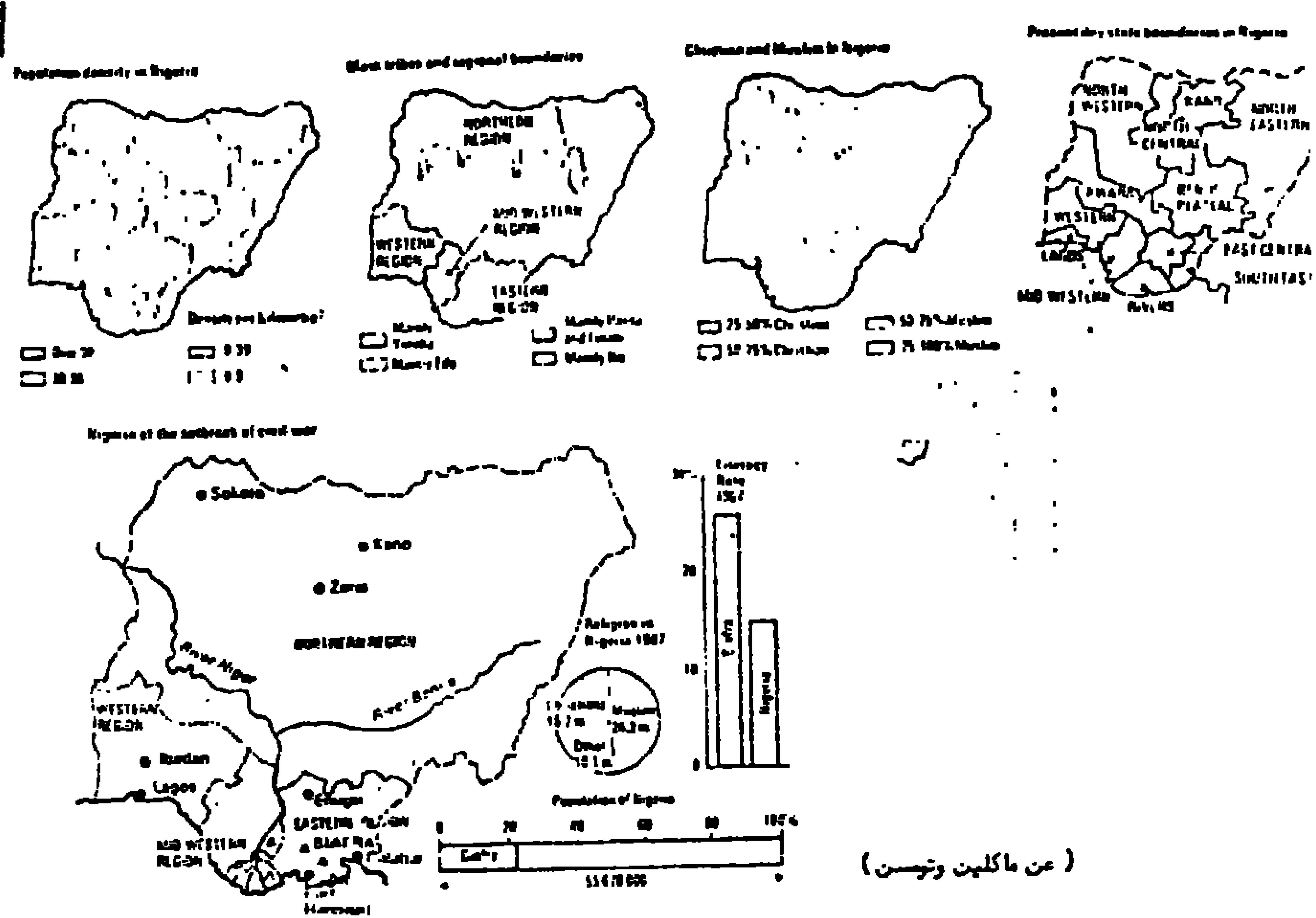
(عن توفال)

خريطة ١٠/٨ـ مناطق الصراع السياسى فى إفريقيا ١٩٥٧ـ١٩٧٢

(عن حمدان)

خريطة ٨/١١- تذبذب الحدود التى فرضها الاستعمار فى الصومال


12/8-CHRISTIAN MISSIONS FROM THE 18TH CENTURY
(عن فريمان جرينفيل)
MOROCCO
TUNISIA
SENEGAL
ALGERIA
LIBYA
EGYPT
GAMBIA
GUINEA-BISSAU
MAURITANIA
SUDAN
NIGER
CHAD
GUINEA
SIERRA LEONE
IVORY COAST
UGANDA
ETHIOPIA
CENT. AFR. REP.
SOMALIA
ZAIRE
LIBERIA
KENYA
CAMEROUN
ANGOLA
GHANA
GABON
SOUTH WEST AFRICA
BOTSWANA
CONGO
NIGERIA
ZAMBIA
TOGO
SOUTH AFRICA
MADAGASCAR
DAHOMEY
RHODESIA
MOZAMBIQUE
TANZANIA
MALAWI
LESOTHO
Coptic Christians from earliest times
Majority Muslim
Minority Muslim
Roman Catholic Missions
Other Christian Missions



(عن ماكلين وتومسن)

خريطة ٨/١٣- نيجيريا، وأسس مشكلاتها

حواشي الفصل الثامن

(١) جمال حمدان: أفريقيا الجديدة، دراسة فى الجغرافيا السياسية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦، ص١٢

(٢) محمد صفى الدين: أفريقيا بين الدول الأوربية ، القاهرة، مكتبة مصر ، ١٩٥٩، ص١.

(٣) وكانت تحت الانتداب، وهو نظام من الحكم الاستعمارى ابتكرته للدول الأوربية المنتصرة فى تلك الحرب على الأراضى التى كانت خاضعة لكل من ألمانيا وتركيا والنمسا والمجر وبلغاريا فى كل من قارتى آسيا وأفريقيا(محمد عوض محمد: الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، القاهرة، دار الكتاب العربى، ١٩٥٣، ص٥٦).

(4) Horrabin, J.F.: An atlas of Africa , New Tork, Fredrick A Prager,1960,p61.

(5) Humdan, G.: Political map of the new Afroca, Geogr, Review,oct, 1963, p425-426.

(٦) محمد صبحى عبد الحكيم: خريطة أفريقيا السياسية فى السنوات العشر الأخيرة(١٩٥١-١٩٦٠) الجمعية الجغرافية المصرية، المحاضرات العامة موسم ١٩٦١، ص٤٣-٧٢.

(٧) سلوى محمد لبيب: ظاهرة الانقلابات العسكرية فى أفريقيا بين النظرية والتطبيق، مجلة الدراسات الأفريقية، ع٤، ١٩٧٥، ص٢٢١-٢٣٤.

(8) Gawuejeogwn, M.Angulu: The Social Anthropology of Africa, London, Medineman, 1975,p115.

(9) Badovic, Brana: The Comnemweal th map. London, Commenwealth office, 1978.

(10) Gawuajeeogwn, M.: The social Anthropology of Africa, op.cit, p.116.

(11) Brownlie, Ian: African Boundaries; a Legal and diplomatic encyclopaedia, London, C.,Hurst&Co.,1979.

(12) Touval, Saadia: The bounsary politics of independent Africa, Cambridge, Harvard Univ, 1972,p279-290.

(13) Barbour,N:The Maghrib; a survey of North West Africa, London,1959,p195-198.

(١٤) جمال زكريا قاسم وصلاح العقاد: مسألة الصحراء (الصحراء الأسبانية سابقا)القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٦، ص٣٥٩-٣٩٠(الدراسات الخاصة١).

(15) Trench, Richared: Forbidden sands; a search in sahara London, john Murray,1978, p179.

(١٦) جاء هذا بعد توقيع معاهدة تقسيم الصحراء الغربية (الأسبانية سابقا) بين المغرب وموريتانيا وأسبانيا بعد سبعة أيام من لالمسيرة الخضراء التى قادها الملك حسن عاهل المغرب ودخل بنحو ٣٥٠ ألف نسمة اقليم الصحراء يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٥.

(17) Drysdale, john: The Somali dispute, London,1946, p95.

(18) Ibid, p174.

(19) Muir`s historical atlas, medivieval & modern, iith.ed London, george Philip &son, 1969,p96.

(٢٠) بقرار صادر فى الجلسة رقم ٢٢ المنعقدة فى ٩ يونيو وأول أغسطس ١٩٥٨.

(٢١) محمد عبد الغنى سعودى: الصومال عضو جديد فى الجامعة العربية: مجلة البحوث والدراسات العربية، ع٥، يونيو ١٩٧٤،ص١٥-٥٩

(22) Drysdale, john: op.cit.,p79.

(٢٣) عزة سامى: القارة السوداء هل تبتلعها الحروب الأهلية، الأهرام، الاثنين ٢٢ من فبراير ١٩٩٩، ص٧.

(٢٤) عبد العزيز كامل: مشوع تقسيم اتحاد جنوب أفريقيا(بانتوسان) القاهرة الجمعية الجغرافية المصرية المحاضرات العامة، ١٩٦١، ص١٢-١٩.

(٢٥) جمال حمدان: العرب فى عالم متغير، الأهرام، الجمعة ١٥ يونيو ١٩٧٣ـص٧

(٢٦) جمال حمدان: استراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة، دار الهلال، ١٩٦٨، ص١٥٩-١٦٠.

(27) Haynal, Andre; Molnar, Miklos et puymege; Gerard, La fantisme; histoire et psychanalyse , paris, stook,1979,p261.

(٢٨) محمد مصطفى زيادة: نهاية السلاطين المماليك في مصر: المجلة التاريخية المصرية مج٤، ع١، مايو ١٩٥١، ص١٩٧-٢٢٨

(٢٩) ومن السلال المنتجة معها كندا – واستراليا – والأرجنتين – روسيا – بالإضافة إلى السة الكامنة السودان.

(٣٠) معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة، التقرير الاستراتيجى (الأول) الأفريقى. القاهرة، المعهد، ٢٠٠٢، ص٣٨٥-٣٨٦

(٣١) منها مقال محمد شوقى الفنجرى: وجهة نظر اسلامية فى قضية توزيع الثروة: الأهرام (الأربعاء ١٧ من نوفمبر ١٩٩١:ص١١

(٣٢) انظر إلى احداث افغانستان – ايران/ العراق /الصومال- اثيوبيا- المغرب/ الصحراء- ولخيرا حصار بيوت ومذبحة الفلسطنيين اللاجئين منذ١٩٤٨

(33) Shewika. F.A.:Some African concept of God. African Studies Review, Vol.,91,980. p.12-54.

ببلوجرافية الفصل الثامن

(1) Ajala, Adekunle: Pan-Africanism; evolution, progress and prospects. London, Andre Deutch, 1973.

(2) Curtin, Philip D. (ed.): Africa & the west: intellectual responses to European culture. Madison, Univ. of Wisconsin Press, 1972.

(3) Garlake, Peter: The Kingdoms of Africa. London, Elsevier Phaidon, 1978.

(4) Geen, M.S.: The Making of South Africa. Gape Town, Maskew Miller ltd., 1958.

(5) Gutkind, Peter C.W. and Waterman, Peter (eds.): African Social Studies; a radical reader. London, Helineman, 1977.

(6) Spencer, J.E. and Thomas, W.L.: Introduction Cultural geography. 2 nd. ed. New York, John Wiley & Sons, 1978.

(7) Touval, Saadia: The boundary Politics of independent Africa. Cambridge Mass., Harvard Univ. Press, 1972.

(8) Wattenberg, Ben J. and Smith, R. Lee: The new nations of Africa. New York, Hart Pub. Co., 1963.

خاتمة القسم الأول

خاتمة القسم الأول

يصعب فى الحقيقة، كتابة خاتمة لهذا العمل، الذى كان أحرى أن يكون بأقلام متخصصين عديدين يكتب كل، فى فرع تخصصه الدقيق، ثم يتولى تحرير العمل كله محرر يجمع الكتاب، ويوجهه لهدف واحد منشود.

ولكن، أما وقد انتظر المؤلف حدوث ذلك، طويلا وكثيرًا، بل وسعى، سعى المجد، لدى كثيرين من الزملاء، حالت ظروف لديهم دون المشاركة فقد عزم مستعينًا بالله، على العمل، فكان ما كان، وكان هذا الكتاب.

والحق أن موضوعات الكتاب الستة ممثلة فى فصوله وأن بدت منفصلة إلا أنها مترابطة ومتشابكة، تكامل الجسم الحى بأجهزته ووظائفه المختلفة وهذا هو شأن الجغرافيا وشأن الأنثروبولوجيا وهما تخصص مؤلف هذا العمل على السواء.

فالمرجو، أن يكون هذا باديًا للعيان، حتى تعم الفائدة، ويتحقق الهدف المنشود، وهو التعريف بالظروف الإيكولوجية وعلاقاتها المتداخلة فى القارة الأفريقية تمهيدًا لدراسة أثرها على الشعوب وقبائل القارة، وهو الموضوع الذى سيكون محل دراسة الكتاب التالى بإذن الله.

أما عن هذا الكتاب الذى إتبع فيه المنهج الإيكولوجى التكاملى وهو منهج تتبعه علوم كثيرة، فقد كان مناسبًا للغاية للتطبيق على أفريقيا، تلك القارة العريقة، التى هناك أدلة كثيرة على أنها كانت الموطن الأول للإنسان (الهومابين سابين) الذى عاش منذ آلاف السنين فيها، والتى دلت على ذلك آثاره البيرلوجية والثقافية، مما يجعل من إفريقيا معقلا للحضارة الحجرية الحديثة بما إكتشف خلالها من أساليب، وأنماط للحياة المتقدمة كالزراعة والوعى المحدود والأوانى الفخارية وبداية استعمال المعادن، فلم يكن غريبًا أن يكون وادى نهر النيل، الأدنى، البيئة التى ازدهرت فيها حضارات متقدمة انعكست آثارها على باقى أجزاء القارة ومناطق أخرى من آسيا وأوربا، قريبة.

ويبدو أن النوبة وربما شمال غرب القارة فى المناطق التى تحد الصحراء، كانت خلال الألف الأولى قبل الميلاد أنشط وأهم مناطق العالم فى الصناعات المعدنية، الى يعتبر استعمالها بداية عصر جديد للإنسان، حيث بدأت تظهر القوى الاقتصادية والسياسية وتتحكم وتوجه الأمور.

ومع دخول الإسلام إفريقيا وانتشاره بها، زاد ترابط أجزاءها ومناطقها بعضها ببعض خاصة شمال خط الاستواء، ومع وصول البرتغاليون – وهم أول من وصل من الأوربيين – إلى شواطئ أفريقيا فى منتصف القرن ١٥ وجدوا مسالك وطنية قوية متماسكة لا تقل فى تنظيمها وبنائها عن مثيلاتها فى أوربا المعاصرة لها، ولكن منذ منتصف القرن ١٦ إنقطه هذا التقدم نتيجة ظهور تجارة الرقيق التى أدخلها ونماها لمصلحته الاستعمار الأوربى. والذى أخذ ينمى أرض أمريكا بإنسان أفريقيا، الذى أنهكه الاستعمار والخط خلال ثلاث قرون تالية كانت بشعة عليه وعلى قارته، ولم ينج من ذلك جزء منها، حتى شما غرب القارة، الذى امتدت حضارته إلى أوربا عندما أنشئ حضارة الأندلس الزاهرة فى إيبيريا.

وأخيرًا ظهرت نتيجة كفاح أبناء القارة بداية الحركات الاستقلالية التى أخذت تؤتى شارها فى استقلال دولها، حيث أخذت تزداد عدد الدول المتقلة منذ وحول عام ١٩٦٠، حتى وصول زمبابوى (إبريل ١٩٨٠) على الاستقلال، وبذلك لم يعد مستعمرًا إلا ناميبيا المستعمرة الإفريقية لدولة أفريقية، هى جنوب أفريقيا تلك الدول الغربية على القارة أكثر من أن تكون منها.

هذا وإلى زمن قريب كانت أفريقيا تعد إمتدادًا لأوربا، ولكنها بدأت منذ مدة جد قريبة تأخذ شخصيتها وتلك أخذت تتدعم بسروعة وبعمق، بحيث أصبحت تستشرف آفاق المستقبل بأمل باسم زاهر، فإذا نظرنا إلى سكانها (٤١٣ مليون ١٩٧٦) نجد أن ٤٢ % منهم عمره أقل من ١٤ سنة، كما أنها تزداد سكانًا بسرعة بحيث يكاد يصل عددهم إلى نصف المليار نسمة مع عام ٢٠٠٠، وتزداد الآن فرص التعليم والثقافة وتتحسن مستويات التغذية مع أنها مازالت فى حاجة إلى تنمية كثيرة خاصو فى بلاد النطاق الصحراوى أى أن المستقبل أسود – كما قيل – فى إفريقيا، كما أنه لها.

وتتطلب عمليات التنمية الأفريقية، تدعيم فرص التعليم الفنى وتوجيهه زراعيًا وصناعيًا، مع زيادة العناية إلى إدخال أنماط حديثة من الزراعة الواسعة أو الكثيفة والبستانية حسب الأحوال، ثم إدخال أنواعًا جديدة من المحاصيل الزراعية الغذائية والنقدية مع إيجاد نوع من التعادل المتزان بينهما بحيث يفيان معًا بحاجات الإنسان الأفريقى ويدعمان مستقبله، ويقويان – مع

الثورة المعدنية التى يجب العناية بها والتوسع فيها - اقتصاديات دولها، ويوازنان ميزانها فى التجارة الخارجية.

هذا والأمل الكبير فى أن تقفز أفريقيا اقتصاديًا وسياسيًا وحضاريًا، خلال العقود التالية لتتبوأ مكانة عالية مرموقة فى دنيا الحضارة الحديثة، فالقفزات تعودت أفريقيا عليها منذ عصر ما قبل التاريخ، ولعل تلاحمها المعاصر مع الأحداث العالمية، يعوضها ما فاتها من عزلة وانعزال ولعل - أيضًا - فى ظهور منظمة الوحدة الأفريقية خير مؤشر على ذلك.

وإذا كانت افريقيا بحق هى قارة المتناقضات، فى كل العناصر الكبيعية والبشرية، أى الإيكولوجية والأنثروبولوجية، فإن كل هذا يتركز واضحًا فى حوض النيل، ذلت العمود الفقارى لقارتنا البكر الخضراء العذراء، قارة الأمل والمستقبل.

وهذا هو ما سنعمل على توضيحه فى عرضنا السريع للأحوال الإيكولوجية فى حوض النيل (الفصل الثامن)، وهو الفصل الأول من القسم الثانى من هذا الكتاب، وهو الذى سيخصص فيه فصول أخرى لدراسة الظروف الإيكولوجية فى وحدات حوض النيل السياسية المختلفة مبتدئين من الشمال من مصر، حيث مصب النيل والعظيم، وسيكون ذلك على مراحل، حتى تغطى كل وحدات الحوض.

القسم الثانى

الدراسة الإقليمية

القسم الثانى

الدراسة الاقليمية

بعد الدراسة العامة للقارة الافريقية، نقوم فى هذا القسم الثانى من الكتاب بدراسة أقاليم القارة، وهى التى يمكن أن تشمل الأقاليم التالية:-

حوض النيل- القرن الأفريقى- الساحل والصحراء- الأطلس- غرب أفريقيا- وسط أفريقيا- شرق أفريقيا- جنوب أفريقيا.

ثم نتبع ذلك دراسة إقليمية لدول هذه الأقاليم، على مراحل وفى أجزاء متتابعة من الكتاب بإذن الله وفى طبعات لاحقة.

هذا وان كنا سنشير إشارة عابرة خاطفة عن مصر بعد دراسة حوض النيل، وبطبيعة الحال سيتغير الحال غير الحال فيما بعد من أجزاء وطبعات.

الفصل التاسع

حوض النيل

حوض النيل

النيل معروف بأنه ذلك النهر القديم والعظيم والطويل (٤١٦٠ ميلا/ ٦٦٩٥ كم)، والجديد والمتجدد، نهر خالد، نابع من عالم الخلود، ليدخل الخلود كل من يشرب من مائه لابد من أن يعود إليه مرة أخرى.

أما الحوض (من المادة اللغوية العربية ح و ض) فيقصد به جغرافيا حوض النهر[1] وهو ذلك الاقليم (المكان الأرضى) الذى تتصرف مياهه السطحية إلى مجارى نهرية تتجمع كلها فى النهاية فى مجرى واحد أو أكثر حتى تصب مياهها كلها فى البحر أو غيره، كأن تفقد فى الصحراء أو تغور فى باطن الأرض.

وأما عن حوض نهر النيل (١,١ مليون ميلا مربعا/ ٢,٩ مليون كم٢)، فهو ذلك الحوض الخاص بنهر النيل، بالوصف والتوصيف، والحد والحدود، والصفة والصفات، التى سيرد بيانها بصفة عامة فى هذا الفصل، على أن نترك التفصيلات لفصول لاحقة تخصص لأقاليمه المختلفة، الطبيعية والسياسية (أى جغرافيا)، وهنا يتفقان- لحسن الحظ العلمي- إلى حد بعيد فى حوض النيل أما من الناحية البشرية (أى أنثروبولوجيًا)، فهى تحمل الكثير من صفات الاختلاف، وإن كان إختلاف التكامل والترابط، وليس اختلاف التنافر والتنابذ.

ومن هنا كان التأكيد على فكرة أن حوض النيل بدوله العشر (أى أقاليمه السياسية) وكذلك بأقاليمه الطبيعية (= الجغرافية)، وأقاليمه البشرية (=الأنثروبولوجيا)، وأبعاده الزمانية(= التاريخية)، يختزل كل ظروف القارة الأفريقية بصفاتها المعروفة والمعهودة (راجع المقدمة والتوطئة).

فإذا ما تعمقنا فى دراسة كل من هذه المواضيع ثم أمعنا الفكر بغرض التحليل والربط والتعليل، وهى أساسيات المنهج الجغرافى الإيكولوجى، مستعينين بالخرائط والمصورات والبيانات المناسبة، يمكننا أن نخرج بنتائج أيكولوجية جديدة تخدم الهدف الأسمى للإنسان ألا وهو التنمية التى ما هى إلا التغيير باستمرار إلى الأفضل، فى وطننا الكبير حوض النيل وأفريقيا.

المجال والتاريخ:

تقوم مجارى وروافد نهر النيل الكثيرة المتعددة، بتجميع المياه المتساقطة فى منطقة نفوذ النهر أى حوضه (خريطة ٩/١) لتخرج بها من منطقة المنابع الاستوائية والاثيوبية وتتجه بها إلى السودان ثم إلى مصر، حيث نهاية المطاف بمصب النيل فى البحر المتوسط بعد دمياط ورشيد.

ولما كانت حدود حوض النيل –كغيره من سائر الأحواض– تتحدد باتجاه انحدار الأراضى المحيطة به وروافده، على أعتبار أن كل ما يسقط من مياه التساقط سوف تتجه مع انحدار الأرض (حقيقة أو افتراضيا) لتتجمع وتكون مجرى صغير يأخذ فى الكبر إذا اتحد مع غيره وغيره ليكون رافدا هاما من روافد النيل مثل كاجيرا أو سمليكى فى المنابع الاستوائية ومثل الأزرق والرهد والعطبرة فى المنابع الأثيوبية، لما كان ذلك كذلك، فأن حدود حوض النيل يمكن تتبعها على خرائط التضاريس ذات المقياس الكبير(ذات الرقم صغير القيمة الرياضية) بحيث يرجع الباحث مع كل رافد من روافد النيل صعودا إلى منابعه.

فإذا نجحنا فى ذلك، وايضًا إذا استعنا بخرائط الكنتور، ذات الفواصل الرأسية صغيرة القيمة (حتى ١٠ أمتار) وذلك فى المناطق الجافة والقليلة المطر كالصحراء الشرقية والغربية فى مصر والسودان، نستطيع أن نحدد حدود حوض النيل التى يمكن أن تلخص فيما يلى(٢):-

١- **الحد الجنوبى:** هو التلال والمرتفعات الواقعة فى شمال ووسط تنجانيقا إلى الجنوب من بحيرة فيكتوريا Victoria وهى التى عرفت فى كتب الرحالة القدامى بجبال القمر وهى ما تعرف حاليا باسم تلال أنيامويزيا Unyamwezia.

٢- **الحد الشرقى:** يسير مع المرتفعات التى تتألف منها الحافة الغربية للفرع الشرقى من الأخدود الافريقى العظيم فى تنجانيقا وكينيا، وبذلك لا يدخل هذا الأخدود فى حوض النيل حيث لا تتصرف مياهه (الحقيقة والافتراضية) إلى نهر النيل، ثم يسير هذا الحد مع الحافة الشرقية للهضبة الأثيوبية وعليه فإن معظمها تدخل فى مجال حوض النيل بطبيعة الحال، ثم يسير هذا الحد بمجازاة الشاطىء الغربى للبحر الأحمر وهو فى الأغلب يتبع قسم الجبال المنحدرة نحو البحر الأحمر حيث تخرج الأودية التى تصب فيه من حوض النيل، بينما تدخل

تلك التى تتجه غربا حتى ولو كانت جافة باستمرار فى حوض النيل، ثم يتبع هذا الحد قمم مرتفعات جبال سيناء ثم ينتهى إلى البحر المتوسط مخلفا وادى العريش خارج حوض النيل.

٣- وأما الحد الغربى: فيبدأ من جبال مفبيرو mfumbiro التى تفصل بحيرة ادوارد (عيدى أمين) عن بحيرة كيفو Kivo ثم يتبع الحافة الغربية للاخدود الألبرتى (الفرع الغربى من الأخدود الأفريقى العظيم) ولذلك فإن بحيرة البرت (موبوتو سيسيكو) تدخل ضمن حوض النيل، ثم يتجه هذا الحد نحو الشمال الغربى متتبعا مرتفعات تقسيم المياه (هكذا تسمى فعلا) بين النيل (بحر الغزال) وبين الكنغو (معًا) عن نهر شارى (النهر الرئيسى فى حوض تشاد).

بعد ذلك يغير الحد الغربى اتجاهه ليتجه نحو الشمال الشرقى حتى يقترب من النهر (النيل النوبى) فى مديرية دنقلة من الاقليم الشمالى فى السودان، ثم يسير محازيا له على مسافة بضعة كيلو مترات قليلة منه حيث ينفرج عنه نحو الغرب عند مصر الوسطى وذلك ليضم إلى الحوض وادى الريان وأقليم الفيوم فى مصر، ويتجه بعد ذلك نحو الشمال الغربى حيث ينتهى عند البحر المتوسط إلى الغرب من الاسكندرية بنحو مائة كيلو متر.

بذلك نجد أن حوض نهر النيل يعتبر من أكبر أحواض أنهار القارة الأفريقية إذ لا يفوقه فى الاتساع إلا حوض نهر الكنغو، وذلك حيث تبلغ مساحة حوض النيل نحو ٢,٩ مليون كيلو متر مربع.

وهو يمتد على مسافة تبدأ من خط عرض ٤° جنوبًا إلى خط عرض ٣١,٥ درجة شمالا تقريبا، وبينما لا يكاد يتعدى حوض نهر الكنغو أن يكون اقليما واحدا أو اثنين على الأكثر من الناحية الجغرافية والسياسية والأنثربولوجية، نجد أن حوض النيل تتمثل فيه جل إن لم يكن كل الأقاليم الجغرافية والأنثروبولوجية الأفريقية، وكذا العديد من الدول السياسية (عشر دول= ١٨% من دول القارة) والأنماط السلالية والأنثربولوجية.

بل إن حوض النيل ليتمثل فيه أو بالقرب منه على الأقل كل المظاهر الايكولوجية الأفريقية، من طبيعية جغرافية إلى بشرية أنثربولوجية، بحيث يصدق فيه وبه أنه خير مثال للدراسة التطبيقية الايكولوجية العامة عن القارة الأفريقية.

هذا عن المجال الايكولوجى (الجغرافى والأنثربولوجى) وهو الممثل لعنصر المكان فى هذا الموضوع والذى يعد هو لب وهدف هذا الفصل، بل وهدف هذا الكتاب كله، ولكن ليس بالمكان فقط تتم وتكتمل دراسة الموضوع، إذ أن هناك الجانب الزمانى ألا وهو التاريخ، ويتركز هنا فى محاولة تلمس تطور معرفة الانسان بحوض النيل، وهو ما اصطلح على تسميته كشف منابع النيل(٣).

ذلك أن كشف منابع النيل كان من الموضوعات الهامة التى سيطرت ووجهت الفكر والجهد العلمى أبان النصف الثانى من القرن التاسع عشر، تلك الفترة المثمرة التى أنجبت الكثير من النظريات والكشوف العلمية التى مازال العالم المتحضر - سجتر منها الكثير ويستعملها كأساس لانطلاقه الفكرى والعلمى والتكنولوجى(٤).

ولعل خير دليل على عمق الاهتمام بنهر النيل وحوضه وناسه، أن معظم اهتمام العالم القديم (هيرودوت، وأرلتوستنى) وعالم العصور الوسطى (الإدريسى)، ما كان يبعد ولا ليتباعد كثيرا عنه، يستشف ذلك من دراسة المصورات الجغرافية القديمة والوسيطة(٥) (خرائط ٩/٢، ٩/٣، ٩/٤).

أما فى العصور الحديثة(٦) فإن إنشاء الجمعية الجغرافية (الخديوية) المصرية (١٨٧٥) كان بهدف كشف مجاهل أفريقيا ومنابع النيل بوجه الخصوص، حيث بلغت نسبة الرحلات والكشوف الجغرافية الخاصة بمنطقة حوض النيل نحو خمس (١٨,١٨%) الرحلات والكشوف الأفريقية خلال الفترة ما بين عامى ١٧٦٨-١٨٥٤ كانت أهمها رحلة جيمس بروس **Bruces** (١٧٦٨-١٧٧٣) (خريطة ٩/٥) التى كشف فيها ينابيع النيل الأثيوبية(٧).

وتزايدت هذه النسبة حتى وصلت إلى نحو النصف (٤٥,٨%) خلال النصف الثانى من ذلك القرن التاسع عشر الميلادى (١٨٥٣-١٩٠٠) كانت أهمها رحلة برتون**Burton,R** وسبيك **Speke**(١٨٥٨-١٨٥٩) (خريطة ٩/٦)التى كشف فيها سبيك الشواطىء الغربية لبحيرة فيكتوريا (نشينو ماكاوى)(٨)، حيث أطلق عليها أسمها إتشيد وكان أول أوربى يرمى هذه البحيرة الكبرى التى أوحى له خياله العلمى بأن منها ينبع النيل العظيم.

وهو ما أكده كشفه اللاحق مع جرانت **Grant**(١٨٦٠-١٨٦٣) (خريطة ٩/٧) وما زادته تأكيدًا رحلة بيكر **Bakeer, S** (١٨٦١-١٨٦٥)

(خريطة ٩/٨)، ثم رحلتى ستانلى Stanley(١٨٧١-١٨٧٢و ١٨٧٤-١٨٧٧) (خريطة ٩/٩) التى كشف خلالهما نهر الكنغو والمجموعة الغربية من المنابع الاستوائية خاصة أثناء محاولته انقاذ أمين باشا (إدوارد سنتزر) الحاكم المصرى لمديرية خط الاستواء فى ذلك الوقت.

• هذا وقد تتابع اهتمام الأوربيون خلال القرن العشرين أيضًا بدراسة أحوال أهالى حوض النيل، بل أن هذا الاتجاه مازال قائما حتى اليوم، يلاحظ ذلك من كثرة عدد الرسائل والبحوث العلمية التى تقدم فى الغرب والشرق فى أمريكا عن هذا الموضوع.

العناصر الطبيعية:

إذا كان الموقع Stution هو أول المعطيات الطبيعية الايكولوجية والجغرافية فإن موقع حوض النيل يبدو أنه يمثل مركز ووسط خريطة الشرق الأوسط بل وخريطة العالم (للناظر إليها إذا كانت من نوع مسقط مركيتور على وجه الخصوص) حيث يقع فى الشمال الشرقى للقارة الأفريقية، فى المكان الذى تقترب فيه أفريقيا من آسيا، وتكاد تتصل ولا تنفصل عنها من خلال شبه جزيرة سيناء فى شمال البحر الأحمر، ومن خلال مضيق باب المندب فى جنوب ذلك البحر صغير المساحة ولكن عظيم القيمة الاستراتيجية.

ويبدو أن موقع حوض النيل بمحوره البطولى الطويل، وقد أعطى له قيمة عمق واستراتيجية الحركة السياسية وللتحركات العسكرية خاصة الجوية منها، بالإضافة إلى ما يتيحه ذلك من تنوع إيكولوجى خاصة فى الموارد الطبيعية التى ما هى إلا رأسمال وقيمة الموضع

من هنا يبدو أن الموقع والموضع يتعادلان فى تناسق تام- القيمة ليصلوا بحوض النيل إلى قمة الأهمية فى أفريقيا، بل وفى أجزاء أخرى متسعة حوله من العالم، مما يزيد من ثقل ووزن دوله وأهله وناسه وسكانه، إذا ما وعوا وناضلوا وفاضلوا بين الغث والسمين، فهل من مدكر، أنها مشكلة أنثربولوجية من الدرجة الأولى، أكثر منها جغرافية، والكل يحتويه الاطار والمحتوى الايكولوجى.

ومن هنا كان الاهتمام قديما وبالفطرة والسليقة بحسن العلاقات وحسن الجوار بين شمال وجنوب الوادى حتى وصل إلى وحدة السلالة والعرق،

واستمر هذا الوضع بدون تقطع أو انقطاع أو قطيعة إلا فى فترات ضعف الوعى والاضمحلال تضاف إليها فى بعض فترات العصر الوسيط والحديث وربما المعاصر، التأثيرات الهادئة المدمرة من القوى الكبرى الخارجة عن القارة الأفريقية، والتى ما تبغى إلا إلى السيطرة عن طريق التفرقة وما يتبعها من ضعف وتبعية.

هذا عن الموقع وأثره بل وآثاره التبادلية بعيدة المدى فى كل عناصر المكون الايكولوجى، أما إذا ما أوغلنا فى المعطيات الطبيعية فإننا نجد أنه يتجلى فى حوض النيل معظم النماذج الأفريقية من مظاهر السطح والتضاريس والمكونات والتكوينات الجيولوجية، حيث نجد أن أساس القاع مكون من صخور القاعدة القديمة (عصر ما قبل الكامبرى) حيث كانت قارة جندوانا تكون فى ذلك كل أجزاء ومناطق الحوض كله، أعلى الحوض حيث منابع النهر، وأدناه حيث مصباه المكونان للدلتا العظيمة القيمة والقمة فى إنتاجها الزراعى.

لكن تلك القاعدة الصلبة الجرانيتية والنيسية والشيستية، تعرضت لأقصى تجربة جيولوجية شهدها كوكبنا الأرضى، وذلك عندما بدأت الحركات الباطنية الضخمة فى الظهور، مع بداية العصر الجوارسى حيث أدت هذه الحركات التكتونية إلى تشقق قارة جندوانا وتكسرها مما أدى إلى ظهور الأخدود الأفريقى العظيم خلال الزمن الجيولوجى الثالث الذى يعتبر من أهم المعالم الطبيعية التى أدت إلى ظهور حوض النيل بصورته الحالية(خريطة ٩/١٠).

وأدى إلى ظهور الهضبة الأثيوبية البازلتية المرتفعة بمساحتها الواسعة التى أدت بدورها إلى تغيير دورة الرياح والتيارات الهوائية فسحبت ما سحبته من رياح رطبة أسقطت مياه فيضان النيل وأدت إلى تكامل تكوين شبكة النيل فيما بعد(خريطة ٩/١١).

وليس هذا وحسب كان دور الجيولوجيا فى تكوين حوض النيل، بل إنها هى المسئولة أيضًا عن تكوين البحر الأحمر، وأيضًا مسئولة عن تكوين أعلى قمم وجبال وهضاب الحوض فى هضبة البحيرات الاستوائية (إلجن ٤٣١١م) والهضبة الاثيوبية (سيمين ٤٦٢٠م)، كما أن العوامل الجيومورفولوجية كانت هى المسئولة عن تكوين جبال ومرتفعات البحر الأحمر فى السودان ومصر وهى تلك التى تكون الحد الشمالى الشرقى للحوض.

بل إنها هى التى سببت ظهور أعظم منخفض فى أفريقيا ألا وهو منخفض القطارة (-١٣٨م) وهو الذى يقع ليس بعيدا عن الحد الشمالى الغربى، وقد أدى تكوين هذا المنخفض إلى ظهور بحر من الرمال عظيمة وكثيفة تدخل مساحات كبيرة منها فى حوض النيل إلى الغرب من مجرى النيل الأوسط فى مصر (٩).

ومن جهة أخرى نجد أنه تتمثل فى حوض النيل معظم أنماط الصخور والترسيبات الجيولوجية، فهناك الصخور النارية بكلى نمطيها البلورية مثل الجرانيت (جبال البحر الأحمر) والبركانية المخروطية (جبل إلجن) والطفحية البازلتية (هضبة أثيوبيا)، كما توجد الصخور الرسوبية وهى أكثرها انتشارا- بطبيعة أحوال أحواض الأنهار فهناك صخور الحجر الجيرى المنتشرة فى صحارى شمال السودان والصحراء الشرقية فى مصر، وكذلك الحجر الرملى النوبى المنتشرة فى نفس هذه المناطق تقريبا، وهناك كذلك تمثيل واضح من الصخور المتحولة فى الصحراء الشرقية المصرية وهى التى كانت فى بادىء أمرها نارية (مثل النيس) أو رسوبية (مثل الرخام) هذا بالإضافة إلى الطمى.

أما إذا نظرنا إلى أقسام التضاريس فى حوض النيل (راجع خريطة رقم ٩/١) فإننا نجر سبعة أقسام هى:-

١- **هضبة البحيرات الاستوائية:** ويبلغ متوسط ارتفاعها ١٣٠٠م، وتنحدر فى جملتها نحو الشمال إلى سهول جنوب السودان وبهذه الهضبة المجارى العليا الاستوائية لنهر النيل، وتتكون معظم ضخور هذه الهضبة من الصخور النارية المتبلورة الصلبة الصلدة القديمة مثل الجرانيت وايضًا صخور أكية المتحولة مثل النيس والشست.

وقد تعرضت هذه الهضبة لحركات تكتونية عنيفة مما أحدث بها عدة صدوع أدت إلى تكوين الأخدود الافريقى العظيم Great Rift Valley بكلى فرعيه الشرقى والغربى(راجع خريطة ٩/١٠) كما أدت تلك الاضطرابات الباطنية إلى ثوران البراكين وخروج مواد منصهرة أخذت تتراكم حتى كونت جبالا شاهقة مخروطية مثل جبل إلجن Elgon، هذا وتوجد فوق تلك الهضبة أكبر بحيرة عذبة فى نصيف العالم الشرقى ألا وهى بحيرة فيكتوريا حيث ينبع النيل(١٠) (شكل ٩/١).

٢- **سهول السودان:** وهى تلك الأراضى الفسيحة المترامية الأطراف التى تمتد من سفوح هضبة البحيرات فى الجنوب إلى نهر العطبرة فى الشمال، وهى

بعامة تنحدر نحو الشمال، ويبلغ متوسط أرتفاعها ٤٠٠ م عن سطح البحر وهى تتدرج فى الارتفاع شرقا حتى تنتهى بمرتفعات إثيوبيا، وغربا حتى مرتفعات دارفور، هذا وتتخلل هذه السهول بعض المرتفعات مثل جبال مرة فى كردفان والأنجسنا فى أرض الجزيرة.

٣- هضبة إثيوبيا: وتلك أكثر أرتفاعا من هضبة البحيرات حيث يتراوح متوسط ارتفاعها بين ألفين وألفين وخمسمائة متر فوق سطح البحر وهى بعامة تنحدر نحو سهول السودان، هذا وفوق هذه الهضبة توجد بحيرة تانا التى تجمع أكبر قدر من المياه وحيث ينبع النيل الأزرق (الأسود أو المطين بالطمى) هذا وتتكون صخور هذه الهضبة من البازلت الذى يغطيها بسمك كبير (شكل ٩/٢) وهو الذى تفتته مياه الأمطار وتجرفه معها مكونة منه طمى النيل فى موسم الفيضان.

٤- مرتفعات خط تقسيم المياه بين النيل والكنغو: ويتراوح ارتفاعها فى المتوسط بين ٦٠٠-٩٠٠ متر، ومن هذه المرتفعات تنحدر نابعة معظم روافد بحر الغزال فى جنوب غرب السودان، حيث تشقها أودية عميقة فى صخورها المكونة أساسا من النوع الاركى (الجرانيت والنيس).

٥- مرتفعات دارفور وكردفان وجبال النوبا: وتتكون من هضبة قليلة الارتفاع حيث تتجاوز قمة جبل مرة (دريبا) الثلاث آلاف متر، وهو المكون من قمة بركانية هى أعلى سلسلة جبال بركانية تمتد فوق هذه المرتفعات من الجنوب إلى الشمال لمسافة تبلغ ١٥٠كم، هذا وتكثر فى جنوب هذه المرتفعات الأودية التى تفيض بالمياه فى موسم الأمطار وتجف فى فصل الجفاف.

٦- مرتفعات البحر الأحمر: وتمتد بحذاء الساحل الغربى للبحر الأحمر حيث تكون الحافة الغربية للشعبة الشرقية من الأخدود الأفريقى العظيم فهى أذن جبال انكسارية تشبه صخورها صخور هضبة البحيرات واثيوبيا وان كان يقل بها الطفح البركانى وتظهر جلية فى السودان ثم فى مصر حيث تظهر فوقها هنا وهناك بعض القمم الجبلية مثل جبل الجلالة البحرية وجبل الجلالة القبلية الذى يجرى بينهما وادى العربة والذى يصب عند الزعفرانة (راجع أحداث حرب الاستنزاف)، هذا وتتخلل هذه المرتفعات كثير من الأودية الجافة التى تجرى شرقا (نحو البحر الأحمر) وهى قصيرة بالطبع، وأخرى تجرى غربا (نحو

وادى النيل) مثل وادى قنا وهى طويلة وبالطبع تخرج أحواض الأودية الشرقية من نطاق حوض النيل (شكل ٩/٣).

٧- الحوض الأدنى فى مصر: ويشمل وادى النيل ودلتاه فى مصر بالاضافة إلى معظم الصحراء الشرقية المصرية وأجزاء يسيرة من الصحراء الغربية وهى تلك المطلة على وادى النيل، هذا وتتألف التربة فى هذا القسم من الغرين الدقيق الذى حمله النهر منذ آلاف السنين ناقلا إياه من الجبال والمرتفعات الاثيوبية خلال موسم الفيضان، أما صخور الصحراء فمعظم قسمها الجنوبى مكون من الصخر الرملي النوبى أما قسمها الشمالى فمكون من الحجر الجيرى.

ومن المخاطر الايكولوجية المحتملة ارتفاع مياه البحار نتيجة الصوبة الحرارية التى تهدد العالم، ويقال أنها ستكون على مراحل بحيث سترتفع المياه بمقدار نصف متر ثم متر ثم ثلاث أمتار وهذا معناه أن نصف دلتا النيل على الأقل ستغرق تحت مياه البحر إذا لم يتدارك الموقف منذ الآن كما حدث فى هولانده من قبل.

هذا وقد مر تكوين نهر النيل بصورته المتكاملة المجمعة الحالية بعدة ظروف ومراحل هى التى جعلت من النيل نيلا بما له من صفات مورفولوجية وهيدرولوجية معينة معروفة، وجعلت منه- بصورته الحالية- أحدث أنهار القارة الأفريقية حيث أنه مكون من عدة مجموعات نهرية (راجع خريطة ٩/١) ربطت فيما بينها عدة عمليات من عمليات الأسر النهرى أو الانكسارات الأرضية.

ولعل من أفضل الدراسات المنشورة بالعربية فى هذا الموضوع تلك الدراسة التى أجراها سليمان أحمد حزين[١١] ورشدى سعيد [١٢] حيث جمع نتائج البحوث القيمة الأصلية التى أجريت ونشرت حول الموضوع، يضاف إلى ذلك ما نشره حسان عوض عن تطور النيل، ويكاد الموضوع يتكامل إذا تم الاطلاع على بعض الكتب الأخرى**.

هذا وقد تأثر معدل انحدار أقسام وأجزاء مجرى النيل المختلفة (جدول ٩/١) بنظام إنحدار الأرض وتكوينها وتاريخها الجيولوجى حيث أصبح متباينا بدرجة ملموسة (شكل ٩/٤) وكان ذلك هو المؤشر الفعال الواضح الدلالة فى ظهور نظريات نشأة وتطور نهر النيل.

جدول ٩/١- معدل انحدار أقسام نهر النيل المختلفة

القسم	المسافة(كم)	الانحدار(١:)	القسم	المسافة(كم)	الانحدار(١:)
فى هضبة البحيرات	٨٦٧	-١٢٠٦	النيل الأزرق	١٦١٠	٨,٥
فى السدود	٩٥٨	١٣,٩	النيل النوبى	١٨٤٧	٦,٤
فى السودان الأوسط	٨٠٩	-١٠١	مصر	١٢٠٥	١٣,٢

وإذا حاولنا أن نستعرض فى عجالة الظروف المناخية السائدة فى حوض النيل نجد أن هناك عدة عوامل تؤثر فى تلك الظروف، لعل من أهمها:_

١- الامتداد الطولى الطويل لحوض النيل والذى يتعدى ٣٥° من درجات العرض تبدأ من الاقليم الاستوائى دائم المطر وتصل بالتدريج دون ما انقطاع إلى الاقليم المعتدل الدفىء ذى المطر الشتوى (البحر المتوسط).

٢- وقوع أراضى الحوض داخل المنطقة الحارة ولا تكاد أطرافه الشمالية تتعدى المنطقة المعتدلة الدفيئة.

٣- تنوع واختلاف تضاريس حوض النيل فهى تشتمل على مظاهر متنوعة من السطح فهناك السهول الفسيحة والأودية العميقة والهضاب عظيمة الارتفاع والجبال الشاهقة التى يغطى قممها الجليد باستمرار، وهذا التنوع فى التضاريس أوى بالتالى إلى تنوع فى أنماط المناخ.

٤- توسط موقع حوض النيل بين منطقة الضغط المرتفع الدائم المتمركزة حول جزر الآزو من الغرب وبين منطقة الضغط المنخفض التى تسود فوق جنوب آسيا فى فصل الصيف فى الشرق، هذا بالإضافة إلى أن حركة الشمس الظاهرية الفصلية تؤثر على انتقال مناطق الضغط الجوى(خريطة ٩/١٢).

٥- تعرض بعض جهات الحوض لانخفاضات جوية، تأتى بعضها من خارج الحوض ويتولد البعض الآخر داخل الحوض، وذلك كالانخفاضات الخماسينية فى مصر والهبوب فى السودان.

أما إذا رغبنا فى استعراض أحوال الحرارة فنجد أن (خريطة ٩/١٣) حرارة الجو تكاد تتشابه فى توزيعها فى كل من الاعتدالين الخريفى (أكتوبر) والربيعى (أبريل) حيث تسود حرارة الجو المعتدلة فى الجنوب (هضبة البحيرات) وفوق أثيوبيا حيث المرتفعات ثم فى أقصى السمال، بينما تكون

سهول السودان شديدة الحرارة، بفارق بسيط خاصة فى الشمال خلال فترة الاعتدال الخريفى.

هذا بينما تتشابه ظروف توزيع الحرارة فى الانقلابين الصيفى (يوليو) والشتوى (يناير) إلى حد بعيد فى القسم الجنوبى والشرقى من الحوض، نجد أن وسط الحوض يكون شديدة الحرارة فى الصيف وعظيم الدفىء (حارا) فى الشتاء وفى كلى الانقلابين تتدرج الحرارة هبوطا كلما اتجهنا شمالا.

وأما عن ظروف الضغط والرياح(خريطة ٩/١٤) فالملاحظ فى فصل الصيف أن منطقة الضغط المنخفض تنتقل مع حركة الشمس من جنوب الحوض إلى الجزء الأوسط منه، حيث تتصل بمنطقة الضغط المنخفض التى ترابط على جنوب غرب آسيا، فيتأثر بذلك اتجاه الرياح التى تهب على الاقليم، فتصبح جنوبية غربية فى النصف الجنوبى من الحوض حتى مدينة عطبرة حيث تعرف بالرياح الموسمية، وهى المسئولة عن مياه فيضان النيل الذى كان يصل الوادى والدلتا فى مصر سنويا، تلك الرياح ثار حول مصدرها الجدل وبحث مصدرها أهو المحيط الأطلنطى الجنوبى أم المحيط الهندى أم الاثنين معا، كما أن هناك زوابع الهبوب المدارية فى السودان بما تحمله من أتربة تؤثر على الحياة كلها.

والملاحظ أنه فى فصل الشتاء تأخذ منطقة الضغط المرتفع الأزورى فى الامتداد شرقا حتى تشمل مصر، يحدث هذا فى الوقت الذى تنسحب فيه منطقة الضغط المنخفض الاستوائى الجنوبية إلى جنوب خط الأستواء، فيكون نتيجة ذلك أن تسود الرياح الشمالية الشرقية على معظم مناطق الحوض عدا الأطراف الشمالية والجنوبية منه. وأما فى مرحلة الاعتدالين فنجد أن منطقة الضغط المنخفض الاستوائى تتحرك نحو الشمال لتتمركز فوق سهول وسط السودان وعليه فتسود الرياح الشمالية، والتى كثيرا ما تتأثر بدرجة ملحوظة بالانخفاضات الخماسينية فى مصر، لذا تعرف بأسمها خلال فترة وجودها كمظاهر محلية.

أما عن الأمطار فتتفاوت من حيث التوزيع (خريطة ٩/١٥) وطول فصل السقوط (شكل ٩/٥) فهى تسقط فى فصل الصيف على النصف الجنوبى من الحوض وتسقط بغزارة فوق المرتفعات فى أثيوبيا وعلى هضبة البحيرات(١٢٠٠- أكثر من ١٨٠٠ مم) وحوض بحر الجبل والغزال، هذا

ويتدرج سقوط الأمطار مع الاتجاه شمالا (من ٨٠٠-١٢٠٠ مم عند الملكال) حتى خط عرض مدينة عطبرة (من ١٠٠ مم حتى صفر) التى يبدأ منه اقليم الجفاف، أما فى فصل الشتاء فلا تسقط الأمطار إلا قليلا على الدلتا-الاسكندرية ٨٠مم) وسيناء ومتفرقة هنا وهناك على جبال البحر الأحمر فى مصر والسودان أيضًا، هذا مع استمرار هطولها فوق البحيرات دائمة المطر وكذلك فى فترة الإعتدالين حيث يقتصر سقوطها على هضبة البحيرات والشطر الجنوبى من هضبة أثيوبيا وحوض بحر الجبل فقط.

وفى ضوء هذه العناصر والعوامل الميترولوجية والمناخية يمكن تقسيم حوض النيل إلى الأقاليم المناخية التالية(خريطة ٩/١٦) حيث تتفاوت فصول وكميات الأمطار (شكل ٩/٦) هضبة البحيرات، سهول السودان (جنوب السودان، ووسط السودان) وشمال السودان ويشمل الوجه القبلى فى مصر-مصر السفلى(الدلتا) هضبة أثيوبيا(الحبشة).

أما عن التربة التى تعمل فى تفاعل ايكولوجى مع عناصر المناخ المختلفة كى تعطى المظهر النباتى السائد وهو الذى يعطى فى النهاية أهم معالم الاقليم الطبيعى (الجغرافى) فتتوزع وتتنوع فى كل أنحاء الحوض حيث تشمل جل أنماط التربات الافريقية تقريبا فبينما تسود فى هضبة البحيرات تربة اللاتريت (خريطة ٩/١٧) الصلصالية ذات اللون الأحمر، تسود تربة حمراء أخرى تشبه اللاتريت ولكنها خصبة فى حوض بحر الغزال وحوض بحر العرب، وتسود تربة صلصالية دقيقة سوداء اللون فى حوض السوباط والحوض الأدنى من بحر الجبل وهى تربة شديدة التماسك قليلة المسام ولذلك تكثر بها المستنقعات والمناقع والغدران على أثر سقوط الأمطار.

وهناك تربة أثيوبيا ذات اللون الضارب للحمرة وهى تشبه إلى حد ما لون طمى النيل وهى التى نشأت من تفتت الصخور البركانية، أما تربة معظم أقليم البحر المتوسط فهى تربة منقولة كستنائية، وكذا تربة دلتا ووادى النيل فى مصر فهى غرينية منقولة عظيمة الخصب وفيرة الانتاج الزراعى، وهى ليست من نوع واحد بل يتعدد تركيبها من مكان إلى آخر فقد تكون صلصالية أو رملية أو طفلية بحسب ظروف ارسابها إلى ظروف ووضع تكوينها.

ويرتبط النبات الطبيعى بظروف المناخ والتربة بالإضافة إلى عناصر التضاريس والامتداد الطولى على خطوط عرض كثيرة، فكان نتيجة التفاعل

الايكولوجى لكل هذه العناصر والعوامل أن ظهرت فى حوض النيل- فى توزيع تدريجى جغرافى منسق معظم الأقاليم النباتية الافريقية، فمن غابات النمط الاستوائى الكثيفة وغابات الدهاليز الابهاء فى هضبة البحيرات وهضبة أثيوبيا مع ما يتخللها من النباتات الجبلية متنوعة على الجبال كتلك التى توجد على جبال رونزورى وفمبيرو، تتدرج إلى حشائش السافانا الطويلة (لوحة ٩/١) فى جنوب السودان وهضبة أثيوبيا، ثم إلى سافانا الشوكية القصيرة (لوحة ٢١) كمرحلة انتقالية إلى إقليم الأعشاب الفقيرة حيث الكلأ وشجيرات شوكية صغيرة، سرعان ما تنمو إذا سقطت الأمطار القليلة ولكنها سرعان أيضًا ما تموت بحلول الجفاف[١٤] بعد ذلك نجد الاقليم الصحراوى بكل مظاهره الحياتية المعروفة، وهى تلك التى تكيفت على الجفاف الطويل، أما نباتات الواحات (فى مصر) فإنها لا تدخل فى نطاق حوض النيل.

أما الحيوان فإنه يرتبط أساسا بالظروف الإيكولوجية خاصة المناخ والنبات، حيث نجد فى الغابات الاستوائية والزواحف والأفاعى والقردة والطيور والحشرات الجميلة، أما فى نطاق السافانا فيوجد به الفيل الأفريقى (كبير الحجم غير الآخر الأصغر الذى يعيش فى أطراف الغابة) وفرس النهر (سيد قشطة) الذى يعتبر مع التمساح من أهم معالم أعالى النيل فى جنوب السودان، هذا بالإضافة إلى النمور والفهود والسباع والغزلان والوعول والحمر الوحشية والزراف والنعام، وتتدرج تلك الحيوانات فى القلة ثم الندرة حتى نصل إلى الاقليم الصحراوى حيث الجمال والجراد والورل المصرى (نوع من السحالى).

أما عن التصريف المائى السطحى (النهرى) فهو يتحدد- طبعا وأساسا- على موارد نهر النيل المائية وهى تلك التى تأتى عن طريق مصدرين، مصدر دائم من هضبة البحيرات، ومصدر فصلى موسمى من هضبة أثيوبيا، أما عن الأمطار التى تسقط على سهول السودان فلا يصل منها إلى مجرى النيل إلا القليل غير المحسوس.

وللحق والحقيقة فإن مائية النيل بنظام جريانها وكمية مياه الأمطار وفصول تساقطها وكميات التبخر كل هذه العوامل لها أثرها الواضح فيما أصبح عليه الحال فى مائية حوض النيل (خريطة ٩/١٩) ذلك لأن ظروف نشأة الحضارة المصرية منذ إرهاصات تقدم الانسان ثقافيا واجتماعيا، واستئناسه

النبات بالزراعة والحيوان بالرعى، ما كان ليتم تحت ظروف بيئة حوض النيل والبيئة المصرية ككل بالتحديد، تلك الظروف الايكولوجية التى لم تتكرر فى أى مكان آخر من العالم حتى ولا فى بلاد ما بين النهرين (العراق).

هذا والملاحظ أن مائية النيل لها تأثير كبير على مظاهر الحياه فى حوض النيل (خريطة ٩/٢٠) لذلك كان من الواجب دراستها بشىء من التفصيل حيث نجد أن المورد الدائم للنيل يأتى من هضبة البحيرات الاستوائية (خريطة ٩/٢١) التى تعتبر أغزر مناطق الحوض أمطارا فى العالم حيث يبلغ المتوسط السنوى لما يسقط عليها ١٢٨٠ مم موزعة على فصول وشهور السنة المختلفة، وتجمع معظم هذه المياه شبكة من المجارى والانهار تصب معظمها فى بحيرة فيكتوريا (المساحة ٧٠ ألف كم٢) ومنسوب ١١٣٥م ومتوسط العمق ٤٠م). ومع هذا فإنه لعدة اعتبارات، يعتبر نهر كاجيرا (ما بين ١٤٠-٦٠٠م٣/ الثانية) مع رافديه الاساسيين روفومو ولوفيرونزو أقصى المنابع النهرية بعدا عن مصب النيل[١٥]، حيث يصلا إلى قرب بلدة جينجا (غير جينجا السودانية) فى بوروندى.

هذا ويخرج النيل من بحيرة فيكتوريا باسم نيل فيكتوريا (خريطة ٩/٢٢) حيث تنحدر مياهه ذات التصرف الطبيعى (٦٦٧م٣/ الثانية) وهو تصرف لا يقاس بعظم مساحة حوض بحيرة فيكتوريا تلك التى تعد أكبر بحيرة عذبة فى العالم القديم، ويرجع ذلك إلى عظم مسطح مائها المعرض للبخر الشديد مما يجعلها تفقد قرابة ١٠% من مائها بالبخر، وتزيد هذه النسبة فى فصول زيادة الحرارة (الاعتدالين) وأخيرا بسبب انشاء سد أوين على شلالاته الذى رفع منسوب مياه البحيرة أربعة أمتار أخرى (لوحة ٩/٣) مما زاد من مسطح المياه بها.

ويدخل نيل فيكتوريا بحيرة كيوجا (المساحة ٧,٥ ألف كم٢، المنسوب ١٠٧٥م العمق ٤-٦م) فى منتصف طريقة إلى الطرف الشمالى إلى بحيرة ألبرت (المساحة ٥,٣٠كم٢، المنسوب ٦٢٠ م، العمق ١٢م) حيث يصرف فيها ٦٦٧م٣/ الثانية هذا وتجمع بحيرة ألبرت مياه القسم الغربى من هضبة البحيرات المكون من حوض بحيرة جورج (دويرو) (المساحة ٣٠٠ كم٢، المنسوب ٩٣٠م) وحوض إدوارد (المساحة ٢,٢ ألفكم٢، المنسوب ٩٢٦م) الذى يحمل مياهها نهر سمليكى (٢٥٠كم)، الذى يبلغ تصرفه إلى حنوب ألبرت

من خلال دلتا صغيرة ما بين ١٠٠-٣٠٠م٣/ث، والغريب والعجيب هنا أن ما يخرج من بحيرة ألبرت (تصرفها) لا يكاد يتعدى ٦٦٧م٣/ ث إلا قليلا، وهذا المقدار هو ما يدخلها فعلا مع نيل فيكتوريا، فأين ذهبت المياه الواردة مع نهر سمليكى، خاصة إذا عرفنا أن بحيرة ألبرت بحيرة أخدودية مسطحها المائى المعرض للبخر قليل بالنسبة لغيره من المسطحات المجاورة، عندى أن التعليل الوحيد المعقول هو وجود فوالق أرضية يهرب خلالها جزء من المياه العذبة، ولعل من المناسب حاليا التركيز على مثل هذا الموضوع من خلال البحوث التى تمهد لها الصور الملتقطة بالأقمار الصناعية، وذلك حتى لا يتكرر ما يحدث حاليا فى حوض بحيرة السد العالى فى مصر.

والجدير بالذكر أن نهر النيل ببحيراته يقف على نفس الدرجة مع أكبر مجموعة بحيرات عذبة فى العالم (جدول ٩/٢)، وهى مجموعة بحيرات سنت لورانس حيث ينبع ذلك النهر، ويجرى ما بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية.

جدول ٩/٢- مقارنة بين أهم بحيرات النيل ومثيلاتها فى أمريكا

بحيرات النيل	المساحة ميل٢	بحيرات العالم الجديد	المساحة ميل٢
فيكتوريا	٢٦٨٢٨	سوبيريور	٣١٨٢٠
ألبرت	١٦٤٠	ميتشجان	٢٢٤٠٠
ادوارد	٨٣٠	هورن	٢٣٠١٠
طانا	١٤٠٠	آيرى	٩٩٤٠
		انتاريو	٧٥٤٠

بعد ذلك، يخرج نيل ألبرت (٢١٦ كم) من بحيرة ألبرت كجزء من بحر الجبل(١١٥٦كم حتى بحيرة نو، ١٢٨٠ كم حتى مصب السوباط) حاملا ٦٦٧م٣/ ث كما سبقت الاشارة، ومع هذا فإن ما يصل بحيرة نو من المياه لا يتعدى ٤٥٠م٣/ث، يضاف عليها نحو ٢٠م٣/ث من بحر الغزال، فيكون مجموع كل ما يصل الملكال من مياه هضبة البحيرات ٤٧٥م٣/ ث، وهى كمية قليلة للغاية بالنسبة للمورد الاستوائى الدائم للنيل ومما لا شك فيه أن السبب فى ذلك يرجع إلى وجود مستنقعات جنوب السودان، التى تتسبب فى فقد هذه الكميات الضخمة من المياه بالبخر المباشر وعن طريق النتح من نباتات

المستنقعات الشرهة للمياه، لذلك كان التفكير جيدا وجديا فى إقامة مشروع ينفذ تلك المياه الضائعة، فكان مشروع قناة جونجلى (خريطة ٩/٢٣).

هذا وتعتبر قناة جونجلى، من أعظم مشروعات الرى التى ستكون لها آثار ايكولوجية واضحة الدلالة وعظيمة الأثر فى وعلى المعالم الجغرافية فى منطقة وأقاليم جنوب السودان تلك البلاد الشاسعة المساحة، التى تقطنها قبائل مازالت تحيا حياة بدائية بسيطة حتى اليوم، وقد عملت الظروف الطبيعية على أن تجعل من هذه المناطق (١٨ أف كم٢) مستنقعات طول ستة أشهر سنويا، ثم تعقبها خلال الستة أشهر الأخرى جفاف للأرض، وقد أثر هذه الفرض الطبيعى على حياة الأهالى هناك تأثيرًا كبيرًا للغاية، كما تسببت فى فقد النيل لكميات هائلة من مياهه، تكاد تصل إلى نصف مياهه تقريبا، بل أن تلك الظروف الايكولوجية قد ساعدت على تعزيز القلاقل للحكومة المركزية فى الخرطوم، واستمر ذلك الوضع سائدا حتى عام ١٩٧٢، عندما عقدت التسوية السلمية، تلك التسوية التى مازالت تلاحقها الهزات العنيفة وحتى بعد ايقاف القتال لم يبدأ فى استكمال المشروع بعد.

والحقيقة أن فكرة قناة جونجلى فكرة قديمة (١٩٠٤) واكبت انشاء سد أسوان فى مصر، ولكن كثرة البحوث والدراسات التى أجريت استغرقت مدة طويلة حتى وضع تقرير نهائى للمشروع عام ١٩٥٤، ولكن فى ذلك الوقت كانت مصر- وهى التى تهتم بهذا المشروع أكثر من غيرها- كانت مشغولة تماما بمشروع السد العالى، ذلك المشروع الكبير والهام لها أكثر من غيره من المشروعات المائية الأخرى، لذلك لم تستطيع الحكومة المصرية أن تتخذ فى هذا المشروع (مشروع قناة جونجلى) قرارا إلا فى عام١٩٦٤، عندما قررت البدء فيه بعد إنشاء السد العالى.

هذا وسيبلغ طول قناة جونجلى تلك عند اتمامها ٣٦٠كم، تمتد من بور حتى نقطة جنوب الملكال بنحو ٢٥ كم، وهى مسافة تتجاوز ما كان مقدرا لطول القناة عند التخطيط لها، إذ أن التنفيذ الفعلى قد تحاشى بعض أراضى الخاصة بالأهالى وكان مقدرًا أن تتم المرحلة الأولى للمشروع عام ١٩٨٥، أما المرحلة الثانية فكان مقدرًا أن تتم عام ألفين، وعندئذ سيتوافر لمصر والسودان، ولمصر خاصة (التى هى أكثر إحتياجا) كميات من المياه اللازمة لزراعة نحو

ربع مليون فدان إضافية، وهى مياه تقدر بنحو ثلث ما كان يفقده بحر الجبل من مياه فى منطقة مستنقعات جنوب السودان (منطقة السدود).

هذا، وقد تولت السوق الأوربية المشتركة EEC تمويل هذا المشروع (٢٣٥ مليون جنيه سودانى)، وقامت بالتنفيذ شركة الانشاءات الدولية (شركة فرنسية)، وهى ذات خبرة سابقة فى أعمال مماثلة فى الباكستان، وقد استعملت أكبر آلات الحفر(لوحة ٩/٤) مما جعل التنفيذ يسير بخطى سريعة (نفذ من المشروع نحو ٢٠٠ كم من أعمال الحفر حتى أكتوبر ١٩٨٣)، ومعنى هذا أن تحقيق المرحلة الأولى التى تشمل أعمال الحفر ستتحقق فى موعدها وتبقى المرحلة الثانية وهى التى تشمل القناطر والمعابر الميكانيكية والأعمال الانشائية الأخرى.

أما نهر السوباط(٧٤٠ كم) فيعتبر من المنابع الأثيوبية حيث يقع حوضه إلى الجنوب الغربى من الهضبة الأثيوبية حيث يقع حوضه إلى الجنوب الغربى من يحمل تباشير الفيضان كما يختمه، لذلك تباين تصرفه المائى ما بين ٨١م٣/ث والنيل الأبيض (٨٤٤كم) قليل الانحدار (١:٨٠ ألف) بطىء الجريان (١,٥ كم/ الساعة)، خاصة منذ إنشاء سد جبل أولياء(١٩٣٧) جنوب الخرطوم.

وعند الخرطوم يلتقى النيل الأزرق (١٦٢٢كم) بالنيل الأبيض، ويصرف الأول مياه بحيرة طانا ٣,٠٦م٣/ ث للخرطوم مع تفاوت شهرى كبير بطبيعة الحال(أغسطس ٥٨٢٥م٢/ث، بينما إبريل ١٢٨ م٣/ ث للخرطوم مع تفاوت شهرى كبير بطبيعة الحال (أغسطس ٥٨٢٥م٢/ ث، بينما إبريل ١٢٨ م٣/ثفقط) ، ولا شك أن الظروف الايكولوجية كان لها أكبر الأثر فى هذا التباين المرصود على الموارد المائية للنيل خاصة بعد إدخال موارد العطبرة فى الاعتبار (شكل ٣٧)، وهو ذلك النهر الذى حمل مع روافده الرئيسى تكازى (٧٦٤كم) أكبر كمية من الطمى كانت تصل مثر بالإضافة إلى مياهه الكثيرة(٣٨٠م٣/ث).

وبذلك نجد أن مجموع التصرفات الطبيعية للنيل تصل إلى ٢٨٢٠م٣/ث، وهى التى يدخل لنيل النوبة، وطبيعيا أن يخرج منها خسرانا، حيث يقدر تصرف النيل عند وادى حلفا القديمة بحوالى ٢٧٢٠م٣/ث هو ما يعادل ٨٩,٣٠ مليار م٣ سنويا، وفى نوبة مصر يفقد النيل أيضًا جزء من مياهه حيث يقدر متوسط تصرف النيل شمال (خلف) سد أسوان بنحو ٨١,٧٩ مليار م٣

سنويا، وتلك هي الكمية التى تسفيد منها مصر فعلا ، ولذلك عرفت بالحق المكتسب لمصر.

من أجل ذلك، تقرر إقامة العديد من مشروعات التخزين المائى على النيل، حتى يمكن الاستعادة من مياه النيل، إلى أقصى درجة ممكنة، حيث نفذت مشروعات مثل خزان أسوان(١٩٠٢) وتعليته (١٩١٢و١٩٣٣) والسد العالى (١٩٧٠) فى مصر، وخزان جبل أولياء (١٩٣٧) وخزان سنار (١٩٢٥) فى السودان، وخزان أوين فى أوغندا، وبعضها مازال تحت الدراسة والتنفيذ فى السودان مثل خزان خشم القربة وفى أعالى النيل مثل خزان تانا وخزان ألبرت (خريطة ٩/٢٤).

ولا شك أن أهمية المياه العذبة واقتصاديات استعمالها فى كمية الانتاج الزراعى أساسا[١٦]، هى التى فرضت على مصر ذلك القطر الجاف القاحل- بدون النيل- الاهتمام بفن الرى منذ أقدم العصور ومن هنا كان المصرى أول وأقدم مهندس رى فى العالم حيث أمكنه الاستفادة من أكبر كمية من مياه النيل من خلال موسم الفيضان لغرض الزراعة، وأخذ فنه يتطور من أسلوب رى المبانى إلى التخزين السنوى ثالثة من القنى، كان هذا بغرض تقليل الفاقد المتجه إلى البحر من مياه النيل[١٧]، خاصة فى فترة الفيضان(يوليو أكتوبر) من كل عام[١٨] (شكل ٩/٧).

ويتصل بموضوع مائية النيل ايضًا ظروف الجفاف التى تعرضت لها أقطار كثيرة من أفريقيا خاصة فى غرب القارة منذ أوائل سبعينات هذا القرن، ثم زحفت إلى الشرق فى أوائل الثمانينات حيث بلغت حدتها فى منتصفها خاصة فى السودان وأثيوبيا دولتا حوض النيل المركزيتين الانتقاليتين، فإذا ما أخذنا السودان مثلا تطبيقيا نجد أن ثلث مساحته صحارى، ومن الثلثان الباقيان (مليون كم٢) الربع غير مستغل رغم امكانية استغلاله، أما الجزء المستغل (نحو ١,٢ مليون كم٢) فنجد منه ٧٦,٣% غابات، و٢٠% مراعى من السافانا، ٥,٩%.ساحات مزروعة، فإذا تأملنا فى هذا الجزء المستغل نجده يعتمد على الموارد المائية سواء من الأمطار أو من المجارى المائية، فإذا شح المطر تعرضت هذه المناطق للتضهور، وهذا فعلا ما حدث حيث تشرد الآلاف فى كردفان ودارفور فكانت عبئا على اقتصاد السودان المنهك، بالإضافة إلى الآلاف الزاحفة من الشرق من أثيوبيا واريتريا.

هذا وقد عمدت كثير من الدول الغربية قبل العربية؟ إلى تقديم المساعدات لاغاثة منكوبى المجاعة خاصة أثيوبيا، بل أن كثير من الجمعيات والمنظمات الأهلية هناك قد نظمت وسائل وعمليات لجمع التبرعات المادية والعينية مع اعداد وسائل النقل والمواصلات المناسبة لنقلها ليس فقط إلى موانى ومطارات أثيوبيا والسودان؛ بل إلى مناطق تجمعات المنكوبين ذاتهم، والحقيقة أن ما تم فى هذا الخصوص يعد لفتة وعمل انسانى من الدرجة الأولى، خاصة ما قام به فنانو أمريكا وأوروبا فى لندن(يوليو ١٩٨٥)[١٨] عندما أقاموا حفلا ساهرا كبيرا أذيع على العالم بالأقمار الصناعية لجمع تبرعات بلغت ١٠ مليونا من الدولارات الأمريكية لصالح منكوبى الجفاف فى أثيوبيا.

هذا وقد نشر فى نيروبى تقرير الـ FAO فى سبتمبر ١٩٨٥ قال أنه رغم التحسن فى سقوط الأمطار وظهور الخضرة فى ست دول فى غرب أفريقيا بعد طول فترة الجفاف القاسية ألتى استمرت أكثر من عشر سنوات، فإن عودة الحياة الطيبة لن يتم بين يوم وليلة خاصة بعد أن حدث تغير كبير فى توزيع السكان وفى حرفهم بل فى تعودهم على أنماط تغذية خاصة إلى سابق حياتهم قبل التغيرات التى حدثت بسبب الجفاف..

أيضا نجد أن هذا التحسن لم يصل بعد إلى دولتين هاميتن فى حوض النيل وأعنى بهما أثيوبيا والسودان، فمازالت مناطق كثيرة فيهما تعانى من آثار الجفاف، حيث نجد أن أهالى كردفان ودارفور فى غرب السودان، يعانون من قلة المواد بل والموارد الغذائية المحلية بطبيعة الحالب بسبب الجفاف، بل وأيضًا المستورد والوارد كمعونات واغاثة بسبب سوء وسائل النقل والمواصلات التى يمكنها نقل تلك المعونات، لدرجة أن الكثير منها قد تلف فى بورسودان لعدم امكان نقله، ولدرجة أن بعضها وصل إلى تلك المناطق عن طريق تشاد؟.

فأمام تلك الظروف الايكولوجية نجد أن المشكلة ليست فقط فى حدوث كوارث طبيعية (جفاف، زلازل، فيضانات،... إلخ) قد تأت فجأة أو قد تحدث تدريجيا، وانما الأمر فى الحقيقة أمر تخلف وانهيار أصاب معظم أدوات البنية الأساسية (من مشروعات زراعية وصناعية ووسائل نقل ومواصلات..إلخ)، نتيجة عدم الحرص على ما كان موجودا منها أو العمل على زيادتها كى تتوافق

مع تزايد السكان وتقدم أنماط الحياة. فكان ما كان من عدم المقدرة على مواجهة التغييرات الطبيعية بأساليب طبيعية مناسبة.

فما هو الحل؟ عندى هو فى أن يحرص الانسان سواء الفرد أو المجتمع على ضرورة التوازن والتلاؤم مع ظروف الحياة المتغيرة، فإذا تغيرت، عليه أن يغير من أساليب وأنماط حياته كى تتفق مع المتغيرات الجديدة، ولكن بشرط أن يستمر فى الحرص على أن يكون عنصرا منتجا لانتاج عناصر الانتاج كلها أو بعضها، لا أن يتحول إلى مجرد مستهلك فقط لها.

فإذا طبقنا ذلك المبدأ على الموضوع محل البحث هنا، نجد أن المساعدات التى قدمت لمنكوبى الجفاف، شأنها شأن القروض والاعانات والمساعدات والهبات التى تقدم لكثير من الدول والمجتمعات النامية، تعمل من حيث لا يدرى ولا يدرك الكثيرين، على تغيير كثير من أنماط وسلوكيات المجتمع، كى تحوله- من حيث لا يدرى هو ولا أفراده- إلى مستهلك يعتمد على المستورد الوافد الوارد من الخارج، أكثر مما تجعله حريص على تنمية (= تغيير إلى الأفضل) ذاته بالانتاج النافع، أولا ليسد حاجاته ثم حاجات غيره، فتكون النتيجة سيئة، إلا إذا سارع إلى كبح جماح نفسه، بأن يقصرها على امكانياته الانتاجية الذاتية، دون ما تطلعات إلى أمور أكثر من طاقته الانتاجية(١٩).

وتكاد تلخص الحكمة التالية Easy comes easy goes الوضع فى الدول والمجتمعات النامية تلك التى كانت تعتمد من قبل على جهد وعمل أبنائها لزيادة الانتاج ولرفع مستوى معيشة شعوبها فأصبحت الآن بعد أن اعتمدت على المنح والهبات والمستورد من الغذاء، تعانى من الكسل والكساد والتواكل والفقر والتضخم، فصدقت عليها تلك الحكمة، وهذا هو واقع ما نشاهده بوضوح فى الفاقد الكثير والكبير حولنا فى السلع والخدمات، تلك المستوردة من الخارج بالعملة الصعبة- كما تسمى الآن- والمقيدة اثمانها قروضًا على الدولة والمجتمع، ويتطلب سدادها جهاد طويل لتحقيق الخطط القومية لزيادة الانتاج لأجيال عديدة.

النواحى البشرية:

تمثل الجوانب البشرية جزء هاما من الموضوع، ولكن نظرا لما كنا سوف نستوفى دراستها تفصيلا فى الدراسة الاقليمية للوحدات السياسية، التى ستخصص لها الفصول التالية، لما كان ذلك كذلك، فان عرض هذه النواحى هنا، سيكون متسما بروح الاختصار والتركيز الشديدين.

نبدأ فنقول أن السلالات – ولا نقول الأجناس[١٩]- البشرية فى حوض النيل- شأنها شأن كل المظاهر الطبيعية والبشرية إذ نجد ثمان سلالات على الأقل من السلالات الأفريقية التسع، من بين ٣٤ التى قسم دوبزانسكى الجنس البشرى[٢٠] إليها (راجع خريطة ٩/٢٥-٩/٢٧) كما أيضًا نجد أن خطى الزنوج والبانتو بفصلان بين سلالات وشعوب حوض النيل، لذلك تكاد تتمثل فيه معظم النماذج البشرية الأفريقية.

فهناك العرب منتشرون فى معظم مناطق شمال ووسط الحوض حتى خط الزنوج فى وسط السودان (خط عرض ١٢° شمالا)، وهناك الكوشيون ومنهم البجاة[٢١] والنوبة فى مصر [٢٢] والسودان، والسيدامو فى أثيوبيا، ثم هناك الأثيوبيون ومنهم الأمهرا والنيجرى فى أثيوبيا، وكل هؤلاء تغلب عليهم الدماء القوقازية.

أما الدماء الزنجية فتظهر خالصة بين بعض جماعات غرب السودان مثل الفور، وفى جنوبه الشرقى مثل ألبرتا، وفى جنوبه مثل الزاندى، أما النيليون فهم النماذج البشرية التى ينفرد بها حوض النيل بين أنحاء وسلالات العالم، حيث نجد الدنكا والشيلوك والنوير والبارى فى جنوب السودان، ثم الماساى فى كينيا وتنجانيقا، والسوك والتسوفى فى كل من كينيا وأوغندا.

أما العناصر البانتوية فتمتد جنوب وغرب البانتو فى كل من أوغندا وكينيا وتنجانيقا، حيث نجد البارونذى والواتوتسى فى رواندا وبورندى[٢٣]. هذا وهناك غير بعيد من حدود حوض النيل، نماذج بشرية من السلالات الأفريقية القديمة الحفرية مثل الأقزام الأفريقيون فى شرق زائير[٢٤] ونماذج من البوشمن (الهادزا) والهوتنتوت (السانداوى) فى وسط تنجانيقا[٢٥].

من هذا يتضح أن حوض النيل يحتوى على جل النماذج الأنثربولوجية الأفريقية، فهناك فيه العرب (دماء وثقافة وتقاليد) جنبا إلى جنب مع الزنوج

الخلص، والنيليين، وأنصاف الحاميين والبانتو، بل هناك فى حوض النيل عمالقة أفريقيا إلى جانب قزامها بل لقد شهدت أراضى حوض النيل استقرا ا من بعض العناصر الأوربية بنماذجها السلالية والثقافية والحضارية المختلفة، ورغم رحيلها إلى خارج القارة مع الاستعمار، إلا أنها تركت تأثيراتها البيولوجية والحضارية التى تلاحظ هنا وهناك فى أركان وأرجاء حوض النيل المختلفة.

والعجيب الغريب أنه توجد طائفة يهودية فى كمبالا (حى مابالا شرق العاصمة) يطلق عليها قبيلة أبا يوداى وعددهم نحو الألف نسمة (عام ٢٠٠٥)[٢٦] (لوحة ٩/٥).

والملاحظ أن التركيب المورفولوجى لأهالى حوض النيل يتميز بالتماثل والتوافق والتشابه الكبير شوهد ذلك من وقاع أدلة أنثربومترية[٢٧]، وأدلة سيريولوجية خاصة ما يتصل منها بأمراض الدم ومظاهره غير الشائعة[٢٨].

هذا عن التركيب النوعى أو المورفولوجى للانسان (السلالات)، أما التركيب العددى (الديموجرافى) فالملاحظ (راجع خريطة 2/6) أن هناك مناطق فى حوض النيل تتميز بكونها ذات أعلى كثافة سكان (أكثر من ٨٠ نسمة/كم٢) مثل دلتا روادى النيل فى مصر، والسهول الشمالية الشرقية لبحيرة فيكتوريا وكذا أراضى رواندا وبوروندى، ومع هذا توجد مناطق شاسعة فى صحراء شمال السودان والصحراء الغربية المصرية عديمة السكان، وهذا يمثل منتهى التناقض، أما باقى أنحاء الحوض، فهى موزعة بين كثيفة السكان(٢٠-٨٠نسمة/كم٢) ومتوسطة(٥-٢٠ نسمة / كم٢) ومنخفضة (حتى ٥ نسمة / كم٢)، (جدول ٩/٣).

جدول ٩/٣- عدد سكان دول حوض النيل حسب النوع ومعدل الزيادة والكثافة فى سنوات معينة[٢٩]

الدول	التاريخ	جملة السكان ألف نسمة	ذكور ألف نسمة	إناث ألف نسمة	معدل الزيادة السنوية	كثافة السكان نسمة/ كم
اثيوبيا	١٩٧٨/١/١	٢٩٣٣٩	١٤٩٥٧	١٤٣٨٢	٢,٧	٢١
أوغندا	١٩٦٩/٧/١٨	٩٥٤١	٤٨١١	٤٧٣٠	٢,٨	٥٨
بوروندى	١٩٧١/١/١	٣٤٠٠	١٦١٨	١٧٨٣	٢,٣	١٥٦
زائير	١٩٥٨/٥/٢٣	١٢٧٣٣	٦٣٨٢	٦٣٥١	٢,٢	٣
كينيا	١٩٦٩/٨/٢٥	١٠٩٤٣	٥٤٨٢	٥٤٦٠	٢,٨	٢٩
مصر	١٩٧٦/١١/٢٣	٣٦٦٢٦	١٨٦٤٧	١٧٩٧٩	٢,٥	٣٥
السودان	١٩٧٣/٤/٣	١٤١١٤	٧١٣٨	٦٩٧٦	٣,١	٨
رواندا	١٩٧٨/٨/١٦	٤٨٢٠	٢٣٥٤	٢٤٦٦	٣,٢	١٩٤
تنزانيا	١٩٧٨/٨/٢٧	١٧٥٢٨	٨٥٩٦	٨٩٣٢	٢,٦	١٥

جدول ٩/٤- نسبة الحضر بين سكان دول حوض النيل(١٩٥٠-١٩٨٠)

الدول	حملة عدد السكان بالألف نسمة (١٩٧٥)	نسبة (%) المستقرون فى لحضر ١٩٦٠	١٩٧٥	/ للنمو السنوى نسكان الحضر[٣٠] ٥٠-٦٠	٦٠-٧٠	٧٠-٨٠	سكان أكبر مدينة[٣١] (ألف نسمة)	
اثيوبيا	٢٧٤٦٥	٧	١١	٥,٤	٦,١	٧,٠	أديس بابا	١٢٧٧
أوغندا	١١٥٤٩	٥	٨	٦,٩	٧,١	٧,٣	كامبالا	٣٣١
بوروندى	٣٧٩١	٢	٤				بوجامبورا	٧٩
زائير	٢٢٥٨٢	٢٠	٢٦	٣,٧	٦,٢	٥,٤	كينشاسا	٢٢٤٢
كينيا	١٣٣٩٩	٧	١١	٥,٩	٦,٧	٦,٩	نيروس	٨١٨
مصر	٣٧٠١١	٣٨	٤٨	٤,٢	٣,٧	٣,١	القاهرة	٥٠٧٤
السودان	١٥٧٢٦	٩	١٣	٧,٨	٧,٨	٧,٥	الخرطوم	١٢٦٤
رواندا	٤١٩٨	٢	٤				كيجلى	٥٤
تنزانيا	١٥٣٨٢	٥	٧	٥,٥	٦,٦	٨,٨	دار السلام	٧٥٧

والملاحظ من توزيع السكان فى دول حوض النيل (جدول ٩/٤) أن هناك تزايد فى الأتجاه نحو الاستقرار الحضرى، كما أن الأرقام الاحصائية أمكنتنا من استخراج معامل العمرية ومعدل الاعاشة (جدول ٩/٥)، هذا وليس هناك كبير تباين بين كل دول حوض النيل المتسع، فى أهم عناصر الديموجرافيا البيولوجية، وهى معدل كل من المواليد والوفيات والعمر المتوقع عند المولد(جدول ٧٠) بل أن تطور معدل المواليد خلال فترة طويلة تصل إلأى عشرين سنة (١٩٦٢-١٩٨٢) لا تشير إلى كبير اختلاف بين دول حوض النيل، بل وفى كل دولة على حدة(جدول ٧١)، وفى هذا دليل بيولوجى جديد على وحدة أهالى حوض النيل.

جدول ٩/٥- نسبة توزيع فئات العمر الرئيسية الثلاث فى بعض دول حوض النيل فى سنوات معينة[٣٢].

الدول/التاريخ	% الطفولة (حتى ١٤ سنة) (١)	% النشاط (١٥-٦٤) (٢)	% الشيخوخة (٦٥فما فوق) (٣)	معامل العمرية (٣)/(١) x١٠٠	معدل الإعاشة (١)+(٣)/(٢) x١٠٠
اثيوبيا(٧٠-٧٩)	٤,٣	٥,٤	٢,٧	٦٢,٧٩	١٢٩,٦٣
أوغندا(١٩٦٩)	٤٦,٢	٥٠,٠	٣,٨	٨,٢١	١٠٠,٠٦
زائير(٧٢-٨١)	٤,٦	٥,١	٢,٥	٥٤,٣٥	١٣٩,٢٢
مصر(٧٠-٧٩)	٢,٧	٧,٠	٣,٦	١٣٣,٣٣	٩٠,٠٠
السودان(٧٢-٨١)	٤,٥	٥,٢	٢,٧	٦,٠٠	١٣٨,٤٦
رواندا (٧٢-٧٩)	٥,١	٥,٩	١,٥	٢٩,٤١	١١١,٨٦
تنزانيا(٧٢-٧٩)	٤,٦	٥,٠	٤,١	٨٩,١٣	١٧٤,٠٠

جدول ٩/٦- معدل المواليد والوفيات ومعدل العمر المتوقع عند المولد حسب النوع في دول حوض النيل (١٩٧٥-١٩٨٠)[٣٣].

الدول	المواليد(فى الألف)		الوفيات(فى الألف)		العمر المتوقع عند المولد (سنة)	
	المطلق	الخصوبة	المطلق	الأطفال	ذكور	إناث
اثيوبيا	٤٩,٨	٢١٧	٢٥,٣	٨٤,٢	٣٧,٥	٤٠,٩
أوغندا	٤٤,٧	١٨٧	١٤,٤	١٦٠	٥٠,٨	٥٤,٣
بوروندى	٤٢,٠	١٧١	٢,٤	١٥٠	٤٠	٤٣
زائير	٤٦,٢	١٤٥,٧	١٨,٧	١٠٤	٤٤,٤	٤٧,٦
كينيا	٥٣,٨	٢٦٢	١٤,٤	٩٢	٤٦,٩	٥١,٢
مصر	٣٧,٦	١٢٦,٤	١٠,١	١١٠	٥١,٦	٥٣,٨
السودان	٤٥,٨	٢٣٤,٣	١٨,٤	٩٣,٦	٤٥,٥	٤٧,٥
رواندا	٥٤,٠	٢١٨,٧	٢٢,٠	١٢٧	٤٤,٣	٤٧,٥
تنزانيا	٤٦,٣	٢٠٨	١٥,٨	١٦٢,٥	٤٨,٨	٥٢,٢

جدول ٩/٧- تطور معدل المواليد (فى الألف) فى دول حوض النيل

(١٩٦٢-١٩٦٥/ ٧٦-١٩٨٠)

الدول	٦٢-١٩٦٥	٦٦-١٩٧٠	٧١-١٩٧٥	٧٦-١٩٨٠
اثيوبيا	٥٠,٥	٥٠	٤٩,٨	٤٩,٨
أوغندا	٤٤,٤	٤٤,٢	٤٤,٩	٤٤,٧
بوروندى	٤٦,٤	٤٥,٧	٤٣,١	٤٥,٣
زائير	٤٨,١	٤٧,٧	٤٨,٨	٤٦,٢
كينيا	٥٢,٨	٥٤,٢	٥١,١	٥٣,٨
مصر	٤١,٧	٣٨,٠	٣٥,١	٣٧,٩
السودان	٤٧,٠	٤٦,٠	٤٥,٥	٤٥,٨
رواندا	٥٠,٦	٤٩,٩	٤٩,٧	٤٩,٦
تنزانيا	٤٧,٠	٤٦,٩	٤٦,٨	٤٦,٣

هذا وتشتهر معظم دول حوض النيل بأنها تشهد حركة واسعة من سكانها نحو الخارج (راجع جدول ٩/٦)، تأخذ معظمها شكل اللجوء السياسى أو الأقتصادى، وغالبا سيحدث عكس ذلك فى حالة ما إذا نفذت مشروعات التنمية الشاملة (الاقتصادية والاجتماعية) فى معظم دول الحوض خاصة فى مصر والسودان.

والملاحظ أن معدل الاعاشة (راجع جدول ٩/٥) مرتفع فى معظم دول حوض النيل، وهى ظاهرة ملحوظة باستمرار بين دول العالم النامى، ويشترك مع هذه الظاهرة، ايضًا صفات خاصة ملحوظة فى معدلات المواليد والوفيات، ليست بغريبة على هذه المجتمعات من مجتمعات الفقر.

هذا، وإذا ما تتبعنا اللغات التى يتحدث بها أهالى دول حوض النيل، نجد أنها (طبقا للتصنيف الفرنسى) لا تتعدى أن تكون ثمانية لغات أو أو مجموعات لغوية كبرى، من بين ثمانية لغات أو مجموعات لغوية كبرى، من بين ثمانية عشر منتشرة فى أفريقيا[٣٥]، هذه الثمان لغات هى: العربية، وتنتشر فى مصر وشمال ووسط السودان، والكوشية ومنها ما يتحدث بها البجاه فى مصر والسودان، والأمهرية اللغة الرسمية لأهل أثيوبيا.

أما لغة النوبيون فى جنوب مصر وشمال السودان والنوباويون وغيرهم فى غرب السودان وكذا الدنكا وغيرهم من القبائل النيلية فى جنوب السودان وشمال أوغندا وفى كينيا ووسط تنجانيقا فهى كلها تدخل ضمن مجموعة يطلق عليها أداماوا الشرقية Eastern Adamawa وتدخل لغة أهالى جنوب أوغندا وأهالى معظم تنجانيقا وكل روندا وبروندى ضمن المجموعة البانتوية، إذ يتحدثون السواحلية غالبا(راجع ما كتب عنها فى الفصل الرابع من هذا الكتاب).

هذا وتوجد بعض الجماعات فى وسط تنجانيقا(الهاتسا، والسانداوى) تتحدث إحدى لغات الطقطقات الخواسانية، كل هذا فى الوقت التى تنتشر فيه بعض اللغات الأوربية (كالانجليزية والفرنسية والإيطالية وغيرها) بين كثير من أهالى حوض النيل، خاصة المثقفين منهم، وذلك لأسباب فى معظمها تاريخية.

والملاحظ بالنسبة للمعتقدات الدينية الشائعة أن الاسلام هو الدين السائد والغالب على معظم أهالى دول حوض النيل (جدول ٩/٨)، ويرتبط ذلك بعدة عوامل منها عوامل ايكولوجية تتركز فى القرب المكانى من موطن ذلك الدين

الحنيف[٣٥]، ومع ذلك فهناك نسبة ليست بالقليلة من المسيحيين فى كثير من الدول مثل أثيوبيا وأوغندا وتنزانيا، ومن الجدير بالذكر أن التقارب بين اتباع هاتين العقيدتين شديدًا، نظرا للتقارب التام فى المعتقدات وفى الأصل، حيث أن الجميع ينتمون إلى الملة الابراهمية، التى يمكن أن يندرج - تحتها كل القبائل التى لم تدخل بعد إحدى العقيديتين السماوية وبقيت على فطرتها[٣٦]، هذا كما توجد أقلية محدودة من اليهود فى كل دول الحوض، خاصة فى أثيوبيا وذلك لأسباب تاريخية فى أغلبها.

جدول ٩/٨- عدد ونسبة الملسمين فى بعض دول حوض النيل(١٩٧٣)[٣٧]

الدول	عدد المسلمين (بالألف نسمة)	النسبة % للسكان
أثيوبيا	١٧٢٨٩	٦٤
أوغندا	٣٨٨١	٣٦
بوروندى	٧٢٠	٢٠
زائير	٢٣٨٤	١٠
كينيا	٣٦٨٢	٣٠
مصر	٣٣٣٨٧	٩٣
السودان	١٤٣٧٥	٨٥
تنزانيا	٩٣٤٧	٦٥

اما إذا تتبعنا **النشاط الاقتصادى**، فإننا نجد أن الظروف الايكولوجية قد ساهمت وساعدت على تنوعه وتعدد أشكاله، بل وتزايد إمكانيات توسعه، إذ ما بذلك قليل من مقومات الانتاج الاقتصادى الرشيد المخطط، فرغم أن جل دول حوض النيل تعانى من ويلات المشكلات الاقتصادية أو أحداها على الأقل، إلا أن المستقبل أمامها ليس حالك السواد كما يظن البعض (خريطة ٩/٢٥).

عرفنا (راجع ص ٤٣ وما بعدها فى الفصل السابع) أن المشكلة الاقتصادية، تظهر إذا ظهر قصور أو ندرة فى أحد عناصر الانتاج، فإذا ما استبعدنا عنصرى السكان والتنظيم باعتبار أنه جارى حاليا الاهتمام بهما،

لاعادة توزيع السكان جغرافيا وحرفيا وتعليميا ومهنيا، فاننا نجد أنفسنا أمام عنصرى رأس المال والأرض.

أما الأول (رأس المال) فيبدو أنه لا مناص لدول الحوض- فى المرحلة الراهنة على الأقل- من اللجوء إلى وسائل الائتمان والاقتراض العالمى، سواء من الهيئات أو البنوك الدولية، أو من الدول الغنية سواء العربية او الغربية وغيرهما، وذلك حتى تحقق التنمية الاقتصادية المنشودة (جدول ٩/٩)، ولكن يجب الحذر والمراجعة المستمرة للسياسات الاقتصادية التى تقدم من الدول والهيئات كنصائح وكشروط، حيث أن جلها لا تناسب فى تطبيقه – التعسفى- الأوضاع الاجتماعية الحساسة التى تحياها شعوب هذه الدول، فمثلا فى تنزانيا حيث تراكمت الديون وتوقفت المشروعات الجديدة حتى تستجيب الحكومة لشروط صندوق النقد الدولى، وإلى أن يتم ذلك فستظل تنزانيا عاجزة عن تحديث أساليب الانتاج خاصة انتاج الغذاء بها، كل هذا يحدث نتيجة الارتباط العضوى غير الشرعى الذى تم بين اقتصاد الدول المتقدمة(شعوب الشمال) وبين اقتصاد الدول المتخلفة (شعوب الجنوب) فكان ما كان من الترابط بين البطالة المتزايدة هناك وبين تراكم الديون وتزايد الجوع بنا، لذلك يجب وضع سياسة جديدة لهذه القروض والمعونات[٣٨].

جدول ٩/٩- معدل التنمية الاقتصادية فى دول حوض النيل (١٩٦٠-١٩٧٦)[٣٩]

الدول	المساحة ألف كم مربع	السكان (منتصف ٧٦ بالمليون نسمة)	الناتج القومى ١٩٧٦	متوسط نسبة نمو الناتج القومى	متوسط الدخل الفردى(١٩٧٧) دولار أمريكى (٢)
إثيوبيا	١٢٢٢	٢٨,٧	١٠٠	١,٩	١١٠
أوغندا	٢٤١	١١,٩	٢٤٠	١,٠	٢٥٠(٧٦)
بوروندى	٢٨	٣,٨	١٢٠	٢,٣	؟
زائير	٢٣٤٥	٢٥,٤	١٤٠	١,٤	٢١٠
كينيا	٥٨٣	١٣,٨	٢٤٠	٢,٦	٢٩٠
مصر	١٠٠١	٣٨,١	٢٨٠	٢,٩	٢٤٠
السودان	٢٥٠٦	١٥,٩	٢٩٠	٠,٤	٣٣٠
رواندا	٢٦	٤,٢	١١٠	٠,٨	؟
تنزانيا	٩٤٥	١٥,١	١٨٠	٢,٦	٢١٠(تنجانيقا)

تتبقى الأرض، أى الموارد الطبيعية، التى هى هبة الله للإنسان كى يستخرج منها كل خير، حتى يستفيد منها فى أمور حياته، فإذا ما تتبعنا امكانيات دول حوض النيل، نجد أن الظروف الطبيعية قد منحت كل دول الحوض- عدا مصر- امكانيات واسعة لا تحد للمراعى، يمكن الاستفادة من خيراتها العديدة، ثم تشترك مصر مع باقى دول الحوض فى الانتاج الزراعى الكبير الكثيف المنتج من مختلف أنماط الزراعة، المطرية والمروية، الواسعة والكثيفة والبستانية والمختلطة وغيرها، حيث تتفوق كثير من دول الحوض فى انتاج حاصلات زراعية هامة (جدول ٩/١١) نقدية وذات طلب عالمى كبير.

دخلت اتفاقية حق التملك والعمل وكل الأنشطة الاقتصادية بين مصر والسودان يوم الأحد ٨ من مايو سنة ٢٠٠٧ مجال التنفيذ بعد التصديق عليها من السلطات المختصة فى البلدين، وكان ذلك قبل حضور الرئيس البشير من السودان للقاهرة لاجراء مشاورات مع الرئيس محمد حسنى مبارك لمواجهة الأمور المعنية خاصة المتعلقة بمشكلة دارفور السودان من مجلس الأمن الدولى والولايات المتحدة الأمريكية أن هذه الاتفاقية مرشحة لأن يتوسع تطبيقها

وتنفيذها ليشمل الأمور السياسية والاقتصادية والنقدية وسائر المجالات التى ما يشبه الوحدة أو الاتجاه[40].

جدول ١٠/٩- تفوق دول حوض النيل في انتاج بعض الحاصلات الزراعية[41]

المحصول	الدولة	الإنتاج(ألف طن)		المحصول	الدولة	الإنتاج(ألف طن)	
		١٩٧٦	١٩٧٧			١٩٧٦	١٩٧٧
	مصر	٣٩٦	٤٣٥	البن	إثيوبيا	١٩٣	١١٧٥
غزل القطن	السودان	١٢٤	٢٠٨		أوغندا	١٩٢	٢٠٢
	تنزانيا	٦٩	٥٩		أفريقيا	١٢٦٠	١٢٧٤
	أفريقيا	١٠٨٦	١٢٤٢		العالم	٣٦٥٩	٤٣٤٠
	العالم	١٢٢٦٤	١٤٢٥٠				
السيال	تنزانيا	١١٩	١١٠	الشاى	كينيا	٦٢	٨٦
	كينيا	٣٤	٣٤		أوغندا	١٥	١٥
	أفريقيا	٣٢٩	٢١٣		تنزانيا	١٤	١٧
	العالم	٤٣٢	٤٧١		أفريقيا	١٥٦	١٩٠
					العالم	١٦٣٣	١٧٥٨
المطاط	زانير	٢٧	٢٧	قصب السكر	مصر	٨٤٤٦	٨٠٠٠
	أفريقيا	٢٢٣	٣٢٧		أفريقيا	٥٧٢٣٧	٦٠٠٢٧
	العالم	٣٥٩٦	٣٦١٣		العالم	٦٩٤٢٢٥	٧٣٧٤٨٣

هذا وقد أخذ الانتاج الزراعى فى النمو السريع الملحوظ فى معظم دول حوض النيل، مما جعل مساهمته فى الانتاج القومى هاما وكبيرا، وهذا لا يقلل من أهمية الصناعة التى تعتمد فى معظم دول الحوض على الموارد والمواد الأولية الزراعية أو القريبة منها، وهى التى أخذ دورها فى التزايد أخيرا(جدول ٦٥)، معتمدة على موارد أخرى أولية أهمها الموارد التعدينية.

ولا شك أن معظم دول حوض النيل، تشكو من كثير من المشكلات المتعلقة بالانتاج الاقتصادى لأسباب كثيرة، خاصة من سوء التخطيط والعشوائية فيه، حيث تميل معظم دوله إلى تركيز صناعتها الهامة الرئيسية والكبيرة فى العواصم، وربما يرجع هذا لأسباب فى معظمها كان سياسيا كما حدث فى مصر أيام عبد الناصر، ومما لا جدال فيه أن هذا الوضع قد خلق كثير من المشكلات الاقتصادية والسكانية والإسكانية والتلوثية الكبيرة والعويصة، وقس على ذلك الكثير من المشكلات الأخرى المعروفة والشائعة فى مجتمعات الفقر، مما انعكس على عناصر الثقافة الخاصة بها، بحيث أصبحت تمثل فى مجموعها ثقافة أو حضارة الفقر.

جدول ٩/١١- معدل مساهمة كل من الزراعة والصناعة فى الناتج القومى فى دول حوض النيل (١٩٦٠-١٩٧٦)[٤٢].

الدول	نسبة إضافة معدل النمو السنوى لإضافة الزراعة				نسبة إضافة معدل النمو السنوى لإضافة الصناعة			
	١٩٦٠	١٩٧٦	٧٠-٦٠	٧٦-٧٠	١٩٦٠	١٩٧٦	٧٠-٦٠	٧٦-٧٠
اثيوبيا	٦٥	٥٠	٠٢,٢	٠,٩	١٢	١٥	٧,٤	١٦
أوغندا	٥٢	٥٥	٢,٨	١,٣	١٣	٨	٧,٨	٦,٧
بوروندى	؟	٦٤	؟؟	١,٠	؟	١٥	؟	٤,٣
زائير	٣٠	١٦	٣,٩	١,٩	٢٧	٣٠	٣٥,٩	٥,٠
كينيا	٣٨	٣٠	٥,٩	١,٦	١٨	٢٣	٧,٥	٩,٨
مصر	٣٠	٢٩	٢,٩	٣,٠	٢٤	٣٠	٥,٤	٤,٣
السودان	٥٨	٤١	٣,٣	٨,٨	١٥	١٦	١,٧	٢,٨
رواندا	٨١	٥٢	؟	٣,٣	٧	٢٢	؟	٨,٤
تنزانيا	٥٧	٤٥	٣,٧	٢,٥	١١	١٦	٨,٠	٢,٩

وهكذا نصل إلى القول بأن النشاط الاقتصادى فى دول حوض النيل يحتاج إلى بعض من التخطيط المرشد والجهد المنظم والتمويل الكثيف والتنفيذ المخلص، كى ينطلق ويأخذ مكانه ومبادرته فى رفع مستوى معيشة أهالى وسكان دول حوض النيل.

ولعل من المبشرات الخيرة، تلك الدعوة إلاى التكامل بين مصر والسودان (نوفمبر ١٩٨٢)[٤٣](التى أخذت تؤتى ثمارها لكلى الشعبين، والتى يتطلع إليها الجميع بالأمل والرجاء [٤٤]، كى تكون نواة لتكامل اقتصادى أكبر بين دول حوض النسل، التى استشعرت أهمية تعاونها فأنشأت منذ سنين " الهيئة الفنية المشتركة لمياه حوض النيل".

جدول ٩/١٢٠- معدل تركز الصناعة فى عواصم دول حوض النيل(١٩٧٧)[٤٥]

الدول	العواصم	النسبة المئوية لتركز الصناعة فى العاصمة
أثيوبيا	أديس أبابا	٤٧
أوغندا	كامبالا	٢٨
بوروندى	بوجامبورا	٨٠
زائير	كينشاسا	٣٠
كينيا	نيروبى	٤٧
مصر	القاهرة	٤٧
السودان	الخرطوم	٦٠
رواندا	كيجالى	؟
تنزانيا	دار السلام	٦٢

والحقيقة أن فكرة تعاون دول حوض النيل يمكن أن تستفيد الكثير من المشروعات الاقتصادية التى صاحب فكرة التكامل بين مصر والسودان، كنموذج للعلاقة المتميزة وعلاقة القدوة القادرة البناءة، حيث أن منطقة التكامل تقع بين جنوب أسوان وشمال المحافظة الشمالية بالسودان حيث يجرى

استصلاح واستزراع مساحات واسعة فى منطقة الحدود المشتركة داخل مصر والسودان، ليعيش فيها المصريون والسودانيون فى منطقة استيطان حرة فى مجتمع متكامل واحد.

أما **منطقة الدمازين** فى شرق السودان والمتاخمة لاثيوبيا والتى تبعد عن الخرطوم بنحو ٢٨٥ كيلو مترا فيقسمها النيل الأزرق إلى قسمين شرق وغرب الدمازين، وتبلغ مساحتها نحو ٢,٥ مليون فدانا، وتعتمد الزراعة فيها على الأمطار التى تسقط صيفًا فى الفترة من اوائل يونيه إلى أواخر أكتوبر والتربة فيها طينية خصبة، والأراضى مغطاة بالسافانا والأشجار والشجيرات ويجرى استغلال هذه المنطقة زراعيا بالأعتماد على الميكنة الزراعية، حيث تقوم الشركة السودانية المصرية للتكامل الزراعى باستصلاح واستزراع مساحات واسعة، حيث خصص لها مليون فدان، وتم زراعة ٦٠ ألف فدان بمحاصيل تقليدية مثل الذرة الرفيعة والسمسم والقطن ومحاصيل غير تقليدية مثل الذرة الهجين وعباد الشمس وفول الصويا، وقد تم زيادة المساحة المزروعة إلى ١١٠ آلاف فدان فى موسم ٨٤/ ١٩٨٥ بحيث تصل المساحة إلى ٢٥٠ ألف فدان مع نهاية سنة ١٩٨٥ وتزاد سنويا بعد ذلك هذا وتجرى تجارب لانتاج الخضر والقمح والمحاصيل الزيتية.

هذا وتجرى دراسات جدوى لزراعة البن والشاى والتبغ فى جنوب السودان لسد حاجات مصر والسودان من هذه الأصناف، ومما هو جدير بالذكر أن التحاليل المعملية التى قامت بها شركات الدخان المصرية قد اثبتت أن بعض أصناف التبغ السودانى يمكن اضافتها فى تصنيع السجاير المصرية. وتجرى دراسات لاستنباط أصناف جديدة من قصب السكر تتميز بوفرة المحصول وارتفاع نسبة السكر ومقاومته للأفات والرقاد والتحكم فى التزهير، كما يتسم التعاون فى مجال صناعة السكر ولانتاج لب الورق والأخشاب الصناعية والاعلاف والكحول من مخلفات هذه الصناعة.

وللاستفادة من الأعشاب البرية والنباتات الطبية بالسودان فى تصنيع الدواء، تم إجراء دراسات جدوى لقيام شركة لهذا الغرض يساهم فيها المصريون والسودانيون المتخصصون بخبراتهم الفنية، وفى مجال الثروة الحيوانية فإن الانتاج الحيوانى فى السودان يمثل جانبا كبيرا من الثروة الاقتصادية فى السودان التى تتمثل فى الحيوانات البرية التى يستفاد نتها فى

أنتاج خامات ثمينة مثل العاج وريش النعام وجلود الأفاعى والتماسيح، هذا فضلا عن الحيوانات المستأنسة ومن أهمها الأبقار والأغنام والماعز والجمال والثروة الداجنة.

ومن أهم المشروعات فى مجال الانتاج الحيوانى التى تقوم بها الشركة المصرية للتكامل الزراعى، انتاج اللحوم بمنطقة "الكدور"، ومشروع الدواجن والبيض بجبل الأولياء ومشروع الاعلاف المركزة، هذا وقد تم نطاق مشروعات التكامل بين مصر والسودان انشاء شركة مشتركة لصيد الأسماك من بحيرة السد العالى وتصنيعها لتوفير أغنى وأرخص بروتين حيوانى للمستهلكين فى القطرين، بما يحقق أفضل صور التكامل باستغلال الثروات المائية بالسودان مع توفير الامكانات والخبرة والعمالة المصرية ، وأجرى تخطيط حتى يصل انتاج هذه الشركة إلى ٦٠ ألف طن من الأسماك سنويا.

ويعتبر مشروع قناة جونجلى من أهم مشروعات تنمية الموارد المائية لنهر النيل كما سبق القول وذلك لما يمكن أن تساهم به فى زيادة ايراد النهر وفى استغلال المياه الضائعة فى التوسع الزراعى الأفقى والرأسى فى كل من مصر والسودان على حد سواء.

هذا ومن المشروعات ذات القيمة مشروع زراعة الفاكهة والموالح بمنطقة سنار بغرض التصدير ولا شك أن التكامل الزراعى يحقق تكاملا اقتصاديا وهو مرحلة متقدمة من مراحل التعاون بين القطرين الكبيرين فى حوض النيل، حيث أنه يحقق عدة مزايا، منها توحيد الامكانات لتهيئة الأجواء للاستغلال الأمثل لعوامل الانتاج وتوسيع رقعة السوق أمام منتجات دولتى التكامل لتحقيق الاكتفاء الذاتى مما يحقق فوائد اقتصادية واجتماعية وسياسية لمصر والسودان تعجز كل دولة عن تحقيقها بامكانياتها الذاتية، وقد تقرر استيراد ٧٠ ألف طن قطن قصير التيلة من انتاج شركة التكامل الزراعى لانتاج الغزل السميك والأقمشة الشعبية فى مصر، كما تم استيراد ٥٠٠ طن سمسم لصناعة الحلاوة الطحينية كما استوردت مصر انتاج مزارع الشركة من محصول فول الصويا الذى يدخل فى صناعة العلف، وهكذا يمكن أن تكمل كل دولة الأخرى لتحقيق احتياجاتها.

هذا وتتطلب التنمية الزراعية فى منطقة التكامل تحقيق عدة أهداف من أهمها ما يلى:-

١- رفع انتاج المحاصيل الرئيسية كالحبوب (القمح والذرة) والخضر والفاكهة بزراعة أصناف عالية الانتاج وتطبيق الأساليب الزراعية التى تحقق انتاجا عاليا.

٢- التوسع فى زراعة محاصيل غير تقليدية مثل عباد الشمس وفول الصويا والنباتات الطبية والعطرية.

٣- رفع التكثيف المحصولى إلى أقصى قدر ممكن وذلك بزراعة الأصناف المبكرة من المحاصيل والخضر عالية الانتاج.

٤- العمل على تطبيق التوسع الأفقى باستصلاح الأراضى مع توفر الموارد المائية.

٥- استخدام الميكنة الزراعية فى جميع العمليات الزراعية ضمانا لاجرائها على الوجه الأكمل توفيرا للوقت والجهد والتكاليف.

٦- النهوض بالثروة الحيوانية والداجنة والأسماك لتوفير البروتين الحيوانى.

٧- منع تسرب الآفات الجديدة إلى مناطق التكامل بتطبيق قوانين الحجر الزراعى واتباع الطرق الحديثة فى مكافحة الآفات وعدم التوسع فى استخدام المبيدات وترشيد استعمالها للمحافظة على البيئة من التلوث والمحافظة أيضًا على الحياة البرية.

٨- توفير المناخ الاقتصادى والاجتماعى لتشجيع العاملين على زيادة الانتاج مع التغلب على مشاكل العمل، خاصة وأن الوفرة النسبية للقوى البشرية والخبرات الفنية فى مصر سوف تؤدى إلى رفع انتاج العنصر البشرى فى السودان.

هذا ويجب أن نذكر أن اقتصاد جل دول حوض النيل يتميز بكونه يحمل الكثير من سمات الهيكل الاقتصادى المتخلف، وإذا كان يقصد بالهيكل الاقتصادى تحديد القطاعات المكونة لاقتصاد الدولة، ومدى المساهمة النسبية لكل قطاع فى الناتج المحلى الاجمالى.

علما بأن سمات الهيكل الاقتصادى للبلدان المتخلفة يتميز بالسمات الآتية:-

١- غلبة نشاطات القطاع الأول الزراعى والمنجمى وميلها للارتباط بالتكامل مع البلدان الرأسمالية المتقدمة عبر السوق العالمية وضعف ارتباطها بالبنيان الاقتصادى الداخلى، وغالبا ما يقدم القطاع الأول النسبة الأكبر من حصيلة صادرات البلدان المتخلفة.

٢- ضعف قطاع الصناعة التحويلية واعتماده على قاعدة زراعية أساسًا، كما أن هذا القطاع تضعف رابطة ببقية البنيان الاقتصادى وذلك لعجز الصناعة عن تقديم مستلزمات الانتاج ومنافذ التسويق للزراعة وعجزها أيضا عن الوفاء بحاجة السوق المحلية من السلع الصناعية.

٣- تضخم قطاع الخدمات والتجارة والبنية الأساسية، بحيث يستوعب هذا القطاع فائض العمالة فى بقية القطاعات الاقتصادية الأخرى، وتسوده المطالبة المقنعة.

وبشكل عام فالهيكل الاقتصادى للبلدان المتخلفة يتميز بتفاوت النمو بين قطاعاته المختلفة وبضعف الروابط بينها، ويميل بدلا من ذلك إلى التكامل العضوى مع قطاع يغلب عليه طابع الأعمال غير المنتجة مثل تجارة التجزئة والخدمات الشخصية ووظائف الجهاز الادارى، وتبعا لنمط تقسيم العمل الدولى الحالى يعطى لهذه البلدان وظيفة انتاج المواد الأولية ويبقى عليها كسوق سواء للسلع الاستهلاكية أو الرأسمالية التى تقوم بتقديمها دول العالم المتقدم.

ويصاحب ذلك خلل واضح فى الميزان التجارى وميزان المدفوعات، علما أنه يمكن معاونة ميزان المدفوعات على الاتزان فى الدول الفقيرة النامية التى تعتمد كثيرا على الاستيراد من الخارج، بأن تلجأ إلى اشتراط أن تطالب الشركات العالمية الموردة للسلع والخدمات المشتراة من الخارج، أن تقوم بشراء منتجات وطنية من السوق المحلية بما يعادل قيمة مبيعاتها، أو أن تطلب خدمات سياحية أو عبورية (من خلال القنوات الملاحية البحرية أو الجوية أو السلكية أو... إلخ)، وهذا النظام التبادلى هو ما يعرف باسم **Offset Trade;Counter Trade** وهو نظام أصبح شائعا كثيرا حتى بين الدول التى ليست فقيرة مثل اسرائيل التى تشترط دائما ذلك فى تبادلها السلعى عندما تشترى من غيرها.

فلماذا لا تلجأ لهذا النظام دول حوض النيل وهى فى أشد الحاجة إليه؟ فإذا حدث فإن فيه كثير من المكاسب الاجتماعية لسواد شعوبها الفقيرة التى تئن تحت ضغوط الفقر وغلاء السلع الضرورية.

وللحق والحقيقة، أقول أن الاتجاه متجه فى مصر نحو تطبيق هذا النظام الذى لا يحو حائل دون تنفيذه على نطاق واسع، حيث الضرورة ملحة والغرض والرغبة متوافرة.

المستقبل المنظور:

لا شك أن مفتاح التقدم الاقتصادى والاجتماعى لأهالى حوض النيل يتركز فى مدى توافر عناصر الانتاج الأساسية، وتلك ترتبط- خصوصا فى عصر التكنولوجيا والالكترونات الحالى ترتبط بالعوامل السياسية، تلك التى تحرك العلاقات الدولية، ومن هنا يفرض موضوع السياسة والاستراتيجية العالمية وموضع حوض النيل منها- نفسه- على الموضوع المعروض حاليا.

لم يكن حوض النيل بمنىء عن الأحداث العالمية طوال عصور التاريخ، فمنذ العصور القديمة كانت أراضيه خاصة تلك الخصبة المنتجة فى مصر، محل طموح وأهداف القوى العالمية، كان هذا منذ الفرس، ثم الاسكندر، ثم الرومان، ثم البيزنطيين، وأخيراً تأكدت العلاقة القديمة والمستمرة بالعرب، بدخول الاسلام، الذى غير معالم الحياة كلية فى كل أرض أشرق عليها من حوض النيل.

ونظرا لأهمية موقع وموضع حوض النيل، كما سبق بيانه بايجاز، لم تترك مجريات أموره، لأهله وسكانه، يصرفونها كيف شاءوا، بل واصلت القوى العالمية المتعاقبة، السعى للتغلغل ولفرض نفوذها على أرض وأهالى حوض النيل.

نرى ذلك واضحا منذ الحروب الصليبية التى شهدت أطراف الحوض فى مصر وفى أثيوبيا بعضا منها، وفى حركات الكشوف الجغرافية، التى ما كانت إلا تمهيدا للتغلغل الاستعمارى الذى انتهى بالاستعمار العسكرى على كل أراضى الحوض، حيث قسمت أراضيه بين القوى الأوربية المختلفة (بريطانيا وايطاليا وألمانيا وبلجيكا)، ومحاولة فرض الاستعمار الاستيطانى والاقتصادى والنقدى عليها، وقد نجحت إلى حد ما، بل إن نجاحها مازال مستمرا حتى بعد

الاستقلال السياسى لكل دول الحوض، حيث مازالت دولتين من دوله(تنزانيا ولوغندا) أعضاء فى الكومنولث البريطانى، كما ترتبط دولا أخرى بعلاقات خاصة بالدول والقوى الكبرى العالمية، حقيقة، ربما يكون هذا فى المصلحة القومية لتلك الدول، ولكن لا شك أن هذا تحديدا للمسار وللأحداث السياسية لتلك الدول وشعوبها.

نقول، أنه مع كل هذه الظروف الضاغطة، كانت المشكلة الفلسطينية، تلك التى فرضت نفسها على حوض النيل، حيث كان من ضمن بدائل الوطن القومى لليهود، أوغندا (لوحة ٩/٥)، ولكن رجحت كفة فلسطين (وكلتاهما كانت من مناطق النفوذ البريطانى) على اساس أنها أرض الميعاد كما يقول اليهود، بينما هى حقيقة أرض كل الأديان الإبراهيمية إن لم تكن أرض الاسراء والمعراج وحسب.

كانت المشكلة الفلسطينة، وما فرضته على العرب خاصة مصر(قمة وتاج حوض النيل) من آثار إيكولوجية (جغرافية وأنثربولوجية) من كافة الوجوه، ما جعلها تتأثر بها وبأحداثها إلى أقصى حد خلال القرن العشرين منذ وعد بلفور (١٩١٧) وخاصة منذ ظهور إسرائيل (١٩٤٧) وحتى الآن وتتابع أحداث الصراع السياسى والعكسرى والدبولوماسى خلال مراحله الساخنة المتعاقبة فى حروب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٠، ١٩٧٣، ثم مرحلة أحداث لبنان ١٩٨١، التى مازالت حلقاتها جارية، كل هذا كان له تأثيره المباشر على أهم بل وعلى غالبية دول حوض النيل، فناهيك عن مصر، وما أدراك ما مصر؟!، فهناك السودان بقيمته الاستراتيجية لمصر، وهناك أوغندا (حادث مطار كمبالا سنة ١٩٧٥) وكينيا وتنزانيا (متأثرتان بتكرار غلق قناة السويس)، وهناك أثيوبيا وتغلغل النفوذ الاسرائيلى فيما عسكريا (بريا بالتسليح والتدريب وحربًا بقواعد جزر دهلك وجويا بقواعد أريتريا) خلال النفوذ الأمريكى المنقرض تقريبا أو منفردا استنادا للصلة التاريخية والعرقية (لغة ودما) خلال فترة النفوذ السوفيتى.

وهناك عامل ثالث آخر، وهو الوضع الاقتصادى الحرج الذى تشهده معظم دول حوض النيل والسابق ذكر بعض ملامحه، خاصة فى مصر والسودان فى هذه الأيام خصوصا فيما يتعلق بانتاج المواد الغذائية (مصر) وفيما يتعلق بها وبمصادر الطاقة أيضًا (السودان).

هذه العوامل الثلاث(التكالب الاستعماري- المشكلة الفلسطينية- المشكلة الاقتصادية)هي- عندي- الزوايا والرزايا الأساسية التي تشكل رؤوس مثلث الرعب الذي يحكم ويتحكم في مستقبل دول حوض النيل خاصة مصر والسودان، ومن هنا كان على كل من يتأمل المستقبل المنظور، لابد وأن يدخلها في الاعتبار.

أما عن الوضع السياسي، فيلاحظ أنه قد نوقشت عقد ما يشبه الاتفاق للتعاون الايجابي بين دول حوض النيل، تم ذلك في اجتماع القاهرة لهذه المجموعة إلى تسمى "أوندجو" وهي كلمة سواحيلية UNDOGO تعني "الأخوة"، وهو الاجتماع الذي عقد في ٧-٨ أغسطس سنة ١٩٨٥ فكان الاجتماع الثالث لها حيث اجتمعت ثمان دول بعد انضمام بوروندي وتنزانيا ولقد كان عقد الاجتماع الأول في الخرطوم والثاني في كينشاسا من قبل.

والحق أقول أن الوقت حاليا (سبتمبر ١٩٨٥) ربما يكون مناسبا أكثر من ذي قبل لاعادة بناء العلاقات بين دول وشعوب " الأوندوجو" على أسس من التعاون والتآزر، الذي يمهد فعلا للأخوة ثم التكامل، مثل الحادث في السوق الأوربية المشتركة وفي دول الكومنولث ودول أخرى حيث ترتبط بعلاقات اقتصادية وسياسية وأيضًا عسكرية قوية، رغم ما كان بينها من تنافر ثقافي وحربي وسياسي، ولكنها غلبت صالح الأمل في المستقبل على أحقاد الماضي والحاضر.. فهل لنا من أمل مماثل بين "الأوندوجو" وفي الكوميا.

والحقيقة أن مصر لديها الرغبة الأكيدة في دعم علاقات التعاون من دول هذه المجموعة منها بضروزة الالتزام بسياسية الاعتماد على النفس لتحقيق التكامل فيما بين هذه الدول، ففي مجال التجارة فإنه يمكن تحقيق خطوات مدروسة بزيادة عقد الصفقات المتكاملة المتكافئة بين دول المجموعة كأن تستورد مصر اللحوم والسمسم والفول السوداني والزيوت النباتية والشاي والبن والنحاس والزنك والسيزال وغيرها من هذه الدول مقابل أن تصدر إليها المنسوجات القطنية والجلدية والأمصال والأدوية وقوالب الألومنيوم وطلمبات المياه والأسمدة الكيمياوية والأحذية والملبوسات والملح وغيرها.

وفي مجال التعاون الثقافي والفني فإن الجامعات والمعاهد والمدارس المصرية تستقبل سنويًا العديد من ابناء دول هذه المجموعة، كما تشارك الكوادر من ابناء دول المجموعة في الدورات التي يعقدها المركز المصري

الدولى للزراعة واتحاد الاذاعة والتليفزيون والعديد من المراكز العلمية المتخصصة وغيرها كثير.

كما أن الصندوق المصرى للتعاون الفنى لأفريقيا بوزارة الخارجية المصرية الذى يعد أداة لخدمة خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية بدول القارة يساهم بايفاد العديد من الخبراء فى مجالات الطب والرى والزراعة واستصلاح الأراضى والتدريس، بل لقد تعدى حد الاتفاقات الثنائية ليدخل مرحلة جديدة هى تنظيم التعاون الثلاثى باشراك أطراف غير افريقية كاليابان ودول السوق الأوربية المشتركة فى التعاون من أجل التنمية ومن ذلك تنظيم دورة تدريبية فى مجال التمريض بالقاهرة شارك فيها دارسون من دول المجموعة وأخرى كالحادث فى مجال النقل البحرى بمشاركة من اليابان وغيرها.

وفيما يتعلق بالتعاون فى مجال ترشيد استخدام مياه النيل، فإن نهر النيل يلعب الدور الرئيسى فى ربط مصائر دول حوضه فى شمال وشرق أفريقيا على مدى أكثر من خمسة آلاف سنة، مما ساعد على صهر السلالات والحضارات فى هذه المنطقة، إذ تنساب مياه النيل عبر أراضى عشر دول أفريقية هى دول حوض النيل المعروفة.

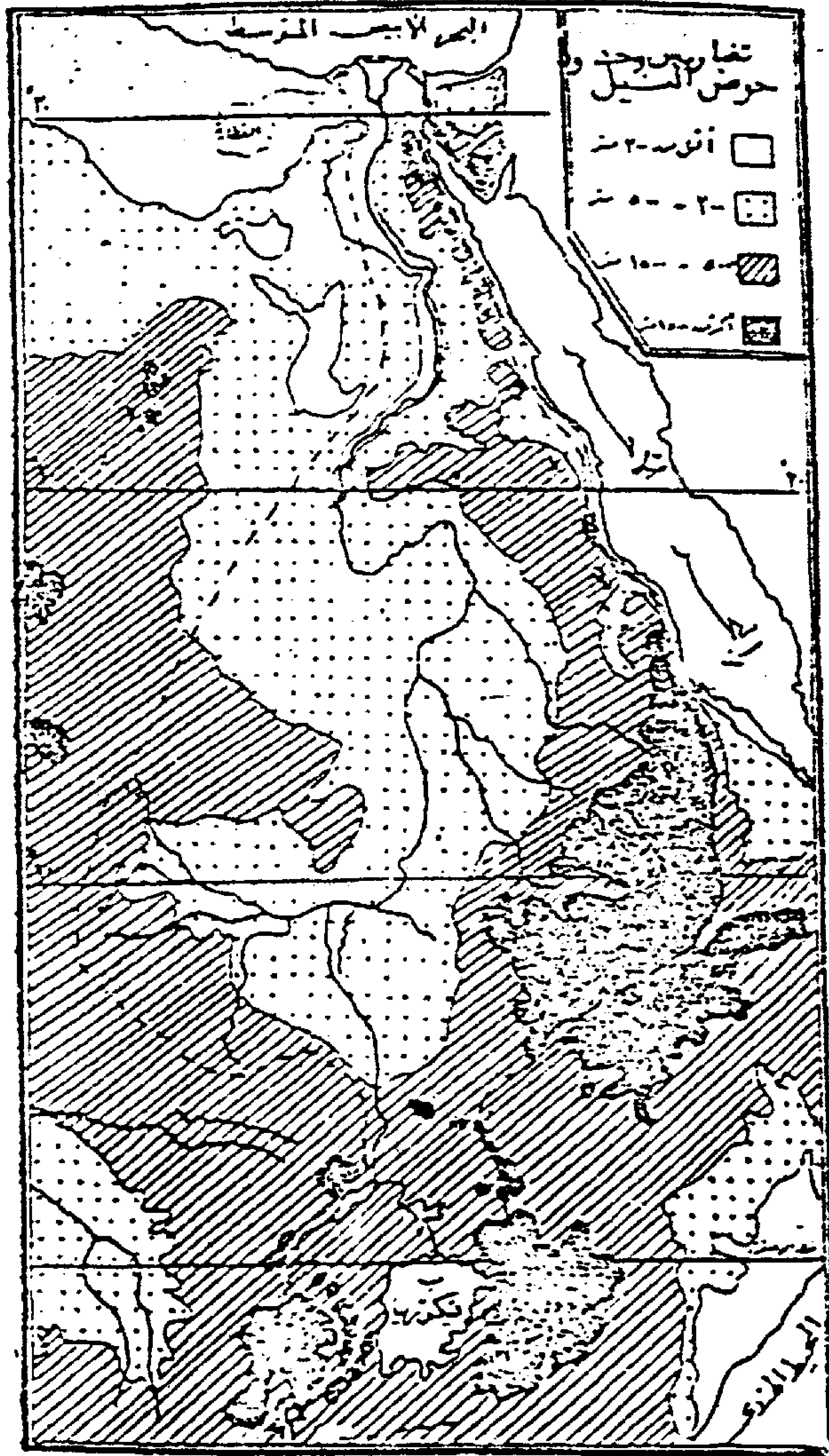
وتعمل مصر على ترشيد استخدام مياه النيل، بما يحقق مصلحة كل الدول النيلية، من تلك المشروعات التى يتدارسها الفنيون المصريون مع نظرائهم فى دول حوض النيل لانشاء خزانات واقامة السدود لتوليد الطاقة الكهربائية ولتخزين المياه لاستخدامها فى أغراض الرى واستصلاح الأراضى وتأمينا لدول حوض النيل من أخطار الجفاف والقحط، ومن ذلك فروع التخزين فى بحيرة موبوتو سيسكو (ألبرت) من أجل خير ورخاء الشعوب النيلية فى المستقبل القريب.

والجدير بالاشارة والاشادة هنا- وهو اعتقادى – أنه يجب أن توسع دول حوض النيل من تعاونها فتضم إليها من حيث التعاون والتكامل جاراتها من الغرب ليبيا وتشاد ومن الشرق الصومال وجيبوتى، حيث يمكن الاستفادة الكبرى من امكانيات الموارد الطبيعية من عمق الموقع والموضع الذى يفيد كثيرا فى مجالات العمل العسكرى والاستراتيجى.

الحقيقة أن الترابط والتكامل وعلاقة القدوة الطيبة بين مصر والسودان تحمل الكثير من النماذج التى يمكن أن يحتذى به بين دول الحوض وجيرانها.

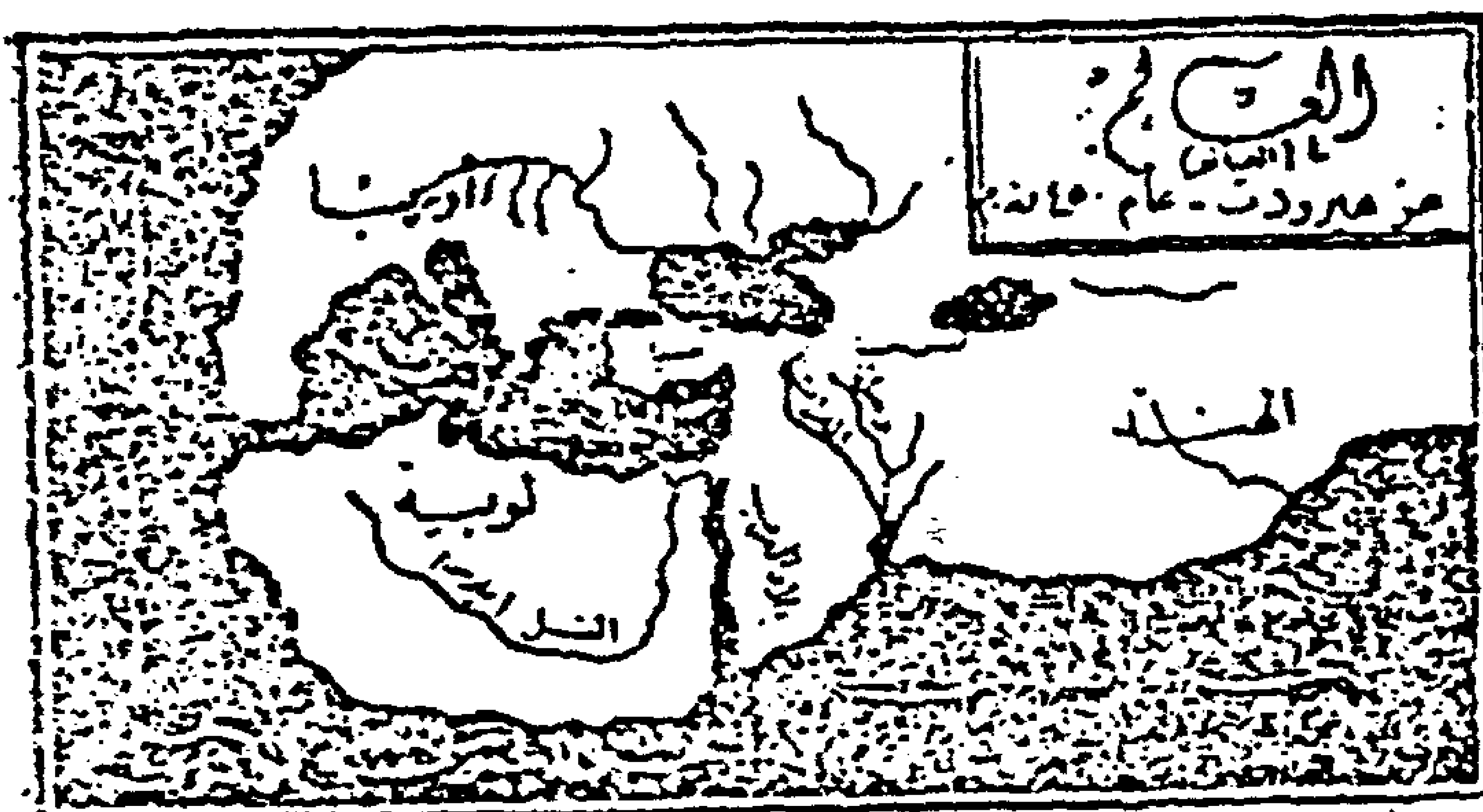
ومع ما أثير بعد حركة الجماهير والجيش (سوار الذهب) فى السودان (أبريل ١٩٨٥) الحق فى إعادة تقييم ما أنجز وما وضع من خطط فى ظل اتفاقيات التكامل، فإن الغالبية الغالبة مازالت تعتقد بأن المخرج الطبيعى لكلى شعبى السودان ومصر هو فى التعاون الكامل التام، وهو الذى يصل به البعض (حزب الشعب السودانى) إلى الوحدة بين شطرى الوادى كنموذج لتحقيق الوحدة العربية الشاملة.

أشكال الفصل التاسع



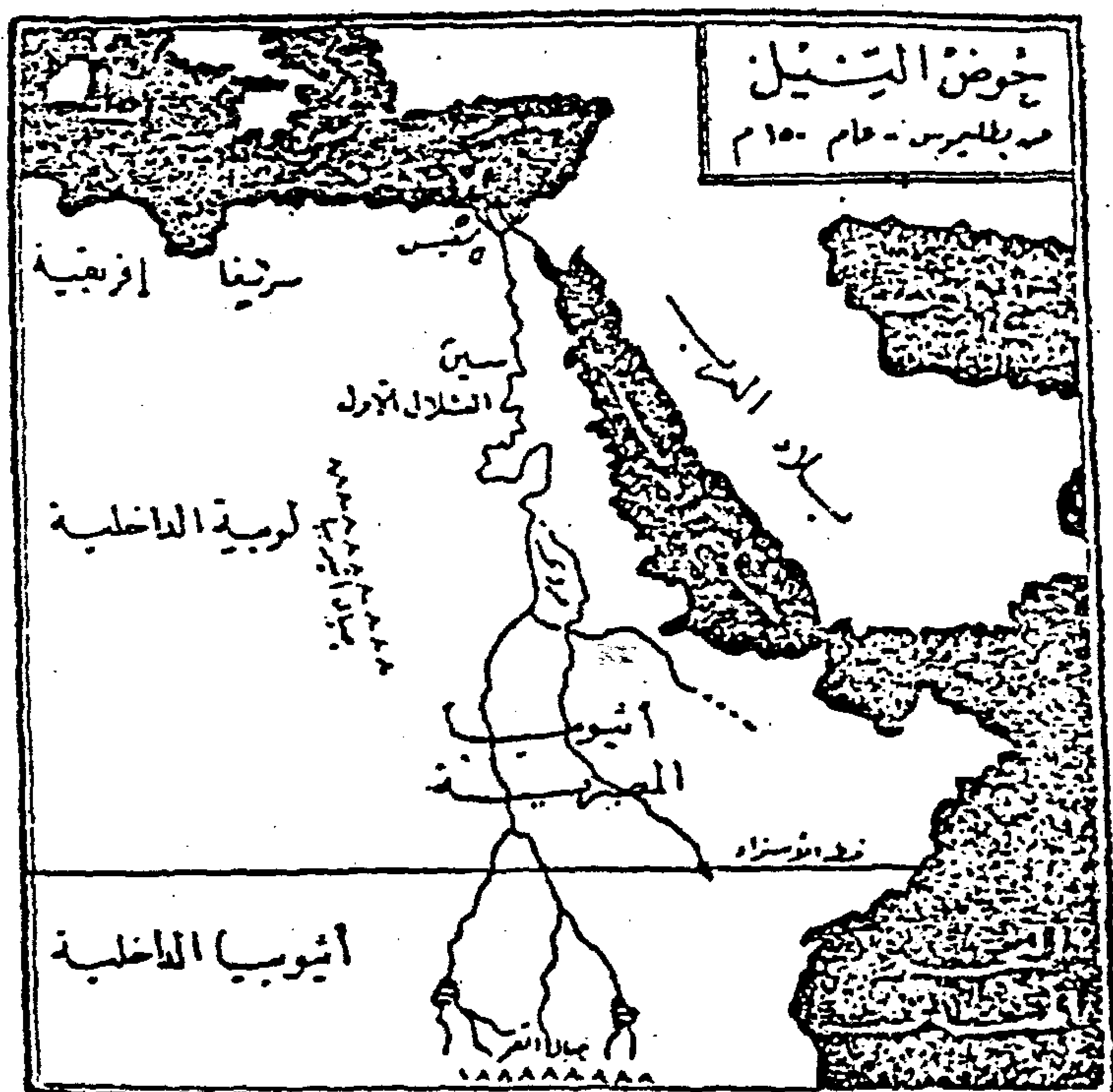
(عن مجلس)

خريطة ٩/١

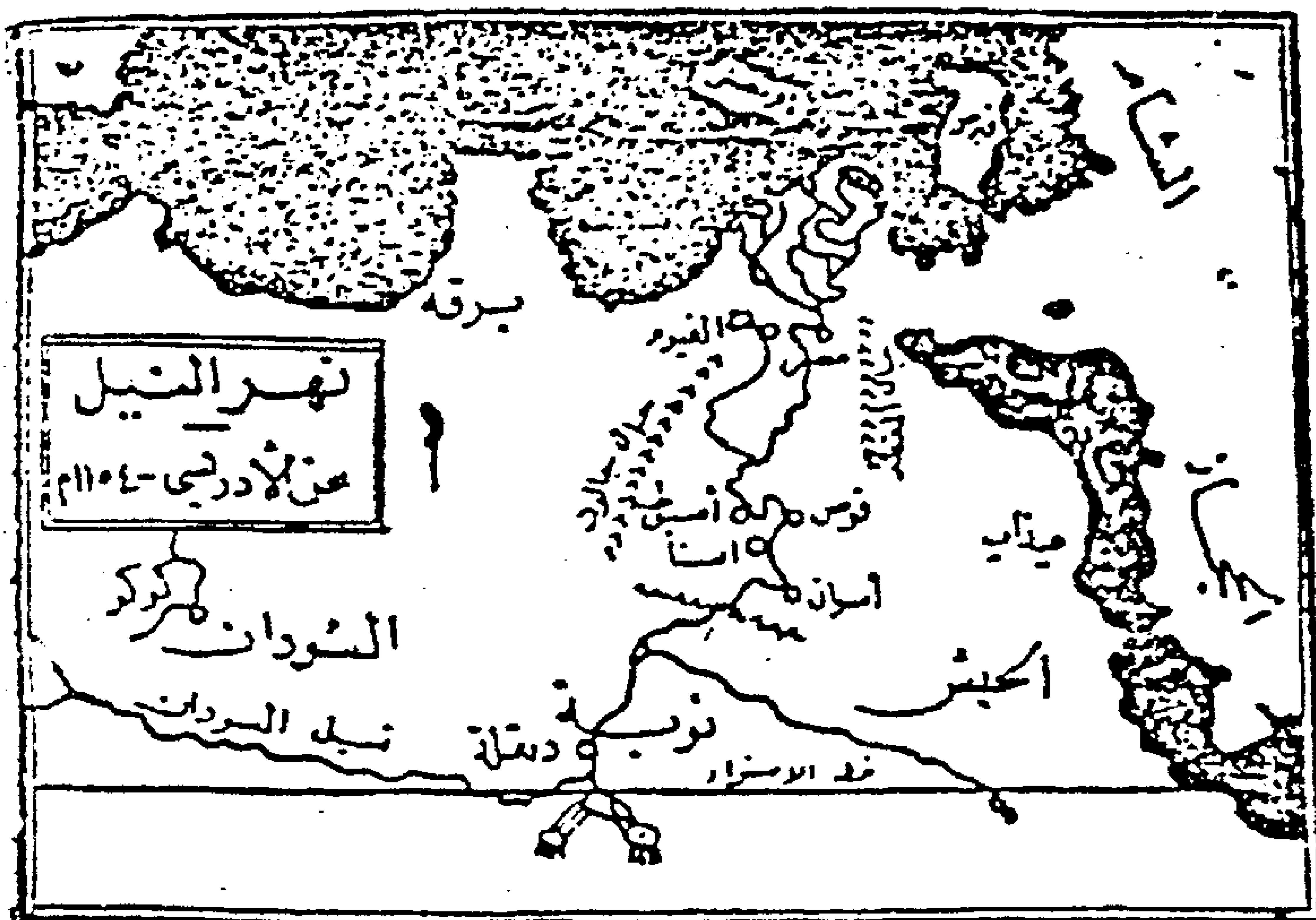


(عن مجلس)

خريطة ٩/٢

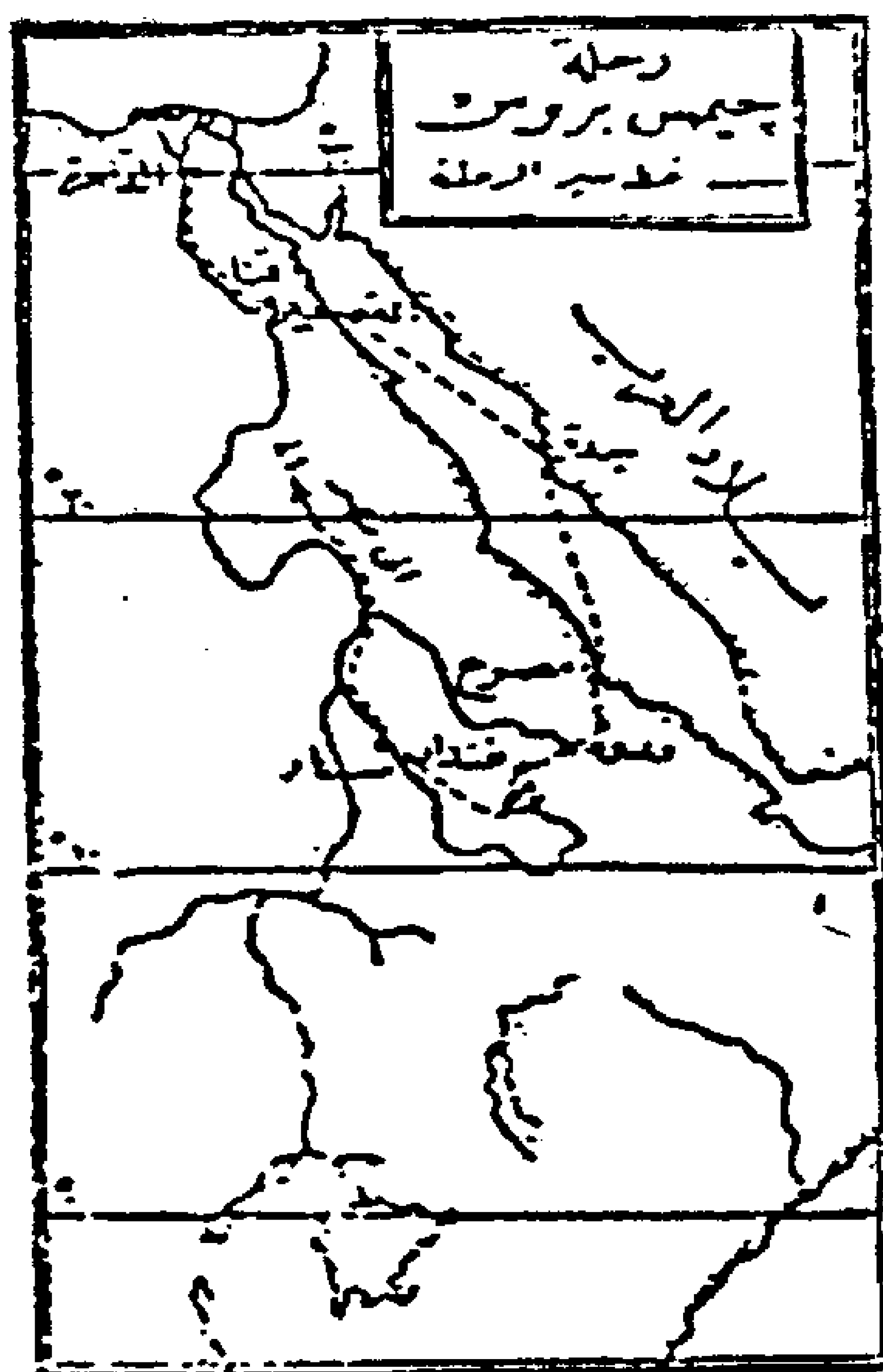


خريطة ٩/٣ (عن مجلس)

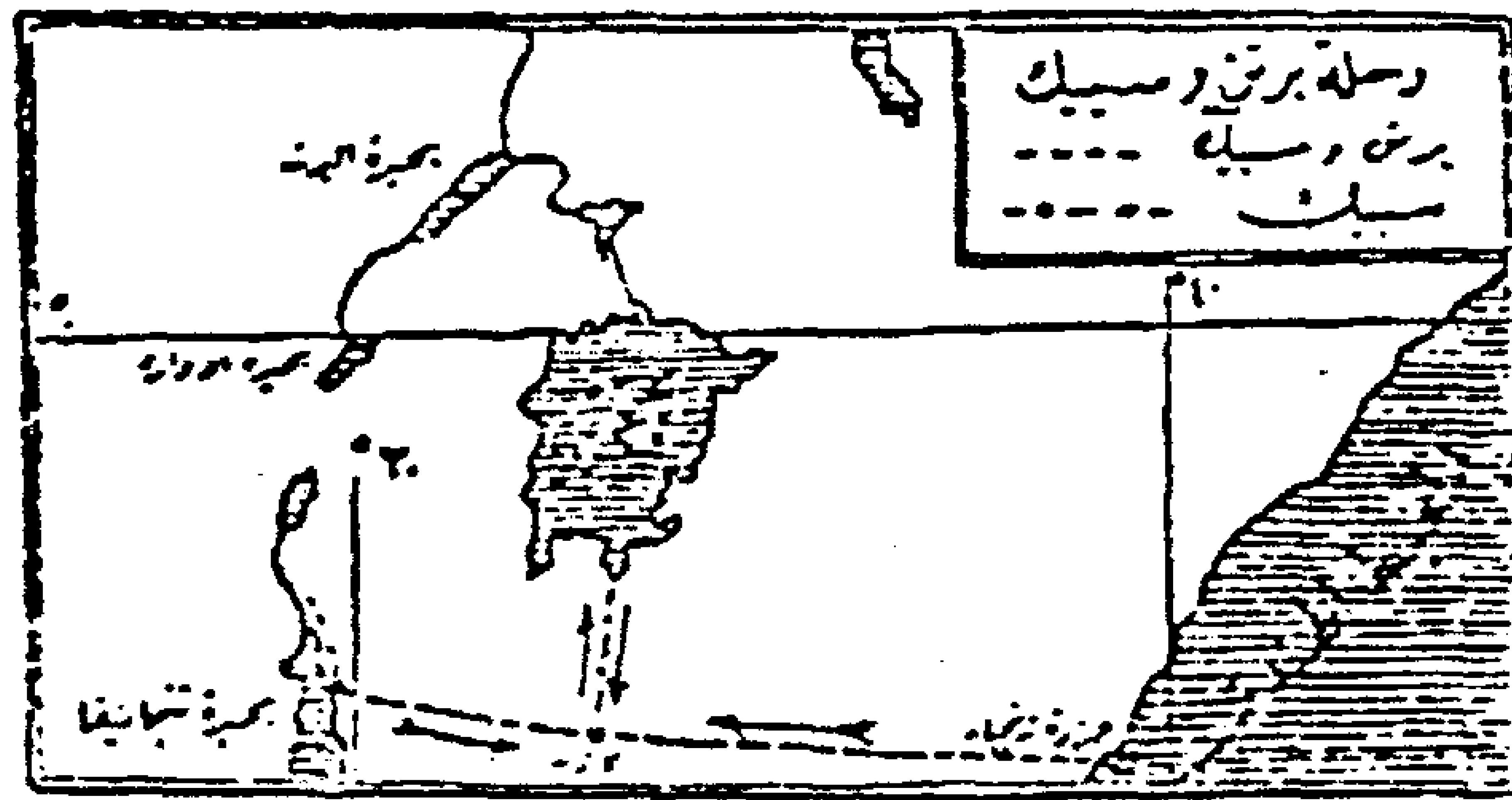


(عن مجلى)

خريطة ٩/٤

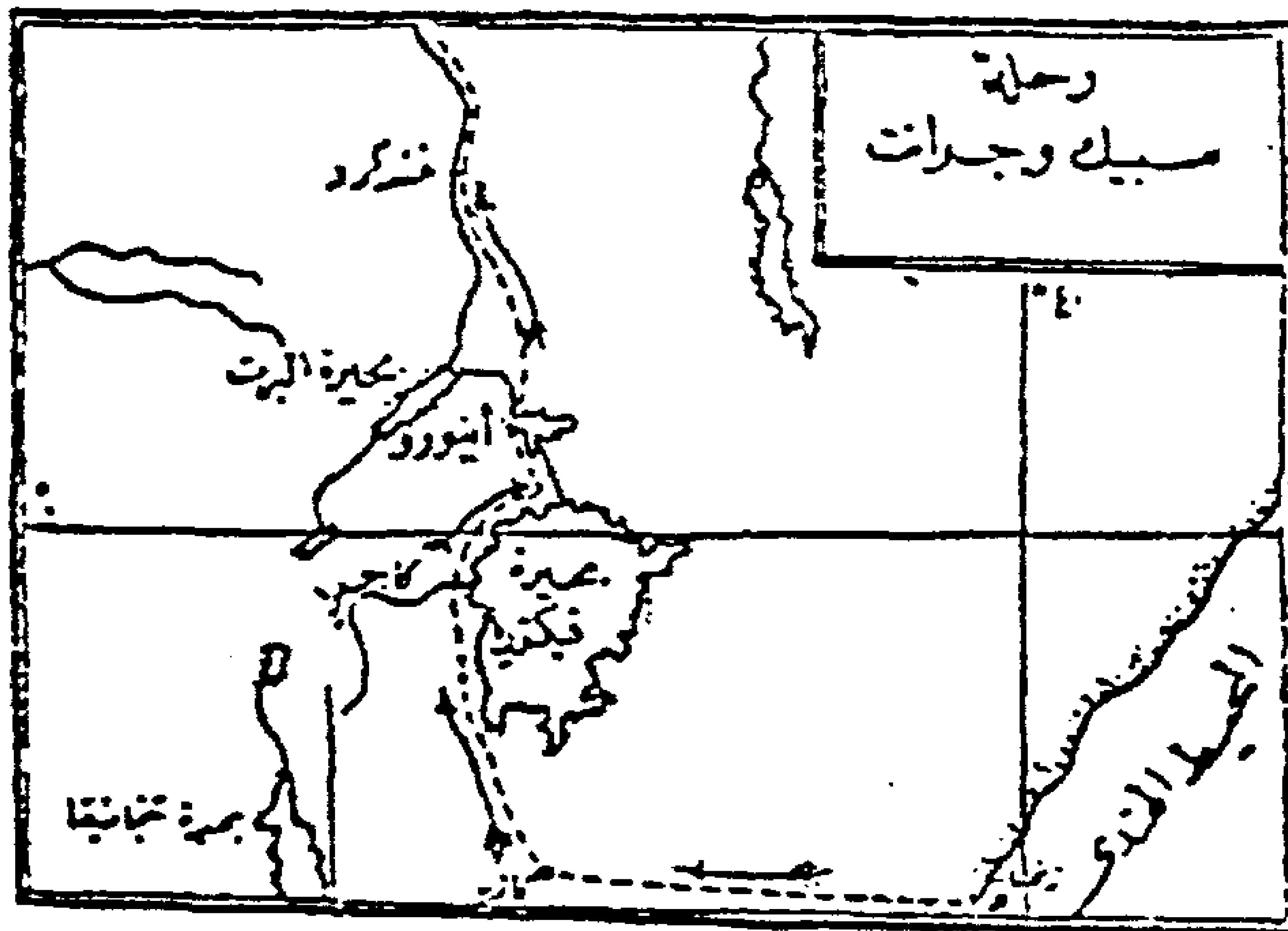


خريطة ٩/٥



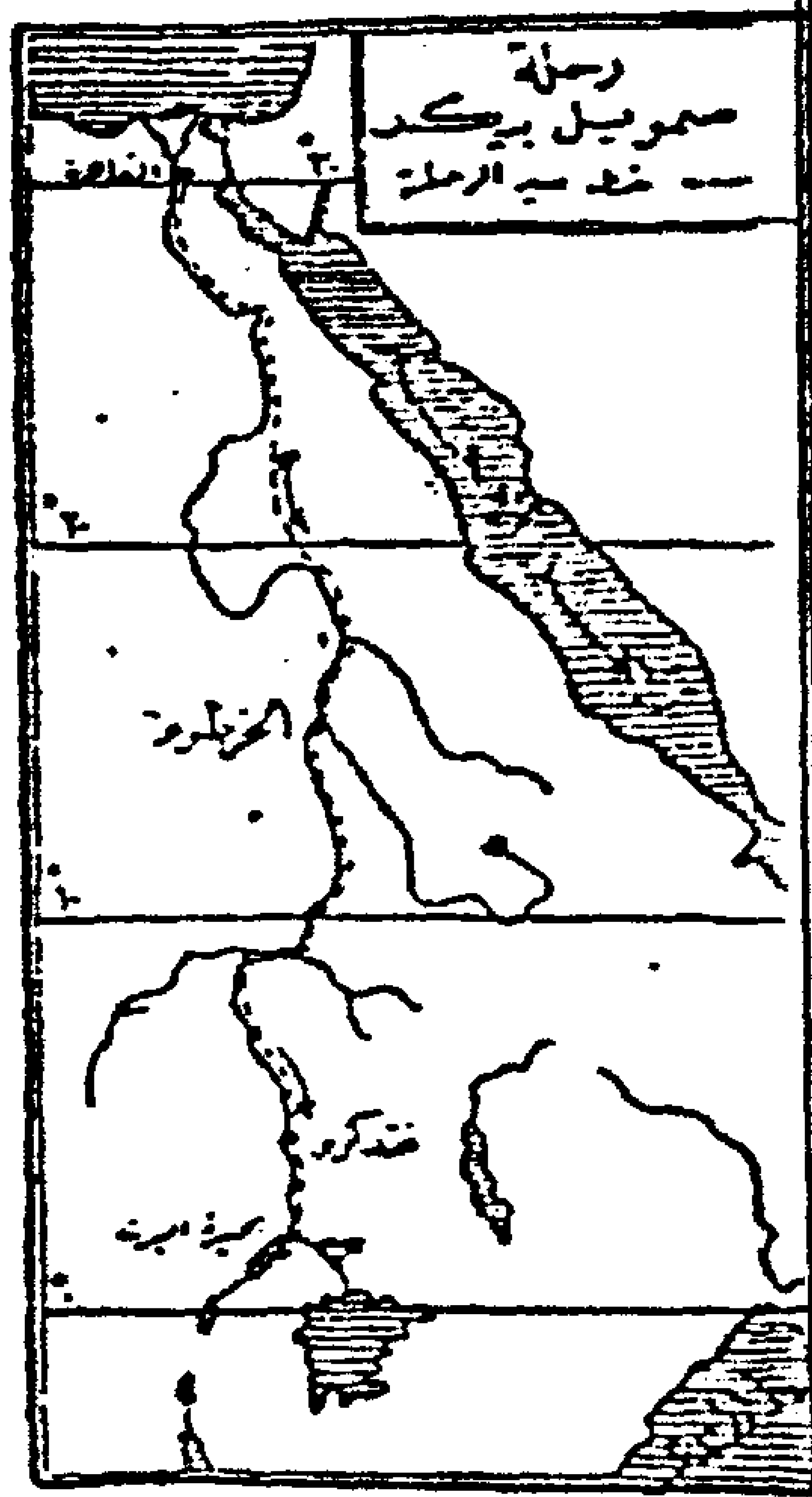
(عن مجلى)

خريطة ٩/٦



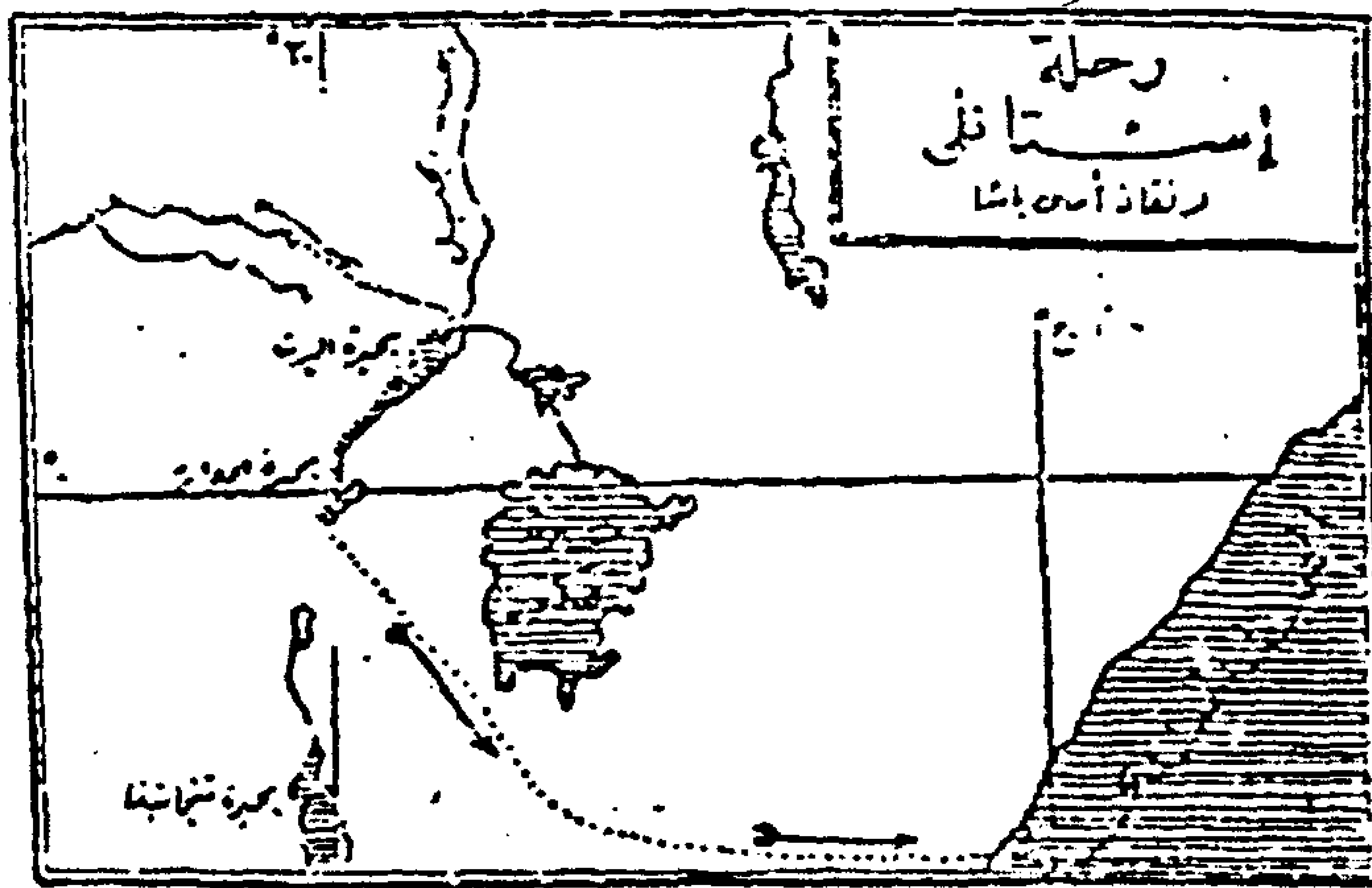
عن مجلى

خريطة ٩/٧



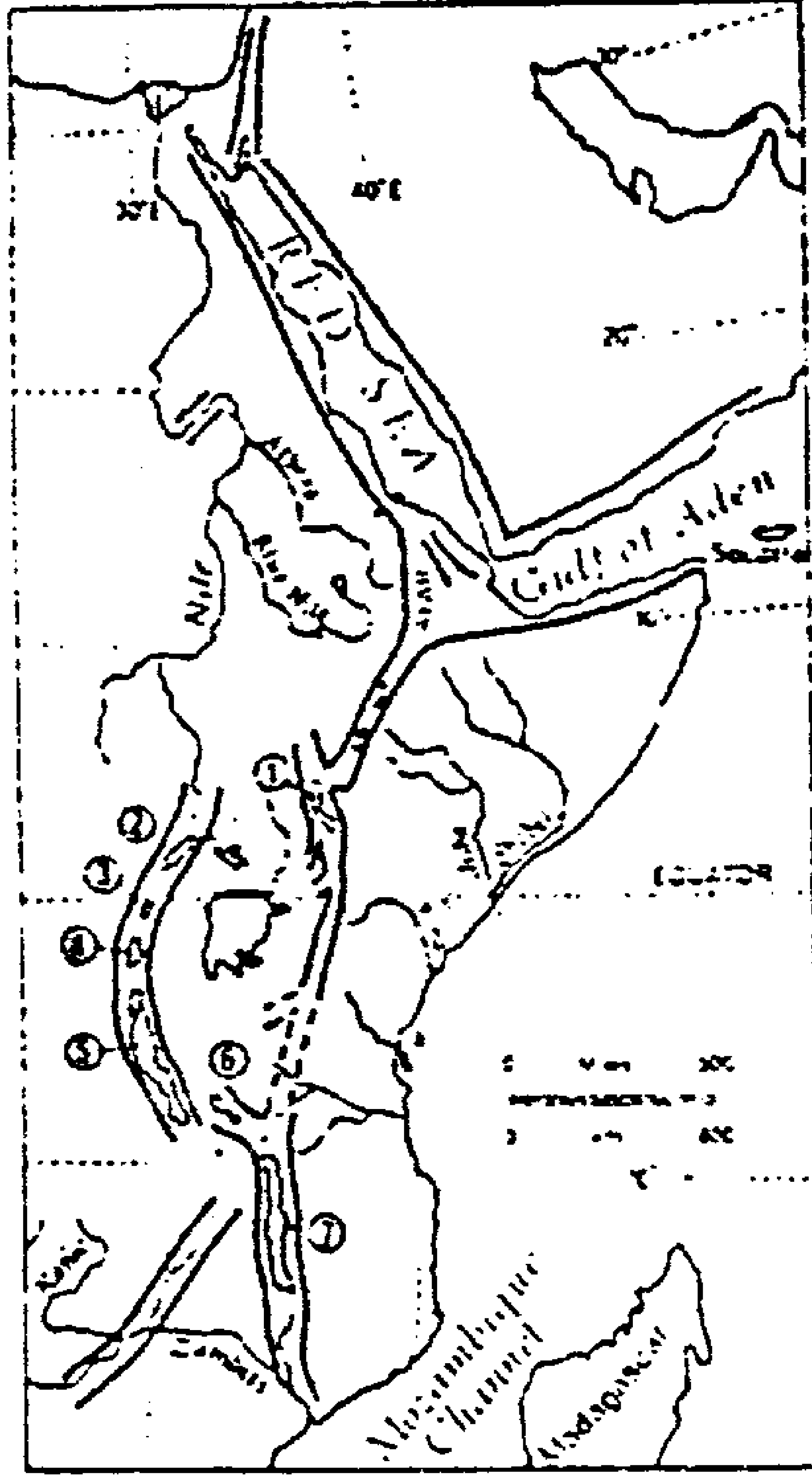
(عن مجلى)

خريطة ٩/٨



(عن مجلى)

خريطة ٩/٩



(عن جاريت)

خريطة ٩/١٠- الأخدود الأفريقى العظيم وعلاقته بنهر النيل

(عن مجلى)

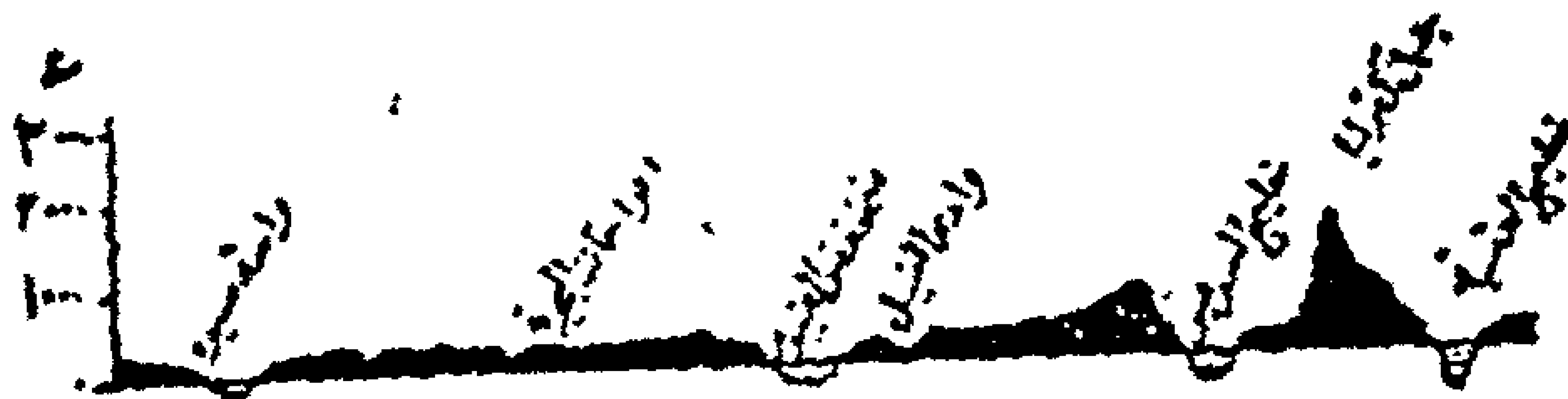
خريطة ٩/١١

(عن مجلى)

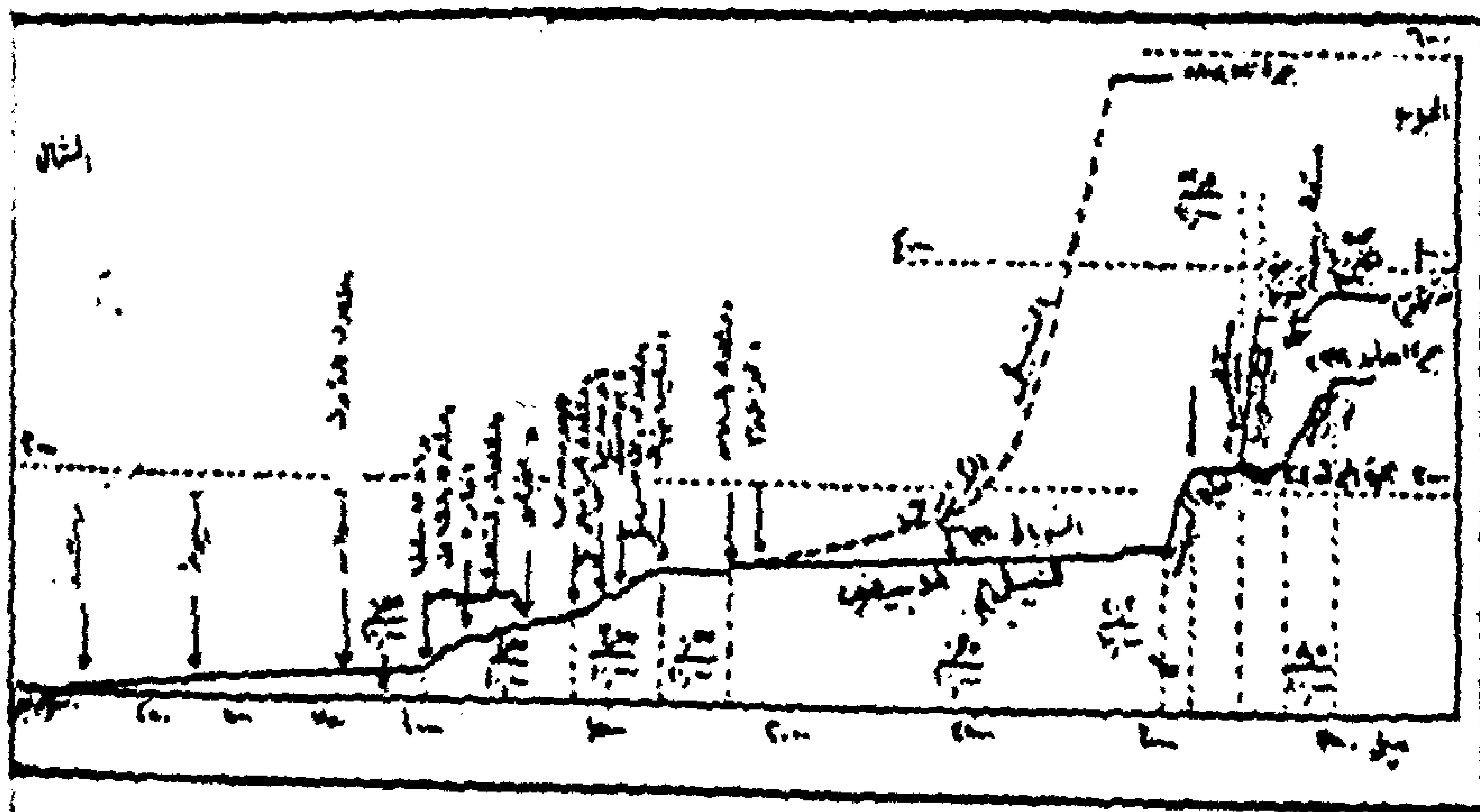
شكل ٩/١- قطاع مستعرض فى هضبة البحيرات الاستوائية



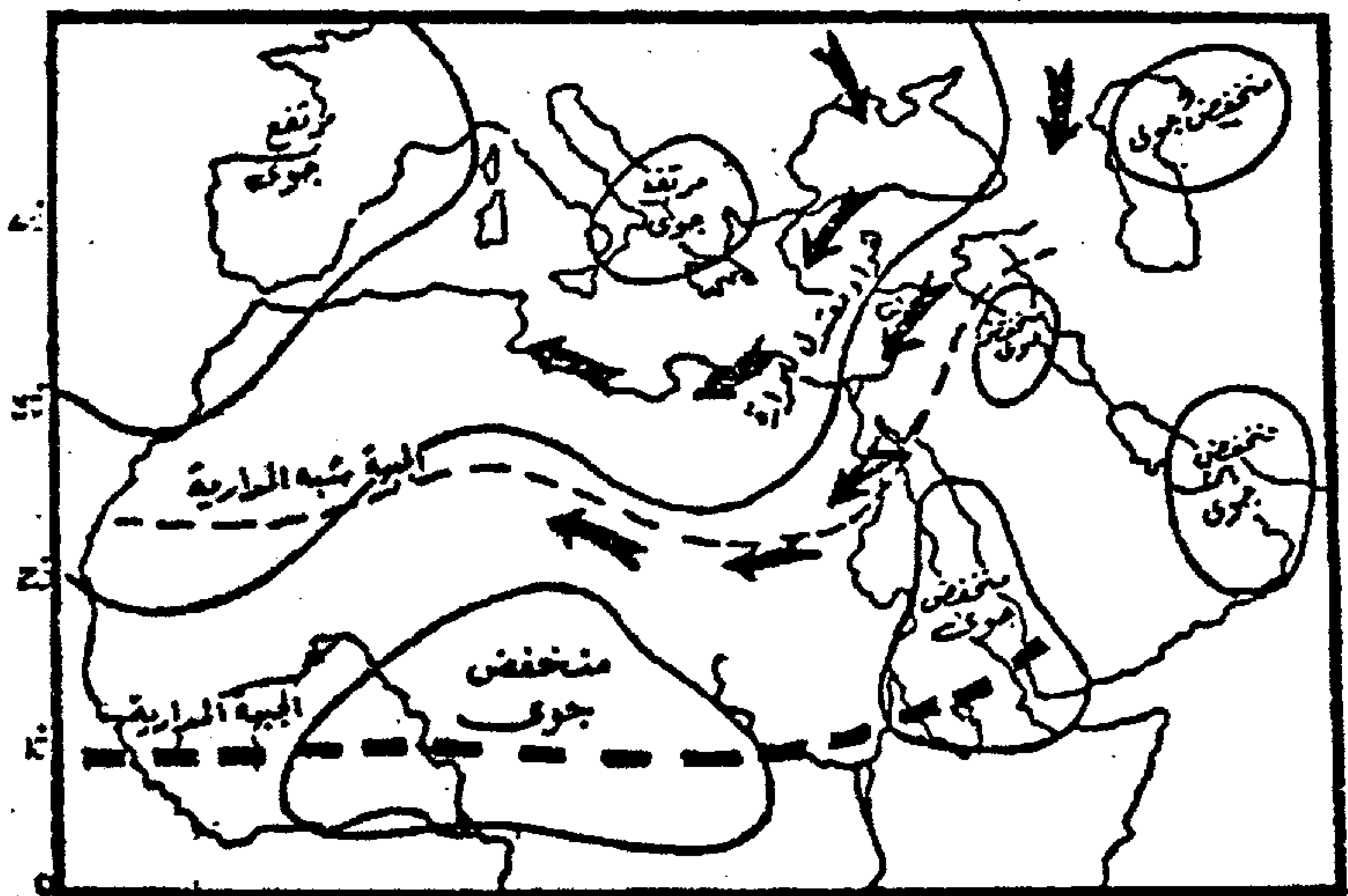
شكل ٩/٢- قطاع مستعرض فى وسط السودان



شكل ٩/٣- قطاع مستعرض فى مصر عند خط عرض الفيوم

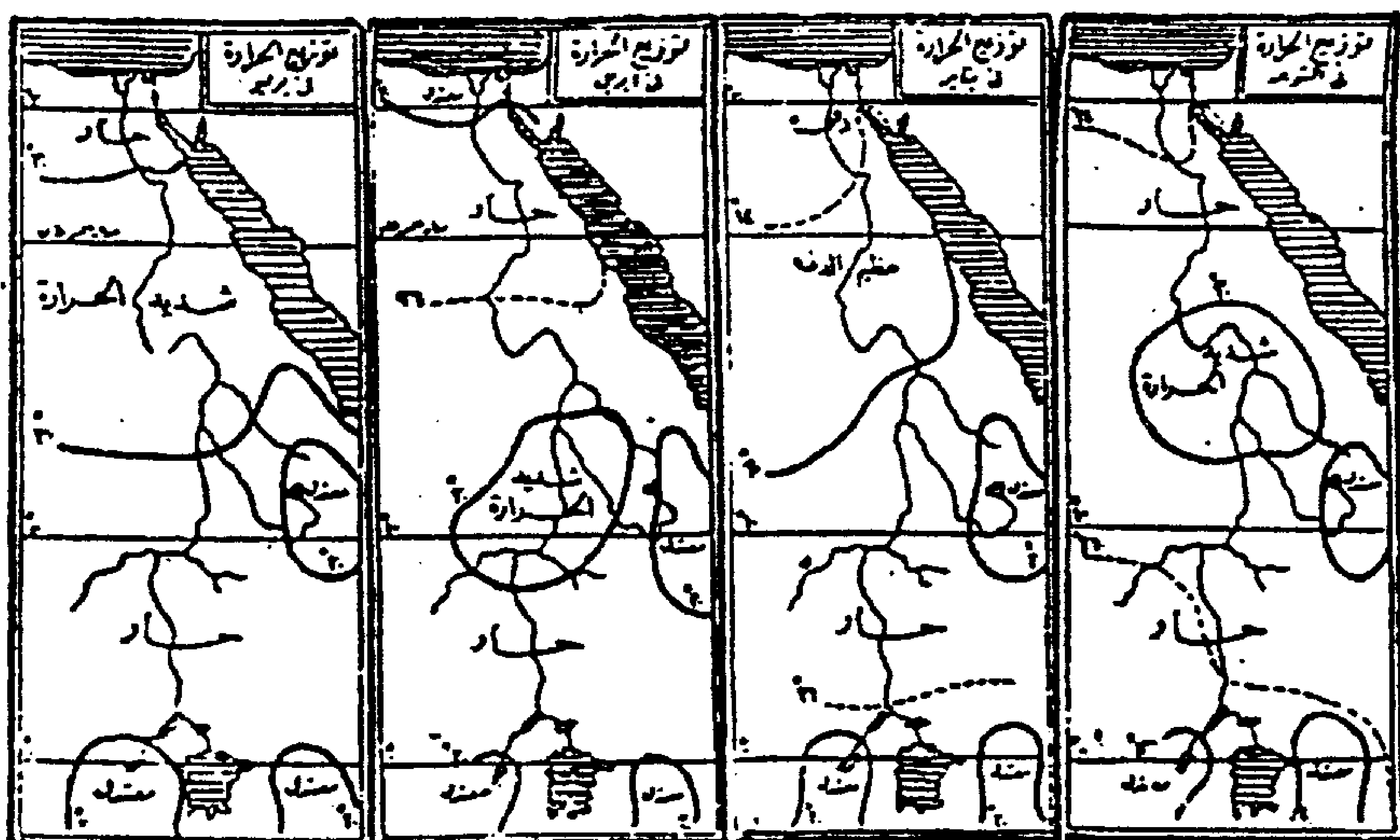


شكل ٩/٤- قطاع طولى فى مجرى النيل من المنبع حتى المصب



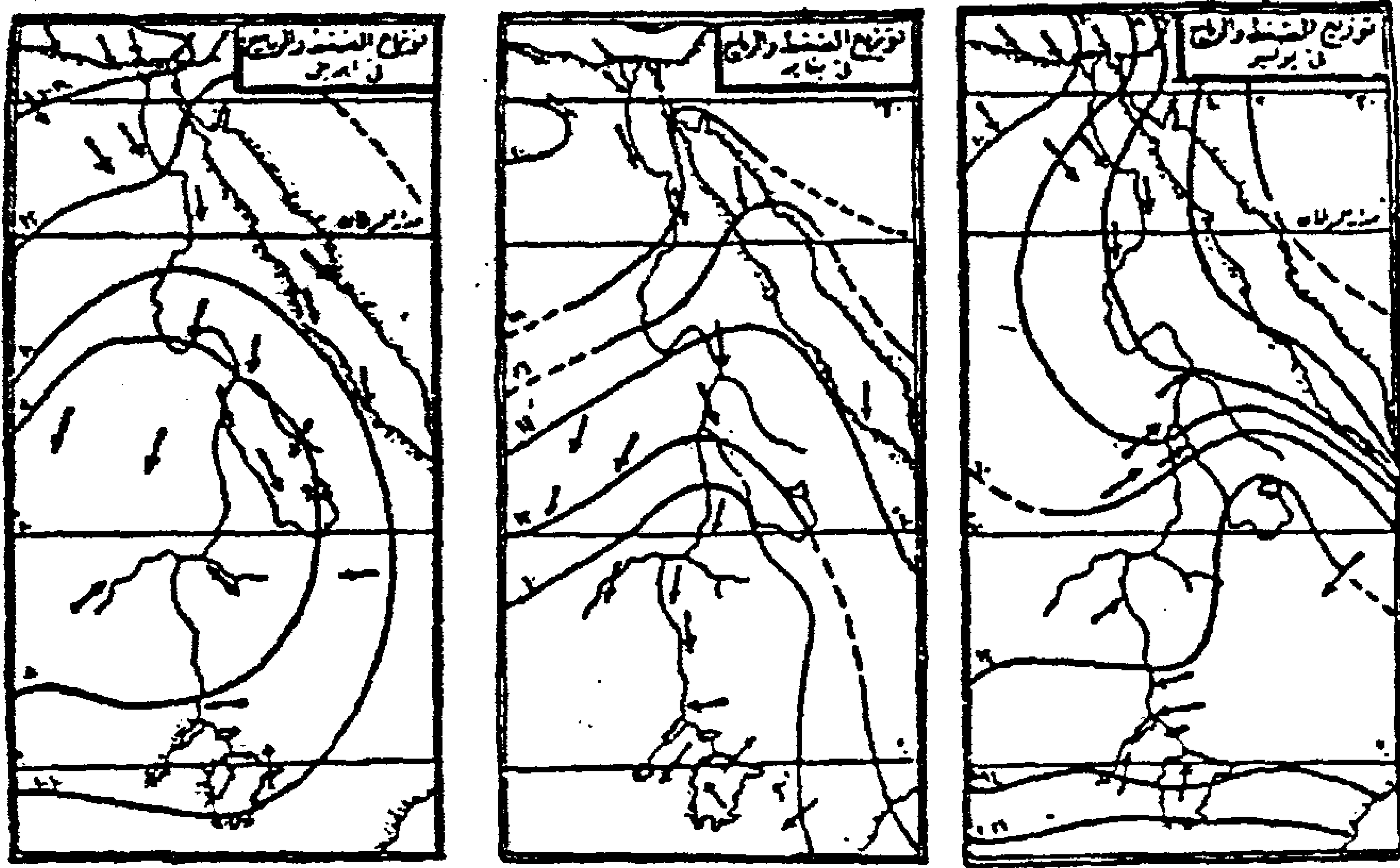
(عن الأهرام)

خريطة ٩/١٢- نموذج لتوزيع الكتل الهوائية الكبرى حول وداخل حوض النيل
(يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٨٣)



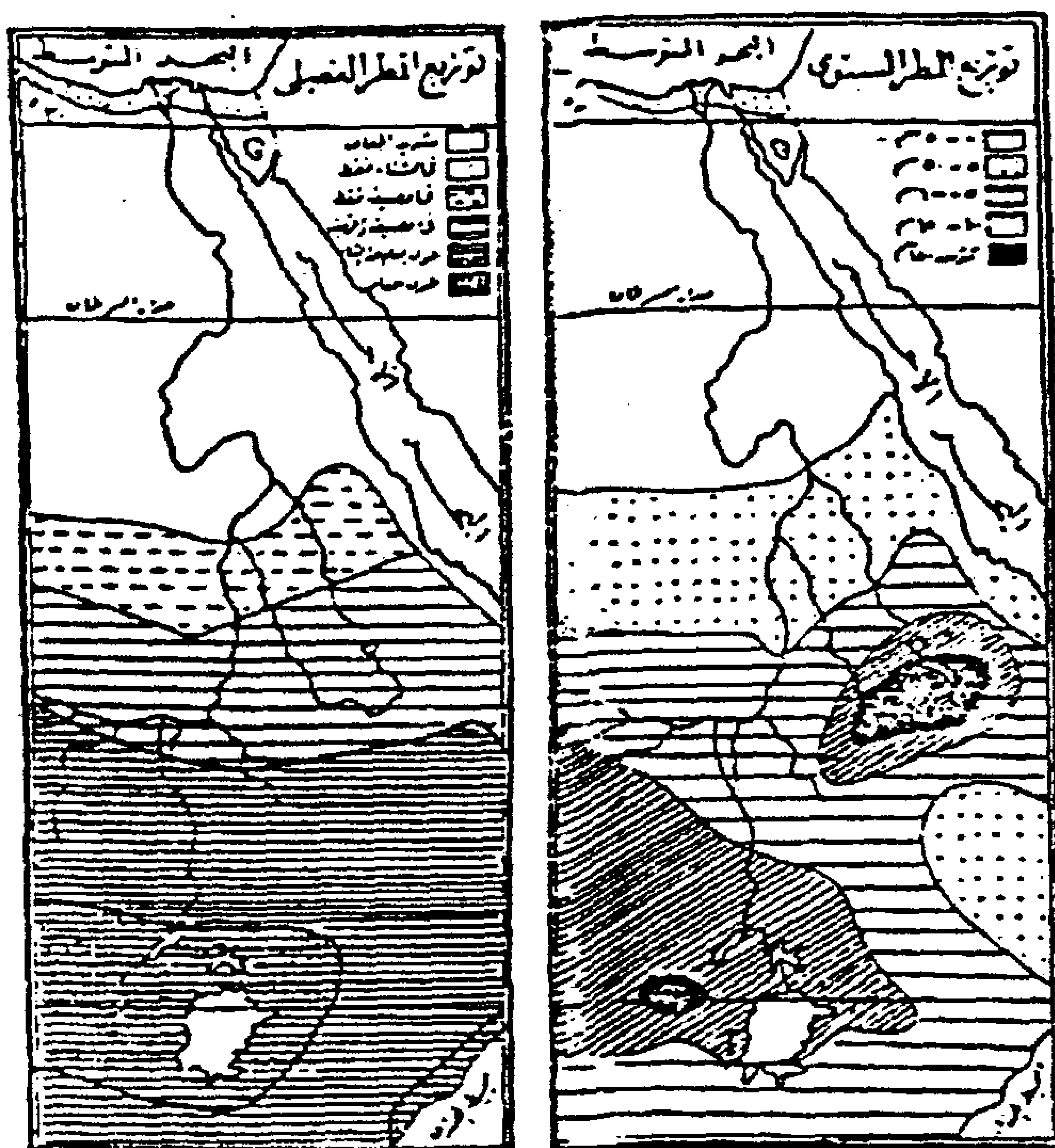
(عن مجلى)

خريطة ٩/١٣- توزيعات مناطق الحرارة فى حوض النيل



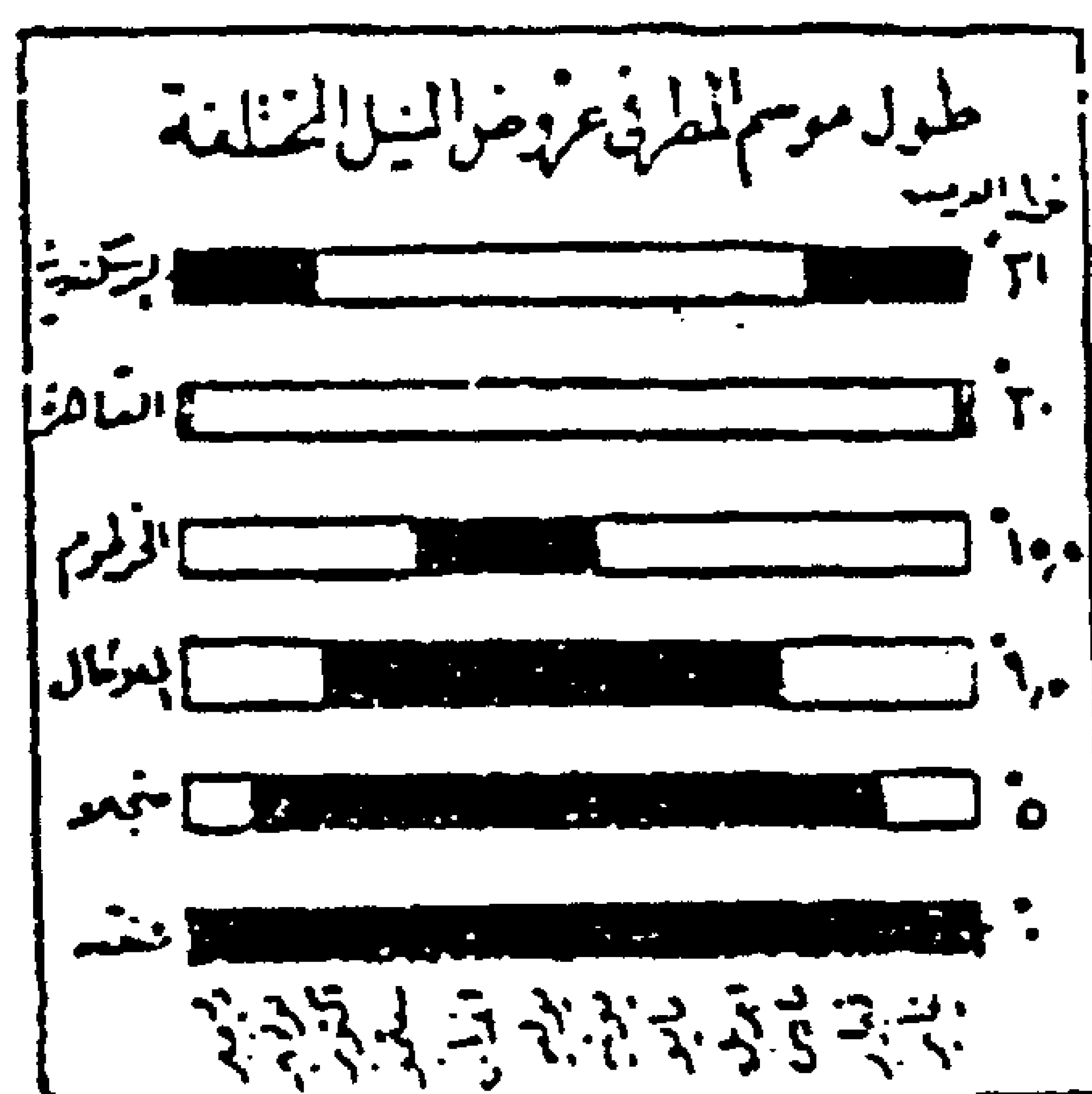
(عن مجلى)

خريطة ٩/١٤- توزيعات الضغط الجوى والرياح فى حوض النيل



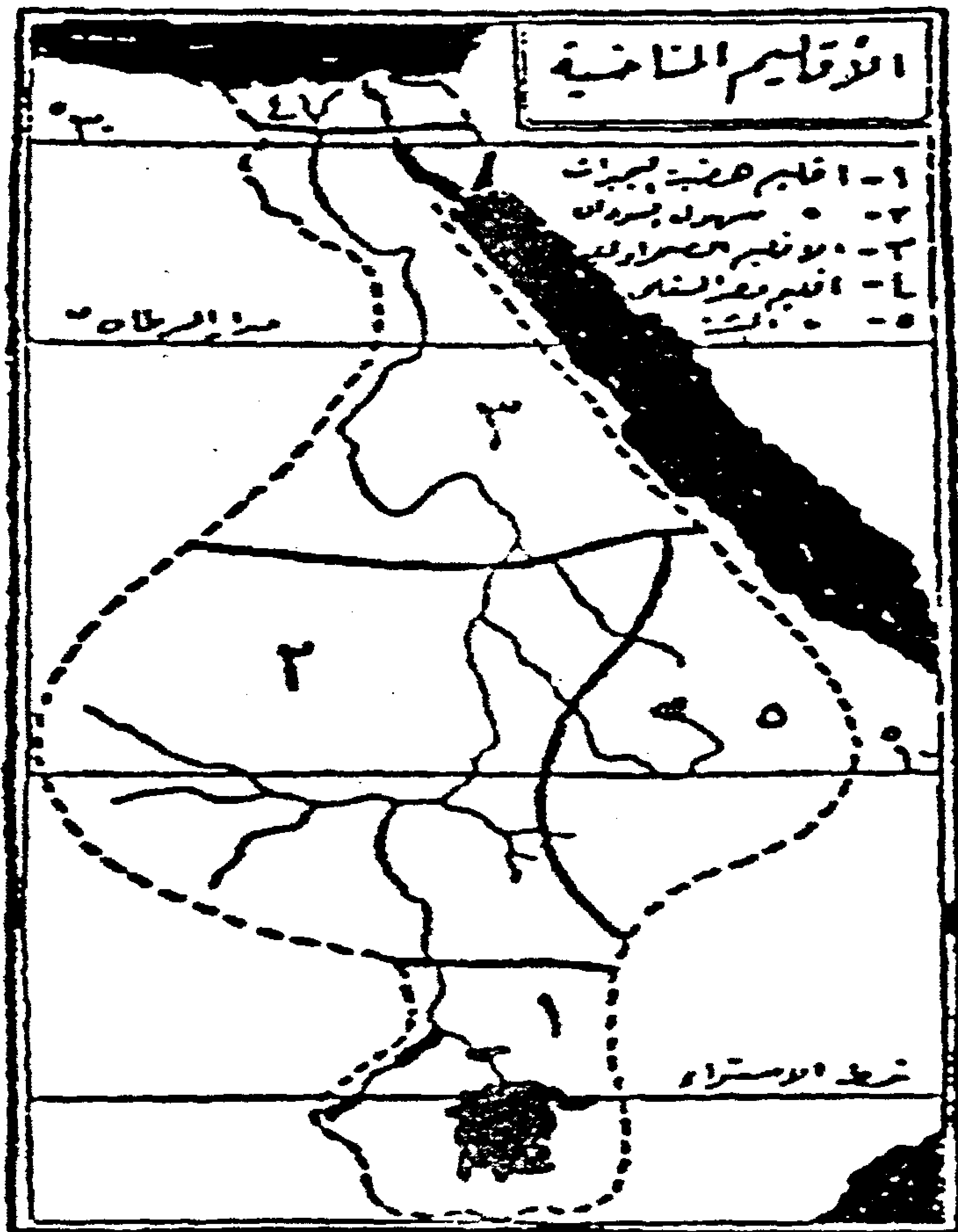
(عن مجلى)

خريطة ٩/١٥ - توزيع المطر السنوى والفصلى فى حوض النيل



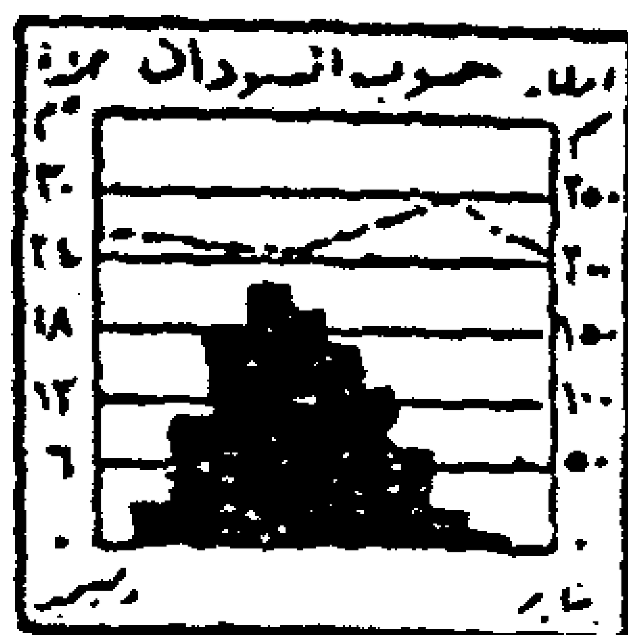
(عن مجلى)

شكل ٩/٥ - طول موسم سقوط المطر فى عروض النيل المختلفة

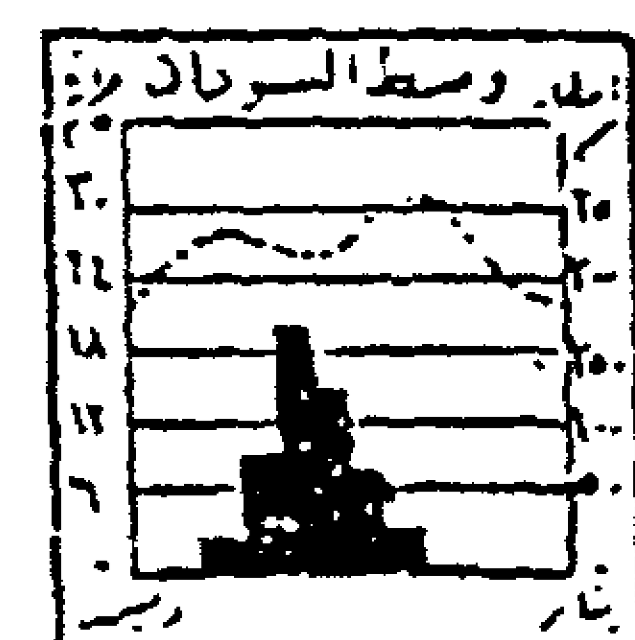


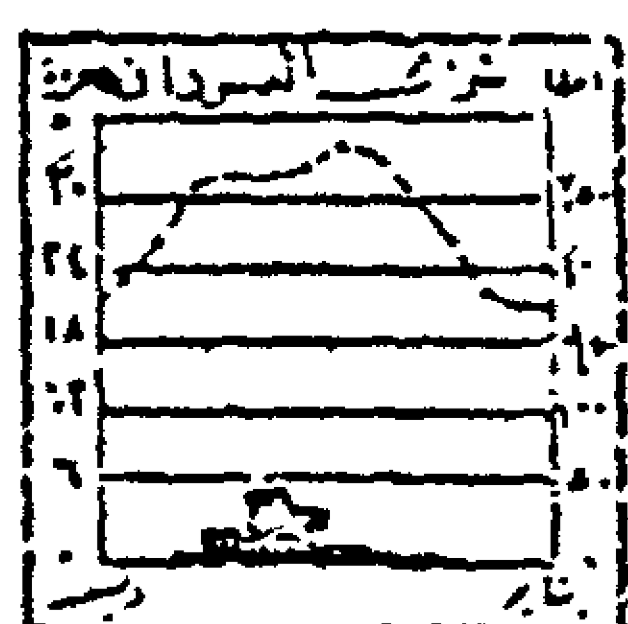
شكل ١٦/٩

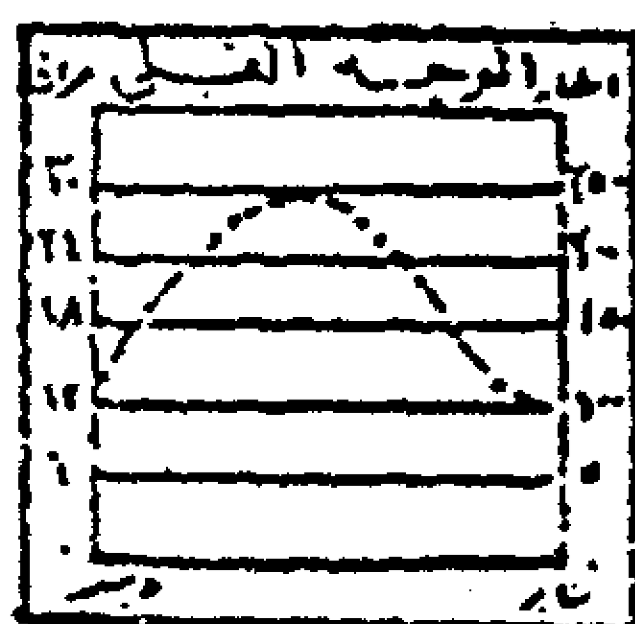












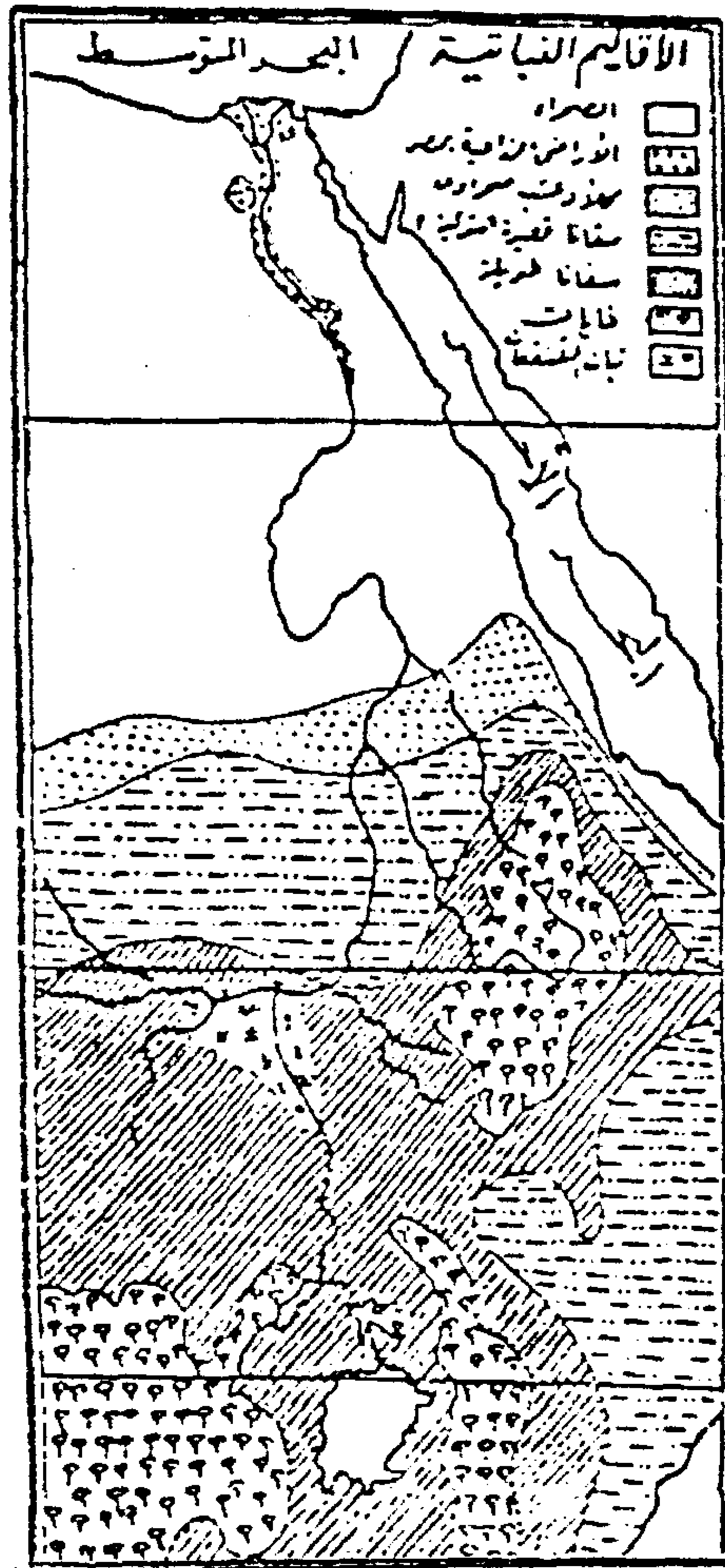
(عن مجلى)



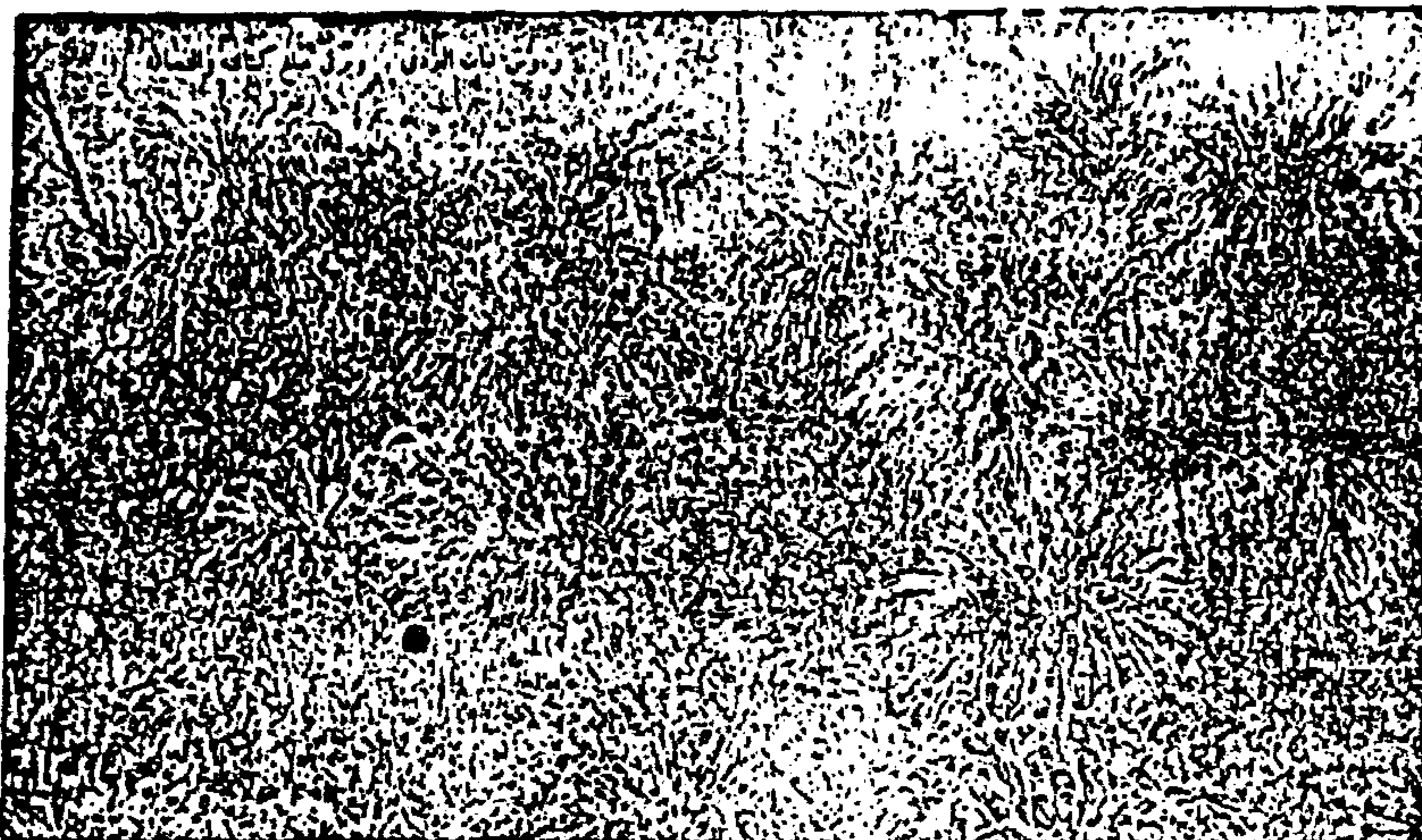
شكل ٩/٦ـ درجة الحرارة وكمية الأمطار وموسم سقوطها فى الأقاليم المناخية المختلفة فى حوض النيل

(عن مجلى)

خريطة ٩/١٧- توزيع التربة وعلاقتها بالأقاليم النباتية فى حوض النيل

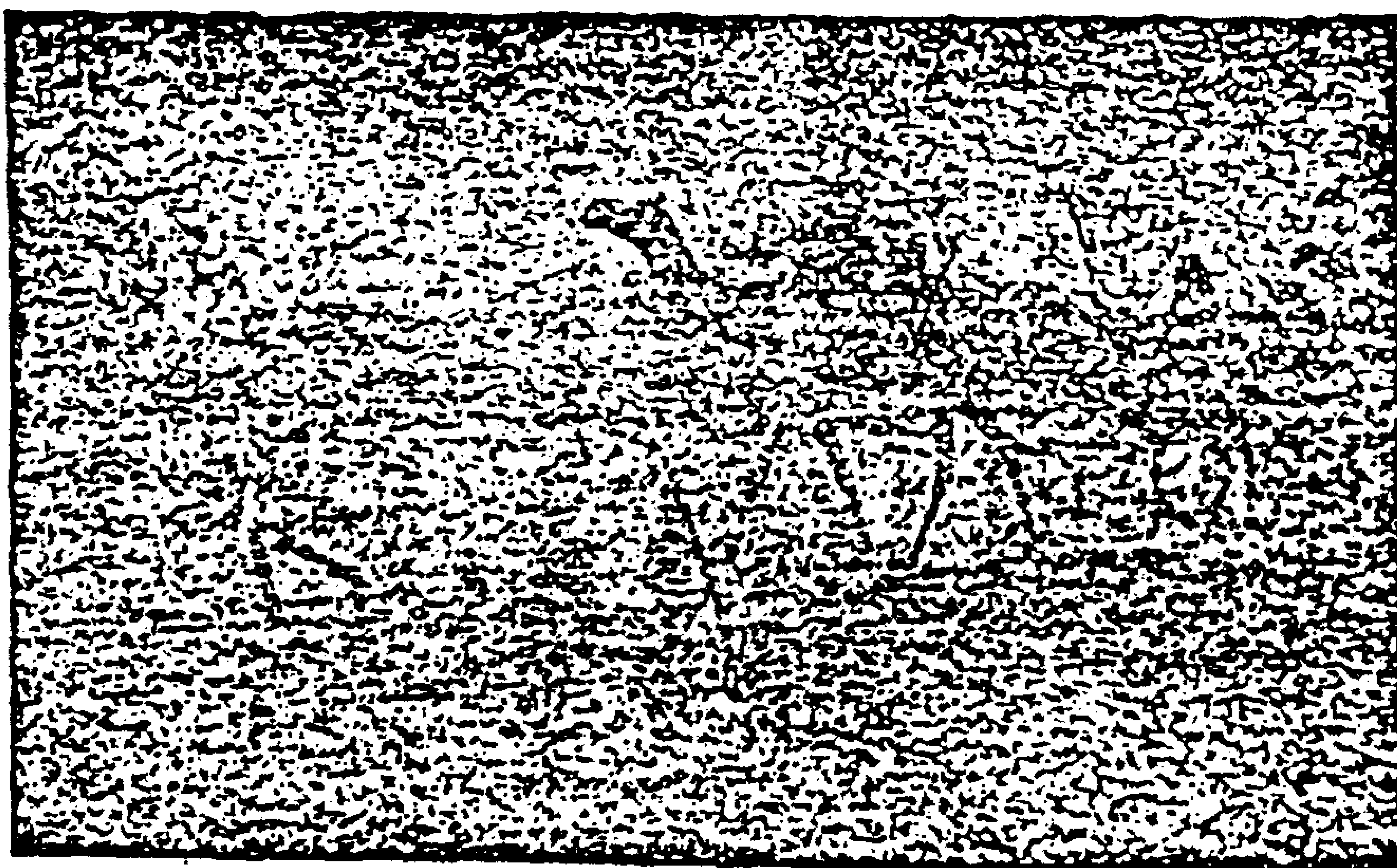


خريطة ٩/١٨



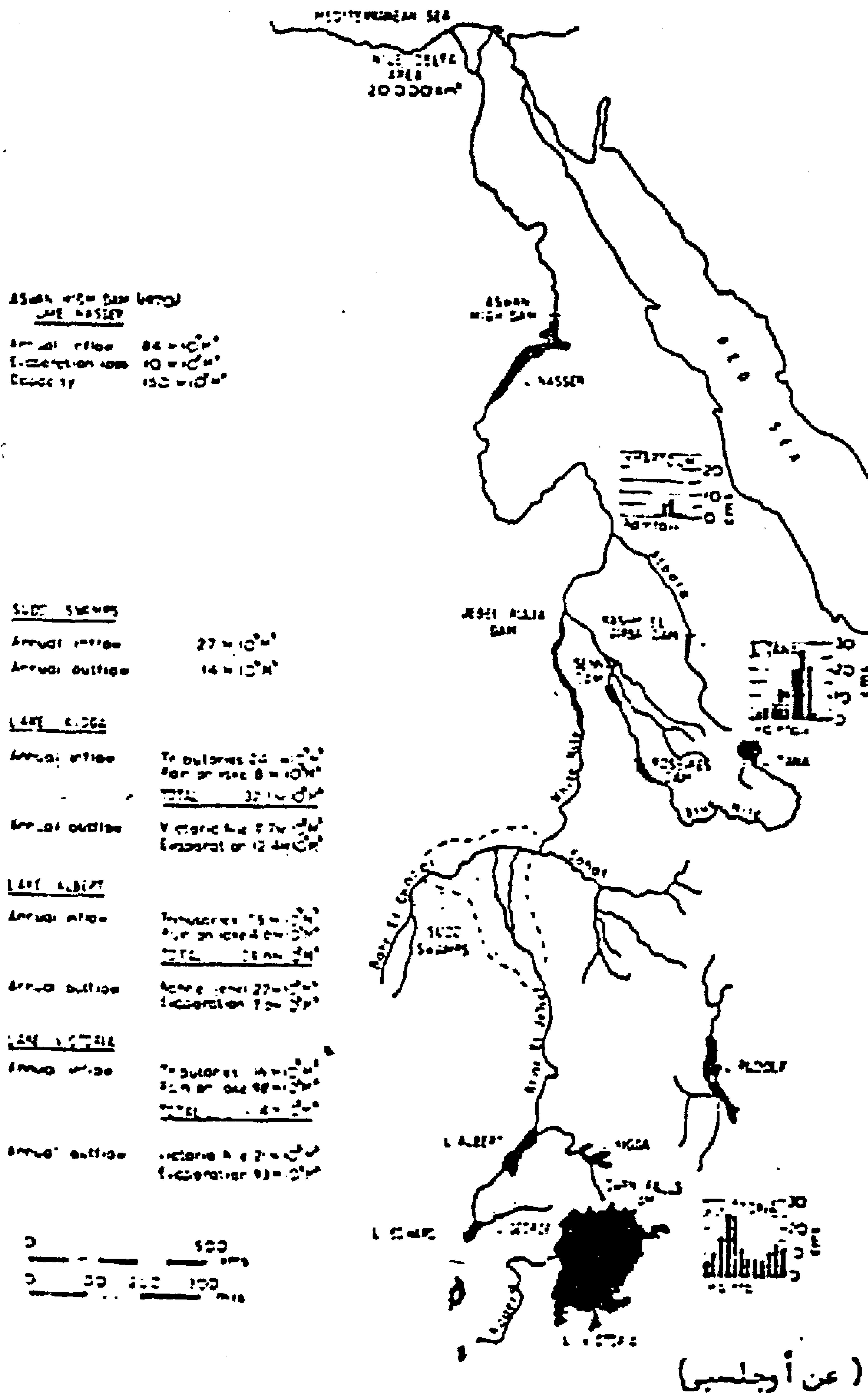
(عن مجلى)

لوحة ٩/١ـ نباتات البردى فى جنوب السودان



(عن مجلى)

لوحة ٩/٢ـ السافانا الشوكية فى حوض النيل الأزرق



(عن أوجلسبى)

خريطة ٩/١٩- حوض نهر النيل (التساقط والبخر والخزانات)

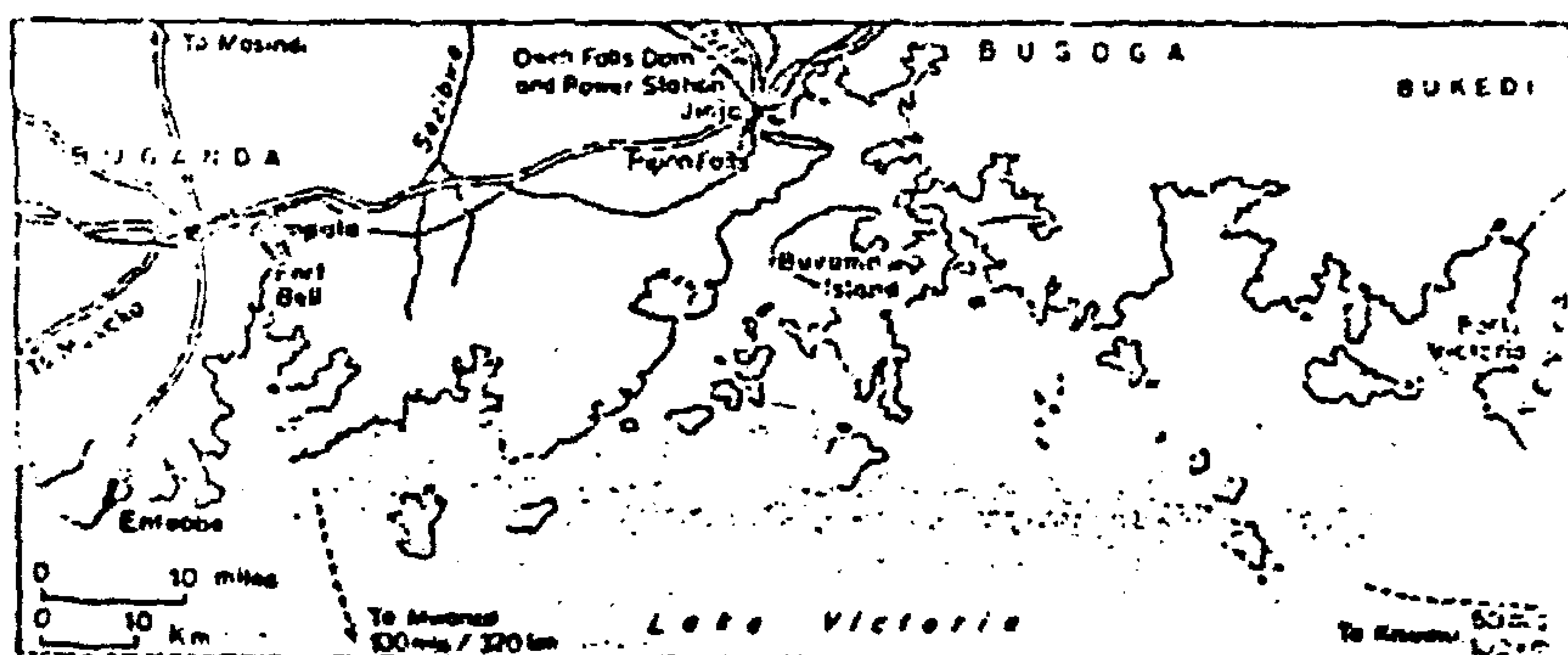
(عن أجلسبى)

خريطة ٢٠/٩- أثر مائية النيل على مظاهر الحياة فى مصر والسودان



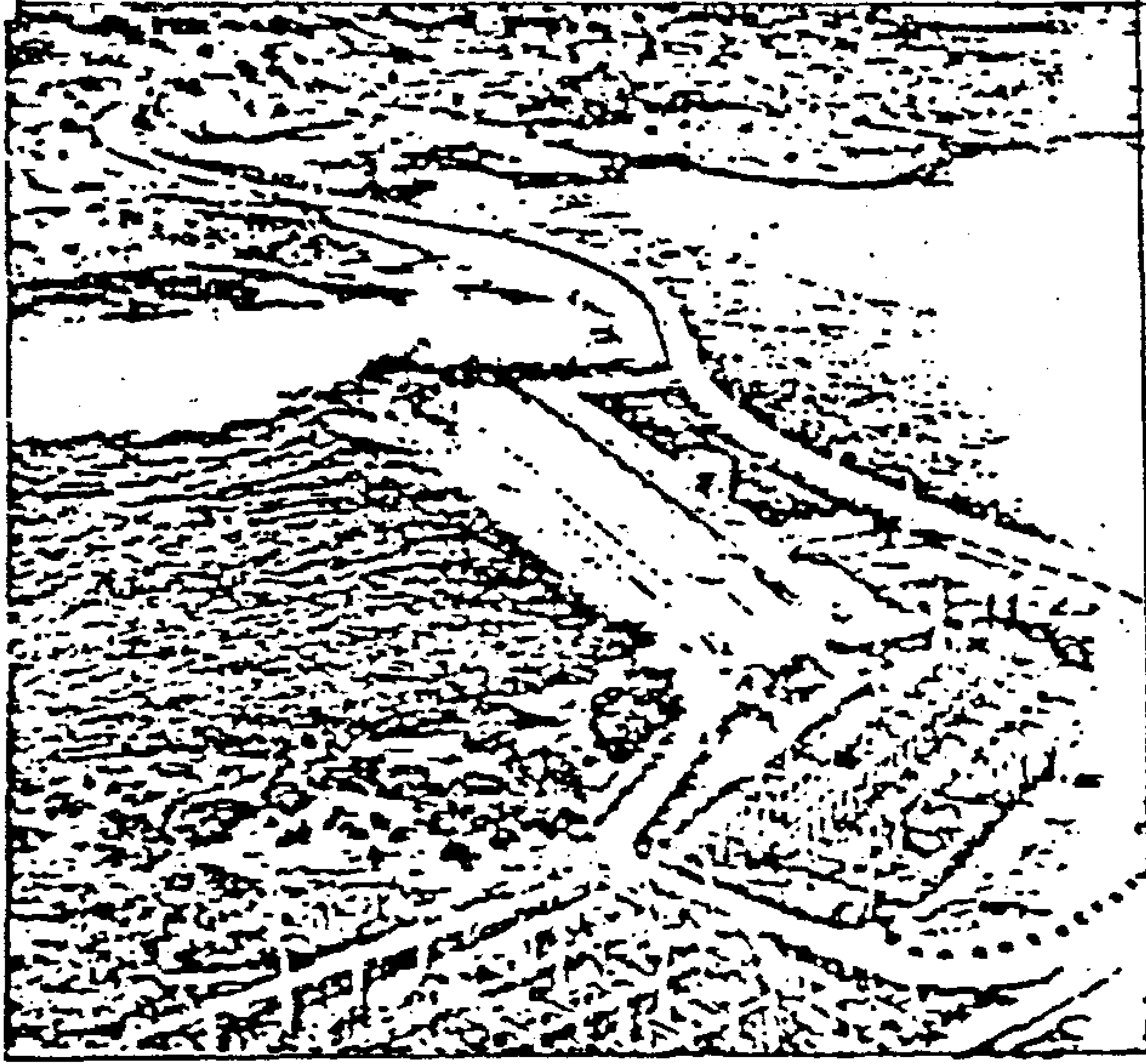
(عن محمد عوض محمد)

خريطة ٩/٢١- منابع النيل الاستوائية



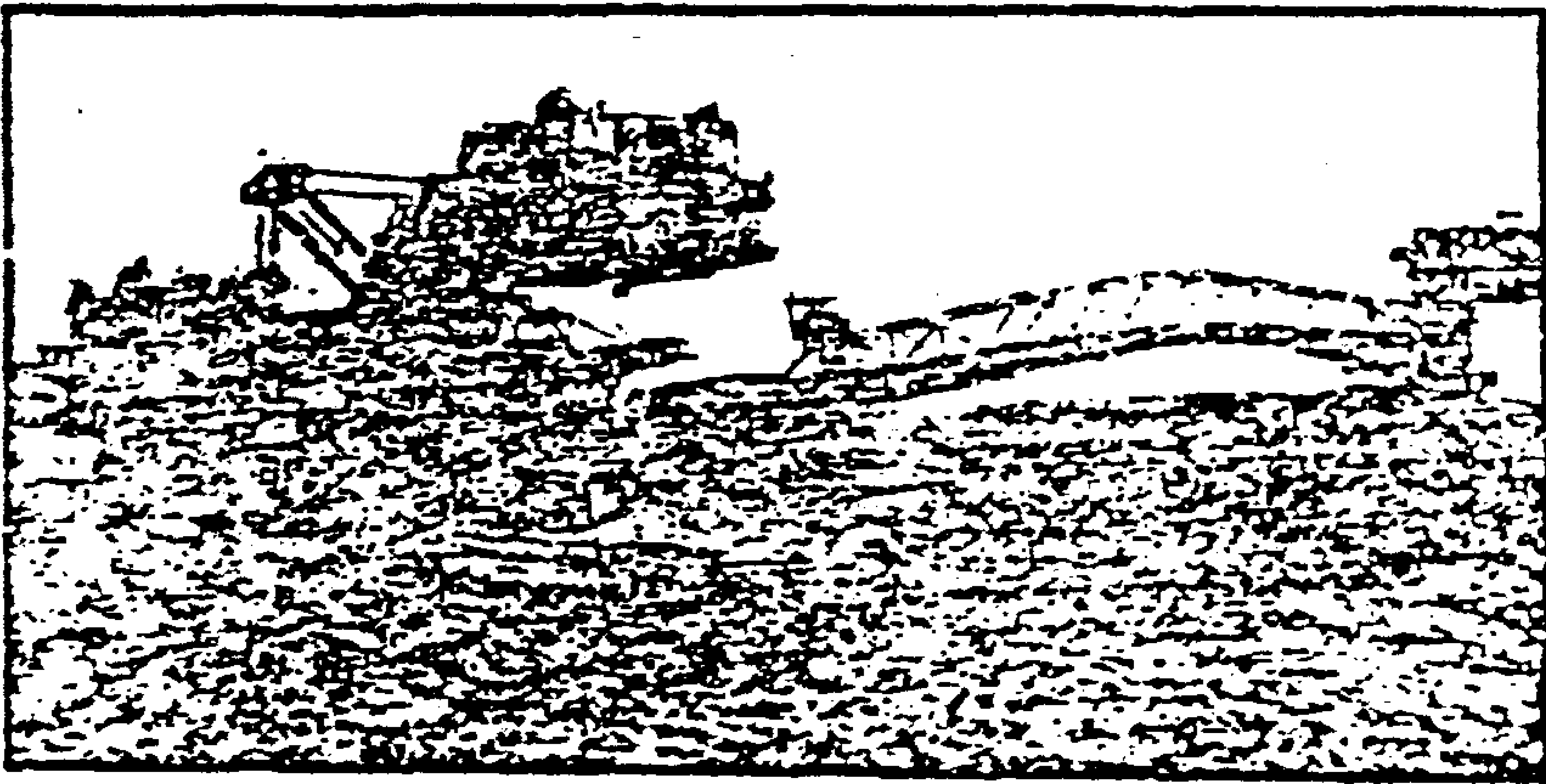
(عن جسريف)

خريطة ٩/٢٢- منبع نيل فيكتوريا من البحيرة



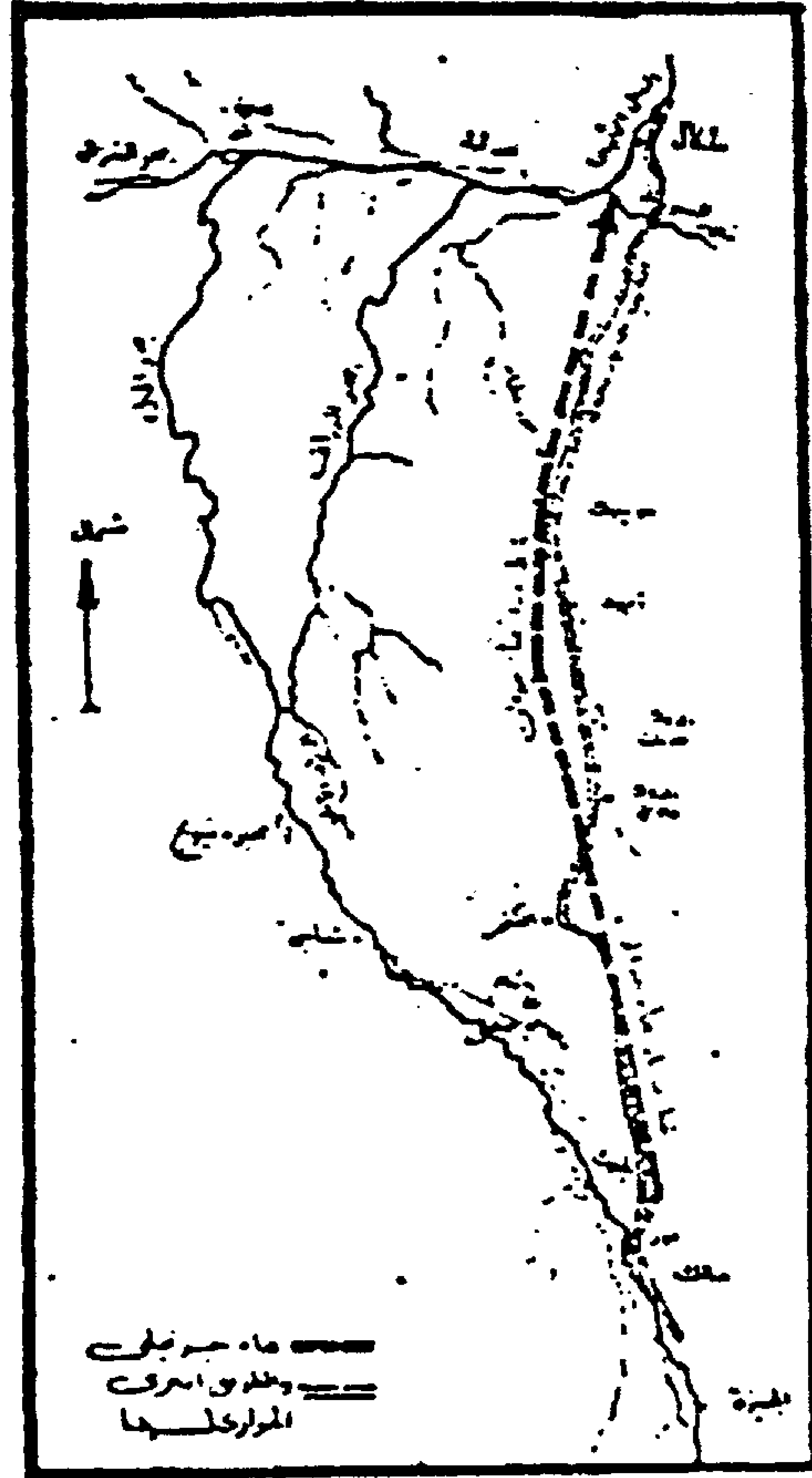
(عن جــرف)

لوحة ٩/٣- شلالات وسد ومحطة كهرباء آوين فى أوغندا



(عن الأهرام)

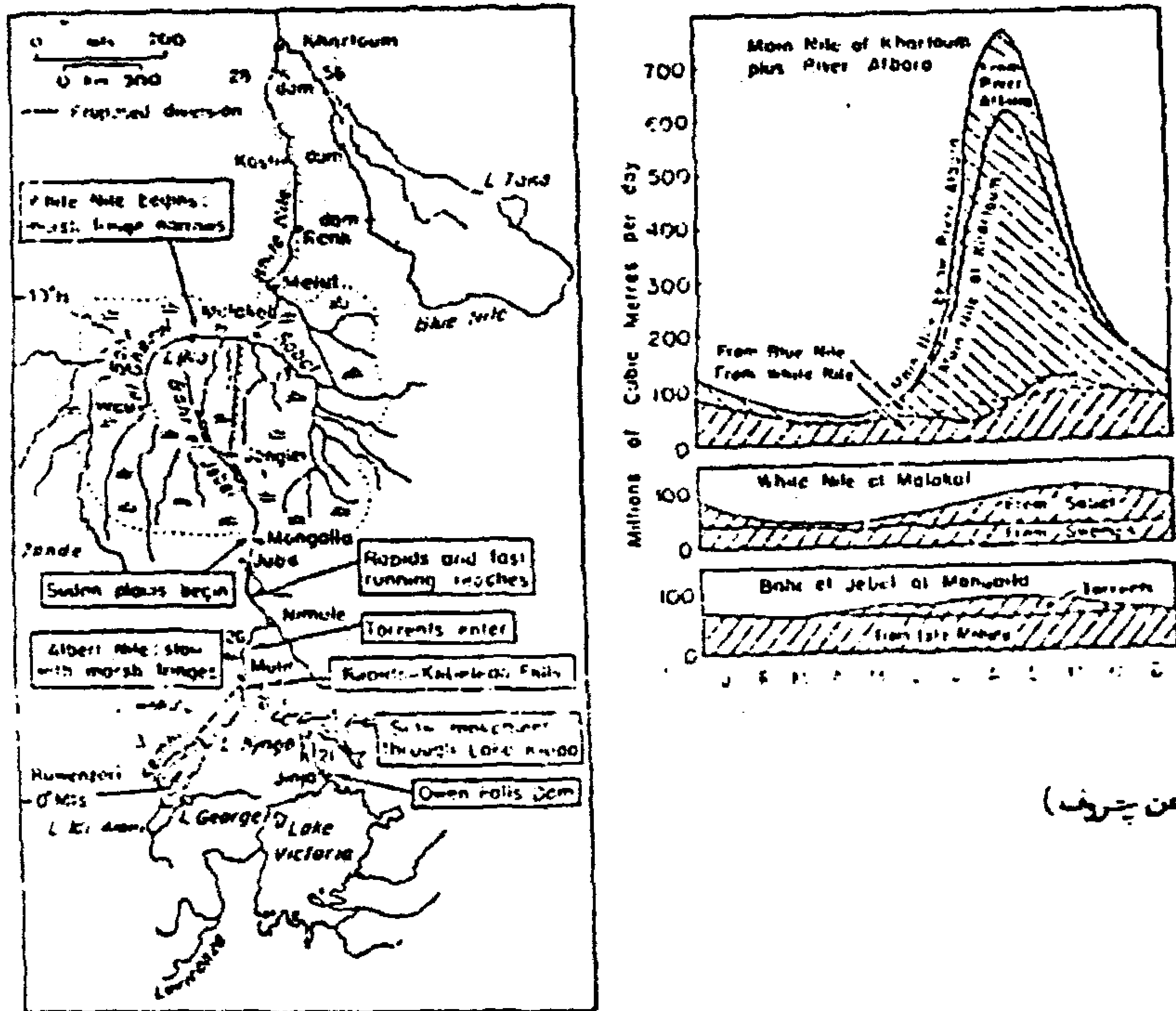
لوحة ٩/٤- أعمال الحفر فى قناة جونجلى فى جنوب السودان



(عن الأهرام)

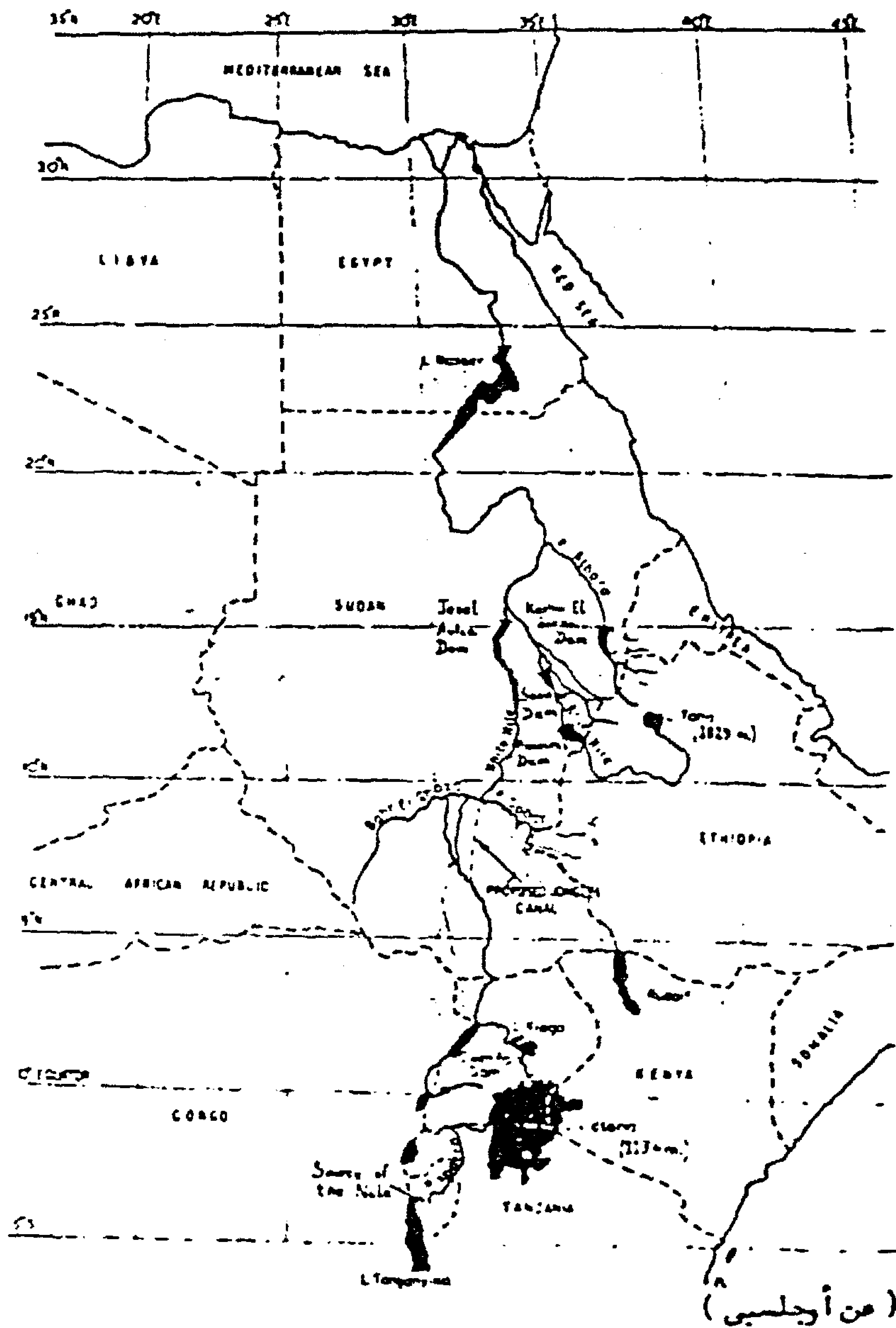
خريطة ٩/٢٣- مشروع قناة جونجلى فى جنوب السودان

The seasonal and annual discharge of the Nile. The numbers alongside the rivers give the approximate mean annual discharges in units of cubic kilometres. They show that about half the White Nile water entering the swamps of the Sudan plains is lost by evaporation between Mongalla and Malakal. It is planned to canalize some of the flow to reduce these losses and to use some of the remainder for irrigation locally. Adapted from H. E. Hurst, The Nile, *1952, and P. P. Howell,* Geog. Journal, *1952, 33–48.*

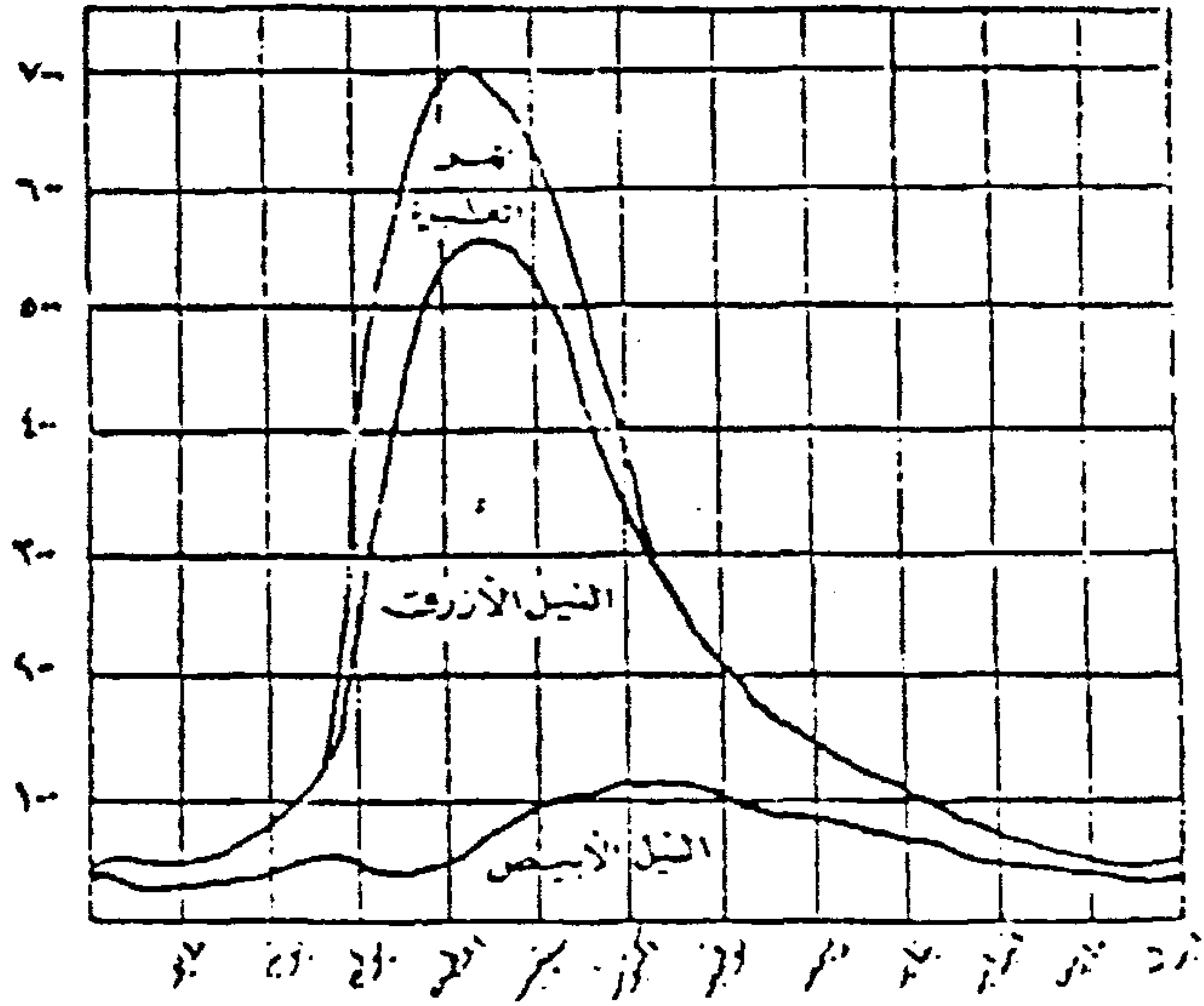


(عن چيروف)

شكل ٩/٧- الأحوال الإيكولوجية المؤثرة على مائية النيل فى المنابع الإستوائية وتأثيرها على تصرف فروع النيل المختلفة



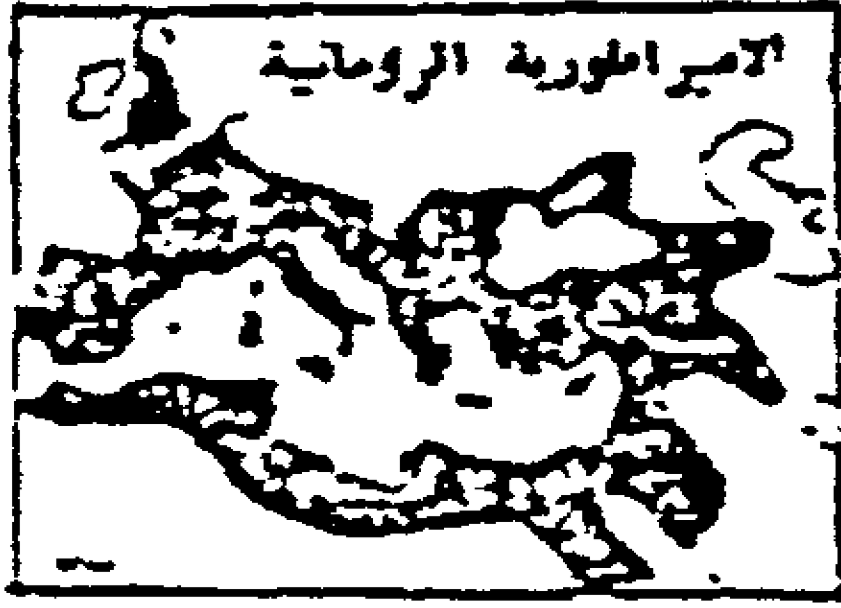
خريطة ٩/٢٤- مشروعات التخزين المائى على نهر النيل



شكل ٩/٨ـ مصدر تصرف النيل عند أسوان على مدار السنة

خريطة ٩/٢٥



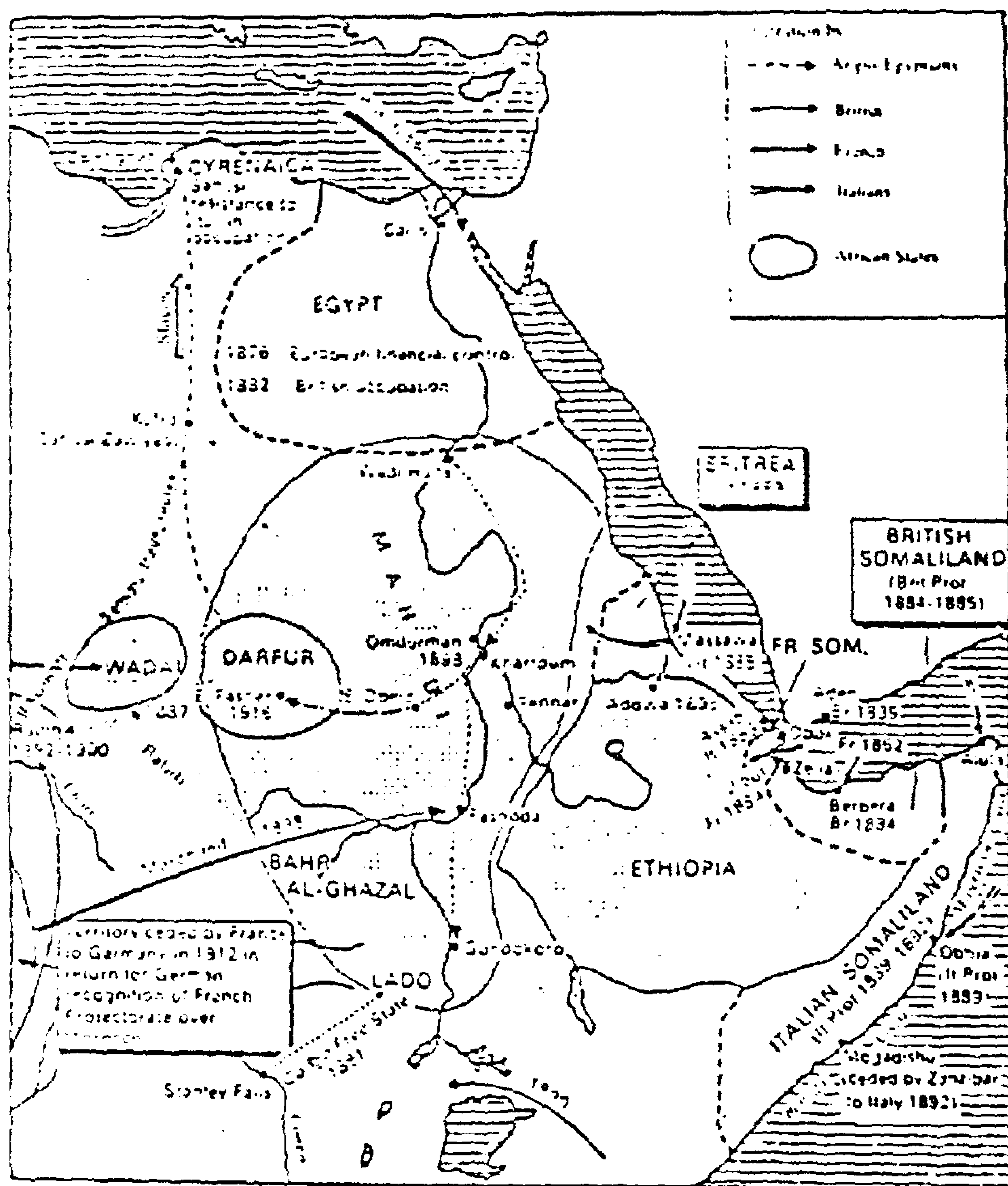






(عن حمـــدان)

خريطة ٩/٢٦ - تطور تطلع القوى العالمية على مر العصور للسيطرة على مناطق هامة من حوض النيل

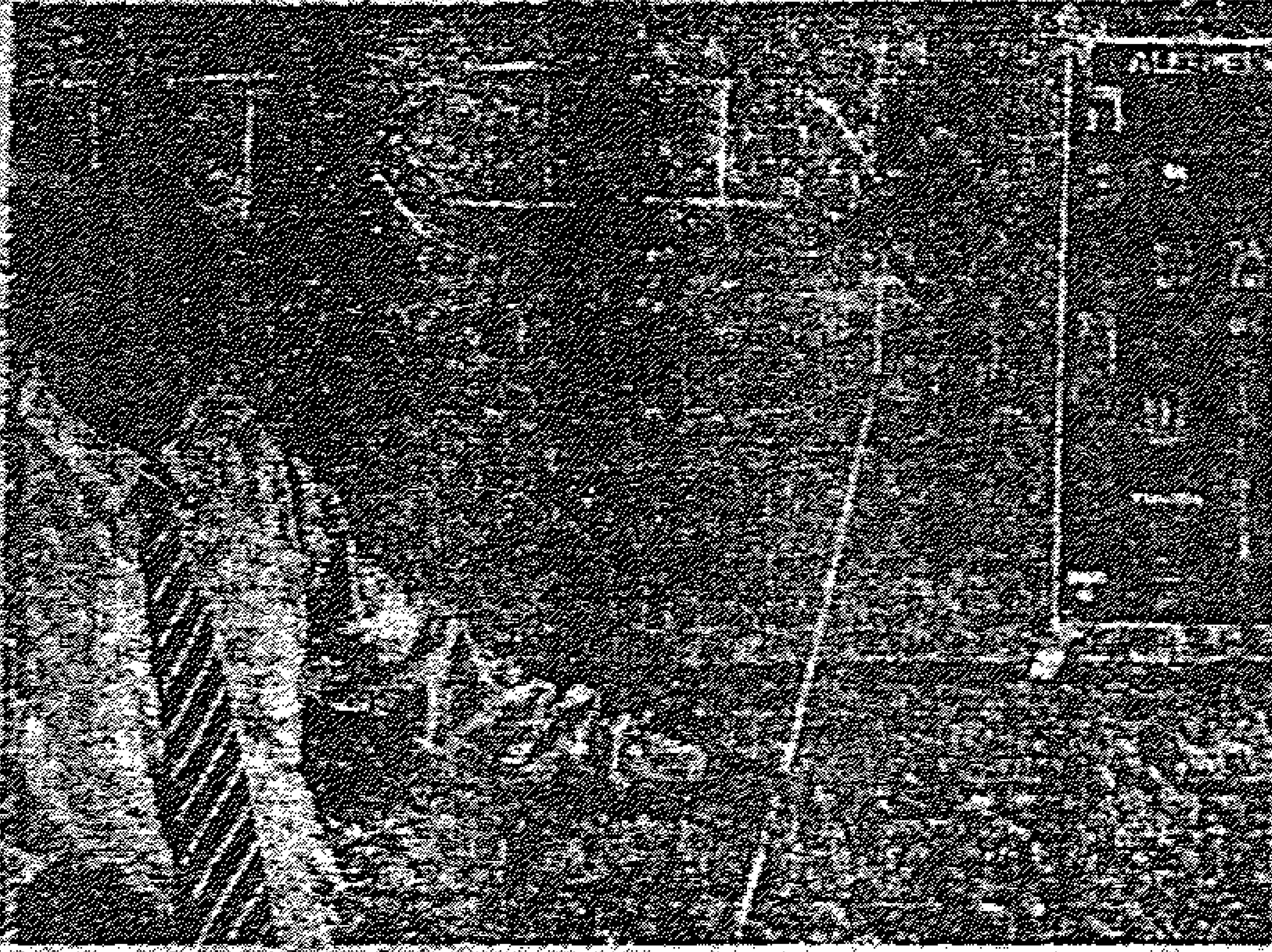


(عن أوليفر)

خريطة ٩/٢٧- تغلغل القوى الأوربية في حوض النيل خلال فترة نهاية القرن التاسع عشر للميلاد

الألف أوغندى.. والاصرار على تعلم العبرية!

حينما فكر تيودور هرتزل فى إقامة دولة لليهود فى أوغندا لم يكن يعلم أن هناك بالفعل فى هذه الدولة التى تقع فى شرق افريقيا طائفة أو جماعة تدير حياتها طبقا للنمط اليهودى.



كانت وكالة رويترز للانباء قد نشرت منذ عدة أيام صورة لأحد الاوغنديين وهو يلقى درسا فى كيفية كتابة وقراءة اللغة العبرية فى المدرسة اليهودية بحى مابالا شرق العاصمة كمبالا، وتبين ان هذا المدرس هو الحاخام اهارون موشيه كيتو أحد زعماء الطائفة اليهودية التى يطلق عليها قبيلة «أبا يوداى» ويعد أفرادها يصل إلى نحو ألف شخص.

وتشتهر هذه الطائفة بعزف موسيقى خاصة والطائفة معروفة منذ عدة سنوات خاصة بعد زيارة عدد من حاخامات الولايات المتحدة لها.

أحد مسئولى الهجرة بالوكالة اليهودية ويدعى ملبك روزنبرج قال إن هذه الطائفة ليست يهودية وليس لها الحق فى الهجرة إلى إسرائيل، وأن مثل هذه الجماعات التى تدير حياتها طبقا للنمط اليهودى منتشرة بكثرة فى القارة الافريقية والهند وأمريكا اللاتينية وتم التأكد أن كل هذه الجماعات ليست يهودية طبقا للقانون الإسرائيلى، ايضا وزارة الخارجية الإسرائيلية اعلنت انها لاتعلم شيئا عن وجود طائفة يهودية فى أوغندا، اما الحاخام مناحم كرمين الذى أجرى بحثا عن الطوائف اليهودية فى العالم اشار فى كتابه «أعرف شعبك» أن هناك مابين ٦٠ و ٨٠ أسرة يهودية تعيش فى أوغندا من بينهم ايضا أسر يهودية سوداء البشرة.

[عن صحيفة يديعوت احرونوت الإسرائيلية]

لوحة ٩/٥- يهود فى أوغندا

هوامش الفصل التاسع

(1) Basin= area of country drained by a river and its tributaries" (Hornby, AS.et .al.:Oxfored Advansed Learner's Dictionary of Current English, 7th.ed.2ndpt.London, Oxfored Univ, Press, 1974, p65).

(٢) يوسف مجلى وعبد الفتاح ابراهيم: جغرافية حوض النيل، القاهرة، وزارة المعارف العمومية، ١٩٥١، ص١٣.

(٣) عبد العزيز كامل: فى أرض النيل، عالم الكتب ، ١٩٧١، ص٢٣-٢٥

(٤) نفس المصدر، ص١٣-١٤

(5) Freeman- Grenville, G.S.P , and Housman, E,A.modern Atles of African history, London, Rex.collings, 1976,p56-57.

(٦) شوقى الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، ط٢، القارة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠، ص١٠٤-١٠٥.

(7) Porham, Morgery: East African journey; Kerya and Tangaryha 1929-30.London, Faber and Faber,1976.

(٨) على اسم أحد المحاربين الوطنيين الذين حاربوا القوات البريطانية .

(٩) محمد صفى الدين: مورفولوجية الأراضى المصرية، القاهرة،دار النهضة العربية ،١٩٦١، ص٥٣

(١٠) محمد عوض محمد: نهر النيل، ط٣، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١، ص٤٣

(١١) نهر النيل، تطوره الجيولوجى وأثر ذلك فى نشأة الحضارة الأولى، رسالة العلم القاهرة، ديسمبر ١٩٥٣، ص١٨٤.

(١٢) رشدى سعيدك نهر النيل. القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٩.

(13) Human, W,F.: Geology of Egypt, Cario,1962, vols3.

(14) F.A, Gawad: Side Lights upon Prehistoric Man and his civiation in north Eartern African study Review. Vol.8, 1979, p.1-56.

(15) Lond Hailly: African study survy, p.997.

(١٦) على حسين شلش: اقتصاديات المياه العذبة، البصرة، مطبعة حداد، ١٩٨٦، ص١٠.

(١٧) هرست، هـ.١٠: موجز عن حوض النيل ، ترجمة محمد نظيم، جـ٢، القاهرة المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٤٦، ص٥٦.

(١٨) ومن أجل ذلك تزايد اهتمام دول حوض النيل (الأوتوجو) بتطبيق النظام الصدر وجرافى على نهر النيل حتى يتمكن الاستفادة القصوى من موارده المائية سنويا وباستمرار وكان هذا أهم بنود اجتماع المنظمة الذى عقد بالقاهرة فى أغسطس ١٩٩١.

(١٩) خاصة الفنان البريطانى بوب جلدوف (٣٣ سنة) راقص الروك القديم الذى هزت أغنيته: "تعالوا نطعم أفريقيا" ، فسارع العالم كله للتبرع فاستحق عن جدارة لقب رجل عام ١٨٨٥ فى رأى مجلة لوبون الفرنسية.

(20) Dolzhansky, Th: Monkind evolving, New Haven, Yala univ Press,1962, p264.

(٢١) فاروق عبد الجواد شويقة: أهالى جبل علبة سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٧٩، ص١-٨٩

(٢٢) فاروق عبد الجواد شويقة: النوبة المصرية: رسالة دكتوراه (غير منشورة) جامعة القاهرة، ١٩٧٤.

(٢٣) فاروق عبد الجواد شويقة: الواتواتسى، عمالقة أفريقيا، مجلة الدراسات الأفريقية، مج٨، ١٩٧٨، ص٦٥-١٣٨

(٢٤) فاروق عبد الجواد شويقة- الأقزام الأفريقيون: مجلة الدراسات الأفريقية، مج٥، ١٩٧٦، ص١-١٠١.

(٢٥) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية، مجلة الدراسات الأفريقية، مج٦، ١٩٧٧، ص١١١-١٠٨.

(٢٦) الأهرام السبت ١٢ من مارس ٢٠٠٥ ص ٦(عن بديعوت أعرو نوت الإسرائية)

(٢٧) فاروق عبد الجواد شويقة: مدخل إلى الأنثربومتريا، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨١

(28) Shewika, F, A, Gowed: Mapping of some Abnormal Hemoglobin in the Middle –East and some Nile Basin Countries" Bullettin of Cario Univ in Khartoum, Vol,9,1978,p

(٢٩) محمد السيد غلاب ومحمد صبحى عبد الحكيم: السكان ديموجرافيا وجغرافيا، طـ٣، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣، ص٣٨، وما بعدها.

منهجيا .Feteren, W.: Popultion,p73

(30) Worled Bank StatiticalYearbook 1978, Washinton D C, 197
The Cambridge Eneyclopedia of Africa, Cambridge,1981,p385.
(31) UN: Demogrophic Yearbook 1981, New York, Un,1983.
(32) Loc,cit.
(33) Chi-Bonnarel, Regine Van; The Atlas of Africa, Paris, jeune afrique, 1973,p57-58.
(34) Loc,cit.
(٣٥) فاروق عبد الجواد شويقة: الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا، ١٩٦٠.
(36) Shewika, F.A Gawed: Some African Concepts of God, African Studies Review, vol,9, 1980.
(٣٧) سليمان عبد الستار خاطر: أفريقيا الإسلامية/ مجلة الدراسات الأفريقية، مج٥، ١٩٧٦، ص٢٢١-٢٥٧.
(٣٨) الأهرام: ١١ من أغسطس ١٩٨٥، ص٥
(39)World Bank Statistical Yearbook 1978,Washington DC,1978.
(40) The Cambridge Encylopedia of Africa, Cambridge UK, 1981,p329.
(41)World Bank Statistical Yearbook 1978,Washington DC,1978.
(42)World bank Statistical Yearbook 1978.Washington DC, 1978.
(٤٣) محمد عبد الغنى سعدى وآخران: التكامل المصرى السودانى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣، ص١٨٩-١٩١.
(٤٤) فاروق عبد الجواد شويقة: دراسة فى إكلوجية النوبة المصرية، كبيئة فى طور التكوين، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مج٣٢و٣٣، ١٩٧١، ص١٤٩-١٧٨.
(45) The Cambridge Encylopedia of Africa, Cambridge UK, 1981,p347.

ببلوجرافية الفصل التاسع

(١) إبراهيم أحمد رزقانة: الجغرافية البشرية لحوض النيل. القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٦.

(٢) عبد العزيز كامل: فى أرض النيل – القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧١.

(3) Dalby, D.: The Language Map of Africa. London, Macmillan, 1978.

(4) Fage, J. D. and Oliver, R. (gen. eds.): The Cambridge History of Africa. Cambridge, 1975.

(٥) جمال حمدان: أفريقيا الجديدة؛ دراسة فى الجغرافيا السياسية. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦.

(6) Grove , A.T.: Africa. 3 rd. ed. Oxford, Oxford Univ. Press, 1978.

(٧) حسان محمد عوض: دراسات جيومورفولوجية فى حوض النيل؛ المقال الأول هضبة البحيرات، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية. مج ٣٠، ١٩٥٧، ص ٥–٤٨.

(٨) هرست، هـ.أ: موجز عن حوض النيل، ترجمة محمد نُظيم. جـ٢. القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٤٦.

(٩) ———— وبلاج، ر.ب. ويوسف سميكة: موسوعة حوض النيل. مج ١. المشروعات الكبرى لضبط النيل، تعريب حسن الشربينى. القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٦٨.

(10) Jarrett, H.R.: Africa. 4 th. ed. London, Macdonald, 1974.

(11) Low, D.A. and Smith, A. (eds.): History of East Africa. Oxford, Oxford Univ. Press, 1976

(١٢) محمد صفى الدين: مورفولوجية الأراضى المصرية. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦.

(١٣) محمد عوض محمد: نهر النيل. ط ٣. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١.

(14) Murdock, G.P.: Africa; its Peoples and their Culture History. McGraw Hill, 1959.

(15) Oglesbey, R.T. et.al.(eds.): River ecology. New York, Academic Press, 1972.

(16) Oliver, Roland and Atmore, Anthony: Africa Since 1800, Cambridge, At the Univ. Press, 1967.

(17) Owen, D.F.: Animal Ecology in Tropical Africa. 2 nd. ed. London, Oxford Univ, Press, 1976.

(١٨) شوقى الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها. ط ٢. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠.

(١٩) يوسف مجلى وعبد الفتاح إبراهيم: جغرافية حوض النيل. القاهرة، وزارة المعارف العامة، ١٩٥١.

(20) The UNESCO: General History of Africa. London, 1981- (8Vols)

الفصل العاشر

مصر

مصر ... وما أدراك ما مصر....

من ذا الذى يكتب عن مصر، فى جزء محدود ، وممدود القيمة، ليعبر عن واقع وحب عظيمين وغير محدودين... لوطنه... ومصر بالذات وبالتاريخ وبالجغرافيا وبالأنثروبولوجيا وبالآداب وبالفنون وبالحياة كلها.

من ذا الذى يستطيع ذلك ، بعدما كتب، ويكتب وما سيكتب....

إننى اقترح لمن- وعلى من- يريد دراسة مصر، أن يتدرج فى دراستها من خلال أربعة مستويات:

الأول استيعاب كتاب شخصية مصر، دراسة فى عبقرية المكان لحمدان(العملاق : جمال محمود صالح حمدان) الصادر فى يوليو ١٩٦٧ عن دار الهلال بالقاهرة(٢٥٦ ص).

والثانى استيعاب الطبعة الثانية التى تحمل ذات العنوان والتى صدرت عام ١٩٧٠ (٥١٤ص) عن مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

أما الثالث فهو محاولة فهم الطبعة الموسوعية التى تحمل ذات العنوان أيضًا والتى صدر مجلدها الأول (٨٤١ص) عام ١٩٨٠ عن عالم الكتب بالقاهرة كما صدر مجلدها الثانى (١٠١٨ص) عن ذات الناشر عام ١٩٨١، أما المجلد الثالث فقد صدر عن ذات الناشر فى يناير ١٩٨٤(٩٧٣ص)، كما صدر المجلد الرابع(٧٢٠ص) فى أغسطس ١٩٨٤ عن ذات الناشر كذلك.

وعندى أن كل هذه المجلدات خاصة من بين مؤلفات حمدان قد مرت بمراحل هامة وبعدها تكونت جينيا من قبل فى عاطفة وفكر مؤلفها منذ سنين صباه الأولى فى شبرا وفى المدرسة التوفيقية، تلك التى أنجبت جغرافيين وأنثروبولوجيين آخريين وعظماء.

أما المستوى الرابع فما هو إلا الحياة المصرية ذاتها، يحياها الباحث الحى الواعى الهادف للفهم والتعليم والتعلم، مع قراءة كل ما كتب عن مصر فى كل ما نشر وينشر فى الذاكرة الخارجية للإنسان وبكل اللغات وفى كل العصور.

فمن ذا الذى يستطيع أن يتوغل فى ذلك البعد الرابع، المصرى، هل هناك اينشتين يحاول، لذلك علينا أن نكتفى بالأبعاد الثلاثة الأولى، محاولين من خلالها التدرج فى فهم مصر... وحبها.. بعقل وتعقل.

الحقيقة هذا كان الرأى، الذى مازال كما هو حتى الآن(أكتوبر ١٩٨٥)عندما عرفت أن البعض يحاول من خلال اشتراكه فى لجنة موظفة لخدمة الجغرافيا، أن يشترك فى كتابة وإصدار عمل جغرافى متكامل عن مصر...؟ كيف ؟ ولماذا... الآن؟ وهل سيأتى بجديد بعدما صدر.

أعتقد أنه إن كان لابد من هذا العمل لمحاولة إثبات الذات بعد طول ثبات فى السبات؛ فإننى اقترح أن يبدأ الإعداد والجمع والتجميع لهذا العمل، كى يصدر بعد عشر سنوات على الأقل من الآن، لكى يصبح لهذا العمل الجديد شرف متابعة حمل الأمانة التى حملها بمفرده جمال حمدان (١٩٦٧-١٩٨٤) عندما أصدر سلسلة كتب "شخصية مصر" التى توجها بالمجلدات الأربعة الموسوعية عن وطننا الحبيب.

وان كان لابد من عمل يصدر الآن، فليكن أطلسا عن مصر...؟ ولنسترشد بأطالس قيمة قومية صدرت عن دول قريبة من الجيران...! ولا نكن كالحيارى.

هذا وليشترك المتخصصون كل فى تخصصه فى إخراج هذا الأطلس وفى كتابة المتن العلمى فيه، وفى كتابة الكتاب الجديد الموعود، كى يكون واعدا.

فهل يمكن تحقيق هذا الممكن.

ببلجرافية مختارة
ببعض المراجع الأساسية عن مصر
كمرشد لمصادر التعمق

American Geographical Society; Map Department: Index to Maps in Books and Periodicals, Boston, G,K.Hall& CO., 1968(10Vols,&First sup,1971).

Anawati,M.M.: Bibliographie des ouvrages arabes imprimes en Egypte en 1942,1943 et 1944,Le Cairo, Institute,Francais,1949.

Besterman,Theodore;A world bibliography of bibiographies and bibliographical catalogues, calendarests,digests,indexs, and the Like,2nd.ed.revand greatly enlardigets, indexs, and the like,2nd.ed and gratly enlarged throughout,Lond,priv,pub,by,the author,1947-49,3 vols.

______________: A worled bibliography of African bibliographies, rev,N.J., Rowman and Littlefield,1975.

Bibliographie Geographigue International(International Geographical Bibliography). Paris, Center National de la Recherche Scientifigue.

Bibliographic index; a cumulative bibliography of bibliogyraphies,1937- N.Y., Wilson,1938.

Cairo,Dar de-Kutub al-Misriyah: Catalouge de la Sectioeuropeen 2 ed.La Cairo, 1899-1901.

_______: Egypt, Subject catalogue. Cairo,Egyptain National Library Press,1957-63.

Courtney, William Peideaux: Register of national bibliography;with a selection of the chief bibliaphical books and articals printed in other countries ,Lond., contable,1905-12,3vols.

Cumulitive book Index; a worled list of books in the English language, New York,The,H,W,Wilson, co (Yearly).

جامعة القاهرة: دليل عناويم رسائل الماجستير والدكتوراه بكليات جامعة القاهرة العام ١٩٦٩-١٩٧٠ (وهناك مثل ذلك العنوان تصدره الجامعات والكليات والمعاهد الأخرى وعن فترات زمنية أخرى).

جمهورية مصر العربية، دار الكتب القومية: نشرة الايداع (النشرة المصرية للمطبوعات سابقا) تصدر كل ثلاث شهور (ووالعدد الرابع به كشافات للسنة) مازالت تصدر منذ عام١٩٥٥.

Duignan,Peter et,al.: Guide to research and reference words on sub-saharan Africa , Stanford,Galif,Hoover,Institution press, Stanfored Univ.,1972.

Harris, Chauncy Dennison: Bibiography of geographt Chicago, Univ of Chicago,1979,

Heyworth- Dunne, James: Select bibliography on modern Egypt,Cairo ,Ranaissance Bookshop,1952.

Index bibliographicuse; catalogus international bibliographies courants,2 ed,mis a journ et considerablement publ,par Marcal Godet et joris Vorstius,Berlin,de Gruyter,1931

الكشاف التحليلي للصحف والمجلات العربية، القاهرة تصدر كراسات منها منذ عام ١٩٦٢.

كشاف الأهرام - القاهرة مركز التنظيم والميكروفيلم يصدر شهريا ولتجميعات.

The libaray of congress Catalogus: The National Union Catalog; a cumulative author list reprsonenting library of congress printed cards and titles reported by other American libraries, Washington DC,(Yearly).

Minto, Charles Sinclair: How to find out in geography oxfored, pergamon press,1966.

Moore,Wilfred Geoge: The Penguin encylopeddia of Places Harmondsworth, Penguin,1971.

The Times Index- Gazetteer of the world,London,The Times Publishing Co.,1965

Winick , Charles: Dictionary of Anthropology, New Jersey Adams and CO.,

Where's Where; a descriptive gaztter, London, Methuen, 1974.

Worledmark encyclopedia of nations, 5th,ed,New York, Wordmarke Press, 1979.

الخاتمة

الخاتمة

حاولنا فى هذه الطبعة من هذا الكتاب التعريف بالقارة الافريقية من خلال ثمانية فصول تغطى الجوانب الايكولوجية العامة للقارة. ثم فصلان فى القسم الثانى (الاقليمى) أحدهما خصص لدراسة حوض نهر النيل والثانى أوردنا لمحة عن مصر.

ولعل أهم ما فى الفصل العاشر (عن مصر) بيان والمراجع بالمفهوم المكتبى والمعلوماتى وهى تلك التى ترشد إلى ما يمكن أن يقرأ عن الموضوع قبل وأثناء الدراسات الحقلية والاقامات الميدانية الواجبة.

والتى يمكن منها جميعا ومن تحليل وتعليل وربط جميع المعلومات المجمعة، وهى التى يمكن منها جميعا أن نكون صورة شبه واقعية عن المجتمع محل الدراسة ونصل منها وبها إلى أسباب مكوناته وأيضًا إلى أقرب الاحتمالات لمستقبلها.

والحقيقة التى يجب الاهتمام بها هو أنه يجب الاهتمام بالتحديث والتنمية فى كل أنحاء افريقيا عن طريق استخدام أحدث التكنولوجيات، لا أن تستخدم وسائل قديمة كما هو حادث مثلا فى مصر عندما تستعمل وسائل رى وزارعة تقليدية تتسبب فى فقد كميات كبيرة من المياه فى الزراعة فى الوقت الذى لا تزيد فيه كميات المياه مع زيادة السكان.

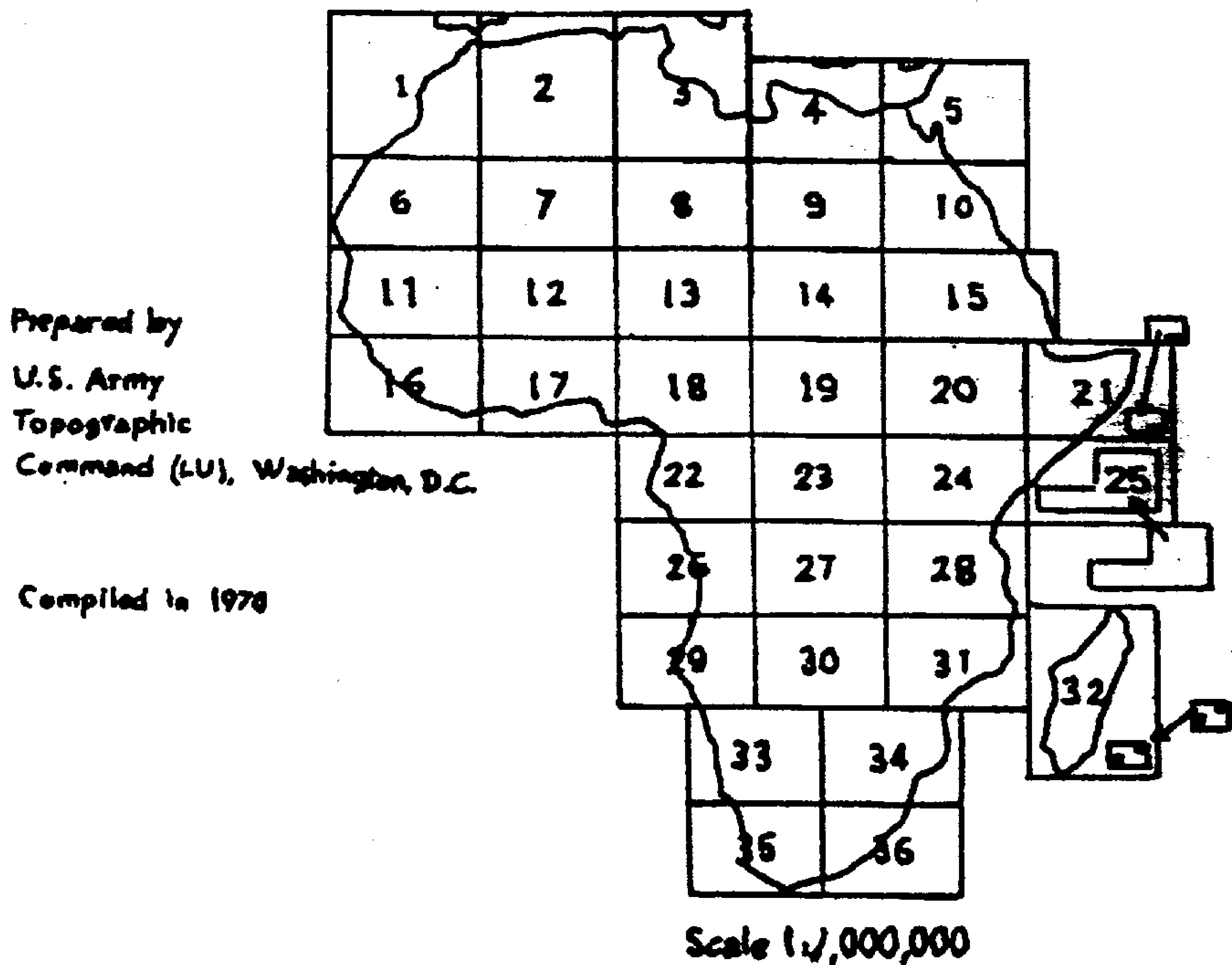
والحقيقة إذا أردنا أن نذكر رأينا فى موضوع المشكلات الداخلية التى تتعرض لها بعض الدول والمجتمعات الأفريقية مثل جنوب وغرب السودان والصومال وتشاد ورواندا وكينيا، فإننا نقول أن جل إن لم تكن كل هذه المشكلات بسبب عدم تطبيق روح الديمقراطية والعدالة فى حكم الشعوب، ويضاف إليها عدم توزيع السلطة والثروة بصورة عادلة ومتساوية بين القوى الوطنية والقبائل المحلية.

والملاحظ أنه لما كان التوزيع المكانى للظاهرات الايكولوجية، هو أساس كل البحوث الدراسات العلمية والتخطيطية والاستراتيجية فى وقت السلم وفى زمن الحرب على السواء، فقد حرصت الولايات المتحدة الامريكية (الجيش) على رفع (رسم) خرائط تفصيلية لكل قارات العالم المسكون منذ ما قبل عام ١٩٧٠، وهى تجرى عليها التحديث اللازم باستمرار من خلال الأقمار

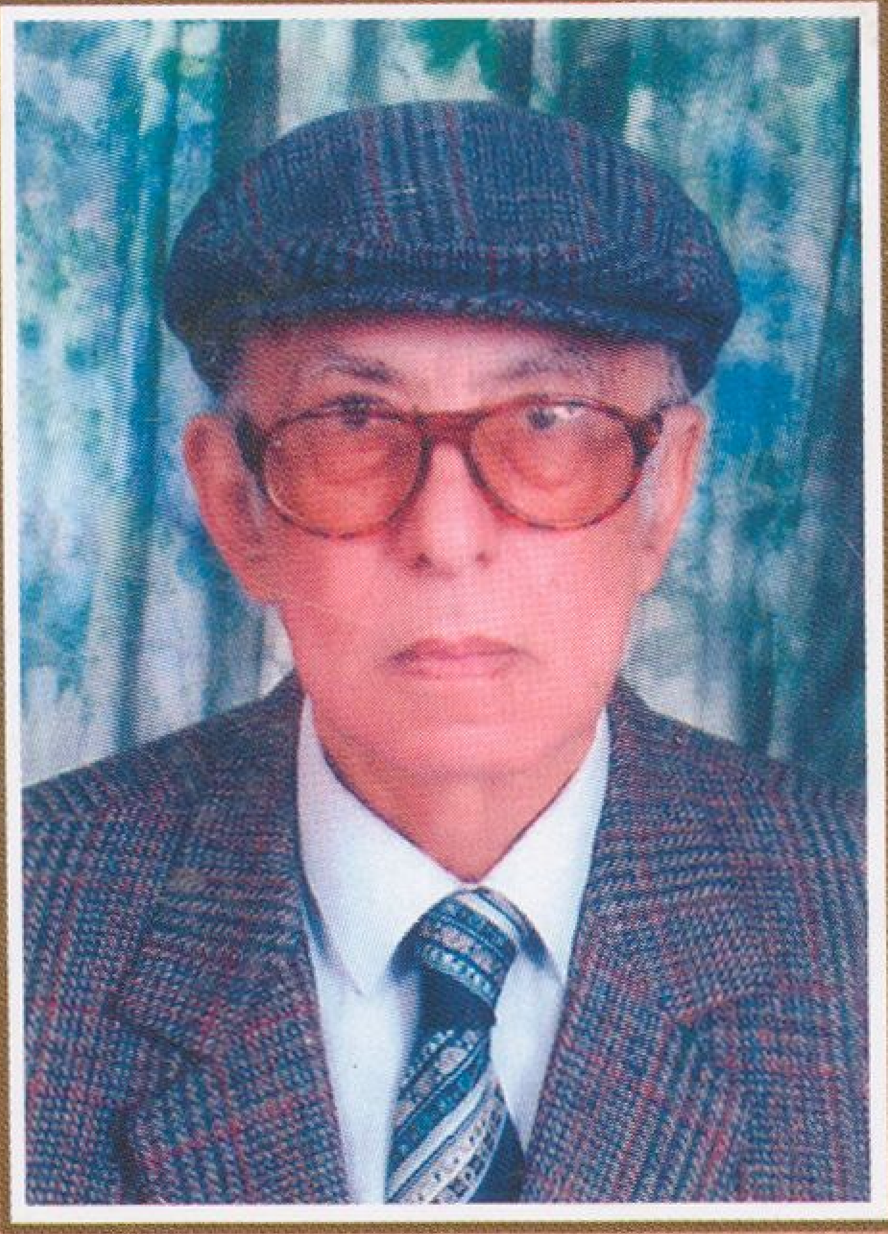
الصناعية العلمية والعسكرية (خريطة ١/خ) وذلك حتى تتمكن من تنفيذ ما تشاء على الواقع الحقيقى.

ومن حسنات المنهج والبحث العلمى الامريكى أن لوحات هذا الخرائط - متاحة للبيع للكافة فى كثير من محلات البيع المتخصصة، فى أمريكا وأوروبا وغيرهما وباسعار منافسة. لذا حبذا لو استعملت مثل هذه الخرائط عند الدراسات والبحوث الميدانية فى شتى فروع الدراسات الايكولوجية خاصة فى إفريقيا مجال إهتمامنا.

وعليه فإننا بذلك نكون قد اقتربنا من التغطية الكاملة للموضوع محل الدراسة وهو إيكولوجية القارة الأفريقية.



وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



هذا الكتاب

مازالت أفريقيا مطمح ومطمع الجميع.

فهذا الكتاب يدرس قارة أفريقيا : جغرافيا - إيكولوچيا - تاريخياً - أنثروبولوچيا - لغوياً - إقتصادياً - سياسياً

لذا كان هذا الكتاب مفيداً لطلاب هذه التخصصات وغيرهم من طلاب الجامعات وخاصة طلاب الدراسات العليا والباحثين فى هذه المجالات وغيرها.

كما أنه مفيد للمهتمين بالأمور الاستراتيجية وبكل مايتعلق بها من إهتمامات.

فكما أن للقارة الأفريقية وضع خاص عند الجميع.

فإن لهذا الكتاب مذاق خاص، لما يقدمه من منهج جديد وفكر مميز متمايز يفيد القاصى والدانى.

وبذلك فإن هذا الكتاب لاغنى عنه لكل مهتم بالشأن الإفريقى مهما كان تخصصه وخلفيته وإهتمامه وإتجاهه وإنتماءه.